

الدكتور
عبد الحليم محمود

فضيلة التدريس

في كل مكان ولكن الظروف لم تكن قد أتاحت لي بعد أن اتصل به اتصالاً يزيد على سماع الاسم إلا قليلاً .

وسألت الصديق عما إذا كان عنده من المراجع ما يعطيني صورة موجزة صادقة عن الشيخ تربيل بعض الجهل به .

وقدم لي الصديق كتاب الأستاذ السندوني عن أبي العباس المرسى . وذلك لأن المؤلف كتب فيه عن أبي الحسن الشاذلي صفحات عدة . ولم يكن عند الصديق غيره للتعريف بأبي الحسن .

وأخذت في قراءة ما كتبه الأستاذ السندوني فوجدت في نفسي رغبة ملحة في أن أزداد معرفة بالشاذلي . وفي أن أكتب عنه إذا يسر الله ذلك .

وأخذت أسأل عن المراجع هنا وهناك . ووجدت في دار العشيرة المحمدية كتاب « الفاخر العلية » لابن عياد مخطوطاً بقلم الشيخ العروسي نفسه . بخط جميل . على ورق جميل فاخر . وقد راجعه الشيخ بعد كتابته وأثبت ما نسيه . وصحح ما أخطأ في نقله . ولم يخل فضيلة رائد العشيرة المحمدية على به . ووجدت في الدار أيضاً الكتاب النادر كتاب (دُرَّة الأسرار) وهو من أنفس المراجع عن أبي الحسن الشاذلي . استقى فيه مؤلفه أخبار أبي الحسن عن التقوا به مباشرة . وعن أصحاب أصحابه .

ولقد سافر من أجل ذلك إلى عدة أقطار . وبين في مقدمة كتابه كيفية جمعه إذ يقول : « وكان من جملة من الله سبحانه على . وعلى من سلف لي . هو تتبع ما لسيدينا الشيخ الولي الصديق العارف المحقق الفوث القطب الشريف الحسيني أبي الحسن على المعروف بالشاذلي من الآثار . وتقييد ما له من الدعوات والأذكار . وكنت أطلبها وأجهد في جمعها . وأصرف الرغبة في التوجه إلى من عرف بها .

فثما ما أخذته تلقياً بتونس من سيدنا الشيخ الصالح أبي العزائم ماضي بن سلطان . تلميذ سيدنا الشيخ أبي الحسن وخادمه .

ومنها ما أخذته بأرض المشرق . من سيدنا الشيخ أبي عبد الله محمد . المدعو بشرف الدين . ولد سيدنا الشيخ الصالح ياقوت الحبشي . رضى الله عنه .

ومنها ما أخذته عن غيرهم من معتقدي طريق الشيخ . وأصحاب أصحابه من أهل المشرق والمغرب . حتى اجتمع عندي من ذلك ما يهيج سماعه . ويعز

اجتماعه . اهـ .

ولم تبخل على العشيرة المحمدية أيضاً بهذا الكتاب النادر .

وأخذت - مع الزمن - أفتكل المراجع . فكان من أهمها كتاب « لطائف النق » . في مناقب الشيخ أبي العباس وشيخه أبي الحسن . تأليف ابن عطاء الله السكندري . وهو تلميذ أبي العباس المرسى أكبر تلاميذ أبي الحسن والخليفة بعده . وقد حصلت على الطبعة المصرية حيثئذ .

واستغرقت في القراءة والدراسة فترة من الزمن . وكتبت في مجلة الأزهر مقالا بعنوان « أبو الحسن الشاذلي ومعركة المنصورة » .

ثم صرفتني الصوارف . وطويت صحف أبي الحسن . وشغلت بأمر أخرى . ونصت الأيام والسنون وصحف أبي الحسن مطوية . .

حتى إذا كانت سنة ١٩٦٢ دعيت إلى تونس أستاذاً زائراً . لمدة شهر - بجامعة الزيتونة . فتجددت عندي الذكريات عن أبي الحسن . وأخذت أتسم عبيره في تونس . لقد صعدت إلى الجبل الذي كان يتعبد به . ودخلت المغارة التي كان يتكف بها . وهي مغارة تسع في البدا لمجموعة من الناس . ثم ينزل بها الإنسان فيصل إلى مكان يسع لأفراد قليلين . وينزل فيها من جديد حتى يصل إلى المكان الأخير الذي لا يتسع إلا لشخص واحد . ونزلت إلى نهايتها . وجلست خاشعاً

متعبداً حيث كان يتعبد أبو الحسن . وحيث كان يقضي الساعات الطوال ليلاً ونهاراً ، وحيث كان يخلو - فريداً - بربه متضرعاً ، يغلبه الشوق . وتغمره الحبة . ويعمر قلبه اليقين .

وشعرت في المغارة بطمأنينة النفس . وبالسكينة تملؤني . ويتجمع خواطري بصورة عجيبة . وبالتذكر الذهني الذي يندر ويغز وجوده .

وترددت على المغارة في أعلى الجبل .

وفي كل مرة أزور فيها المغارة . تزداد ذكريات الكتاب على ذهني . والصحف التي طويت . وتتجدد مع ذلك الرغبة في الكتابة عن أبي الحسن .

ومع ذلك بقيت الصحف مطوية . بيد أن المراجع عن أبي الحسن قد ازدادت فهانذا أجد طبعة تونسية لكتاب « لطائف المنن » .

وها هو ذا شيخ الجامع الذي في أعلى الجبل عند المغارة يزودني بأحزاب أبي الحسن التي طبعوها في تونس .

وهانذا أحضر المحضرات الشاذلية في المكان نفسه الذي كان يقيمها فيه أبو الحسن رضي الله عنه .

وفي هذه الفترة كان الأستاذ على سالم عمار ينشر دراسة مستفيضة مرواة في جزأين عن أبي الحسن .

كل ذلك جعل عدني للكتابة عن أبي الحسن تزداد عناداً ، وتزداد قوة . ولكن الصحف ما تزال مطوية .

ثم كانت ملابس عديدة . وظروف متناسقة . جعلتني آخذ الطريق الشاذلي . وأندمج في جو المريدين . وأواظب على الأوراد والأذكار الشاذلية . ومكنت كذلك إلى أن كان شهر مارس سنة ١٩٦٤ .

كنت في ليبيا أستاذاً زائراً للجامعة الإسلامية هناك . وكنت قد انتهيت من القاء

المحاضرات في الدار البيضاء . وبنى غازي . وزليطن . وطرابلس . وكنت قد اتخذت الإجراءات للسفر حاجاً إلى بيت الله الحرام .

وبينا أنا في طرابلس أنتظر أن أخرج منها إلى الأراضي المقدسة إذا بي أرى - فيما

يراه النائم - شخصاً أعرفه . اسمه « توفيق » . أراه في ملابس غير ملائمة العادية .

أراه بلبس ملابس شرطي . ويمسك بيده قيداً ويقول لي آمراً :

« اكتب عن أبي الحسن الشاذلي » .

وتلكأت في الاستجابة . وأردت أن أهمل الموضوع . وأن أتحدث معه في شيء

آخر . فإذا به يهدد بوضع القيد في يدي . وإذا به يندر ويتوعد . فقلت له :

هل معنى ذلك أن أترك ما بيدي من أعمال لأكتب عن أبي الحسن الشاذلي ؟ .

نقال : نعم : اترك ما بيدك من أعمال واكتب عن أبي الحسن . ورضي

« توفيق » حينما وعدت بالكتابة . . واستيقظت . وبسر الله أمر الحج والحمد لله .

وحينما عدت إلى القاهرة حاولت - مع وضوح الرؤيا في ذهني ومع تذكري لها - أن أرجي أمر الكتاب عن أبي الحسن . لماذا ؟ لست أدري .

وأخذت في دراسة سهل بن عبد الله التستري . فقد كنت موطناً النفس على أن أعطى طلبة كلية أصول الدين محاضرات عن التفسير الصوفي . وأن آخذ الأمثلة من سهل بن عبد الله . ورأيت أن من الخير أن يكون بين يدي الطلبة كتاب عن هذا الصوفي الذي لم ينل حظه من الدراسة .

وبينا أنا سائر في البدايات الأولى من الدراسة والكتابة . إذا بعاصفة من هذه العوصف التي تمر بالإنسانية من آن لآخر . تبعثني عن التستري . وعن التفسير الصوفي . تبعثني عنه في المكان . وتبعثني عنه في الجو الروحي . وطويت صحف التستري بل زالت من نفسي - وأرجو أن يكون ذلك مؤقتاً - الطاقة الدافعة التي كانت تحفزني على الكتابة عنه وعند ذلك تذكرت الرؤيا . وتذكرت « توفيق »

وهو يقول : « اترك كل شيء واكتب عن أبي الحسن الشاذلي » .
ومضت أسابيع لم أشتغل فيها إلا بالقراءة السهلة في مختلف الموضوعات كيفما اتفق . وفي خلال هذه الأسابيع أخذ الانفعال الذي سببه تذكر الرؤيا ، والرؤيا نفسها ، يزول من نفسي شيئاً فشيئاً . ويمرور الزمن لم تعد الرؤيا في بؤرة الشعور وأصبحت في الهامش البعيد .

ثم رأيت - ولست أدري الآن كيف جاءت الفكرة حينئذ - أنني كتبت فيما مضى ، في فترات متباعدة ، عن موضوع « الإيمان » وأن هذا الموضوع - وقد فكرت فيه فيما مضى وكتبت في زوايا منه ، وتحدثت عنه في الإذاعة والتلفزيون - يسهل على تناوله بالبحث والدراسة ، ويتيسر أن أعود فيه إلى المراجع من جديد ، وإلى ما كتبت ، فانسق وأضيف ، وأحذف وأزبد آملاً أن أنشر دراسة لها لم تقيّد في العصر الحاضر .

وذاث يوم أخذت بعض المراجع عن موضوع الإيمان في رحلة إلى الريف ، آمل أن أجد في هدوء الريف وصفاته ما يساعد على التركيز الذهني والسرعة في إنجاز الموضوع ، وكنت مع بعض الأصدقاء . . . ونزلنا من السيارة - سيارة أجرة - أمام القرية ، وعادت السيارة من حيث أتت ، عادت وبدخلها المراجع ، ولم نذكرها إلا بعد أن أصبحت السيارة بحيث لا أثر لما من رقم أو عنوان ، أو غير ذلك من آثار ؛ وكما تذكرت الرؤيا عند عاصفة التستري ، تذكرتها عندما أصبحت السيارة لا عيناً ولا أثراً : « اترك ما بيدك واكتب عن الشاذلي » .

وقلت في نفسي لنكتف بهذه الدروس ولنبدأ - والله المستعان وبه التوفيق - بالشاذلي ثم يكون ما يريد الله بعد ذلك من مؤلفات ، وعدت إلى الشاذلي ووجدت المراجع مستكلمة :

المراجع الأصلية . والمراجع الثانوية . وكتب الطبقات . وجدت المراجع القديمة والمراجعة الحديثة .

لقد وجدت كل ما أحتاج إليه عن الشاذلي في متناول يدي . ووجدت العمل مبسراً سهلاً ووجدت المصدر منشراحاً والحمد لله .

هذه نصتي مع أبي الحسن رويتها كما حدثت دون زيادة أو نقص .
ولقد كان لأبي الحسن أثر هائل في هداية الناس على مر الزمن ، لقد كان له أثر يتغلل أريجيه الزكي من شخص إلى شخص ، ومن عصر إلى عصر حتى وقتنا الحاضر ، ولقد بدأ هذا الأثر بالجرة البافية في العارف بالله ، القطب الكبير أبي العباس الرمسي وفيمن حول الشيخ من أصدقاء ومريدين وأسلم أبو العباس المشعل - مشعل الهداية - إلى شيخ العلماء وشيخ الصوفية في عصره : ابن عطاء الله السكندري صاحب الحكم ، التي قال عنها أحد كبار العلماء : كاد الحكم أن يكون قرآناً ، رضى الله عنه .

لقد حمل ابن عطاء الله المشعل فانار به من حوله واستنار به من بعده . وبنى النور للآن في كتبه يضيء الطريق للساكنين . وبنى متقللاً من جيل إلى جيل يشير بسنانه إلى أبي الحسن كمنبع من منابع الهدى . وكلم من الأعلام الذين اتبعوا هدى الله في كتابه العزيز ، واقتفوا أثر رسول الله صلى الله عليه وسلم قولاً وعملاً ، واتخذوه أسوة في سلوكهم في البسير من الأمور والمعظم منها .

لقد بنى نور أبي الحسن للآن . وإن المدرسة الشاذلية الحديثة في عصرنا الراهن بقيادةهم وهم كالنجوم وبمريدتها يسرون في ضوئهم لخبر دليل على الأثر الضخم الذي تركه أبو الحسن رضى الله عنه .

يقول الله تعالى : (سنكتب ما قدموا وآثارهم) .

وما من شك في أن آثار أبي الحسن ستلا سجلات وسجلات بن هداهم الله

إلى سلوك طريق الحق على يديه، وعلى يدي أتباعه سلسلة بعد سلسلة إلى ما شاء الله. ولقد رأينا بمشيئة الله أن نبين في وضوح أثر الإمام الشاذلي في العصر الحديث، خاصة، فنخطئنا القرون، منذ أن دعا الشاذلي إلى الله، حتى وصلنا إلى القرن الرابع عشر الهجري.

والقرن الرابع عشر الهجري ملئ بالقرنين من أعلام الشاذلية، الذين أرضوا الله ورسوله فنخلقوا بأخلاق الله واتبعوا سنة رسوله، ولكننا نخبرنا، بتوفيق الله، من بين أولياء الله المقربين شيخين جليلين: لاتصالنا بهما عن قرب، وكان هذا الاتصال هو السبب في اختيارهما..

أحدهما من أوربا: فرنسي، من أعراق فرنسا، عاش شبابه في باريس ثم تابع حياته في القاهرة يعرفه الغرب كله: أميركا وأوربا، لأنه من نابهي قادة الانجاء الصوفي الأصل. يذكره المؤرخون للأديان، ويذكره المتصلون بالروحية، ويذكره أئمة الدعاة إلى إصلاح الحضارة الحديثة، والسمو بها إلى المستوى المثالي، إنه العارف بالله الشيخ عبد الواحد يجي.

وهو من الذين أخذوا العهد الشاذلي، أخذوا على يد العارف بالله المرحوم الشيخ سلامة الراضي. إن الكبار في السن من أتباع الشيخ سلامة الراضي عليه رضوان الله، لا يزالون يذكرون ذلك «الشيخ» الأوربي، يجتبه الحضراء، وعامته البيضاء، وقامته الفارعة الأقرب إلى النحافة منها إلى السمنة، ولا يزالون يذكرون وجهه المشرق بالنور، وسنمه اللاتكي، ومشيته الوقورة، وجلوسه بين يدي الشيخ متواضعاً مهذباً يحاول أن يسكت كل سائل في تلطف ظاهر. حتى يستمر الشيخ في حديثه منطلقاً مع اللدد لا تحده حدود الأسئلة ولا يتزل به مستوى الأفهام البشرية، إنه شاذلي من الغرب.

والثاني شاذلي من الشرق: إنه العارف بالله، الشيخ عبد الفتاح القاضي.

وهو برهان واضح على قوله عليه الصلاة والسلام: «الخير في أمتي إلى يوم القيامة» وعلى قوله ﷺ فيما رواه البخاري بإسناده عن معاوية: «لا يزال من أمتي أمة قائمة بأمر الله ما يضرهم من كذبهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك».

لقد استمسك الشيخ عبد الفتاح القاضي بالحق منذ سنه المبكرة، استمسك به في الصورة القرآنية التي أتقنها حفظاً وعلماً وعملاً، واستمسك به في الصورة النبوية التي أحبها روحاً وسلوكاً، ونأشئ بها حساً ومعنى، واستمسك به في صور الصالحين وسلوكهم.

لقد جاهد. واختلى وذكر، وصلى على رسول الله ﷺ، وصام، وصلى، واستمر على ذلك مواصلاً ليله بنهاره حتى استوت سفينة على الجودي، فقال: الحمد لله رب العالمين، ثم انبسط في الخلق هادياً ومرشداً، وفي المريدين مهذباً ومعلماً وقائداً إلى الله سبحانه.

لقد جاهد في الحياة هادياً إلى الله فكان كوكباً نال في سماء الروح. وانعكس ضوؤه على أتباعه ومريديه.

إنه باق بروحه في هؤلاء الدعاة إلى الله الذين يجمعهم كل يوم مسجد القاضي بشلنجة. هذا المسجد الرائع الذي وضع الشيخ رسمه. فاشتري أرضه وتم المسجد بعد وفاته. وبقي أثراً من آثاره. ونرجو من الله التوفيق فيما نكتبه عن إمامنا الشاذلي وعن تابعيه.

ولقد اقتصرنا في أحزاب الشاذلي - معتمدين - على ما أورده ابن الصباغ في درة الأسرار. وما أورده ابن عطاء الله في لطائف المنن. بيد أن بعض إخواننا طلب في إلحاح أن نضع ضمن الأحزاب حزب اللطف على الأقل.

وواقع أن هذا الحزب الجليل يدل بأسلوبه وبروحه على أنه للإمام الجليل.

الفصل الأول

المعارف بالله (أبو الحسن الشاذلي)

١ - حياته

يقول الشيخ أبو العباس ، رضى الله عنه : كنت مع الشيخ أبي الحسن بالقيروان ، وكان شهر رمضان ، وكانت ليلة جمعة ، وكانت ليلة سبع وعشرين . فذهب الشيخ إلى الجامع ، وذهبت معه . فلما دخل الجامع ، وأحرم ، رأيت الأولياء يتساقطون عليه ، كما يتساقط الذباب على العسل . فلما أصبحنا وخرجنا من الجامع قال الشيخ :

ما كانت الباردة إلا ليلة عظيمة ، وكانت ليلة القدر ورأيت الرسول ﷺ وهو يقول : يا على طهر ثيابك من الدنس ، تحط بمدد الله في كل نفس .

قلت يا رسول الله : وما ثيابي ؟

قال : اعلم أن الله قد خلع عليك خمس خلع : خلعة المحبة ، وخلعة المعرفة ، وخلعة التوحيد ، وخلعة الإيمان ، وخلعة الإسلام .

فمن أحب الله هان عليه كل شيء .

ومن عرف الله ، صغر لديه كل شيء .

ومن وحد الله لم يشرك به شيئاً .

ومن آمن بالله آمن من كل شيء .

ناه عمداً - فإنا نلبي في سرور رغبات
باعتباره من أورد الشيخ القاضي .

، رعاية لما التزمناه .

م الشاذلي : نوردتها بعد أخاذه ، وهذه

على الإنسان ، وقد نقلناها عن الكتاب

في ، للأستاذ محمود سامي بك ، الذي

آخرة .

فها الإمام الشاذلي مجموعة مرتبة على

ي - أحد أتباع الإمام من درره المتأثرة

، وهي على كل حال من نفيس كلام

ل ، وأن ينفع بهذا الكتاب كما نفع

يب مجيب . وصلى الله على سيدنا محمد

عليه إلى يوم الدين .

عبد الحليم محمود

حضرت بالنصورة في خيمة فيها الشيخ الإمام مفتي الأنام : عز الدين بن عبد السلام .. والشيخ مجد الدين بن تقي الدين على بن وهب القشيري المدرس . والشيخ محيي الدين بن سراقه . والشيخ مجد الدين الإخميمي . والشيخ أبو الحسن الشافلي . رضى الله عنهم . ورسالة القشيري تقرأ عليهم : وهم يتكلمون . والشيخ أبو الحسن صامت إلى أن فرغ كلامهم . فقالوا :

ياسيدى نريد أن نسمع منك . فقال :

أنتم سادات الوقت وكبرأؤه . وقد تكلمتم . فقالوا : لا بد أن نسمع منك . قال : فسكت الشيخ ساعة . ثم تكلم بالأسرار العجيبة . والعلوم الجليلة :

فقام الشيخ عز الدين ، وخرج من صدر الخيمة ، وفارق موضعه ، وقال : اسمعوا هذا الكلام الغريب القريب العهد من الله . اهـ :

إن كلام أبي الحسن قريب العهد من الله على حد تعبير العز بن عبد السلام . أى أن كلامه إلهام من الله . إنه ليس معلماً مكتسباً من الكتب . إنه ليس تقليداً ولا توليداً . إنه ليس نتيجة دراسة ويحث - وإن كان الشيخ قد أطلال النظر في الكتب والبحث - وليس ثمرة كتب ومنطق - وإن كان الشيخ قد أطلال النظر في الكتب وأنعم الروية فيها . وإنما هو إلهام وبصيرة ونور من الله سبحانه .

ومن بلوغه هذه المنزلة أو بسبب بلوغه هذه المنزلة كان يقول : من لم يزد بعلمه وعمله افتقاراً إلى ربه . ونواضعاً لخلق . فهو هالك . ويقول : لا تنزكن إلى علم ولا مدد وكن بالله . واحذر أن تنشر علمك ليصدقك الناس . وانشر علمك ليصدقك الله تعالى .

ولعلنا بعد هذا نريد أن نعرف شيئاً عن هذا الذى يقول عنه العز بن عبد السلام : إن كلامه قريب العهد من الله .

ومن أسلم لله قل ما يعصيه . وإن عصاه اعتذر إليه . وإن اعتذر إليه قبل عذره . فقهت حينئذ معنى قوله عز وجل : (وَيَا بَنِي إِدْرِيسَ إِذَا خَرُجْتَ مِنَ الْبَلَدِ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) (١)

ويقول ابن عطاء الله عن أبي الحسن الشافلي :

« لم يختلف في قطبانيته ذو قلب مستنير . ولا عارف بصير » .

جاء في هذا الطريق بالمعجب العجيب . وشرع في علم الحقيقة الأطناب . ووسع للسالكين الرحاب . حتى لقد سمعت الشيخ الإمام مفتي الإسلام تقي الدين محمد بن علي القشيري رحمه الله يقول :

« مارأيت أعرف بالله من الشيخ أبي الحسن الشافلي ، رضى الله عنه » . اهـ .

وإذا كان هذا هو رأى مفتي الإسلام تقي الدين القشيري ، فإن الشيخ مكين الدين الأسمر يقول :

مكثت أربعين سنة يشكل على الأمر في طريق القوم فلا أجد من يتكلم عليه ، ويرزى عن إشكاله حتى ورد الشيخ أبو الحسن فأزال كل شىء أشكل على (٢)

ولما قدم بعض الدالين على الله إلى الإسكندرية ، والتقى به الشيخ مكين الدين الأسمر قال : « هذا الرجل يدعو الناس إلى باب الله ، وكان الشيخ أبو الحسن يدخلهم على الله » .

على أن الشهادة التي يقدروها حتى قدرها أهل الباطن . وأهل الظاهر وأهل الحقيقة ، وأهل الشريعة . إنما هي شهادة شيخ الإسلام العز بن عبد السلام . يقول ابن عطاء الله في لطائف المنن :

« أخبرني الشيخ العارف مكين الدين الأسمر رضى الله عنه قال :

(١) لطائف المنن لابن عطاء الله ص ١٨ الطبعة التونسية .

(٢) لطائف المنن لابن عطاء الله ص ٨٨ الطبعة التونسية .

إنه على عبد الله بن عبد الجبار... وينتهي نسبه إلى سيدنا الحسن بن علي بن أبي طالب.

ولد ببلاد المغرب سنة ٣٩٥ هـ ، بقرية تسمى « غمارة » (٣) . وأخذ يدرس بها العلوم الدينية : وسائل وغايات ، وبرع فيها براعة كبيرة . يقول ابن عطاء الله السكندري عنه :

إنه لم يدخل طريق القوم حتى كان يعد للمناظرة في العلوم الظاهرة . بيد أن هذه العلوم الظاهرة معها بلغت بها الدقة ، ومهما بلغ بها العمق ، لا تنفص بالنفوس الطموحة إلى الكف عن التطلع نحو عالم الغيب ، واستشراف آلائه وأنواره .

كيف يصل الإنسان إلى عالم الغيب ؟ كيف ينغمس الإنسان في أضواءه ؟ كيف ينعم بجماله ، ويشعر بالروعة في محيط جلالة ؟

إن النفوس الطموحة كلما ازدادت علماً ، ازدادت شعوراً بالنقص ، والكمال لله وحده . ولقد أمر رسول الله ﷺ أن يقول : (رَبِّ زِدْنِي عِلْماً) . وشعر أبو الحسن بالرغبة الملحة في القرب من الله ، وفي أن يستضيء قلبه بنور المعرفة ، وفي أن يكشف الله له الحجب .

كيف يروى هذه الرغبة ؟ كيف يسير في الطريق ؟ من أين يبدأ ؟ من أين يبدأ ؟

لقد رسم الأول الطريق . إن البدء . البدء المسير السهل . البدء الذي يأمن الإنسان عواقبه . إنما يكون طريقه خير سبر الطرق ، ومحض السبل ، وكشف عن المزالق والأخطار ، واستنار قلبه بالطريق القاصد إلى الله .

(٣) بلدة مغربية : قرية من مدينة سبتة .

أين يجد هذا الشيخ ؟ ما السبيل إليه ؟

ابن بغداد . منذ عهد العباسيين . كانت دائماً محط أنظار طلاب الدنيا ، وطلاب الدين .

لقد كانت تضم كبار الفقهاء وأعلام المحدثين . والقسم العوال من الصوفية . ثم تضم كبار الساسة والقادة . كان ذلك في عهدها الزاهر . فهل باترى هي كذلك في القرن السابع الهجري ؟

وإذا لم يكن خا كل البريق المادى الأول فهل بها على الأقل من الصوفية من يزعم الطريق عن خبرة ؟ ومن يسلك بالمريد السبل دون أخطاء ؟

ونحمل الرغبة الملحة أبا الحسن على السفر ، إنها هجرة إلى الله ، إنها هجرة النفس الطلعة الشفافة .

وهي هجرة يسير بها الأمل . ويتخللها الإشفاق . وتصحاحها في كل الأوقات سئلة لا جواب لها :

هل سيجد الشيخ ؟ وكيف يكون ؟ وهل سيتقبله الشيخ بقبول حسن ؟ وبم سيصححه ؟ وإذا لم يجده في بغداد فأين يجده ؟

وانتهى به المطاف إلى بغداد ، والتي بالأولياء ، وكان قمتهم في نظره هو أبو الفتح الواسطي ، يقول أبو الحسن :

لما دخلت العراق اجتمعت بالشيخ الصالح أبي الفتح الواسطي . فما رأيت . لعراق مثله .

ولكن همة أبي الحسن كانت تسمو إلى البحث عن القطب ذاته ، إنه كان يريد أن يكون قائده هو القطب نفسه ، أين يجد القطب ؟

هاهو ذا بالعراق . وهاهم أولاء الصالحون : وأولياء الله يتردد عليهم كل يوم . وها هو ذا يرى النور على وجوههم . والصالح يرتسم على سباهم . ولكنه لم

فأخذني منه الدهش . فأقمت عنده أياماً إلى أن فتح الله على بصيرتي .

من هو ذلك العارف بالله ؟

من هو هذا القطب ؟

لا بد من قياسات خاطئة . من أنواره . وغصة خفيفة في لآلئه :

إنه الولي الكبير سيدنا عبد السلام بن مشيش : يقول عنه صاحب الدرر

البية : « هو القطب الأكبر . والعلم الأشهر . والطود الأظهر العالي السنام :

وهو البدر الطالع الواضح البرهان . الغنى عن التعريف والبيان . المشتهر في

الدنيا قدره . والذي لا يختلف في غوثيته اثنان .

وطريقه تزيان شاف لأدواء العباد . وذكره رحمة نازلة في كل ناد .

سرى سره في الآفاق . وسارت بمناقبه الركبان والرفاق .

قضى عمره في العبادة . وقصده للانتفاع به أهل السعادة .

وكان رضى الله عنه في العلم في الغاية . وفي الزهد في النهاية . جمع الله له

الشرفين : الطيبي والديني ، وأحرز الفضل المحقق اليقيني ، اهـ .

ولقد كان مقام ابن مشيش في المغرب ك مقام الشافعي بمصر ، على حد تعبير

ابن عباد في المفاتيح العلية .

كان ابن مشيش متمسكاً بالكتاب والسنة . عاملاً بهما . ملتزماً لهما وهو

القاتل : أفضل الأعمال : أربعة بعد أربعة . المحبة لله . والرضا بقضاء الله .

والزهد في الدنيا . والتوكل على الله . هذه أربعة .

وأما الأربعة الأخرى : فالقيام بفرائض الله . والاجتناب لحرام الله . والصبر

عما لا يعني . والورع من كل شيء . بلهـ^(٥) .

(٥) عن كتاب : أبو الحسن الشاذلي للأستاذ على سالم عمار .

يحمد القطب وهو مطلوبه . وذات يوم ..

وذات يوم قال له أحد الأولياء :

إنك تبحث عن القطب بالعراق مع أن القطب ببلاذك . ارجع إلى بلادك

نخبة^(١) .

وعاد أبو الحسن من حيث أتى . عاد يحدوه الأمل . ويغمره الرجاء . لقد

صلق الولي الذي أنباه بأن القطب في بلاده . وبأنه سيجده عند عودته

وعاد يسرع الخطا ويستحث الوصول .

ها هو ذا بغارته من جديد يسأل عن القطب القبل والمدير . والراحل والمقيم :

أقول أكاد اليوم أن أبلغ المدي فيبعد عني ما أقول أكاد

أسألكم عنها فهل من مخبر فإلى بنعم مذ نأت دارها علم

فلو كنت أدري أين خيم أهلها وأى بلاد الله - إذ ظننوا - أموا

اذن لسلكنا مسلك الريح خلفها ولو أصبحت نعم ومن دونها النجم

وذات يوم .. يقول أبو الحسن :

لما قدمت عليه وهو ساكن بمغارة في رأس جبل ، اغتسلت في عين بأسفل

ذلك الجبل ، وخرجت عن علمي وعقلي ، وطلعت إليه فقيراً ، وإذا به هابط

إلى ، وعليه مرقعة ، وعلى رأسه قلنسوة من خوص ، فقال لي :

مرحباً بعلي بن عبد الله بن عبد الجبار . وذكر نسبي إلى رسول الله ﷺ . ثم

قال لي :

يا علي طلعت إلينا فقيراً من علمك وعملك . فأخذت منا غني الدنيا والآخرة .

(٤) درة الأسرار ص ٢٣ .

وليتأمل القارئ في مدى انغماس سيدنا ابن مشيش في النور ، وما وصل إليه من الفضل الإلهي ، وذلك فيما يأتي من مرويات الإمام الشعراني :
يقول أبو الحسن الشاذلي : أوصاني أستاذي ، رحمه الله تعالى ، فقال :
« حدد بصر الإيمان تجدد الله في كل شيء ، وعند كل شيء ، ومع كل شيء ،
وفوق كل شيء ، وقريباً من كل شيء ، ومحيطاً بكل شيء .
بقرب هو وصفه ، وبإحاطة هي نعتة ، وعد عن الظرفية والحدود ، وعن
الأماكن والجهات ، وعن الصحبة والقرب بالمسافات ، وعن الدور بالمخلوقات .
وامحق الكل بوصفه : الأول ، والآخر ، والظاهر ، والباطن . كان الله
ولا شيء معه » اهـ .

أما صاحب لطائف المنن ، فإنه يروي عنه حديثاً جميلاً عن المحبة ، حديثاً
يشعرك بأن المتحدث قد جال في ميدان المحبة جولة صادقة ، وسار في طرقاتها سيراً
موفقاً ، ورتع في رياضها وشرب من حياضها فأطال الشرب ، يقول صاحب
اللطائف :

وقال الشيخ القطب عبد السلام بن مشيش شيخ الشيخ أبي الحسن ، رضى الله
عنهما : « الزم الطهارة من الشرك ، كلما أحدثت تطهرت من دنس حب
الدنيا ، وكلما ملت إلى الشهوة أصلحت بالتوبة ما أفسدت بالهوى أو كدت .
وعليك بمحبة الله على التوقير والتزاهة وأدمن الشرب بكأسها مع السكر
والصحو ، كلما أفقت أو تيقظت شربت ، حتى يكون سكرك وصحوك به ، وحتى
تغيب بحاله عن المحبة وعن الشرب والشرب والكأس ، بما يبدو لك من نور جماله

ولا السكر . ولا الصحو . قال له القائل :

أجل . وكم من غريق في شيء لا يعرف بفرقه . فعرفني ونهني عما أجهل .
أولما من به على وأنا عنه غافل ؟

قلت لك : نعم . المحبة آخذة من الله تعالى . قلب من أحب بما يكشف من
نور جماله . وقدس كمال جلاله .

وشراب المحبة : مزج الأوصاف بالأوصاف . والأخلاق بالأخلاق . والأنوار
بالأنوار . والأسماء بالأسماء . والنعوت بالنعوت . والأفعال بالأفعال . ويتسع فيه
النظر لمن شاء الله عز وجل .

والشرب سقى القلوب والأوصال والعروق من هذا الشراب . حتى يسكر
ويكون الشرب بالتدريب بعد التدويب والتهديب . فيسقى كل على قدره .
فهم : من يسقى بغير واسطة . والله سبحانه . يتولى ذلك منه له .

ومنهم : من يسقى من جهة الوسائط كالملائكة والعلماء والأكابر من المقربين .
فهم : من يسكر بشهود الكأس ولم يذق بعد شيئاً . فما ظنك بعد بالذوق .
وبعد بالشرب . وبعد بالرى . وبعد بالسكر والمشروب ثم الصحو بعد ذلك على
مقادير شتى . كما أن السكر أيضاً كذلك .

والكأس مغرفة الحق . يغرف بها من ذلك الشراب الطهور المحض الصافي لمن
شاء من عباده المخصوصين من خلقه .
فتارة يشهد الشارب تلك الكأس صورة . وتارة يشهدا معنوية . وتارة
يشهدا علمية .

فالصورة : حظ الأبدان والأنفس .

والمعنوية : حظ القلوب والعقول .

« ورأيت له خرق عادات كثيرة . فمنها أنني كنت يوماً جالساً بين يديه . وفي حجره ابن له صغير بلاعبه . فخطر ببالي أن أسأله عن اسم الله الأعظم . قال :

فقام إلى الولد . ورعى يده في طوق . وهزني . وقال :

يا أبا الحسن . أنت أرئت أن تسأل الشيخ عن اسم الله الأعظم . ليس الشأن أن تسأل عن اسم الله الأعظم . إنما الشأن أن تكون أنت هو اسم الله الأعظم .

يعني أن سر الله مودع في قلبك .

قال فبسم الشيخ وقال لي : « جاوبك فلان عني » اهـ .

ورسم ابن مشيش حياة أبي الحسن فيما يستقبله من أيام . وذلك أنه حينما

انتهت مدة إقامة أبي الحسن قال له :

يا على ، ارتحل إلى إفريقية ، واسكن بها بلداً تسمى شاذلة ، فإن الله عز وجل يسميك ، الشاذل . وبعد ذلك تنتقل إلى مدينة تونس ، ويؤتي عليك بها من قبل السلطنة .

وبعد ذلك تنتقل إلى أرض المشرق . وبها ترث القطابة .

إن هذا المنهج الذي رسمه ابن مشيش وهو يتنظر إلى الغيب بنور الله قد تحقق حرفياً . وسسير معه الآن خطوة خطوة .

ولا ننسى . قبل أن نصاحب أبا الحسن إلى شاذلة أن نذكر أنه لما حان موعد الفراق خاطب أبو الحسن شيخه قائلاً : ياسيدي : أوصني : فقال له : « يا على . الله الله ، والناس الناس . نزه لسانك عن ذكرهم وقلبك عن الهائل من قبلهم .

وعليك بحفظ الجوارح وأداء الفرائض . وقد تمت ولاية الله عندك .

ولا نذكرهم إلا بواجب حق الله عليك ، وقد تم وروعك .

وقل : اللهم أرحنى من ذكرهم . ومن الموارض من قبلهم . ونجنى من

فياله من شراب ! ما أعذبه ! فطوني لمن شرب منه وداوم عليه ولم يقطع عنه . تسأل الله من فضله . ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء . والله ذو الفضل العظيم .

وقوله يجتمع جماعة من الحيين فيسقون من كأس واحدة .

وقد يسقون من كنوس كثيرة . وقد يسقى الواحد بكأس وكنوس .

وقد تختلف الأشرة بحسب عدد الكنوس ، وقد يختلف الشرب من كأس واحدة وإن شرب منه الجم الغفير من الأجرة^(١) .

ويروى الشيخ أبو الحسن مايلي : « دخل رجل على أستاذي فقال له :

وظف لي وظائف وأوراداً . فغضب الشيخ منه . وقال له :

أرسول أنا ، أوجب الواجبات ؟

الفرائض معلومة . والمعاصي مشهورة . فكن للفرائض حافظاً . وللمعاصي رافضاً . واحفظ قلبك من إرادة الدنيا . وحب النساء . وحب الجاه . وإيثار الشهوات . واقنع من ذلك كله بما قسم الله لك . إذا خرج لك مخرج الرضا فكن لله فيه شاكراً . وإذا خرج لك مخرج السخط فكن عنه صابراً .

وحب الله قطب تدور عليه الخيرات . وأصل جامع لأنوار الكرامات .

ومصدر ذلك كله أربعة :

صدق الورع . وحسن النية . وإخلاص العمل . ومحبة العلم .

ولا تتم لك هذه الجملة إلا بصحبة أخ صالح أو شيخ ناصح . اهـ .

ولقد بهر ابن مشيش أبا الحسن الشاذل . بهو بعلمه الشديد على الكتاب

والسنة . وبهو بولايته وكراماته . يقول أبو الحسن . كما يروى صاحب كتاب درة

الأسرار :

فسافر إلى جبل زغوان وصحبه في رحلته هذه ، أبو محمد عبد الله بن سلامة الحبيبي من أهل شاذلة ، وكان رجلاً تقياً صالحاً مكاشفاً .

أما رحلة أبي الحسن إلى جبل زغوان فإن لها فائدتين :
الأولى : هي تفرغه للعبادة ، ولابد من هذا التفرغ مادام الإنسان لم يأته الإذن بعد بالدعوة ، لابد من التفرغ لاستكمال نقص ، أو للبعد عن الفتنة ، أو للتغلب على آثار هوى .

ولابد من هذا التفرغ استجماماً روحياً ، وعلاجاً نفسياً ، وبعثاً لكوامن من الفضائل .

ولابد من هذا التفرغ ، ليرقى في مدارج السالكين ، وليحقق العروج في معارج القدس ، وليسرع الخطا متدرجاً في منازل الأرواح .
ولابد من هذا التفرغ فراراً إلى الله : (فَرَّوْا إِلَى اللَّهِ) ، (وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ

لَتَرْضَى) .

أما الفائدة الثانية من الذهاب إلى جبل زغوان فإنها منع اللاهين المتطفة الجلوس على مائدة الشيخ الروحية ، ذلك أنه لن يذهب إلى جبل الشيخ إلا محب للمعرفة ، جاد في طلبها .

وما كان الشيخ على الجبل محجوباً عمن يريد لقاءه ، كـ

لنفسه الفرصة للتعبد والمجاهدة .

وأخذ الشيخ يتعبد على هذا الجبل دهرًا طويلاً .

الصالح أبو محمد الحبيبي ، الولي المكاء

بشاذلة ، وهو الذي روى من كرام

(٧) دوة الأسرار .

بخر من
يستضاء
فيؤمر
بأنه
بأنه
بأنه

شرهم ، واغتنى بخبرك عن خيرهم ، وتولنى بالخصوصية من بينهم ، إنك على كل شيء قدير . . .

ودع الشيخ شيخه . وسار وقد وضع أمامه الطريق .

إن سيره الآن ليس كسيره إلى العراق ، إنه الآن يسير على هدى من أمره ، وإذا كان شيخه قد أذره بابتلاء له في تونس فإنه بشره بالمعاقبة الحميدة في أرض المشرق . أما الفترة التي يقضيا بشاذلة ، فإنها ، فيما يبدو ، فترة صقل لأبد منه ، إنها فترة عبادة ونسك على الخصوص ، وذلك أساس ضرورى لكل من أراد البناء الخالد .

وما من شك في أن أبا الحسن ، وقد هيا الله له سبل الهداية عابداً أو مهاجراً وسائحاً في سبيل الله ، كان منار هداية ومبعث نور أينما حل ، خصوصاً بعد أن هداه الله إلى ابن مشيش . .

ولكنه لم يكن بعد قطعاً . . فالقطابة سيرتها في أرض المشرق .

ولقد كان الشيخ نفسه يشعر بحاجة إلى المجاهدة . وذلك شيمة كل مخلص ، إن المخلصين وإمامهم رسول الله صلوات الله عليه وسلامه ، يشعرون ، مهما بلغوا ، أنهم في حاجة إلى مزيد من فضل الله :

(وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً) .

وطريق زيادة العلم بالنسبة لأولياء الله ، إنما هو الجهاد في الله .

(وَالَّذِينَ جَاهَلُوا فِتْنًا لَنَنْصَلِتَهُمْ سَبِيلًا) .

ولله مع ذلك منح ومواهب لا تتعلق بسبب ولا تنزب على علل .

ومن أجل ذلك فإنه بمجرد أن وصل شيخنا إل شاذلة ، ورأى التفاف الناس به - ولقد كان بعضهم يتزقب حضوره قبل مجيئه دون أن تكون هناك أخبار عن حضوره - وطن العزم على أن يكون في محيط شاذلة لا في المدينة نفسها .

إن اللاتكة تنزل على كل إنسان في هذه الحياة الدنيا بشرطين :

١ - الإيمان .

٢ - الاستقامة^(٨) .

ويقول الإمام الغزالي عن خبرة وتجربة عما يشاهده المرید الصادق في أول

طريقه إلى الله :

« ومن أول الطريق تبدئ الكاشفات والشاهدات ، حتى أنهم في يقظتهم يشاهدون اللاتكة ، وأرواح الأنبياء ، ويسمعون منهم أصواتاً ، ويقتبسون منهم فوائد » .

ثم يترقى الحال إلى^(٩) .

وانتهت المدة التي قدر الله أن يقضيا الشيخ بشاذلة ، وما كانت هذه المدة إلا فترة استعداد وتدريب وصل روحى ، فلما تم ذلك كان لا مناص من الانتقال من الاستعداد إلى العمل .

وأمر الشيخ بأن ينسبط في الأفق بعد أن ارتفع إلى السماء ..

وإن حياة الأولياء الكامل لتسير على هذا النسق : ارتفاع إلى الله أولاً ، ثم هجرة إلى الله : « وَقَالَ إِنِّى مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّى » ، ذهاب إليه سبحانه : (وَقَالَ إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّى) ، فرار إليه تعالى : (فَهَيُّوا إِلَى اللَّهِ) .

إنها فرار إلى الله بالتعب والنسك ، بالصلاة والصيام ، بالقراءة والتسبيح حتى يخلو القلب عما سوى الله ، ويمتلئ بالله .

إنها فترة الغار والتحنث ، حتى إذا امتلأ القلب بالله ، وتطهرت النفس من الرجم أجمع ، ودمت الشيطان بالجمرات ، فأصبحت خيراً بحتاً ، ونوراً يستضاء به ، كانت المرحلة الثانية : مرحلة الرجوع إلى عبادة الله للهداية والإرشاد ، فيؤمر

(٨) مدة الأسرار من ٢٨ .

(٩) اللقد من الضلال من ١٢٩ الطبعة الخامسة : دار الكتب الحديثة .

ويقول صاحب كتاب درة الأسرار :

فما حكى عنه قال : قرأ الشيخ يوماً على جبل زغوان سورة الأنعام إلى أن بلغ إلى قوله تعالى : (وَإِنَّ تَعْدَلَ كُلَّ عَذَلٍ لَا يُوْخَذُ مِنْهَا) .

أصابه حال عظيم . وجعل يكررها ويتحرك . فكلما مال إلى جهة مال الجبل نحوها حتى سكن الجبل .

ولقد كان أبو محمد الحبيبي يتحدث عن كرامات الشيخ في هذه الفقرة . فإذا ما سكت سأل الناس واسترادوه .

وما كانت حياتها على الجبل إلا على نباتات الأرض وأعشابها . حتى أنه لقد كانت أشدق أنى محمد الحبيبي تقترح أحياناً فيشفق عليه أبو الحسن ويتزل معه إلى شاذلة ليجد الغذاء الذى لا يضر به .

وإن حياة جهاد في الله كهذه . لا بد لها من ثمارها من الكرامات . ومن شفاقة النفس . ومن القرب من الله . ومن رضوانه سبحانه .

وليس بغريب إذن أن نعرف أن الله سبحانه أنبع لها عيناً تجرى بماء عذب . وإن كانت اللاتكة - يراها الحبيبي - تحف بأبى الحسن بعضها بسأله فيجيبه ، وبعضها يسير معه .

وليس بغريب أن تأتى أرواح الأولياء زرافات ووحداً - يراها الحبيبي أيضاً - تحف بأبى الحسن وتبترك به .

وما كان الحبيبي وأهلاً في ذلك . وما كان ما يراه سراً لا حقيقة له . ولا مهاباً تجسد . أو خيالاً تبلور . كلا . فإن الله سبحانه وتعالى يقول :

(إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبَّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَفْتَمُوا تَنْتَهِلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَتَخَوُّوا)

ولا تَحْزَنُوا وَاتَّبِعُوا بِالْحَقِّ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ . تَحْنُ أُولَئِكَ كُفَّوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ) .

الولى أن يترك الخلوة والعزلة ، ويتزل إلى الميدان مؤمداً من الله ، يدعو إليه على بصيرة ، ويرشد مأذوناً مأموراً .

وعكفى أبو الحسن كيفية نزوله من جبل زغوان ومغادرة العزلة فيقول :

قيل لى : يا على : اهبط إلى الناس يتفقوا بك .

فقلت : يارب ألقني من الناس فلا طاقة لى بمخالطتهم .

ف قيل لى : انزل فقد أصبحناك السلامة . ودققنا عنك اللامة .

فقلت : تكلنى إلى الناس آكل من دريساتهم .

ف قيل لى : أنفق يا على ، وأنا الملى . إن شئت من الجيب وإن شئت من

الغيب .

ونزل الشاذلى رضى الله عنه من على الجبل ليغادر شاذلة ، ويستقبل مرحلة جديدة ، فقد انتهت المرحلة الأولى التى رسمها له شيخه .

وقبل أن تغادر معه شاذلة إلى رحلته الجديدة نذكر احكامه رضى الله عنه فيها يتعلق بنسبته إلى شاذلة . قال :

قلت : يارب لم سميتنى بالشاذلى . ولست بشاذلى .

ف قيل لى : يا على . ما سميتك بالشاذلى وإنما أنت الشاذلى . بشديد الدال المعجمة . يعنى : الفرد لخدمتى وبحيتى .

° ° °

سافر الشيخ من شاذلة إلى تونس موطناً النفس على تحمل الابتلاء الذى سيصادفه فى تونس ، والذي أخبره به شيخه بقوله :

« ويؤتى عليك بها من قبل السلطنة » .

وما كان الشيخ يجهل مدينة تونس ، فقد ذهب إليها من قبل ، ومكث فيها ، وهاله ما كان بها من فقر ومسغبة ، وحاول ما استطاع أن يخفف من لوعات الجوع

بلى الجياح . وتقول الروايات : إنه قابل بها الحضر عليه السلام . وأن الحضر قدّم فيها من مآزق كان فيه بسبب أريجته وكرمه .

لقد ذهب إلى تونس من قبل غير موجه . ذهب كما يذهب الناس ، ولكنه لأن ذاهب بالأمر . ثم هو ذاهب الآن للدعوة . وقد أذن بها ، فقد سمع النداء :

« يا على اهبط إلى الناس يتفقوا بك » .

ومن العلوم - فى الأعراف الدينية - أن الدعوة على قسمين :

١ - دعاة إلى الله قد أذن الله لهم فى نطاق الإذن العام ، أو الواجب العام ، فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وهؤلاء يتفاوت تأثيرهم بتفاوتهم فى صفاء النفس ، وفى طلاقة اللسان ، وفى العلم بالكتاب الكريم والسنة الشريفة ، وبعضهم لا تأثير له قط ، لأنه لم تصف نفسه ، أو لأن به لكة ، أو لجهله الكتاب والسنة ، أو لغير ذلك من الأسباب .

٢ - والقسم الثانى : من الدعاة هم الذين يدعون على بصيرة ، وهم الذين قد أذنوا بإذن خاص ، وأمرؤ بأمر خاص : إنهم هؤلاء الذين سمعوا النداء ، وهم لم يسموا النداء مصادفة وانفاقاً ، كلا ، إنهم جاهدوا أنفسهم حتى أطاعت ، وغلبوا قلوبهم بالطاعات حتى استنارت ، وأصبح سرهم مع الله فأضحوا من أوليائه . وهم ينتظرون الإذن فى كل شىء من الأمور ، حتى المباح منها فضلاً عن الإذن الخاص بالدعوة .

يقول أبو الحسن مفسراً معنى الإذن فى المباح ومعنى الإذن فى حق الولى : نور ينسط على القلب يخلقه الله فيه وعليه ، فيمتد ذلك النور على الشىء الذى يريد ليركه نور مع نور ، أو ظلمة تحت نور .

فذلك النور ينبئك أن تأخذ إن شئت ، أو تترك أو تقبل أو تدبر ، أو تعطى أو تمنع ، أو تقوم أو تجلس ، أو تسافر أو تقيم .

هذا باب المباح المأذون فيه بالتخير.

فإذا قارنه القول تأكد الفعل المباح بمراد الله تعالى.

فإن قارنته نية صحيحة لفعل ، برز عن حكم المباح وعاد .

وإن ظهرت الظلمة تحت النور الممتد من القلب ، فلا يخلو أن يلو

القبض بانقباض القلب فاحذر ذلك وتجنبه ، فإنه المخذور أو يك

ولا تقطع ذلك إلا بيينة من كتاب الله عز وجل أو سنة أو

فإن تلك الظلمة شبه غيم لا ينصدم معه القلب ، ولا يتفرغ به ال

عنه فإنه يكاد يكون مكروهاً .

ولا تحكم بعقلك ورأيك فقد ضل من هنا خلق كثير . اهـ .

وأصحاب هذا النور ، يدعون إلى الله بكيانهم كله .

إن صمتهم دعوة إلى الله ، وإن سيرهم دعوة إلى الله ، وإن جلوسه

الله ، وإن عملهم دعوة إلى الله ، وإن حديثهم دعوة إلى الله .

ويستجيب لهم الناس سراعاً بمقدار ما في قلوبهم من خير ، وما في

إيمان ، وينأى عنهم من ليس له في الخير نصيب ، ويغارهم من حقت

العذاب .

لقد أمر أبو الحسن بالدعوة ، ومجرد أن دخل تونس التف

جماعة من الفضلاء ، منهم الشيخ أبو الحسن على بن مخلوف الصقل ، و

الصابوني ، وأبو محمد عبد العزيز الزيتوني ، وأبو عبد الله البجالي

وأبو عبد الله الجارحي .

كلهم أصحاب كرامات ، على حد تعبير صاحب درة الأسرار . وكان

الشيخ الصالح أبو العزائم ماضى تلميذ الشيخ وخادمه .

ثم كثروا المريدون ، وأخذوا يزادون يوماً عن يوم ، إلى أن اجتمع عليه خلق

كثير ، ثم ...

ثم بدأت الغيرة تدب في قلب ابن البراء . قاضى القضاة . وكلما ازداد إقبال

الناس على أبي الحسن اشتدت الغيرة في قلب هذا الرجل إلى أن أصبحت تنهشه

نهباً ، فضعف أمامها ، وأعلن الحرب على أبي الحسن .

كان ابن البراء فقيهاً وكان إذ ذاك « قاضى الجماعة » كان يعد نفسه الزعيم غير

منازع . وكان منصبه الرسمي يعلن أنه الزعيم الديني الأكبر . وكان ينعم بهذه الزعامة

التي أتته عن طريق الدين . والتي كانت في حقيقة الأمر زعامة أشبه بالدينية منها

بالدينية . وكان ابن البراء يتخيل أو يتوهم أن له شعبية مع ماله من منصب رسمي ،

فلما رأى التفاف الناس بأبي الحسن صور له خياله أن الشاذلي انتزع منه الزعامة

الشعبية . ولما كان الشاذلي من العلماء في الفقه والتفسير والحديث . ولما كان يغني

ويشرح ويفسر فقد خيل إلى ابن البراء أن لبس هناك ما يمنع من ناحية الشخصية

أو من ناحية العلم من أن يتولى أبو الحسن منصب « قاضى الجماعة » وما المانع ؟

وما الذي يحول دون ذلك ؟

وأخذ الوسواس مأخذه ، وسولت النفس الأمانة بالسوء ماسولت ، فأعلن

ابن البراء الحرب على أبي الحسن .

ولم تتخذ الحرب سبيلاً شريفاً ، فإن ابن البراء حينما رأى أنه لا يمكنه القضاء

على أبي الحسن علمياً أخذ يدس له عند السلطان ، لقد صور للسلطان أنه في طريقه

إلى أن يصبح زعيماً شعبياً خطيراً ، والأمر ليس إلا أمر زمن فكلاماً من الزمن ازداد

تمكناً وشعبية !

« إنه يدعى الشرف . وقد اجتمع عليه خلق كثير . ويدعى أنه الفاطمي .

ويشوش عليك بلادك » . ومعنى هذا أن الملك في خطر .

ثم دخل على الشيخ وأخذ يعتذر إليه ويترضاه ، فأعلن الشيخ موقفه من مثل هذه الأمور ، وبين لأخى السلطان أن الكون وما فيه ومن فيه في قبضة الله الكبير المتعال وقال له : « والله ما يملك أخوك لنفسه نقماً ولا ضراً ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً ، فكيف يملكها للغير ، كان ذلك في الكتاب مسطوراً » .

وخرج الشيخ إلى داره في اليوم نفسه ، واستمر كعادته في الإرشاد والنصح والتدريس . ولكن ابن البراء لم يكف عن الإيذاء فكان الشيخ يقابله دائماً بما جبهه الله عليه من التسامح ، وكان يلقي عليه السلام إذا صادفه في مكان ما ، فلا يرد ابن البراء عليه السلام .

وعزم الشيخ على الحج فأمر أصحابه بالنقلة إلى المشرق قبل موعد الحج بزمان طويل وذلك ليكث بمصر فترة من الزمن قبل الذهاب إلى الديار المقدسة . وبدأ الركب يتحرك . ونهضت تونس مودعة . وكانت حركة . وكان ضجيج . وعلمت تونس كلها أن أبا الحسن راحل . وعلم السلطان فيمن علم . وظن أن أبا الحسن يريد الخروج نهائياً من تونس فوقع الرعب في قلبه وأسرع بتوجيه وفد يرجوه في العودة . فقال الشيخ : « ماخرجت إلا بنية الحج إن شاء الله تعالى . ولكن إذا قضى حاجتي أعود إن شاء الله » .

يقول صاحب درة الأسرار :

« فلما توجهنا إلى المشرق . ودخلنا الإسكندرية . عمل ابن البراء عقداً بالشهادة أن هذا الواصل إليكم شوش علينا بلادنا وكذلك يفعل في بلادكم » . فأمر السلطان أن يعتقل بالإسكندرية . فاقفنا بها أياماً .

وكان السلطان رمى رمية على أشياخ في البلاد يقال لهم : القبائل . فلما سمعوا بالشيخ أتوا إليه يطلبونه في الدعاء فقال لهم :

غداً إن شاء الله نسافر إلى القاهرة ونحدث مع السلطان فيكم .

لا ريب أيضاً في أن المقادير ربت هذا ساعة أن منع الشيخ من الخروج . فجاء موتها وكأنه عقاب للسلطان على منعه الشيخ من الخروج .

أهي كرامة ؟ وماذا تكون الكرامة غير ترتيب مقادير . أو تصرف مقادير . أو تدبير مقادير ؟

(إنا كلُّ شيء خلقناه بقدر) . أتري للمصادفة دخل مع هذه الآية العامة ؟ لقد جاء أجل الجارية . فانت من حينها . فأصيب من أجلها . ففعلت في بيت سكناه . واشتغلوا بغسلها وتكفينها . وأخرجوها للصلاة .. وأغفلوا مجرماً في البيت (١٠) .

لقد كان تدبيراً منذ الأزل أيضاً . حدث في اللحظة التي قدرتها العناية الإلهية . وكانت هذه اللحظة هي التي يجلس فيها الشيخ مصلياً متبلاً وكأنه - بحسب الظاهر - في سجن وإن كان في قصر الملك .

يقول صاحب درة الأسرار : « وأغفلوا مجرماً في البيت : فالتبت النار . فلم يشعروا حتى احترق كل مافي البيت من الفرش والثياب وغير ذلك من الذخائر . فلم السلطان أنه أصيب من قبل هذا الولي » (١١) هـ .

وكان للسلطان أخ عاقل صالح متدين يحب أولياء الله ويسمى إليهم . وكان يحب الشيخ . ويتبرك به . ويؤزره مسزئداً . ومستصفاً . وكان في هذا اليوم في خارج المدينة . يتفقد بساتينه . ويتزده فيها . فبلغه خبر ما جرى في قصر السلطان من مناقشات ومن حوادث فحضر مسرعاً والتقى بأخيه وقال له :

« ما هذا الأمر الذي أوقعت فيه ابن البراء . أوقعت والله في الهلاك أنت وكل من معك » .

(١٠) درة الأسرار ص ٣٠ .

(١١) درة الأسرار ص ٣٠ .

قال : فصارنا . وخرجنا من باب السدرة والجنادة فيه والوالى . ولا يدخل أحد ولا يخرج حتى يُفَنَس . فما كَلَّمْنَا أحد ولا علم بنا .

فلما وصلنا إلى القاهرة أتينا القلعة فاستأذن على السلطان . قال كيف وقد أمرنا أن يعقل بالإسكندرية .

فدخل على السلطان والقضاة والأمراء . فجلس معهم ونحن ننظر إليه قال له الملك : ما تقول أيها الشيخ :

فقال له : جئت أشفع إليك في القبائل .

فقال له : اشفع في نفسك . هذا عقد الشهادة فيك . وجهه ابن البراء من تونس بعلامته فيه . ثم ناو له إياه .

فقال له الشيخ : أنا وأنت والقبائل في قبضة الله .

وقام الشيخ !

فلما مشى قدر العشرين خطوة حركوا السلطان فلم يتحرك ولم ينطق . فبادروا إلى الشيخ وجعلوا يقبلون يديه ويرغبونه في الرجوع إليه . قال : فرجع إليه .

وحركه يديه . فتحرك . ونزل عن سريره . وجعل يستحله ويرغب منه في الدعاء .

ثم كتب إلى والى الإسكندرية أن يرفع الطلب عن القبائل ويرد جميع ما أخذ منهم . وأقننا عنده في القلعة أياماً .

واهتزت بنا الديار المصرية . إلى أن طلعتنا إلى الحج .

ورجعنا إلى مدينة تونس ، (١٢)

ورجع الشيخ إلى مدينة تونس واستمر بها هادياً . مرشداً . داعياً إلى الله ورسوله . ولكن ثورة ابن البراء لم تهدأ بل على العكس . زادت بنسبة زيادة أنوار

الشيخ وزيادة أتباعه . وفي هذه الأثناء قدم إلى تونس الشيخ الولي أبو العباس الرسى فلما اجتمع الشيخ به ورآه . قال :

« ما ردني لتونس إلا هذا الشاب » هذا الشاب الذى لازمه فلم يفارقه منذ لقائه به إلى أن انتهت بالشيخ الحياة فكان الخليفة بعده ، واستمر الشيخ بتونس لا يزال

بمكائد ابن البراء ، وكان يعلم أن مقامه بتونس مؤقت بناء على ما ذكره له شيخه كما سبق . ولكنه كان مقيماً ينتظر الإذن بالسفر ، وما كان له ، وقد حضر إلى

تونس من الحج ، واستقر به المقام بها ، أن يسافر إلا بإذن .

وأتى له الإذن ، يقول رضى الله عنه : رأيت النبي ﷺ في المنام فقال لى :

« يا على انتقل إلى الديار المصرية ترى فيها أربعين صديقاً » .

وبرغم أنه كان في زمن الصيف وشدة الحر فإنه أمر أصحابه بالاستعداد للسفر ،

فلما تم ذلك في سرعة سريعة ، سافر الشيخ إلى الديار المصرية .

.....

وصل الشيخ إلى الإسكندرية ، يقول صاحب درة الأسرار :

« وكان مسكنه رضى الله عنه بالإسكندرية ببرج من أبراج السور ، حبه

السلطان عليه وعلى ذريته ، دخلته عام خمسة عشر وسبعمائة ، في أسفله ماجل كبير

ومربط للبهائم ، وفي الوسط منه مساكن للفقراء وجامع كبير وفي أعلاه أعلية

لسكناه ولعياله ، وتزوج هنالك وولد له أولاد .

منهم الشيخ شهاب الدين أحمد ، وأبو الحسن على ، وأبو عبد الله محمد

شرف الدين أدركته بدمهور قاطناً بها . ومن البنات زينب ولها أولاد رأيت

بعضهم ، وعريقة الخير أدركتها بالإسكندرية وما عرفت غير هؤلاء هـ . اهـ .

أما نوع معيشته في الديار المصرية فإنه يصفها في إحدى رسائله إلى بعض

أصدقائه بتونس ، وهي رسالة طويلة يقول فيها رضوان الله عليه :

بد العظم المنرى ،
غور ، والشيخ نبيه
عصرهم . وأيضاً
رضى الله عنهم .
الأدب . مصيخين
لدين بن جماعة الولي
في مصر وكان يفتخر

سلام في موضع يقال

كانت فترة خصبة من

سنة ٦٥٦ هـ . وفي هذا

فلما كان في حميرة

أصحابه في إحدى

وقال لهم :

• وأوصاه بأشياء .

« الكتاب إليكم من الثغر (١٣) . حرسه الله ، ونحن في سوانح نعم الله تنقلب ، وهو بفضلته ويوده إلينا يتجيب ، قد أتى علينا وعلى أحبائنا كنفه ، وجعلنا عنده . فما أطفئ ! ندعوه فيليبنا ، وبالمطام قبل السؤال ينادينا ، فله الحمد كثيراً كما ينبغي لوجهه الكريم ، وجلاله العظيم .

وأما الأهل والأولاد والأصهار والأحباب ففي سوانح نعم الله يتقلبون . وبإحسانه ظاهراً وباطناً مغفورون ، نسال الله العزيز التام العام لكم ولهم أجمعين ، وأن ينوب عنا في شكره ، إنه أكرم الأكرمين ، (١٤) اهـ .

ولقد كانت إقامته بمصر مصداقاً لما نودي به حينما دخلها ، يقول رضى الله عنه : « لما قدمت الديار المصرية قبل لى :

يا على ، ذهبت أيام الحن ، وأقبلت أيام الفتن ، عشر بعشر ، اقتداء بجدك عليه السلام » اهـ .

ولقد كانت مصر حينئذ تغتر بمجموعة من أكرم العلماء وأفضلهم علماً وخلقاً وصلاًحاً ، مجموعة وهبت نفسها لله وأسلمت قيادها له ، فأحاطها الله بعنايته ، وتكفلها برعايته ، ووضع حبها في قلوب الناس ، ووضع مهابتها في أفئدتهم ، فكانت محبوبة مهيبة .

ولقد استقبلت هذه المجموعة أبا الحسن أجمل استقبال وأحسنه ، ورافقه متمثلة ومتأخية : يقول صاحب المفاخر العلية نقلاً عن ابن مغيزل :

« إن الشيخ رضى الله عنه ، لما قدم من المغرب الأقصى إلى مصر صار يدعو الخلق إلى الله تعالى ، فتصاغر وخضع لدعوته أهل الشرق والمغرب قاطبة ، وكان يحضر مجلسه أكابر العلماء من أهل عصره مثل سيدى الشيخ عز الدين

(١٣) يعنى : الإسكندرية .

(١٤) مدة الأسرار .

ابن عبد السلام ، والشيخ تقي
وابن الصلاح ، وابن الحاج
الدين بن عوف ، وهؤلاء سلا

الشيخ محي الدين بن سراقه

كانوا يحضرون مبعاده بالدر

نه . متعلمين بين يديه . وأن

ابن الولي رحمهم الله كان يرو

صحبته ، ويحضر جنازته

ويأتى الشيخ من الحج ف

له : البركة يبعد عن القاهر

لقد كانت إقامته بمصر

حيث الدعوة ، ومن حين

استمر الشيخ يدعو إلى

الشهر أخذ الشيخ في الد

صحراء عيذاب ، وهى

الأمسيات ، وأوصاهم بـ

« حفظوه لأولادكم

ثم خلا باني العباس

« واختصه بما خصه

(١٥) المفاخر العلية ص ٥

يقول أبو العزائم ماضى يصف الشيخ ، رضى الله عنه :
« كانت صفته رضى الله عنه ، آدم اللون ، نحيف الجسم ، طويل القامة ،
خفيف العارضين ، طويل أصابع اليدين كأنه حجازى . وكان فصيح اللسان ،
عذب الكلام » .

وكان رضى الله عنه ، يأخذ زيتته عند كل مسجد . وإذا كان رسول الله ﷺ

يقول : « جعلت لى الأرض مسجداً وطهوراً » .

أى أن الأرض - أينما كان الإنسان عليها - كلها مسجد ، فإن أبا الحسن كان

يتحلى دائماً بالثياب الحسة !

دخل عليه مرة فقير وعليه لباس من شعر ، فلما فرغ الشيخ من كلامه ، دنا من

الشيخ ، وأمسك بلبسه وقال :

باسيدى : ما غبد الله بمثل هذا اللباس الذى عليك .

فأمسك الشيخ بلبسه فوجد فيه خشونة فقال :

ولا غبد الله بمثل هذا اللباس الذى عليك ، لباسى يقول : أنا غنى عنكم

فلا تعطفونى ، ولياسك يقول : أنا فقير إليكم فأعطونى ^(١٨) .

ويعقب ابن عطاء الله السكندرى على هذه القصة فيقول :

وهكذا طريق الشيخ أبى العباس : وشيخه أبى الحسن ، رضى الله عنها .

وطريقه أصحابهما : الإعراض عن لبس زى ينادى على سر اللباس بالإفشاء

ويفصح عن طريقه بالإبداء ، ومن لبس الزى فقد ادعى .

ثم يبين ابن عطاء الله : أنه لا يتقذ زى الفقراء . وأنه لا حرج على اللباس

هذا الزى ، ولا على غير اللباس ، ما دام من الحسين : (ما على المؤمنين من

سبيل » .

(١٨) لطائف المنن ص ١٢٩ .

ثم وجه الحديث لأصحابه قائلاً :

« إذا أنا مت فعليكم بأبى العباس المرسى . فإنه الخليفة من بعدى . وسيكون

له بينكم مقام عظيم . وهو باب من أبواب الله سبحانه وتعالى » .

وبات تلك الليلة متوجهاً إلى الله تعالى ذاكراً يسمعه أصحابه وهو يقول :

« الهى . الهى » .

فلما كان السحر سكن . فظننا أنه نام . فحركناه فوجدناه ميتاً ^(١٩) .

وجاء الشيخ أبو العباس ففسله . وصلى الجميع عليه ، ودفن حيث توفاه الله .

وقد كان للشيخ أولاد ذكور فلم يفكر فى أن يستخلف أحدهم وإنما استخلف

من رآه أحق بالخلافة ، ونرجو أن يعتبر به رجال الطرق فى العصر الراهن فلا يحملوا

الطريقة مورد رزق تورث كما يورث العقار ، ورحم الله أبا الحسن وطيب الله ثراه

ونفعنا ببركاته إنه نعم الحبيب .

٢ - شخصيته

هو أبو الحسن على الشاذلى الحسى بن عبد الله . بن عبد الجبار . بن نعيم .

ابن هرمز . بن حاتم بن قضى . بن يوسف . بن يوشع . بن ورد . بن بطال

على . بن أحمد . بن محمد . بن عيسى بن محمد بن سيد شباب أهل الجنة وسبط

خير البرية أبى محمد الحسن . بن أمير المؤمنين على بن أبى طالب كرم الله وجهه

وابن فاطمة الزهراء . بنت رسول الله ﷺ ^(١٧) .

(١٦) درة الأسرار .

(١٧) عن لطائف المنن : لابن عطاء الله السكندرى .

وفي يوم من الأيام دخل أبو العباس المرسى على الشيخ أبي الحسن . وفي نفس يوم ياكل الخشن . وأن يلبس الخشن . فقال له الشيخ :

يا أبا العباس : اعرف الله وكن كيف شئت .

ومن عرف الله . فلا عليه أيضاً إن أكل هنياً وشرب مريباً .

وما كان أبو الحسن يعتمد قط أن يأكل الغليظ من الطعام . أو يقتصر على غير الزلال البارد من الشراب . إنه يقول : « يا بني برّد الماء . فإنك إذا شربت الماء السخن قفلت الحمد لله . فتقوله بكرازة : وإذا شربت الماء البارد . فقلت الحمد لله استجاب كل عضو منك بالحمد لله » .

والأصل في هذا قول الله سبحانه حكاية عن موسى عليه السلام :

(فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ ، فَقَالَ : رَبِّ إِنِّي لَأَنْزِلْتُ إِلَى مِنْ خَيْرٍ

فَقِيرٍ) (١٩)

ألا ترى كيف تولى إلى الظل قصداً لشكر الله تعالى على ما ناله من النعمة ؟ وعن ذلك ، وبياناً لنهج الطريقة الشاذلية ، الذي رسمه أبو الحسن ، يقول

ابن عطاء الله :

« وأما لبس اللباس اللين . وأكل الطعام الشهى . وشرب الماء البارد : فليس

القصص إليه بالذي يوجب العتب من الله . إذا كان معه الشكر لله » اهـ .

وهذا كله طبعاً يمتشى مع قوله تعالى :

(قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ، قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ

آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) .

(١٩) لطائف النور .

ويركب الفاره من الدواب . ويتخذ الخيل الجياد » اهـ .

ومهما يكن من شيء . فإن أبا الحسن كان ينصح دائماً بالاعتدال . ويعلم

لمريدن قائلاً : « لا تسرف بترك الدنيا . فتفشاك ظلمتها . أو تنحل أعضاؤك لها .

نزع لماعتها . بعد الخروج منها . بالهمة أو بالفكرة أو بالإرادة أو بالحركة » اهـ . والقاعدة العامة على كل حال : « اعرف الله وكن كيف شئت » . وذلك لأن

من عرف الله تعلق قلبه به وامتلاً بجه فلا يتأني منه إلا الفضيلة . فقد أما في أيام المواسم الروحية الكبرى . وفي أيام الخفلات الدينية العظمى . فقد كان يحاول ما أمكن أن يلفت أنظار الناس إليها حتى تستمر هذه المواسم حية في

نفوسهم يحيينها بالذكر والعبادة . ويحتفلون بها متصدقين بجميع أنواع الصدقات . فكان إذا ركب في هذه المواسم تمشي أكابر الفقراء . وأكابر الدنيا حوله .

وتنشر الأعلام على رأسه وتضرب الكاسات بين يديه (٢٠) .

وما كان الشاذلي من الذين يسعون وراء الشهرة الزائفة أو غير الزائفة . ولكن الناس لا بد لهم دائماً من هزة قوية تلفت أنظارهم وأرواحهم إلى المواسم الدينية

وتذكروهم بها . من كل ذلك نرى أبا الحسن في الجانب المادى البشرى غير متمزمت

وهو الذي يقول : « ليس هذا الطريق بالرهبانية . ولا بأكل الشعير والنخالة .

ولا ببيعة الصناعة وإنما هو بالصبر على الأوامر . واليقين في الهداية كما قال تعالى :

(وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْتَدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ) .

لقد كان أبو الحسن الشاذلي جميل المظهر . عذب الحديث . فصيح اللسان .

غير متمزمت في المأكول والمشرب . يحب الخيل . ويقتنيها . ويركبها فارساً . ويركبها

في المواسم الدينية .

(٢٠) الكواكب الدرية .

هذا هو أبو الحسن في صورته البشرية الشكلية . ولو كان أبو الحسن هو هذا محب لما ذكرته الدنيا . ولما خلد على التاريخ .

وتحدث الآن عن أبي الحسن العالم وعن أبي الحسن الصوفي :

يقول سيدي عبد الوهاب الشعراني :

« بلغنا أن الشيخ الكامل أبا الحسن الشاذلي لما فني اختياره مع الله مكث ستة أشهر لا يتحرى أن يسأل الله شيئاً في حصول شيء .

ثم نودي في سره : اسألنا عبودية لا ترجع فيها للعطاء عن المنع .

قال : فسألت الله ورجوته امتثالاً لا تحجيراً عليه . فإنه يخلق ما يشاء ويختار .

وليس معه اختيار » اهـ .

لقد فني اختيار أبي الحسن مع الله . وهذه المرتبة لا يتأتى للإنسان أن يتألقا في ابتداء حياته السائرة إلى الله . لا بد أن يسبقها جهاد شاق . كيف وصل أبو الحسن إلى أن يستزسل مع الله على ما يريد ففني إرادته في إرادته واختياره . وأن يكون بالله إيراداً وإصداراً ؟

لقد كان الجانب العلمي من العناصر الأولى التي حددت شخصية الشاذلي ، لقد بدأ الدراسة والتحصيل صغيراً ، فتتقف كأحسن ما يكون المثقف ، لقد تتقف عن الطريق العادي فحفظ القرآن ، ودرس السنة ، ودرس العلوم الدينية . وسائل وغايات « ولم يدخل في علوم القوم حتى كان بعد للمناظرة في العلوم الظاهرة » .

وكان « ذا علوم جمّة » وهو صاحب « العلوم الغزيرة » (٢١) .

ولقد تدرج في هذه العلوم سلماً فسلماً ، ثم أخذ يختار الكتب التي يدرسها ويشرحها وينصح بقراءتها ، ويحب في أصحابها ، وكان منها :

(٢١) لطائف اللذن ص ٤٤ .

١ - كتاب ختم الأولياء للحكيم الترمذی ، وهو كتاب أقام الجو التفاف وأقمنه حين صدوره ، وكان سبباً في صعوبات كثيرة اعترضت المؤلف بسبب الآراء التي احتوى عليها . وهو كتاب أثار اهتمام الإمام الأكبر محي الدين بن عربي إثارة كبيرة ، فأفرد له كتاباً خاصاً ، ثم أفرد له صفحات وصفحات من كتاب الفتوحات ، وحاول أن يجيب عما ورد فيه من أسئلة ، ووضع نفسه بهذا موضع الاختيار وهو من هو فلسفة وحكمة وعلماً وتصوفاً .

وضع نفسه أيضاً بهذا موضع التحدي وكأنه يقول : هأنذا أجيب عن الأسئلة متحدياً فيما يتعلق بصحة الإجابة .

لقد كان الشاذلي يلقي دروساً في شرح هذا الكتاب ، ولقد بلغ من روعة هذه الدروس أن كان أبو العباس المرسى يحرص كل الحرص على حضورها لما كان لها في نظره من الأهمية ، وحينما يكون على سفر في شأن من شئون الدعوة فإنه يلتبس كل وسيلة تمكنه من حضورها .

ولقد كان كتاب ختم الأولياء مفقوداً على عهد قريب ، ثم عثر الأستاذ عثمان مجي عليه فطبعه في بيروت طبعة محققة مع دراسة عن الترمذی .

ويقول ابن عطاء الله السكندري رضى الله عنه عن أبي العباس المرسى : « وكان هو والشيخ أبو الحسن كل منهما يعظم الإمام الرباني محمد بن علي الترمذی . وكان لكلامه عندهما الحظوة التامة . وكان يقولان إنه أحد الأوتاد الأربعة » اهـ .

وقبل أن نتحدث عن كتاب آخر نذكر هنا ما رواه ابن عطاء الله السكندري قال : « أخبرني بعض أصحابنا قال : قال الشيخ ، قيل لى :

ما على وجه الأرض مجلس في الفقه أبهى من مجلس الشيخ عز الدين بن عبد السلام . ولا على وجه الأرض مجلس في علم الحديث أبهى من مجلس الشيخ

رعى الدين عبد العظيم . ولا على وجه الأرض مجلس في علم الحقائق أبهى من علمك .

٢- وكتاب « المواقف والمحاطات » من تأليف الشيخ محمد بن عبد الجبار النفرى وهو كتاب ليس بالسهل ، لأنه يعبر عن حالات روحية عالية لا يثنأى لغير أصحاب الأذواق العالية فهم الكثير منها . وهو كتاب للخاصة . وأراد أبو الحسن أن ييسره لكل من عنده استعداد . وأن يفتح مغاليقه لكل من يستشرف عالم الحكمة .

يقول ابن عطاء الله عن الشيخ أبي الحسن :

« كان يوماً في القاهرة في دار الزكى السراج . وكتاب المواقف للنفرى يقرأ عليه . فقال : أين أبو العباس ؟ .. فلما حضر . قال الشيخ : تكلم يا بنى . تكلم بآرك الله فيك . تكلم ولن تسكت بعدها أبداً . »

قال أبو العباس : فأعطيت لسان لشيخ من ذلك الوقت « اهـ .

ولقد طبع هذا الكتاب بالقاهرة .

٣- كتاب قوت القلوب لأبي طالب المكي .

٤- كتاب الإحياء للإمام الغزالي .

وهذان الكتابان من واد واحد . ولقد تأثر الإمام الغزالي في كتابه الإحياء بأبي طالب المكي . وذكر أنه قرأ كتاب قوت القلوب كوسيلة من الوسائل التي تعرفه بالتصوف . وذلك قبل أن يأخذ في الجانب العملى والرياضة الصوفية .

لقد نصح الإمام الشاذلى بقراءتهما : فقال عن قوت القلوب : عليكم بالقوت فإنه قوت . وقال عن الكتابين : كتاب الإحياء يورثك العلم . وكتاب القوت يورثك النور .

ولقد كان الشيخ أبو الحسن يقول : إذا عرضت لكم إلى الله حاجة فتوسلوا إليه بالإمام أبي حامد .

٥- ومن قبيل الكتابين السابقين كان الإمام الشاذلى يقرأ أيضاً الرسالة القشيرية ويشرحها . وقد سبق شئ من الحديث في ذلك وسيأتى أيضاً حديث عنه .

٦- وكتاب الشفاء للقاضى عياض من الكتب المباركة التي نالت تقديراً كبيراً في أوساط كثيرة . وكان يقرؤه أبو الحسن وينصح بقراءته .

٧- وكتاب أبي الحسن المفضل في التفسير هو كتاب « المحرر الوجيز » لابن عطية وهو كتاب يشرحه عنوانه ، فهو محرر ، كلماته متقاة متخيرة ، محمودة عباراته دقيقة . وهو وجيز وإن لم يكن في إيجاز تفسير الجلالين أو البيضاوى ، وقد بدأ طبعه الآن في المغرب ، فطبع منه الجزءان : الأول والثانى .

هذه هى الكتب التي ورد ذكرها فيما كتب عن أبي الحسن في المصادر القديمة ، وهى كتب مختارة في غاية النفاسة . تدل على مشرب عال في التفسير والسيرة النبوية والتصوف . وليس بغريب بعد ذلك أن ينقل الإمام الشعرانى رضى الله عنه في الطبقات عن شيخه على الخواص أنه قال :

« كانت القاعدة عند الشيخ أبي الحسن الشاذلى . والشيخ أبي العباس . تاج الدين بن عطاء الله ، والشيخ باقوت العرش . في قبول الطلاب : ألا يدخل أحد الطريق إلا بعد تبحره في علوم الشريعة وآلاتها ، بحيث يقطع العلماء في مجالس المناظرة بالحجج الواضحة . فإذا لم يتبحر كذلك لا يأخذون عليه العهد » اهـ .

إن العلم عنصر من عناصر شخصية الإمام الشاذلى وهو عنصر من عناصر طريقته أيضاً وصلى الله وسلم على من أمر أن يقول : (رَبِّ زِدْنِي عِلْماً) .

وسبحان القائل : (إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ) .

تعالى : (وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي) .

هذه الآية الكريمة كانت مثار خلاف شديد بين المفسرين من مختلف النزعات .

وذلك أن كثيراً من المفسرين رأوا أن الآية إنما هي نهي عن البحث في الروح .

بمعنى النفس الإنسانية . لأنها من أمر الله ، فالله سبحانه ، وهي من أمره ، هو

وحده العالم بها .

وعارض هؤلاء كثيرون يرون أن الروح في الآية الكريمة . إنما هو القرآن

الكريم . بدليل سياق الآيات السابقة واللاحقة . فإنها كلها في القرآن الكريم

والقرآن يسمى روحاً . كما أن جبريل عليه السلام يسمى روحاً .

هل الآية نهي عن البحث في الروح . أم أن الروح في الآية شيء آخر غير

النفس الإنسانية ؟

ولم يأخذ أبو الحسن بهذا الرأي أو بذلك . وإنما أدلى برأى تشهد بأصالته وعمقه

ودقته . يقول رضي الله عنه :

« ومن ظن أن هذا العلم : أعنى علم الروح وغيره . مما ذكر وما لم يذكر لم يحط

به الخاصة العليا أهل البدء الأعلى فقد وقع في عظيمين : جهل أولياء الله إذ

وصفهم بالقصور عن ذلك . وظن بره أنه منهم . وكيف يجوز أن يظن على

مخصوص ؟

وسرى به التكذيب إلى القدرة والشرع بقوله عن اليهود أو عن العرب كما تضمن

الخلاف . (وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي) .

فما الدليل لك منها على جهل الصديقين وأهل خاصة الله العليا ؟

والكشف عن هذا السؤال يقع بأربعة أحرف : بـ . هـ . و . لـ . ومن .

فهل . يقع بها السؤال عن الشيء الموجود هو أم معدوم ؟

وكيف يقع بها السؤال عن حال الشيء ؟

الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم

عبر الجهل والرضا به من الكبار . بل حينما

كبيرة عندنا أكبر من اثنين : حب الدنيا

و .

سيرة .

دون أن نذكر مثلاً نبين به مدى ما وصل

ن فهم دقيق في المسائل العلمية .

الحسن الذي ألبس فيه العلم الرسمي نسيم

ح صورة العلم الرسمي .. أقول كلما رأينا

من إهمال في تقييد دروس أبي الحسن .

بدلاً من أن يخرج كتباً . ولقد سئل رضي

ل الله تعالى وعلوم القوم ؟

عالي (٢٢١) .

مه . وأذاعوا طريقته . فقد كنا نتمنى أن لو

رسالة طويلة كتبها لأحد أصدقائه بتونس

عن الروح وقد ورد في القرآن الكريم قوله

هو سيدي علي بن

(٢٢٢) لطائف النور

هو سيدي علي بن

هو سيدي علي بن

هو سيدي علي بن

هو سيدي علي بن

هو سيدي علي بن

هو سيدي علي بن

هو سيدي علي بن

هو سيدي علي بن

وتقدس الذي

درجات .

ويصل أبو الحسن

بعينه من أكبر الك

بالإشارة . والقام ع

لأن حب الدين

والمقام على الح

ولا يتأني أن ي

إليه أبو الحسن من

ونحن كلما رأينا

الأرواح ، وألبست

ذلك : أسفا كل

ومع ذلك فإن أبا

الله عنه :

لَمْ لَانْتَضِع ال

فقال رضي ال

ومع إيماننا بأنه

اهتم أحد مرديه

والمثال الذي ن

هو سيدي علي بن

والأبدان والقلوب والأرواح ، واقتد بهم فيها فيه الشركة وما خصصنا به ، فبيننا وبيننا ، وكذلك أيضاً من فهم هذا السر دان الله مع عامة المؤمنين ومع أوساطهم ومع الأعلين وفارقهم فيما هو خاص للمختصين .

فإن تكن منهم فازدد بملك وعملك فقراً إلى الله وتواضعاً لمجاده . واعطف بالرحمة على عامة المؤمنين وإن كانوا ظالمين إلا حيث أمرك الله بالغلظة عليهم مع الدعاء الصالح والدفع عنهم « اهـ » .

وأظن أنه لا غرابة بعد هذا في أن يروى ابن كثير - كما يذكر صاحب الفخر - أن الشيخ عز الدين بن عبد السلام كان يحضر مجلس الأستاذ أبي الحسن ، فيسمع تقريره للحقائق ، ويشاهد حسن إفصاحه عن العلم اللدني ، فعند ذلك يحصل له وارد من جانب الحق ، ويركض على قدميه طرباً مع المريدين ، ويقول :

« تأملوا هذا التقرير فإنه قريب من ربه » اهـ .

ولقد لمس المؤرخون لأبي الحسن والشعراء المادحون له هذا الجانب العلمي عنده ، ورأوا ما فيه من أصالة وعمق ، فأشادوا به . ومن هؤلاء الإمام البوصيري صاحب البردة الذي يصفه في قصيدة يمدحه بها بأنه : « بحر العلم » .

أما ابن الملق فيقول عن أبي الحسن :

لقد كان بحراً في الشرائع راسخاً ولاسيما علم الفرائض والسنن ومن منهل التوحيد عب وارثي فله كم روى قلوباً بها محن وحاز علوماً ليس تخصي لكاتب وهل تحصر الكتاب ما حاز من فنن وقد سبق أن ذكرنا ما قاله ابن عطاء الله السكندري في وصف هذا الجانب

العلمي .
ومامن شك في أن أبا الحسن : كان عالماً عارفاً بالعلوم الظاهرة ، جامعاً

ولم يقع السؤال بها عن العلة ؟
وليس في الآية شيء من هذا . فإنك إن قلت فيها معنى هل ، ومعنى هل يقتضي هل الروح موجود أم معدوم ؟ وقد عرفوا وجوده من قبل ، ولولا ذلك لما قال وسألتوك عن الروح ، فثبت أنهم عرفوا وجوده فيطل هذا .

وليس فيها سؤال عن الحال كيف هو ؟ ولا سؤال عن العلة لم كذا وكذا ولو كان سؤالهم عن هذين لما قنعوا بقوله تعالى : (قل الروح من أمر ربي) ، ولشغلوا وتذوّوا إذ ذاك شغلهم وعادتهم واراقتهم . فثبت أن السؤال إنما كان عن الشيء ، من أين هو ؟ بدليل الجواب والبيان الظاهر الشافي بقوله تعالى : (قل الروح من أمر ربي) إذ الرسول عالم بما سألوا عنه فأجاب عن الله بذلك . كما تقول آدم نسألك عنه . وفهم المسؤل السؤال فقال : آدم من تراب ، فإذا رضى الجواب قنع ، وليس يرجع العدو إلا بفهم عظيم من الحق العظيم الذي لامر له ، فكيف يزعم الزاعم أنه لا يعرف ولا يجوز أن يعرف .

فقد أوجب الله علينا معرفته ولا مثل له ، ولو ضيعناها لكنا كفاراً أو عصاة ، فكيف بوجود مخلوق أمثاله كثيرة ، هذا عين الجهل أن يقال : لا يجوز أن يعرف من له المثل والنظير وهو الروح ، ويوجب معرفة من لا شبيه له ولا نظير . فتعوذ بالله من جهل الجاهلين وظلم الظالمين .

والذي أقول به إن الله أسراراً لا يسع فيها الرسم ، ولا يليق بها الكتم . ألا ترسم في الدواوين لسمى البصائر وضعفاء التجائر . ولا يليق بها الكتم لوضوحها وثبته ظهورها . فلا تمنأن بهم مع كثرة حججهم وذلك للحق ، وانخفض له فيما هم فيه وأعرض عنهم فيما لا علم لهم به . وقد أمر الله سبحانه نبينا محمداً ﷺ بالاعتداء بإبراهيم وسائر الأنبياء عليهم السلام . وهو الفاضل الذي لا يصل إليه أحد . ويقول قد شاركهم في النبوة والرسالة والهداية والأمور الطاهرة على النفوس

لدقائق فنونها ، ومفتضاً لأبكار المعاني وعيونها من : حديث ، وتفسير ، وقده ، وأصول ، ونحو ، وتصريف ، ولغة ، ومعقول ، وحكمة ، وآداب .

وأما علوم المعارف الإلهية : فقطب رخاها ، وشمس ضحاها ، (٢٣) .

ونختم هذا الجانب العلمي عند أبي الحسن بقول صاحب الفاخر عنه :

« وهو صاحب الإشارات العلية والعبارات السنية ، جاء في طريق القوم بالأسلوب العجيب ، والنهج الغريب الذي جمع بين العلم والحال ، أو المهمة والقال ، وتخرج بصحته جماعة من الأكابر مثل أبي العباس الرمسي ، وأبي العزائم ماضي ، وغيرهم ، وتلمذ له أعيان كثيرة من أعيان أهل الله تعالى . »

ويقول شارح القاموس المحيط ، السيد مرتضى الزبيدي صاحب تاج العروس :

« ومن كان يحضر مجلسه ، الغزيرين عبد السلام ، وابن دقيق العيد ، وناهيك بهما ، والحافظ المنذرى ، وابن الحاجب ، وابن الصلاح ، وابن عصفور ، وغيرهم بالكاملية من القاهرة » (٢٤) ١ هـ .

النصر الثاني في هذه الشخصية هو عنصر الكفاح ، ونبدأ مباشرة في هذا المجال بما سبق أن كتبناه تحت عنوان : « أبو الحسن الشاذلي في معركة النصورة » . ونبدأ بهذا الموضوع حيناً نتحدث عن كفاح أبي الحسن ، وذلك لما يظنه بعض الناس من أن الصوفية قوم كسالى . وأن التصوف مظهر من مظاهر الضعف ، والواقع أن حياة أبي الحسن حين يرسمها الإنسان تظهر وكأنها معول يهدم مايبنيه أعداء التصوف من شبهات حوله ، ولنبدأ بالجهاد بعد أن صورنا الجانب العلمي . وإذا كان التصوف لا يألف الجهل كما رأينا ، فإنه حليف للكفاح كما سنرى :

(٢٣) الفاخر العلية لابن عباد .

(٢٤) شرح الزبيدي على حزب البر ص ٤ .

(وَجَاهِلُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ

حَرَجٍ) .

إذا عدنا إلى أواخر النصف الأول من القرن السابع الهجري ، زدهينا بتجلياتنا زناد أرجاء مدينة النصورة ، رأينا ظاهرة لا عهد لمن مارسوا الحروب الحديثة برؤيتها إلا نادراً ! تلك هي ظاهرة الإيمان والثقة المطلقة بالله .

إنه من الطبيعي أن تكون مدينة النصورة ، حين ذاك ، في حركة لا تهدأ : إنها الحرب ، والمصريون يستعدون للفاقة العدو الغير الذي احتل دمياط .

ونحاول التغلغل في البلاد بالاستيلاء عليها .

الاستحكامات تقام ، والمؤن ترد ، والجيش تتوالى وترتب . والأوامر تصدر في حزم وثبات . والظاهر بيبرس لا يكاد يغمض له طرف . ولاذوق النوم إلا غراراً .

وفي جانب آخر لؤيس التاسع ، ملك فرنسا ، يتود الجيوش الجرارة من الصليبيين يريد أن يتنازل للإسلام والعروبة في معركة فاصلة حاسمة هي معركة النصورة .

لقد وقف الغرب كله مستعداً للهجوم على مصر . يريد أن يدمر الإسلام والعروبة بالقضاء على المصريين . كما وقف الشرك كله من قبل في غزوة الخندق ، يريد أن يدمر الإسلام بالقضاء على المدينة المنورة ومن فيها من رجال الإسلام الأول ، وعلى رأسهم رسول الله صلوات الله عليه وسلامه !

وبين موقعة النصورة وغزوة الخندق تشابه في بعض النواحي : ففي كل منها أتى الشرك بكل ما يملك ، وبكل ما يستطيع من عتاد ومن عدد

ليقتضى على التوحيد في عقر داره .

فقد اقتحم الشرك الأول حرم مدينة الرسول ﷺ وحاصرها . أما الشرك الثاني

الطلب ، فسكت الشيخ فترة ، ثم تكلم ، في انطلاق وث قوة ، وفي روحانية لا يمكن التعبير عن وصفها بأسمى من كلمة الشيخ عز الدين بن عبد السلام اللو قال لأصدقائه وزملائه ، حينما سمع أبا الحسن يتحدث :

« اسمعوا هذا الكلام الغريب ، القريب العهد من الله » .

ولا يقدَّر هذه الكلمة حتى قدرها إلا من يعرف من هو العزيز عبد السلام ؟ !

« الكلام الغريب » ، لأنه ليس مأخوذاً من الكتب ، ولا محجراً في الأسفار !

« القريب العهد من الله » لأنه إلهام الساعة ، ووحى الزمن الراهن !

وشغل أبو الحسن بأمر المسلمين ، فكان ليله ونهاره مشغولاً بالله في أمرهم حتى إذا ما أخذته سنة من النوم في ليلة من الليالي ، رأى فيما يراه النائم ، رؤيا تتعلق بجالة المسلمين في المنصورة ، ومن ذلك : الرؤيا التي حكاها صاحب كتاب « درة

الأسرار » قال :

« قال الشيخ أبو الحسن : كنت بالمنصورة ، فلما كانت ليلة الثامن من ذي

الحجة ، بت مشغولاً بأمر المسلمين وأمر الثغر ، وقد كنت أدعو الله وأضرع إليه في

أمر السلطان والمسلمين .

فلما كان آخر الليل ، رأيت فسطاطاً واسع الأرجاء ، عالياً في السماء ، يملؤه

نور ويزدحم عليه خلق من أهل السماء ، وأهل الأرض عنه مشغولون ، فقلت :

لمن هذا الفسطاط ؟

فقالوا : لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

فبادرت إليه بالفرح ، ولقيت على بابه عصابة من العلماء والصالحين نحواً من

السبعين ، أعرف منهم الفقيه عز الدين بن عبد السلام ، والفقيه مجد الدين مدرّس

قوص ، والفقيه الكمال بن القاضي صدر الدين ، والفقيه المحدث عبي الدين

ابن سراقه ، والفقيه عبد الحكيم بن أبي الحوافر ، ومعهم رجال لم أعرف أجمل

غير أني وقع لي ظن في حالة الرؤيا : أنها الفقيه زكي الدين عبد العظيم

بنی الحديث ، والشيخ مجد الدين الأنصبي ! !

وأردت أن أقدم لرسول الله ﷺ ، فالتزمت نفسي التواضع والأدب مع

منه ابن عبد السلام ، وقلت : لا يصلح لك التقدم نيل عالم الأمة في هذا

ربان ، فلما تقدم وتقدم الجميع ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يشير إليهم بيئاً

بسلام : أن اجلسوا وتقدمت ، وأنا أبكي بهم وبالفقر . أما الفرح : فمن أجل

ورسول الله ، ﷺ بالنسب ، وأما لهم فمن أجل المسلمين والثغر ، وهم طلي

بهم ﷺ ، قد يده حتى قبض على يدي ، وقال :

لا تتم كل هذا المهم من أجل الثغر . وعليك بالنصيحة لرأس الأمر - يعني

لنظان - فإن ولي عليهم ظالم فما عسى ؟ وجمع أصابع يده الخمسة في يده

يسرى كأنه يقلل المدة .

وإن ولي عليهم تقى في « الله ولي المتقين » وبسط يده اليمنى واليسرى

وأما المسلمون فحسبك الله ورسوله وهؤلاء المؤمنون - أي العلماء والفقهاء

والصالحون الذين بالجلس - وقال :

(وَمَنْ يَقُولِ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنْ حِزِبَ اللَّهُ هُمْ الْقَائِلُونَ) .

وأما السلطان فيد الله مبسوطة عليه برحمته ما والى أهل ولايته ونصح المؤمنين

من عباده ، فانصحه واكتب له وقل في الظالم عدو الله قولاً بليلاً :

(وَأَصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ، وَلَا يَسْتَخِفُّكَ الَّذِينَ لَا يُوَفُّونَ) .

فقلت : نصرنا ورب الكعبة . وانتهت . ونصر الله المسلمين نصراً مؤزراً .

وأمر الملك لويس . وأسر الكثيرون من قواده ، وأشاد الشعراء بهذا النصر .

ومن قصيدة مشهورة لابن مطروح : تنقطف منها مايلي : قال يخاطب لويس :

وكل أصحابك أودعهم بحسن تدبيرك بطن الصريح

حدث في خطاب له لأحد أصدقائه يحدثه فيه عن سبب تأخيره في السفر
سبب الإمساك - عن السفر في العادة - (٢٥) زرع لنا بدرس قد حرث
مواضع هـ هـ

يؤخر أبا الحسن عن السفر ليس هو زرع فدان أو فدانين ، ولا حصص
فدانين ، فالأرض قد حرثت في ثلاثة مواضع .

لشاذلي يتخذ للزراعة الوسائل التي تتيح نوعاً من الاكتفاء الذاتي فيزني
للحرث والدرس ، ويتحدث ، للعظة والاعتبار ، عن ثور من هذه

في بئر . ولنذكر القصة كما رواها صاحب درة الأسرار :

أبو الحسن : جعل لي في ليلة دعاء قفقت :

م اجعل قضاءك ، وعبابك ، ولقائك ، وذاتك ، وذات رسولك ، وسر
ولك - أحب إلي من نفسي ، وأهلي وولدي ، ومالي ، والناس
فكنت أقولها بوجد ، فأجد لها حلاوة ، فكثر ذلك على قفقت :

هـ يتزل ، وقضاء يحدث . فبينما أنا قاعد قيل لي :

ورأى كان لك فوقع في البئر . قفقت : إنا لله وإنا إليه راجعون .

لي : لهذا كانت المقلمة هـ .

تنتهي القصة عند هذا الحد ولكن هذا هو ما أردناه منها .

أن أبا الحسن لا يقتصر على الحث على العمل متخذاً من نفسه قدوة

وعلى الغفور من المريد المتعطل ، وإنما يذهب مع أتباعه إلى أبعد من هذا

ذلك - مع أبي العباس - قصة طريفة .

أتى في الأسباب الظاهرة إذ السبب الحقيقي إنما هو إرادة الله سبحانه وحدها : وهذه الكلمة تبين
يد في تأديب أبي الحسن مع الله .

عـ ألفاً لا يزيد منهم إلا قتل أو أسير
عـ علم إن أزمعوا عودة لأخذ ثار أو لفتح
عـ لقمان على حالها والقيد باق والطواشي

عـ ما هنا بصدد تاريخ هذه الموقعة الحربية . وما أوردنا مما سبق ،
عـ اسماً على اشتراط أبي الحسن الشاذلي في الجهاد ، برغم أنه كاد

عـ التحلف لكبر سنه ، ولأنه قد كُفَّ بصره .

عـ أبا الحسن لا يتخلف عن فرض ، وما كان يتأق له أن

عـ المسلمين . هذه الصورة نضعها أمام أنظار علماء المسلمين

عـ ، وأمام رجال الصوف الإسلامي ، لعل فيها لهؤلاء وأولئك

عـ لا حصى !

عـ لا تأتي أن نختم الحديث عن مبدأ أبي الحسن في الجهاد دون أن نذكر

عـ ، ولايته من الله لا يكره الموت ، ويعلم ذلك من قوله تعال

عـ فإياهم الذين هادوا إن زعمتم أنكم أولياء لله من دون الله فقل

عـ ، اللهم صادقين .

عـ ، الولي على حقيقة لا يكره الموت إن عرض عليه .

عـ ، صورة أخرى من دكفاح هي صورة : العمل .

عـ ، ابن عطاء الله ، وكان الشيخ أبو الحسن يكره المريد المتعطل

عـ ، نابعه الناس . وقد كان جواداً بما يملك ، وكرماً بكره البخل .

عـ ، من الأسباب والوسائل هـ هـ .

عـ ، عمل أبو الحسن بكل ولي حجاب ، أي ستر يحجبه عن اعتنا

عـ ، وأنا حجابي الأبر هـ هـ .

عـ ، لماذا كان أبو الحسن يعمل في الزراعة على نطاق واسع .

يقول أبو العباس فيما رواه ابن عطاء الله :
« دخلت يوماً على الشيخ أبي الحسن رضي الله عنه . فقال لي :
إن أردت أن تكون من أصحابي . فلا تسأل أحداً شيئاً ، وإن أتاك شيء من
غير مسألة فلا تقبله .

فقلت في نفسي : كان النبي ، صلى الله عليه وسلم يقبل الهدية وقال :
« ما أتاك من غير مسألة فخذها » .

فقال الشيخ : كأنك تقول كان النبي ، ﷺ يقبل الهدية : وقال : ما أتاك من
غير مسألة فخذها ؟

النبي ﷺ ، قال الله في حقه : (قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ)
متى أوحى الله إليك ؟

إن كنت مقتدياً به في الأخذ ، فكن مقتدياً به كيف يأخذ ؟ كان ﷺ لا يأخذ
شيئاً إلا ليبيد من يعطيه ويعوضه عليه .

(فإن نظرت نفسك وتقدست هكذا فاقبل ولا فلا) .

وهذه القصة غاية في العمق ونحن نقدمها على ما هي عليه إلى كل موظف وكل
صاحب جاه ، وكل هؤلاء الذين يقبلون الرشوة في صورة هدية ، وكل من يلبس
عليهم الشيطان في أكل أموال الناس بالباطل .

والنظرة الشاذلية في الغنى والفقر تفضل الغنى الشاكر على الفقير الصابر ،
وتعل ذلك بأن الصبر فضيلة في الدنيا فقط ، أما الشكر : فإنه فضيلة في الدنيا
والآخرة .

ونحن هذا الحديث عن العمل والكفاح والثراء بالقصة التالية :
قال أبو الحسن : هممت مرة أن أختار القلة من الدنيا على الكثرة ، ثم

سكنت ، وخشيت سوء الأدب ، فلجأت إلى ربي ، ورأيت في النوم : كأن
لجان عليه السلام جالس وحوله العسكر ورفع لي عن قدوره وجفانه فرأيت أمراً كما
يرفعه الله تعالى بقوله :

(وَجَفَّانِ كَالْجَوَابِ وَقُدُورِ رَاسِيَاتٍ) .

تعبدت : لا تختبر مع الله شيئاً ، وإن اخترت ، فاختر المودبة لله اقتداء برسول
له ﷺ حيث قال : عبداً رسولاً ، وإن كان ولا بد فاختر ألا تختار ، وغرم ذلك
تخار إلى اختيار الله . فانتفيت من نومي ، فرأيت بعدها قائلاً يقول لي : إن الله
خار لك أن تقول :

« اللهم وسع على رزقي من دنياي ، ولا تحجبني بها عن آخرى ، واجعل
مقامي عندك دائماً بين يديك ، وناظراً منك إليك ، وأرني وجهك ، ووارثي عن
الرزية وعن كل شيء دونك ، وارفع البين فيما بيني وبينك ، يامن هو الأول
والآخر ، والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم » .

ثم صورة ثالثة من صور الكفاح اشتهر بها أبو الحسن وعُرف بها بين الناس ،
وهي صورة تميزه عن تلميذه أبي العباس ، تلك هي صورة السعي في مصالح
الناس . ولقد رأينا أنه حينما نزل مصر في مروره العابر إلى الحج ذهب إلى السلطان
لرفع الرمية التي رمى بها واليه على الأعراب ، وتعرض بسبب ذلك إلى ما سبق أن
ذكرناه آنفاً . ومما يروى ابن عطاء في لطائف المنن قال :

استشفع طالب بالشيخ أبي الحسن إلى القاضي تاج الدين أن يزداد على مرتبه
فذهب الشيخ إليه ، فأكبر القاضي تاج الدين مجيئه وقال له :

ياسيدي ، فم جئت ؟

فقال : من أجل فلان الطالب تزيده في مرتبة عشرة دراهم .

فقال القاضي : ياسيدي ، هذا له في المكان القلاني كذا ، وفي المكان القلاني

الموضع القلاني كذا ، وكذا .

الشيخ : باتاج الدين لا تستكثر على مؤمن عشرة دراهم تريد له
لم يقنع للمؤمن بالجنة جزاء حتى زاده النظر إلى وجهه الكريم
شفاعات أبي الحسن بكثرة المظلومين والمساكين والذين لا جاء لهم
والصحة . يدري الحاجات على مختلف ألوانهم ، وأخذ يتردد على ولاية الأمور شانه
ومماها . سدياً حتى لقد قال ابن دقيق العيد في ذلك :
هـ . لالة الأمور بقدر الشيخ أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنه لكثرة تردده في

الشعاعا .

أما عطاء الله فقد قال في ذلك معلقاً على كلمة ابن دقيق العيد :
إن الأمر لا يقوى عليه إلا عبد متخلق بأخلاق الله ، بذل نفسه وأذكار
مرضاة الله ، وعلم وسيع رحمة الله ، فعامل عباد الله محلاً لقول رسول الله ﷺ :
والأرواح يرحمهم الله ، أرحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء .
على أن لا تترك هذا الموضوع دون أن تشير إلى أن أبا الحسن كان دائماً يدعو الله
قل أن . إلى وساطة في الخير وأدعيته في ذلك عليها طابع العبودية وفيها عيب
الحشوم ، وذلك لشعر هو ويشعر الناس أن الأمور كلها بيد الله ، وأنه ليس إلا
مرداً الله سبحانه ، وقد تفضل الله عليه فجعله سبباً في الصالحات .
ومر . ذلك : ماروي صاحب درة الأسرار قال : وقال رضي الله عنه .

وهو أراد . يمشي للبعض في الدفع عن رجل من الصالحين :
والله . سئل مشي إليه تواضعاً لوجهك ، وابتغاء لفضلك ، ونصرة لك
ومر . دبرني بزينة الفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم
يسود . من الله ورضواناً وينصرون الله ورسوله . أولئك هم الصادقون .
ومر . والإيثار . ورفع الحجاب من الصدور في الليل والنهار . وفقى شح

سي واجعلني من الفلحين . واغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان . ولا تجعل
لقلوبنا غلاً للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم .

ما نحن أولاء نرى أبا الحسن عالماً مستنبطاً كأحسن ما يكون العالم المستنبط .

ومجاهداً صادقاً كأفضل ما يكون المجاهد الصادق .

وعاملاً مكافئاً في الحرث والغرس . تتعدد مزارعه . وتتعدد مواضع الحصاد
بها . ونراه راغباً وغادياً مستنفعاً وقاضياً للناس حاجاتهم .

وإذا كان ذلك يمثل جوانب أصيلة في شخصيته ، فإن الأصل في شخصيته لم
تحدث عنه بعد : يقول صاحب لطائف المنن عن أبي الحسن :

وله السياحات الكثيرة ، والمنازلات الجليلة .

وهذه الكلمة الصادقة هي التي تصور لنا الجانب الأصل في شخصية الشاذلي :

لقد كان أبو الحسن عابداً متبلاً ، ومن أجل عبادته ساح سياحات كثيرة :

لقد ساح ليخلو إلى الله ، وساح لتصفو نفسه . وساح ليشمكت من التركيز

والجمع يلقى بنفسه كلية وبكيانه كله . في الرحاب الإلهي مستسلماً ، مسلماً ،

عبداً أسلم القيادات كلها : جسماً ونفساً . وعقلاً ، وروحاً ، وقلباً إلى من بيده

الأمر . أسلمها اختياراً راضياً ، أسلمها لإسلام الحب المغبط الذي يتفاني دائماً في

إسلام الكيان كله . حتى لا يرى ولا يسمع ولا يحس ولا يشم . أو يذوق إلا من أسلم

إليه كيانه . ولقد كان يسبح ليصل إلى ما يطلبه في حزبه الكبير قائلاً :

«إني أسألك أن تغنيني بقربك مني حتى لا أرى ولا أحس بقرب شيء» .

ولا يبعده عنك على كل شيء قدير .

وإن أبا الحسن هو الذي يقول في تأكيد يؤيده التاريخ كله :

« اللهم إن القوم قد حكمت عليهم بالذل حتى عزوا ، وحكمت عليهم بالفقد
حتى وجدوا ، فكل عز يمنح دونك فنسألك بدله ذلاً تصحب لطائف رحمتك ،

ملك ، فرضوا منك بذلك . اللهم وإني أسألك اعوجاج الخلق على ، حتى

يكون ملجئى إلا إليك .

قال : فالتفت إلى نفسه وقلت : يا نفسى انظرى من أى بحر يغترف هذا

سبح ؟ فلما أصبحت دخلت إليه فأرعبت من هيبة .

قلت له : ياسيدى كيف حالك ؟

فقال : أشكو إلى الله من برد الرضا والتسليم . كما تشكو أنت من حر التدبير

الاختيار .

قلت ياسيدى أما شكواى من حر التدبير والاختيار ، فقد ذقته وأنا الآن فيه ،

وأما شكواك من برد الرضا والتسليم فلماذا ؟

فقال : أخاف أن تشغلنى حلاوتها عن الله .

قلت : ياسيدى سمعتك البارة تقول : اللهم إن قوماً سألوك أن تسخر لهم

خلق فسخرت لهم خلقك فرضوا منك بذلك ، اللهم وإني أسألك اعوجاج

خلق على حتى لا يكون ملجئى إلا إليك . فنبسم ثم قال :

يا بنى عوض ما تقول سخر لى خلقك قل : يارب كن لى . أترى إذا كان لك

أيونك شىء . فما هذه الجبانة ؟

وقال رضى الله عنه : اجتمعت برجل فى سياحتى فقال : ليس شىء فى

الأقوال أعون على الأفعال من : لا حول ولا قوة إلا بالله . والاعتصام بالله . فقروا

إلى الله . واعتصموا بالله . ومن يعتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم .

ثم قال : باسم الله . فررت إلى الله . واعتصمت بالله . ولا حول ولا قوة إلا

بالله ومن يغفر الذنوب إلا الله . رب إني أعوذ بك من عمل الشيطان ، إنه عدو

مضلل مبين . باسم الله قول باللسان صدر عن القلب ، ففروا إلى الله وصف للملك

والأمر . ثم تقول للشيطان : هذا علم الله فيك . وبالله آمنت . وعليه توكلت .

١٦
وإذا وجد يحجب عنك فسألك عوضه قدماً تصحبه أنوار محبتك .

لم يكن سياحات أبى الحسن تنعماً بالجو ، ولا استمتاعاً بالحدائق والمتزهات :

وإسماً فى استجلاء المجهول من عوالم المادة . وإنما كانت محناً عن الحق

فوجد الحق كانت سياحاته من أجل التمكن فى مجالات الحق

فما تمكن فى مجالات الحق استقر به المقام مبشراً وهادياً .

والشيخ يتحدث عن هذه السياحات ، ولابد من ذكر أمثلة منها :

يقول صاحب المفاخر العلية عن الشيخ : انتقل إلى مدينة تونس وهو صبي

صغير ، وتوجه إلى بلاد المشرق ، وحج حجج كثيرة ، ودخل العراق .

ومما رواه أبو الحسن ، وكان ذلك فى أوائل سلوكه : كنت أنا وصاحب لى قد

آوينا إلى مغارة ، نطلب الوصول إلى الله ، فكنا نقول : غداً يفتح لنا ، بعد غد

يفتح لنا . فدخل علينا رجل له هيبة ، فقلنا له : من أنت ؟

فقال : أنا عبد الملك .

فقلنا أنه من أولياء الله ، فقلنا له : كيف حالك ؟

فقال : كيف حال من يقول : غداً يفتح لى . بعد غد يفتح لى . فلا ولاية

ولا هلاح ، يا نفس لم لا تعبدن الله الله .

قال : فتفطنا من أين دخل علينا . فبينما إلى الله ، واستغفرونا ، ففتح لنا .

ويقول أبو الحسن أيضاً عن سياحاته فى مبدأ أمره :

كنت فى سياحتى فى مبدأ أمرى . حصل لى تردد ، هل ألزم البرارى والقفار ،

للتفرغ للطاعة والأذكار ؟ أم أرجع إلى الدائن والديار لصحبة العلماء والأخبار ؟

موصف لى وللى هتالك ، وكان برأس جبل . فصعدت إليه . فما وصلت إليه

إلا زلا . فقلت فى نفسى ، لا أدخل عليه فى هذا الوقت . فسمعتة يقول : من

داخل المغارة ؟ اللهم إن قوماً سألوك أن تسخر لهم خلقك . فسخرت لهم

وأعوذ بالله منك ، ولولا ما أمرني ما استعذت منك ، ومن أنت حتى أعتصم بالله منك .

وروى الشيخ أيضاً : قلت يوماً وأنا في مغارة في سياحتي :

إلهي متى أكون لك عبداً شكوراً ، فإذا قاتل يقول لي :

إذا لم تر منعاً عليه غيرك .

فقلت : إلهي كيف لا أرى منعاً عليه غيري وقد أنعمت على الأنبياء ، وقد

أنعمت على العلماء ، وقد أنعمت على الملوك . فإذا قاتل يقول لي :

لولا الأنبياء لما اعتديت .

ولولا العلماء لما اقتديت .

ولولا الملوك لما آمنت ، فالكل نعمة مني عليك .

هذه السياحات المتعددة المتكررة إنما كانت هجرة إلى الله ، وذهاباً إليه ، وفراراً نحوه ، وما كان لها من هدف إلا أن يخلو وربه ، وأن ينسى كل شيء ، ليلأ

قلبه بالله ، لقد كانت سياحات للعبادة ، وما كانت العبادة العادية ، هي التي

يقصد أبو الحسن بهذه السياحات . إن الفروض ، وإن سنتها الزاتية ، من السهل

على أبي الحسن أن يؤديها في الحضرة ، كما يؤديها الآخرون ، وما كان في حاجة إلى

هجرة من أجلها ، لقد كان قصد أبي الحسن أن يفرغ قلبه لجملة بالله ، ولابد لهذا

من هجرة .

ومن الناس من يهاجر إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر

إليه . أما من كانت هجرته إلى الله ورسوله ، فهجرته إلى الله ورسوله .

لقد كانت هجرة أبي الحسن تحنناً ، وبحثاً عن الصفاء ، ومراً على الاسترسال

مع الله على ما يريد .

لقد كان يريد أن يرتبط بالحق فكان يروض
كان يروض نفسه على أن يسيطر على نفسه ،

شبهته ، إنه يقول : لن يصل العبد إلى الله وبقي .

من مشيئاته (٢٦) ، وكان يقول : إن أردت أن تكون

واخرج من حولك وقوتك .

لقد كان يريد أن يشهد الله ، أن يشهده متج

ينجلي للإنسان على قدر صفاته ، وأراد أبو الحسن

بإصبل إليه السالكون .

لقد اعتكف في جبل زغوان ... وسافر من قبة

للبلال قائماً مبتلأ في البوادي والوهاد والأودية

وكم شهدته المغارات والكهوف قائماً في جنب

ستيناً محاولاً أن يفنى في الله بحيث يصبح صور

وحيث يصبح رباناً .

يقول أبو الحسن : أبي المحققون أن يشهدوا

شهود القيومية وإحاطة الديمومية .

هذه الكلمة الحق التي هي تفسير لما يقوله

الهدف الذي أراد أن يصل إليه أبو الحسن ، أراد

دوقاً ، وأن يتحقق به حالاً .

فلما تم له ذلك من سياحاته ، وخلواته ، و

مبشراً بالنور والرحمة والمعرفة .

(٢٦) الطبقات الكبرى : للشيرازي .

دته ، على

ولا مشيئة

من نفسك

لله سبحانه

إلى أقصى

وسهر

الله داعياً

لا يجب الله

هم به من

جود كانت

أن يشعر به

سفرًا هادياً

ولا تريد أن تترك هذا المقام دون أن تضرب مثلاً لأثر عبادة أبي الحسن عليه من
إحسان ، وخشوع وتعظيم لله ولرسوله ، ومن نسبت كل نقص وتقصير لنفسه ومن
وصوله إلى درجة سامية من إسلام الوجه لله .

يقول صاحب درة الأسرار عن أبي الحسن :

لا أقدم المدينة ، زادها الله تشريفاً وتعظيماً ، وقف على باب الحرم من أول
النهار إلى نصفه عريان الرأس حافي القدمين ، يستأذن على رسول الله ﷺ تسليماً
فستل عن ذلك فقال : حتى يؤذن لي ، فإن الله عز وجل يقول :
(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ) .

فسمع النداء من داخل الروضة الشريفة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام
يا على ، ادخل . فوقف تجاه الروضة الشريفة فقال :

والسلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته ، صلى الله عليك يا رسول الله
أفضل وأزكى وأسنى وأعلى صلاة صلاها على أحد من أنبيائه وأصفياه ، أشهد
يا رسول الله أنك بلغت ما أرسلت به ، ونصحت أمتك ، وعبدت ربك حتى أتاك
اليقين ، كنت كما نعتك الله في كتابه :

(لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ
رَءُوفٌ رَحِيمٌ) .

فصلوات الله وملائكته وأنبيائه ورسله وجميع خلقه من أهل سنواته وأرضه
عليك يا رسول الله .

السلام عليكما يا صاحبي رسول الله ﷺ ، يا أبا بكر ويا عمر ، ورحمة الله
وبركاته ، فجزاكما الله عن الإسلام وأهله أفضل ما جازى به وزيرى نبي في
حياته ، وعلى حسن خلافته في أمته بعد وفاته ، فقد كنتما لحمد ﷺ ووزيرى
صدق ، وخلفتهما بالعدل والإحسان في أمته بعد وفاته ، فجزاكما الله عن ذلك

بإفقه في الجنة ، وإيانا معكما برحمته إنه أرحم الراحمين .

اللهم إني أشهدك وأشهد رسلك ، وأشهد أبا بكر وعمر ، وأشهد الثلاثة
بأزنان بهذه الروضة الكريمة والمالكين عليها ، أني أشهد أن لا إله إلا الله وحده
(شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله خاتم النبيين ، وإمام المرسلين وأشهد
كل ما جاء به من أمر ونهى عما كان أو ما هو كائن فهو صدق لاشك فيه
ولا إنراء ، وأني مقر لك بجنائتي ومعصيتي في الخطرة والفكرة والإرادة والقلعة ،
بما استأثرت به على إذا شئت أخذت وإذا شئت عفوت عنه ، مما هو متضمن
للكوران والنفاق أو البدعة أو الضلالة أو المعصية أو سوء الأدب معك ومع رسولك
وأبياتك وأوليائك من الملائكة والإنس والجن ، وما خصصت به من شيء في
ملكك فقد ظلمت نفسي بجميع ذلك فامتنع على بالذي مننت به على أوليائك ،
فإنك أنت الله الملك المنان الكريم الغفور الرحيم .

لقد كان أبو الحسن جميل المظهر جسماً وملبساً ، وكان فارساً يركب الخيل
ويقتنيها ، وكان غير متعرج فيما يتعلق بالأكل والشرب من حيث النوع وإن كان
يخرج كل التعرج فيها من حيث الحل والحلوة .

وكان عالماً أجمل ما يكون العلم وأعصفه .

وكان مجاهداً يقف مع الجيوش في الميدان يعمل على إحراز النصر .

وكان مكافحاً يعمل في الحوث والغرس والحصاد .

وكان عابداً أدت به عبادته إلى قرب ، قال هو عن حقيقته : إنه الغيبة بالقرب

عن القرب لعظم القرب . هذا هو أبو الحسن .

إنه يمثل شخصية المسلم التي أحب الله لكل فرد من خير أمة أخرجت للناس .

ومن أجل ذلك كتب عنه عليه القوم ماحدين معززين بفضله ، يقول صاحب

الفاخر العلية :

ومن ذكره من الأولياء والعلماء في زمنه ومن بعده :

والشيخ صفى الدين بن أبى المنصور الشافلى في رسالته ، وأثنى عليه الله العظيم على حسب معرفته .

والشيخ عبد الله بن النعمان ، وشهد له بالقطانية .

والشيخ قطب الدين القسطلانى في جملة من لقيه من المشايخ .

والشيخ تاج الدين بن عطاء الله في لطائف المنن .

والشيخ سراج الدين الملقن في طبقات الأولياء .

والشيخ جلال الدين السيوطى في حسن المحاضرة .

وسيدى عبد الوهاب الشمرانى في طبقاته .

والناوى في الكواكب الدرية . وذكره غير هؤلاء من المشايخ ، كل واحد منهم

يتنى عليه ويصفه بما عرف من قدره « اهـ . وللشعراء فيه الكثير من الشعر نكتنى من ذلك ببعض مايقوله الإمام البوصيرى صاحب البردة المباركة رضى الله عنه وأرضاه :

أما الإمام الشافلى طريقته في الفضل واضحة لعين المهتدى فانقل ولو قدماً على آثاره فإذا فعلت فذاك أخذ باليد قطب الزمان وغوثه وإمامه عين الوجود لسان سر الموجد ساد الرجال . فقصرت عن شأوه مهم المآرب للعلا والسؤدد أو ما مررت على مكان ضربه وشمنت ريح الند من ترب ندى ووجدت تعظيماً بقلبك لو سرى في جلد سجد الورى للجلد فقل السلام عليك يا بحر الندى الطامى وبحر العلم بل . والمرشد

هذا ولعل خير ما نغم به حديثنا عن شخصية أبى الحسن هو ما كان لهذه شخصية من أثر روحى على طائفة من أكابر القوم الذين التقوا به وسمعوا منه : يقول ابن عطاء الله : « ونشأ على يد الشيخ رضى الله عنه ، جماعة كثيرة ، منهم من أقام بالغرب كآبى الحسن الصقلى ، وكان من أكابر الصديقين ، وعبد الله لحبيبى وكان من أكابر الأولياء ... »

ومنهم من تبعه وهاجر معه إلى مصر ، منهم شيخنا وقدوتنا إلى الله أبو العباس نهاب الدين أحمد بن عمر الأنصارى الرسمى ، رضى الله عنه ، ومنهم الحاج محمد قرطبى ، وأبو الحسن البجائى المدفون بظاهر أشمون وأبو عبد الله البجائى : أبو جهانى والجزارى .

ومنهم من صحبه بديار مصر ، منهم الشيخ عبد الله بن منصور المعروف بمكين أمين الأسمر ، والشيخ عبد الحكيم ، والشرف البوفى ، والشيخ عبد الله اللقانى ، والشيخ عثمان البوريجى ، والشيخ أمين الدين جبريل . ولكل هؤلاء علوم وأسرار وأصحاب أخذوا عنهم « اهـ .

٣ - العمل بالكتاب والسنة

جاء الدين الإسلامى بتكاليف عديدة لصالح المجتمع ولصالح الفرد ، وهذه التكاليف تبين من اسمها أن فيها شيئاً من المشقة على هؤلاء الذين لم يتذوقوا الصلة بالله . ولما فى التكاليف من مشقة حاول كثيرون التخلص منها بشتى الوسائل أو التأويلات المنحرفة .

ومن أضل هذه الوسائل ما يزعمه البعض من أنه وصل من الصلة بالله ، إلى

وأرباب الدليل والبرهان عموم عند أهل الشهود والبيان : لأن أهل الشهود والبيان قدسوا الحق في ظهوره أن يحتاج إلى دليل يدل عليه . وكيف يحتاج إلى دليل من نصب الدليل ؟ وكيف يكون معروفاً به وهو المعروف له ؟ ١٩ هـ .

إن أبا الحسن عاد باتباعه إلى النهج الإسلامي الصادق فيما يتعلق بوجود الله . إن وجوده سبحانه أوضح وأظهر من أن يحتاج إلى دليل . وإن تقديس الله سبحانه ينأى بالثؤمن عن أن يتخيل - مجرد تخيل - أن الله يحتاج إلى إثبات وجوده . وإن جلال الله - وهو جزء من عقيدة الثؤمن - يسمو بالثؤمن عن أن ينزل إلى هذا المستوى من الانحراف .

والواقع أن كل محاولة لإثبات وجود الله إنما هي انحراف عن النهج الإسلامي السليم . وإذا كان أبو الحسن قد وجه أتباعه إلى هذا النهج ، فإنما يتبع في ذلك النهج القرآني : وذلك أن القرآن الكريم ، وجميع الرسل ، صلوات الله وسلامه عليهم ، قد نزهوا الله عن أن يحاولوا الاستدلال على وجوده ، وقلدوه عن أن يكون وجوده في حاجة إلى حجة وبرهان .

ولقد سار الإمام الشافعي على هذا النسق متبعاً ومقتدياً . بيد أن فكرته أصبحت الآن غامضة كل الغموض . ذلك أن بدعة إثبات وجود الله شائعة حتى في الأوساط المستغرقة في الدين ، ومن أجل ذلك يتساءل الكثيرون : أكان أبو الحسن محققاً في رأيه هذا ؟

ومن أجل إيضاح فكرة أبي الحسن ، ولأن الموضوع في نفسه جدير إلى حد بعيد بالاهتمام ، فإننا نستفيض هنا في شرح هذا الموضوع عسى أن يسود توجيه أبي الحسن فيرجع الناس عن البدعة إلى التوجيه السليم . على أن من حق أبي الحسن علينا - ونحن نكتب عنه - أن نستفيض في شرح فكرة من أفكاره ، كان للعادة والالف ، وكان للزمن والظروف دخل في أن أصبحت غير مفهومة فهماً

٤ - الاستدلال على وجود الله

يقول ابن عطاء الله السكندري مبرراً عن رأي المدرسة الشاذلية :

« وإذا كان من الكائنات ما هو غني بوضوحه عن إقامة دليل ، فالكون أول

بغناه عن الدليل منها » (٢٧) هـ .

وهذه الفكرة إنما هي عودة إلى الطريق الصواب فيما يتعلق بما سماه المتكلمون :

« إثبات وجود الله » . وهي فكرة وجه إليها الشيخ أبو الحسن مريدبه أكثر من مرة .

فهو يقول : « كيف يعرف بالمعارف من به عرفت المعارف . أم كيف يعرف بشئ من سبق وجوده وجود كل شئ » (٢٨) .

ويقول أيضاً : « إنا لننظر إلى الله ببصائر الإيمان فأغننا ذلك عن الدليل

والبرهان ، وإنا لا نرى أحداً من الخلق ، هل في الوجود أحد سوى الملك الحق ؟

وإن كان ولا بد فكألهاء في الهواء . إن فتنته لم تجده شيئاً » ١ هـ .

ويتابع أبو الحسن الحديث فيقول : ومن أعجب العجب أن تكون الكائنات

موصلة إليه ، فليت شعري هل لها وجود معه حتى توصل إليه ، أو هل لها من

الوضوح ما ليس له حتى تكون هي المظهرة له ؟

ويقول : وكيف تكون الكائنات مظهرة له . وهو الذي أظهرها ، أو معرفة له

وهو الذي عرفها .

هذا الاتجاه الذي علمه أبو الحسن لتلاميذه ونشره بينهم . أخذ ابن عطاء الله

السكندري في إداعته وكتابته على أنحاء شتى ، فمن ذلك قوله :

(٢٧) لطائف اللئ من ٢٧ الطيبة الترنسية .

(٢٨) لطائف اللئ من ٢٦ الطيبة الترنسية .

واضحاً ، أو غير مقدرة تقدير
حين بدأ الرسول ﷺ الجهر
فإنه صلوات الله وسلامه عليه
صدقه هو ، وتحدى العرب بص
ونزل الوحي ، ولم يبدأ الملك أو
بأن يقرأ الرسول ، صلوات
(اقرأ باسم ربك الذي
ومضى القرن الأول كله
أو مستفيضاً عن إثبات وجو
فيما يتعلق بوجود الله - لا
أمر يدهى لا ينبغي أن يتحد
وجود الله من القضايا المس
البحث : لأنها فطرية ، وأ
شخص في إيمانه دخل ، وف
البشر ، تعالى الله عن ذلك
ومن المعروف أن الدين
الله . وإذا تصفحت القرآن
في وضعه الراهن ، فإنك لا
تجعلها هدفاً من الأهداف
السماوية .
والقرآن الكريم يتحدث
يقول سبحانه : (ولئن س

نحو ثلاث سنوات من الإصرار بها .
وجود الله ، وإنما بدأ بالبرهنة على
ذلك ، حين فاجأه الملك في القار
، بإثبات وجود الله ، وإنما بدأ بالأمر
به ، باسم ربه :

لأن قط ، أن يتحدث حديثاً عابراً
ومضى أكثر القرن الثاني والمسألة -

بحث ، ذلك أن وجود الله ، إنما هو
نقياً أو إثباتاً ، ولا سلباً أو إنجافاً . إن
مع ، في الأوساط الدينية ، موضع
يحاول وضعها موضع البحث إنما هو
فما خفي الله قط حتى يحتاج إلى أن يثبت

لإثبات وجود الله ، وإنما جاء لتوحيد
على وضعها الحالي . أو الإنجيل حتى
وجود الله قد اتخذت في سفر منها مكانة
ت مكاناً يشعر بأنها من مقاصد الرسالة

د الله حتى عند ذوى العقائد النحرقة
السَّمَوَات والأَرْض لَيَقُولُنَّ : (الله)

إنهم يقولون : إن الخالق هو الله ، مع أنهم مشركون أو منحرفون بوجه من
وجهه ، في إيمانهم بالله تعالى ، وما نزلت الأديان قط لإثبات وجود الله ، وإنما

زلت لتصحيح الاعتقاد في الله أو لتصحيح طريق التوحيد .
أما الآيات الكثيرة التي يظن بعض الناس أنها نزلت لإثبات الوجود ، فليست
من ذلك في قليل ولا في كثير ، إنها تبين عظمة الله وجلاله وكبريائه وهيبته
لكاملة على العالم ، ما أعظم من أمره وما دق منه ، لا تفوت هيئته صغيرة
ولا كبيرة ولا يخرج عن سلطانه ما دق وما جل .

وقد أتت على هذا الوضع . لتقود الإنسان إلى إسلام وجهه لله . إسلاماً
كاملاً . بحيث لا يصدر ولا يرد إلا باسمه سبحانه . ولا يأتي ما يأتي أو يدع ما يدع
إلا في سبيله . تعالى .

ومضى القرن الأول على ذلك . ومضى القرن الثاني أو أكثره على الفطرة .
ثم ... ثم كانت الفلسفة اليونانية .

والفلسفة اليونانية فلسفة وثنية . لأنها تصدر عن العقل لا عن الوحي . وكل
لكرة تصدر عن العقل لا عن الوحي في عالم ما وراء الطبيعة ، أي في عالم العقيدة ، إنما هو
إنما هي فكرة وثنية . أي أنها فكرة لا حق لها في الوجود . لأن عالم العقيدة إنما هو
من اختصاص الله . يبينه على لسان رسله . وكل تدخل من الإنسان في هذا العالم .
إنما هو تدخل فيما ليس للإنسان التدخل فيه . لأنه اقتحام لساحة محرمة مقدسة .
لا ينبغي أن يدخلها الإنسان إلا دخول الساجد الخاضع الخاضع المسلم لما جاء به
الوحي الإلهي .

إن الفلسفة اليونانية في عالم العقيدة فلسفة وثنية . إنها وثنية حتى حين تثبت
وجود الله . ولا يخرجها إبانها وجود الله عن أن تكون وثنية . إنها وثنية بالبلد الذي

امت عليه ، وهو مبدأ تأليه العقل البشرى . ويستوى بعد ذلك أن تكون قد أثبتت وجود الله أو أنكزته .

وهي حينما تثبت وجود الله عقلياً . ليس في ذلك كبير فائدة ، ولا يبرر ذلك وجودها ، ولا قيمة لما تثبته . وإثباتها وعدم سواء . ذلك أن العقل الذى أثبت هو العقل الذى يمكنه أن ينكر . وهو العقل الذى ينكر بالعقل .

ولا لزوم إذن للطئنة والتصديق الذى نجى به كل عبقرية فكرية في الشرف أو في الغرب تحاول فكراً أن تثبت وجود الله .

إننا لا نقيم عقيدتنا على فكر بشرى مهما كان هذا الفكر عبقرياً . ويجب على المؤمن ألا يقيم وزناً - أى وزن - لأى نتاج فكرى في علم ما وراء الطبيعة . سواء اختلف معتقده أم وافقه . إنه في معتقده يدين لله وحده ، وكفى بالله مصدراً . وكفى بالله هادياً . وكفى بالله مرشداً . ومن يعتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم . ومن يعتصم بالله فهو حسب .

إن كل ما عدا الهدى الإلهى في عالم الدين ، إنما هو وثنية وضلال . كانت الفلسفة اليونانية فلسفة وثنية بشرية ، وقد أرادت أن تجد لجأاً يعصمها من الخطأ فاخترعت ثلاً وثياً آخر ، هو فن المنطق ، فما أجدى ولا أغنى ، ولا تقدم بالفكر الوثنى في عالم الصواب شروى تقير .

وقيت هذه الفلسفة - عبر القرون - على ما هي عليه ، فيها كل سمات الوثنية من ضلال وخرافات .

ولقد كانت الأمة اليونانية معذورة بعض العذر ، فما كان في ربوعها دين منزل من السماء تلجأ إليه مهتدية مستزلة . وما كان مثلها في ذلك إلا كمثل العصر الجاهل في الجزيرة العربية . فلجأت إلى العقل وألفه ، وأخذت تثبت به وتنكر . ففُلت وأضلت .

وجاءت الديانة النصرانية مصححة للوضع . فنزهت فكرة إثنية عن ندبىس وثنية . وسمت بالله جل جلاله عن أن تضع وجوده موضع بحث . ثم تسلمت إليها - كميكروب خبيث - وثنية اليونان ، فجعلت من وجود الله - مجرد وجود

باباً ضخماً من أبواب البحث ، أو من أبواب اللاهوت الكسبى . ونزلت بذلك الفكرة الدينية القدسة عن الله ، إلى مستوى آخر نوثى البشرى !

وجاء الإسلام تطهيراً كاملاً للعقيدة وتركبة تامة للإيمان . وأعلن بمحرد التسمية والإسلام ، الحرب على التدخل البشرى في دين الله ورسالته .

فما الإسلام ، إلا الاستسلام المطلق لله سبحانه وتعالى : إنه الاسترسال مع الله على ما يرضيه . وهل للإنسان غير هذا بالنسبة لله ، وهل لمؤمن أن يتصرف تصرفاً آخر ؟ وهل إذا تصرف تصرفاً آخر يسمى مؤمناً ؟

إن الاسترسال مع الله على ما يجب ، هو الإسلام . وهو الدين ولا دين غيره . يقول الله تعالى : (إِنْ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ) .

ويقول سبحانه : (وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِيناً قُلٌّ يَقْبَلُ مِنْهُ) . وإن كل من لا يستسلم لله في وجهه استسلاماً مطلقاً ، فإنه يتبنى في قليل أو

في كثير حسب الخرافة - غير الإسلام ديناً .

ولقد كان الإسلام توجيهاً . وكان مبادئ .

ومن توجييه الإسلام : أن وجود الله لا يتبنى أن يوضع موضع البحث . وكل من وضعه موضع البحث فإنه بذلك يعدل عن توجييه الله تعالى إلى توجييه بشرى .

إنه يتبنى غير الإسلام موجهها ؟

وابتغى المسلمون الأول الإسلام توجيهاً ، كما ابتغوه مبادئ . وسار الأمر على ذلك إلى أن تسلمت الفلسفة اليونانية - كميكروب خبيث - إلى الجو الإسلامى . تسلمت في عهد المأمون ، وتولى كبير هذا التسلم المأمون . وشجعه على ذلك معتزلة

عصره . وقابل المؤمنون ذلك بكثير من الفجور . وحتى لهم ذلك ، فما كان منطق الدين ولا منطق الفطرة السليمة يقضي بأن تكون راية العصمة ، أى راية الدين الإلهي مرفوعة ، تعرف على ربوع الأمة الإسلامية في محيط العقيدة ، فتميل بهذه الراية ، قليلاً أو كثيراً ، لنرفع بحوارها راية أرسطو ، أو راية أبيقور .

ورفع المؤمنون راية الانحراف والوثنية بحوار راية الهداية المعصومة . وعارض المؤمنون واحتجوا وبينوا أن الوثنية ، ولو وافقت الدين ، فهي وثنية . ولكن النهج الوثني أخذ يقوى شيئاً فشيئاً ، ثم طلب التصريح بالإقامة واستوطن . ومعاذ الله أن تكون عقائد الإسلام الكبرى - الإيمان بالله وبالرسالة وبالبعث - قد تلوث بالوثنية ، كلا ، وإنما الذي تلوث بالوثنية - وإلى حد كبير - إنما هو النهج والتزعة والاتجاه في البحث ونهج البحث . وليس ذلك بالأمر الهين ، أو الذي لا يؤبه له ، كلا ، فذلك له خطورته في جانب قوة الإيمان وضعفه . وفوق بين أن تأخذ قضايا الوحي مأخذ المسلم المسترسل معها على ماتريد ، وأن تأخذها مُحكِّماً فيها عقلك مؤولاً لها ، أو عادلاً بها إلى اتجاه خاص ، أو شارحاً لها على نزعة معينة .

وبتعبير آخر : فرق بين أن تصدر عن الوحي متفهماً له بعقلك ، وبين أن تصدر عن عقلك متفهماً للوحي ، ولعل بعض الناس لا يرى فرقاً في التعبيرين ، ولكن الفرق كبير إذا نظرنا إلى الوضع الإنساني ، فهو إما أن يتطرق عن الوحي قائداً العقل إلى الخوض له ، وإما أن يتطرق عن العقل محاولاً تأويل الوحي بما يوافق النتائج التي وصل إليها العقل .

والأول طريق المؤمنين المسلمين ، والثاني طريق الفلاسفة أو نهج الوثنيين . والنهج الوثني - نهج إثبات وجود الله - هو الذي أتاح الانحراف الكامل ، أى إنكار وجود الله ، فما دام النهج الوثني قد أعطى حق الوجود ، فإن الوثنية

كسنيج - تأتي بالوثنية كنتائج .

إن وضع مسألة وجود الله موضع البحث هو الذي هباً لدوى الفطر المنحرفة أن يخلدوا في دين الله ، وأن يكفروا به سبحانه . وهذه نتيجة أولى .

أما النتيجة الثانية : فإنها ضعف الإيمان ، وإذا كنت تضع الوجود الإلهي - مجرد الوجود - موضع بحث ، فعنى ذلك أنك وضعته موضع شك وريبة ، ولولم

يكن كذلك لما وضع موضع البحث . وإذا كان الوجود الإلهي - مجرد الوجود - موضع شك وريبة فإذا بقي من أمور الدين لا يوضع موضع شك وريبة ؟ إن الإيمان في هذه الأوضاع الوثنية لا يتأني إلا

أن يجبو شيئاً فشيئاً حتى يصبح كلا إيمان . وهذا هو ما حدث في الأمة الإسلامية ، لقد وصل إيمانها إلى درجة يكاد معها

أن يكون معدوماً . وما ذلك إلا لتغلغل النهج الوثني في بحث قضايا الدين ومبادئه ، لقد أصبحت قضايا الدين ، كل قضاياها ، موضع بحث ، وهل يتأني أن تبقى قضية

من قضايا الدين في مجال اليقين بعد أن وضع وجود الله - مجرد وجوده سبحانه - موضع البحث ؟ نستفرك اللهم وتوب إليك .

ونعود فنقول : إن الدين في نفسه محفوظ بحفظ الله لكتابه العزيز :

(إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَكَاَفِظُونَ) .

ولكن الذي نشكو منه إنما هو النهج ، أو المنهج ، أو التزعة ، أو الاتجاه في البحث ، إن الذي نشكو منه إنما هو : منهج البحث الوثني ، وإذا شئت قلت :

إنما هو منهج البحث اليوناني .

سئل أحد العارفين عن الدليل على الله . فقال : الله .

فقيل له : فما العقل ؟ فقال : العقل عاجز لا يدل إلا على عاجز مثله .

أما الإمام الكبير العارف بالله ابن عطاء الله السكندري الذي جمع بين رئاسة

إن أسرار القرآن الكريم لا يحصرها حاصر ، ولا يحيط بها محيط . وكل إنسان يفهم من أسرار القرآن على قدر استعداده .

وما من شك في أن المعنى المطلوب وجوباً اتباعه ، أو المطلوب وجوباً تركه ، واضح كل الوضوح ، لا ليس فيه ولا تعقيد .

يبد أن الإشارات الروحية والتوجيهات الإلهية للقلوب والبصائر من خلال القرآن الكريم لا يحيط بها عد ولا يأتي عليها الزمن .. ومن هنا كان صادقاً مايقوله أحد المفكرين وقد شغل عن خير تفسير للقرآن فقال : الزمن .

هذه الإشارات للقلوب والبصائر تتبع وتفيض وتزداد بنسبة زيادة الإيمان في تحقيق معنى العبودية لله سبحانه وتعالى .

وهي إشارات لانحرم حلالاً ولا تحل حراماً ، إنها ليست من نوع تأويلات الباطنية ، هذه التأويلات المنحرفة ، والتي يهدمها من أساسها في سهولة ويسر عمل رسول الله ﷺ ، فقد طبق صلوات الله وسلامه عليه دين الله تطبيقاً هو الأسوة التي تتخذى ، والتي إذا خرج الإنسان عن دائرتها ، في الدين ، فإنه يكون خاطئاً ضالاً ، لقد أخرج رسول الله ﷺ وصحابته البررة الأصفياء الأوامر الإلهية والنواهي الإلهية عن دائرة النظريات إلى دائرة العمل ، وتحدد بذلك المعنى المقصود من الأوامر والنواهي تحديداً لا ليس فيه ، وكل تأويل إذن للأوامر والنواهي يخرجها عن أن تكون مطابقة لعمل الرسول ﷺ ، وعمل الصحابة فإنما هو تأويل باطنى ضال .

أما الإشارات التي تثبتنا هنا فإنها إشارات روحية ترشد إلى معارج للروح تتسامى بازدياد الإنسان في القرب من الله عن طريق الاستقامة .

ولقد سمينا هذه الإشارات « أجواء » فإن لكل ولي جوه الذي لا يتعارض مع جو الأولياء الآخرين ، وإن كان عبيره الزكى قد يختلف عن العبير الزكى الذى يشع من زميله . وما من شك في أن أريج الزهور المختلفة ، ذوات الروائح الجميلة ،

الشريعة ، ورياسة الحقيقة فإنه يقول :

« إلى كيف يستدل عليك بما هو في وجوده مفقّر إليك . أليكون لتفكير من الظهور مالبس لك حتى يكون هو المظهر لك ؟ متى غبت حتى تحتاج إلى دليل بدل عليك ؟ ومتى بعدت حتى تكون الآثار هي التي توصل إليك ؟ »

« كيف يتصور أن يحجه شئ ، وهو الذى أظهر كل شئ . »

« كيف يتصور أن يحجه شئ ، وهو الذى ظهر بكل شئ . »

« كيف يتصور أن يحجه شئ ، وهو الذى ظهر في كل شئ . »

« كيف يتصور أن يحجه شئ ، وهو الظاهر قبل وجود كل شئ . »

« كيف يتصور أن يحجه شئ ، وهو أظهر من كل شئ . »

« كيف يتصور أن يحجه شئ ، وهو الواحد الذى ليس معه شئ . »

« كيف يتصور أن يحجه شئ ، وهو أقرب إليك من كل شئ . »

« كيف يتصور أن يحجه شئ ، ولولا ما كان وجود شئ . »

« شتان بين من يستدل به أو يستدل عليه ، المستدل به عرف الحق لأمله . »

فأثبت الأمر من وجود أصله ، والاستدلال عليه من عدم الوصول إليه ، وإلا ففى غاب حتى يستدل عليه ، ومتى بعد حتى تكون الآثار هي التي توصل إليه .

رحم الله أبا الحسن وجزاه الله ومدرسه خير الجزاء على هذا التوجيه السليم .

٥ - أجواء في القرآن الكريم

يقول الله تعالى في سورة لقمان :

(وَكَوْنُ أَنْ مَافِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ ، وَالْبَخْرُ يَنْدُهُ مِنْ بَعْدِهِ سِتَّةُ أُنْجُرٍ مَا تَقْدَرُتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ ، إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) .

٣- إذا كثرت عليك الخواطر والوسواس فقل سبحان الملك الخلاق :
(إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ، وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ) .

٤- إذا ورد عليك مزید من الدنيا أو الآخرة فقل : (حَسْبَا اللَّهُ سَيُوتِينَا اللَّهُ فَضْلُهُ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ) .

٥- من أجل مواهب الله : الرضا بمواقف القضاء ، والصبر عند نزول البلاء ، تنوكل على الله عند الشدائد ، والرجوع إليه عند النوائب ، فمن خرجت له هذه أربع من خزانة الأعمال على بساط المجاهدة ومتابعة السنة والافتداء بالأئمة ، فقد سحت ولايته لله ولرسوله وللمؤمنين :

(وَمَنْ يَقُولِ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنْ حِزِبَ اللَّهُ هُمْ الْعَالِيُونَ) .

ومن خرجت له من خزانة المن على بساط المحبة ، فقد تمت ولاية الله له وله . (وَهُوَ يَقُولُ الصَّالِحِينَ) .

ففرق بين الولايتين . فعبد يتولى الله ، وعبد يتولاه الله ، فهما ولايتان : صغيرة وكبرى « فولايك الله خرجت من المجاهدة ، وولايك لرسوله خرجت من ابتك لسته . وولايك للمؤمنين خرجت من الاقتداء بالأئمة ، فافهم ذلك من له : (وَمَنْ يَقُولِ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنْ حِزِبَ اللَّهُ هُمْ الْعَالِيُونَ) (٢٩) .

٦- خصلة واحدة تحيط بالأعمال ، ولا يتنبه لها كثير من الناس . وهي سخط

ببد على قضاء الله تعالى . قال تعالى :

(ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أُنْزِلَ اللَّهُ فَاحْبَطُوا أَعْمَالَهُمْ) .

٧- إذا نقل الذكر على لسانك ، وكثر اللغو من مقالك ، وانبسقت الجوارح شهواتك . وانسد باب الفكرة في مصالحك ، فاعلم أن ذلك من عظيم

زادك ، أو لكون إرادة النفاق في قلبك .

(٢٩) لطائف المنن ص ٢٢ .

عبد كله . مرغوب فيه جميعه . ولكن الإن

تبه من ميله إلى نوع آخر .

وله بفسر أبو الحسن القرآن تفسيراً كاملاً

صحيح مسلم . ولم يرو مؤرخوه في تفسير القرآن

وقد حاولنا ، بقدر الاستطاعة ، أن نجتمع من

تتبع القرآن أو بالحديث .

ولم يتيسر لنا - لقلتنا - أن ننسقها باقات ،

غسها فصولاً ، أو أن نلتزم فيها التحديد المؤ

نلتزم فيها أي ترتيب . اللهم إلا ترتيب الذوق

وهي على كل حال بوضعها الذي هي عليه

أبي الحسن الروحي . وتبعث في النفس أسفاً شداً

إهمال أو نسيان .

١- سئل رضي الله عنه عن تفسير « بسم الله

لا انيرم .

٢- وقال : إن أردت الصدق في القول

(إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ) .

وإن أردت الإخلاص في جميع أحوالك

(قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ) .

وإن أردت تسير الرزق فأكثر من قراءة :

(قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ) .

وإن أردت السلامة من الشر فأكثر من قرا

(قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ) .

وليس لك طريق إلا التوبة والإصلاح والاعتصام بالله ، والإخلاص في دين الله تعالى ، ألم تسمع قوله تعالى : (إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ اللَّهُ فَالَؤْلَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ) .

ولم يقل من المؤمنين ، فتأمل هذا القول إن كنت فقيهاً والسلام (٣٠)

وقال رضى الله عنه في قوله تعالى :

(لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبَ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ) .

ذكر توبة من لا يذنب لئلا يستوحش من أذنب ، لأنه ذكر النبي ﷺ والمهاجرين والأنصار ولم يذنبوا . ثم قال : (وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَقُوا) ، فذكر من لم يذنب ليؤنس من قد أذنب . فلو قال أولاً لقد تاب الله على الثلاثة الذين خلقوا لتفطرت أكبادهم .

٨- وقال الشيخ أبو العباس ، رضى الله عنه ، كنت مع الشيخ في سفر ونحن قاصدون إلى الإسكندرية حين مجئنا من المغرب ، فاختلني ضيق شديد حتى ضعفت عن حمله ، فأنيت إلى الشيخ أبي الحسن رضى الله عنه ، فلما أحس بي . قال : أحمد . قلت : نعم ياسيدى .

قال : ه آدم خلقه الله بيده ، وأسجد له ملائكته ، وأسكنه الجنة نصف يوم - خمسمائة عام - ثم نزل به إلى الأرض ، والله ما نزل الله بآدم إلى الأرض لينقصه ولكن نزل به إلى الأرض ليكمله ، ولقد أنزله إلى الأرض من قبل أن يخلقه بقوله تعالى : (إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً) .

وما قال في الجنة ولا في السماء ، فكان نزوله إلى الأرض نزول كرامة لا نزول إهانة ، فإنه كان يعبد الله في الجنة بالتعريف ، فأنزله إلى الأرض ليعبده

(٣٠) درة الأسرار ص ٥٠ .

بالتكليف ، فلما توفرت فيه العبوديتان استحق أن يكون خليفة ، وأنت أيضاً لك قسط من آدم ، كانت بدايتك في سماء الروح في جنة المعارف فأنزلت إلى أرض النفس لتعبده بالتكليف ، فلما توفرت فيك العبوديتان استحققت أن تكون خليفة ، (٣١)

٩- (تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنْ الْمَصَابِحِ) .

أتراهم منع جنوبيهم عن مصابيح النوم ، وترك قلوبهم مضجعة وساكنة لغيره ؟ بل رفع قلوبهم ، ولا يضاجعون بأسرارهم شيئاً ! فافهم هذا المعنى :

(تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ) عن مضاجعة الأغيار ومنازعة الأقدار .
(يَذْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفاً وَطَمَعاً) : فالخوف منه قطعهم عن غيره ، وبالشوق إليه أطعمهم فيه .

(وَمِمَّا زَوَّجْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ) ولو وسعني بسط الكلام ههنا لكنت لك سجلات . لكن الحق قهر القلوب بقدرته ، وأمنعها بحكته . وأغناها بمناجاته عن مخاطبة خلقه !

١٠- من سوء الظن بالله أن يستنصر بغير الله من الخلق . قال تعالى : (مَنْ كَانَ يَظُنْ أَنَّ لَنْ يَنْفُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لِيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَ كَيْدُهُ مَا يَكِيدُ) .

١١- إذا عرض لك عارض يصدك عن الله فأنبت ، قال الله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَقِيسُ فِتْنَةً فَأْتُوا بَذِكْرِكُمْ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُونَ) .

١٢- من التفاق : التظاهر بفعل السنة ، والله يعلم منه غير ذلك . ومن الشرك بالله : اتخاذ الأولياء والشفعاء من دون الله .

(٣١) لطائف اللذ ص ٥٣ ، ٥٤

١٩ - سمعت الحديث المروي عن رسول الله ﷺ :

« من سكن خوف الفقر قلبه قل ما يرفع له عمل » ، فكنت سنة أظن أنه لا يرفع لي عمل . أقول : ومن يسلم من هذا ، فأريت رسول الله ﷺ في المنام وهو يقول لي : « يا مبارك أهلك نفسك فوق بين خطر وسكن » .

٢٠ - « اعلم » أيدك الله بنور البصيرة ، وصفاء السرية ، أن رسول الله ﷺ قبل له : من أولياء الله بارسول الله ؟ قال الذين إذا رُئوا ذكروا الله . فافهم معنى قوله إذا رُئوا . فاعدل عن رؤية الأجسام إلى رؤية المعاني والأفهام عدولا كاملا عن رؤية البصر العامية التي تقع الشركة فيها مع الأنعام التي لا بصيرة لها . واهتد بنور الله المستودع في القلوب الذي به نظروا واعتبروا ووقفوا وتحققوا ولا تكن مثل أولئك الذين قال الله تعالى فيهم : (وَتَرَاهُمْ يَنْتَظِرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ) .

هذا صريح في أطيب الخلق وأبصرهم ، وبه وينوره وبطيه طاب كل شيء . وإنه لأمر عجيب في إثاره الطيب ، لانفاق العلماء أن راحته أطيب من كل طيب . فافهم وادخل في ميدان معرفته ﷺ تسليماً .

ومالك لا تقول كما قال : « والله ما أكل إلا لنا ، ولا شرب إلا لنا ، ولا نكح إلا لنا . كذلك لا يطيب إلا لنا . فهو إذن أصل كل طيب ، وبها كل معدن . وهو معدن المعادن ، فاقبض من نوره ، واغترف من بحره ، واشرب من معرفته . وتزين بطاعته تكن الأشياء طوع بديك » .

٢١ - العارف من عرف شدائد الزمان في الألفاظ الجارية من الله عليه . وعرف إساءة نفسه في إحسان الله إليه : (فَادْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) .

٢٢ - (وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ) . فسر سهل بن عبد الله هذه التقوى من الحول والقوة ، وعدل عما تزين به البطالون من ظاهر التقوى مع دنس باطنه وهذا صحيح في عبد ظاهر المعاصي

قال الله تعالى : (مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ)

١٣ - مراكز النفس أربعة : مركز للشهوة في الخائفات ، ومركز للشهوة في الطاعات . ومركز في الليل إلى الراحة ، ومركز في المعجز عن أداء المفروضات . (فَأَقْبِلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتَهُمْ وَخُذُوهُمْ وَأَخْصِرُوهُمْ وَأَقْبِلُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ ، فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ ، إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) .

١٤ - من الشهوة الخفية للولئ إرادته النصره على من ظلمه ، وقال تعالى للمصوم الأكبر ﷺ : (فَاضْرِبْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ) .

أي فإن الله تعالى ، قد لا يشاء إهلاكهم .

١٥ - من أحصن الحصون من وقوع البلاء على المعاصي : الاستغفار ، قال الله تعالى : (وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ ، وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبُهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ) .

١٦ - لو علم نوح عليه السلام أن في أصلاب قومه من يأتي يوحد الله ، عز وجل ، ما دعا عليهم . ولكان قال : « اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون » ، كما قال رسول الله ﷺ فكل منها على علم وبينة من الله تعالى .

١٧ - قرأت ليلة قوله تعالى : (وَلَا تَتَّبِعِ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ، إِنَّهُمْ كَرِهُوا عَمَّا عِنْدَكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً) .

فسمت ، فأريت رسول الله ﷺ وهو يقول : أنا ممن يعلم ، ولا أغني عنيك من الله شيئاً .

١٨ - سمعت الحديث الوارد عن رسول الله ﷺ : « إنه ليغان على قلبي فأستغفر الله في اليوم سبعين مرة ، فأشكل على معناه ، فأريت رسول الله ﷺ وهو يقول لي : « يا مبارك ذاك غين الأنوار لا غين الأغيار » .

والشهوات وتحمل نفسه على أنواع الطاعات ، وقد سد الأقن بالدعوى ، وأضاف
المحول والقوة إلى نفسه ، فهذا عبد قد جاوز الحدود وأعظم القرية والعجب ،
فلا يقوم خيره بشره ، والمحققون ينسبون له (٣٢) الأشياء وينظرون إلى البواعث
والخارج . فإذا فقدت النار علموا أن عمله مدخولان . وإذا فقدت البواعث
الصحيحة في الأصول فلا يعتبرون بأعمالهم ، قال الله عز وجل :

(وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا)

فيا مدعى التقوى أين المخرج ؟ فإذا رأيت المخرج « ثمرة لتقواك وذلك » بوعد
الله وضمانه « فأنت على الصواب والخير ، وإذا لم تجد بتقواك إلا تخيراً فمن الصادق
ومن الكاذب ؟

(وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اللَّهُ قِيلًا) . (وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ)

ولا يصح التوكل إلا لمتق . ولا تتم التقوى إلا لمتوكل .

فدققوا النظر في البواعث والأصول والخارج ، والله يحب الصابرين .

٢٣ - جاء في الحديث :

« من شغله ذكرى عن مسألتي أعطته أفضل مما أعطى السائلين » .

فإذا كان الحق سبحانه قد رضى لهم أن يشغلهم ذكره عن مسألته فكيف
لا يرضى لهم أن يشغلهم ذكره والثناء عليه عن الانتصار لنفوسهم .

ومن عرف الله سد عليه باب الانتصار لنفسه ، إذ العارف قد اقتضت له
معرفة ألا يشهد فعلاً لغير معروفه ، فكيف يتنصر من الخلق من يرى الله فعلاً
فيهم . وكيف يدع أوليائه من نصرته وهم قد ألقوا نفوسهم بين يديه مسلمين .

(٣٣) أنى : قد سبحانه .

وستسلمين لا يريد منهم حكماً ، فهم في معاقل غزه تحت سرادقات مجده يصومهم
من كل شيء إلا من ذكره ، ويقطعهم عن كل شيء إلا عن حبه ، ويختارهم من
كل شيء إلا من وجود قربه ، ألسنهم بذكره لهجة ، وقلوبهم بأنواره بهجة ، وطن
لهم وطناً بين يديه ، قلوبهم جامحة في حضرته ، وأسرارهم محققة بشهود أحديته .

٢٤ -

رأيت كاتبي في عليين مع اللامحكة المقرين في نعيم لا أبني عنه بدلا .
فقالوا : سر إلى الزيادة . فسرت معهم ، فدخلت في موطن كرم لا أقدر على

وصفه طامعاً في الشهود فإذا أنا بشهود لا أقدر على وصفه .

فقليل : من كفت جوارحه عن معصيتي . وزيته يحفظ أمانتي ، وفتحت قلبه
لمشاهدتي ، وأطلقت لسان سرو لمناجاتي ، ورفعت الحجاب بينه وبين صفاتي ،
وأشهدته معاني أرواح كلامي ، فقد زخره عن النار وأدخلته جنتي ، وفاز بقربي

وصحبته ملائكتي : (فَمَنْ زُخِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ قَارَى) .

فهذه جنة معجزة لأهل الإيمان البالغ يقيناً ، وسيدخلونها يوم الجزاء بأبدانهم

دوقاً وحساً وعياناً ، ثم أناديتهم بالعبرة والإشارة واللفظ والحقيقة :

(يَا أَيُّهَا آدَمُ لَا يَفْتِنَنَّكَ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكَ مِنَ الْجَنَّةِ) .

٢٥ - الكاملون : حاملون لأوصاف الحق ، وحاملون لأوصاف الخلق . فإن

رأيتهم من حيث الخلق رأيت أوصاف البشر .

وإن رأيتهم من حيث الحق رأيت الأوصاف التي زينهم بها .

فظاهرهم الفقر ، وباطنهم الغنى ، تتلقأ بأخلاق رسول الله ﷺ ، قال

نعالى : (وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى) . أفترأه أغناه بالمال ؟

كلا . وقد شد الحجر على بطنه من شدة الجوع . وأطعم الجيش كله من

صاع ، وخرج من مكة على قدميه ليس معه شيء ، يأكله ذوكيد إلا شيء يواريه

إبط بلال .

استعجال بالهلاك للأعداء وإرادة النصر للأولياء من الشهوة الخفية . ومن ينافع إرادة موله ، وتبع شهوة نفسه وهواه ، وقد أمر المعصوم الأكبر

ونهى بقوله تعالى :

سَبِّحْ كَمَا صَبَّرَ أَوَّلُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ .

تعالى : (فاضبر إن العاقبة للمتقين) .

إن محو الصفات بالصفات ، والأسماء بالأسماء ، وتفریق الذوات لتحقيق ما هو الأول والآخر ، والظاهر والباطن ، فأي شيء كان معه يكون معه أولاً ، وأي شيء كان معه ظاهراً حتى يكون معه باطناً ، فما مخلوق قبلانياته ، وما مضي فمبشيته وإرادته ، وخذ ذلك من قوله تعالى :

خُذُوا اللَّهَ مَأْتِيَاءَ وَنُبِّئْهُ أَمَّا الْكِتَابُ .

العلم الأول وعنه صدر كل علم وكتاب .

وقال رضي الله عنه : إن أردت أن تنظر ببصر الإيمان والإيقان دائماً

الله شاكراً وبفضائه راضياً .

يَكُم مِّن رَّغْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجَاوَرُونَ .

قوات سورة الإخلاص والمعوذتين ذات ليلة ، فلما انتهيت إلى قوله

(مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ، الَّذِي يُّوسِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ) .

بعد ذلك يقال لي : شر الوسواس ، وسواس يدخل بينك وبين

وينسبك أفعالك الحسنة ، ويكثر عندك ذات الشمال ، ويذكرك أفعالك

ويقلل عندك ذات اليمين ، ليعدل بك عن حسن الظن بالله ورسوله إلى

سوء

التي بنفسك على باب الرضا ، واغلق عن عزائمك وإرادتك حتى عن

رويته ، قال الله تعالى : (ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا) .

٢٦ - من التفاف النظار بفعل السنة والله يعلم منه غير ذلك ، ومن الشرك بالله

اغاذ الأولياء والشفعاء من دون الله ، قال الله تعالى :

(مَا لَكُمْ مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ ، أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ) .

٢٧ - العلوم التي وقع الثناء على أهلها وإن جلت ، فهي ظلمة في علوم ذوى

التحقيق وهم الذين غرقوا في تيار بحر الذات ، وغموض الصفات ، فكانوا هناك

بلاهم ، وهم الخاصة العليا الذين شاركوا الأنبياء والرسل ، عليهم الصلاة

والسلام في أحوالهم ، فلمهم فيها نصيب على قدر إرتهم من مورثهم . قال النبي

ﷺ : العلماء ورثة الأنبياء . عليهم الصلاة والسلام .

أي يقومون مقامهم على سبيل العلم والحكمة لا على سبيل التحقيق بالقيام

والحال ، فإن مقامات الأنبياء ، عليهم الصلاة والسلام ، قد جلت أن يلمح

حفاؤها غيرهم .

٢٨ - كل وارث في الميزة الموروثة لا يكون إلا بقدر مورثه فقط ، قال تعالى :

(وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ) كما فضل بعضهم على بعض كذلك

فضل ورثتهم على بعض ، إذ الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أعين للحق وكل عين

شهد منها على قدرها ، وكل ولي له مادة مخصصة .

٢٩ - لا تختار من الأمر شيئاً واختار الاختار . وفر من ذلك المختار فوارك من كل

شيء ، إلى الله تعالى : (وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ) .

وكل مختارات الشرع وتربيته فهي مختار الله ، وليس لك منه شيء ، ولا بد

لك منه ، واسع وأطع ، وهذا موضع الفقه الرباني والعلم الإلهي ، وهي أرض لعلم

حقيقة المأخوذة عن الله تعالى ، لمن استوى ، فافهم !

٣٠ - وقال رضي الله عنه : هممت أن أدعو على ظالم فنزعنت في ذلك .

فرايت أستاذي رضي الله عنه يقول لي : إن الله إن شأ إهلاك ظالم فلا تستعجل

والشرح . وبين لهم أنهم إذا أسلموا وجههم إليه كانوا في كفالة ورعايته . وكانوا بذلك في أمن وسلام . (ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، الذين أتوا وكانوا يثبُتون ، لهم البشْرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة لا تبدلُ لِكَلِمَاتِ الله ، ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) .

وأراد أبو الحسن أن يسير بحسب استعداده للعروج ، وهو يصف القمة وهم أهل الله وخاصته بهذه الكلمات الجميلة :

« أما أهل الله وخاصته . فهم قوم جذبتهم عن الشر وأصوله . واستعملهم في الخير وفروعه وجب إليهم الخلوات . وفتح لهم سبيل المناجاة . فتعرف إليهم معروفوه . وتجب إليهم فأجبهوه . وهداهم السبيل إليه فسلكوه فهم به وله . لا بدعهم لغيره . ولا يحجبون عنه . بل هم محجبون به عن غيره . لا يعرفون سواه . ولا يجنون إلا إياه . أولئك الذين هداهم الله . وأولئك هم أولو الألباب » اهـ .

وليس كل الناس يستطيع ذلك ، ولا يطمع أبو الحسن أن يصل بهم جميعاً إلى هذا ، ولكن إذا كانت طبيعة الأمور تأتي التسوية في الطباع فلأنها لا تأتي إشاعة جو من النور والعبودية والإخلاص يقبس منه كل بحسب استعداده .

ونحسن بنا قبل رسم الطريق الصوفي أن نتحدث عن التصوف في رأي أبي الحسن ، يقول رضى الله عنه :

التصوف تدريب النفس على العبودية . وردّها لأحكام الربوبية .

وهذا التعريف يشبه التعريف الذى ذكره الخلدی المتوفى سنة ٣٤٨ هـ للتصوف وهو : طرح النفس في العبودية والخروج من البشرية ، والنظر إلى الحق بالكلية .

ويشبه التعريف الجميل للتصوف الذى ذكره روم « المتوفى سنة ٣٠٣ هـ »

وهو : استرسال النفس مع الله تعالى على ما يريد .

٦ - الطريق الصوفي

إن كلمة الإسلام التى وضعت اسماً للدين عند الله ، الدين الذى لا يقبده رمت ، ولا يجده مكان ، تتضمن في مفهومها الكرم المعاني الأخلاقية السامية ، فمنها تعنى إسلام الوجه لله ، وتوسع لأقصى ما يتطلبه الذاهب الجهد في السير إلى الله ، فقد مثل رسول الله ﷺ - في حديث صحيح من مرويّات الإمام مسلم - عن لإسلام فقال صلوات الله وسلامه عليه : « أن يسلم لله قلبك ، وأن يسلم المسلمون من لسانك ويديك » .

وإسلام القلب لله إسلاماً كلياً على قدر الاستطاعة التى تناسب كل فرد ، والتى تختلف في الأفراد لاختلاف طبائعهم ، إنما هو هدف الصوفي .

ولقد كان إسلام القلب لله هدف أبي الحسن ، هدفه لنفسه . وهدفه لآخرين ، وهو حينما وصل في مجاهداته إلى إسلام قلبه ، لمولاه حاول ما استطاع أن يصل باتباعه إلى ذلك ، فأخذ يشير بكل ما يؤدى إلى هذا المعنى .

والجو الذى يعيش فيه أبو الحسن إذن إنما هو جو :

عبودية : وهل العبودية إلا إسلام الوجه لله ؟

وتوكل : وهل التوكل إلا التعبير عن إسلام الوجه لله ؟

وإخلاص : وماذا يكون إسلام الوجه لله إن لم يكن على الإخلاص . وإن لم يشر الإخلاص ؟

وحجة : وهل يتأتى إسلام الوجه لله إلا عن الحجة له تعالى ؟ ..

وإسلام الوجه لله يسبقه ويرافقه الذكر والعبادة .

وأخذ أبو الحسن يقود الناس إلى إسلام الوجه لله بالثال والقنوة ، وبالخلب

وهذه التعريفات للتصوف إنما هي تعريفات بالوسيلة ، أى أنها على الخصوص تعريف للطريق الذى يؤدى إلى الغاية ، وليست تعريفاً للغاية .

ومن أجل أنها تعريف للطريق أتى تعريف « الصوفى » فى رأى أبى الحسن متساقطاً لتعريفه للتصوف فهو يقول عنه : الصوفى فيه أربعة أوصاف :

(أ) التخلق بأخلاق الله عز وجل .

(ب) المجاورة لأوامر الله .

(ج) ترك الانتصار للنفس حياءً من الله .

(د) ملازمة البساط بصدق البقاء مع الله .

وما من شك فى أن هذه الأحاديث عن التصوف ، وبعبارة أدق عن الطريق الصوفى ، تتساوى وتتكامل مع ما يتحدث به أبوالحسن عن الصديقين ، وعن قريهم من الحق سبحانه ومشاهداتهم فى الملأ الأعلى ، وبذلك تكمل الصورة عن التصوف وهى :

١ - تصفية للنفس كوسيلة .

٢ - وقرب ومشاهدة كغاية .

والتصوف يتضمن الوسيلة والغاية ، أو الطريقة والحقيقة .

لنأخذ الآن فى رسم الطريق ، ونحن فى رسمنا هذا إنما نرسم على الخصوص « جواً » روحياً ، إننا نحاول نشر عبير ، ونحاول نقث أريج نأمل أن يهبى الله لتنسمه الكثيرين من عباده وأن يهدى له ، ويهدى به .

وستحاول - ما أمكن - رسمه بأسلوب أبى الحسن نفسه ونرجو من الله التوفيق :

١ - الإخلاص :

يقول الله تعالى : (أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ) ، وهو سبحانه أَعْلَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشُّرْكِ وَمَنْ أَجَلْ ذَلِكَ لَابِدٍ مِنَ الْإِخْلَاصِ ؛ وهو فى ذروته .

« نور من نور الله استودعه قلب عبده المؤمن فقطعه به عن غيره ، فذلك هو الإخلاص الذى لا يطلع عليه ملك فىكتبه ، ولا شيطان فىفسده ، ولا هوى يميله » .

والى ذلك الإشارة بقوله ، عز وجل ، فيما يحكى عنه جبريل عليه السلام لرسول الله ﷺ : « الإخلاص سر من سرى استودعته قلب من أحببت من عبائى » .

والإخلاص على ضربين :

(أ) إخلاص الصادقين .

(ب) إخلاص الصديقين .

فإخلاص الصادقين : لطلب الأجر والثواب (٣٣) .

وإخلاص الصديقين : وجود الحق مقصوداً به ، لاشئ غيره ، ولا شئ من غيره .

ويتحدث أبو الحسن عن صفات المخلصين فيقول :

رجال جيلهم على حسن عبوديته ، وأخلصهم لإخلاص توحيد ربوبيته ،

وإتباع شريعته ، فيما منع أسرارهم بأنوار حضرة ، وأمد أرواحهم بمعاني المعارف ،

وخصائص عنايته ، وأجال عقولهم فى عظمتة . وزكى نفوسهم فأحرزها وأخرجها

من ظلمة الجهل ، وهداهم بنجوم العلم وشمس معرفته ، وأبد عقائدكم ببرهان

كتابه وستة. وبما عزاهم بتحقيق غلبة مشيئته. وطوى لورادتهم بتيقن وقها على إرادته وزينهم بزينة الزهد. وحلية التوكل. وشرف الورع. ونور العلم. وضياء المعرفة. وألمهم لفضله وطوله. وتولاهم فأغناهم به عن غيره.

وجعل منهم مفاتيح لقلوب الرعي. وبنابيع الحكمة الكبرى يتلقونها شرعاً ويلقونها لأهلها سرّاً وجهراً. ومنهم من سزته الأقدار. وحجته عن الأغيار.

ليفرّد بالتمكن في حقيقة الأسرار. تعرف كلاً بسياهم. باطنهم مع الحق وظاهرهم مع الخلق. فهم هم. ولا هم هم في الوجود. بوصف الغناء ظاهرين. صفوا

وافترقوا في سيرهم سنناً. ظاهرهم الفقر وباطنهم الغنى. يتخلقون بأخلاق نبيهم ﷺ كما قال العلي الأعلى: (وَجَعَلَكَ عَائِلاً فَأَعْتَى)

أفترأه أغناه بالمال؟ كلا، وقد شد الحجر على قواده، وأطمع الجيش من صاع، وخرج من مكة على قدميه ﷺ، وركب فوق البراق وعرج به إلى السماء

العلا إلى سدرة المنتهى، ورأى ما رأى، ما كذب الفؤاد ما رأى. فانظر إلى حال الغنى في الوصفين. واشهد شرف أوصافه في الحالين. فإن قلت

بشر؟ قلت نعم لا كالشر، كما تقول في الباقوت حجر لا كالحجر. وفي العباد نبي ورسول يدعو بالحق إلى الحق. فأعطى الأولياء منه ميراثاً من

النبيين بين الخلق. إذ هم قوم أخذوا في التأمي بجد وإتيان. واعتقدوا قول: كان الله ولا شيء معه، وهو الآن على ما هو عليه كان، وأقاموا في مقام التوحيد، على

قدم التجريد من حظوظ النفس وملاحظة الحظوظ، واقتداء بالسلف رضى الله عنهم. هذا قصد القوم، وأصل في الإخلاص والتخصيص فيما لو نظرت إلى

حقيقة ذلهم واقفارهم الذي هو عين العز والغنى بمولاهم، اشتد تحقيق حالهم إلا على ولي في نهايته، أو صديق ولو في بدايته، لأن غايات الأولياء بداية

الصدقين.

فخذ السر جهراً إليك، واحبس عليه بكلتا يديك. ولا تكثر بحسادك فقد قال نبيه عليه السلام: (قل أعود بربّ الفلق). حتى قال له: (ومن شرّ حاسدٍ إذا حسد). ولا تسألني أن أقطعك عليك، فكانه عز وجل يقول له: سلتني أن

أفكك شر حسادك ولا تسألني أن أقطعهم عنك، فإن الحساد مع النعم، ولا بد من نعمة عليك فأنس بامسكين إن أردت الشفاء. قلله أن يقع بكشف خطاب

ولا تطمع أن يقع مع الحجاب.

٢- التوبة :

وأول ما يبدأ به المريد السالك إلى الله الذي يريد إسلام وجهه إليه إنما هو التوبة. وتبدأ التوبة بالاستغفار. وحقيقة الاستغفار ألا يكون لك مع غير الله

لزار. وهو بهذا الوضع أمان للمستغفر من عذاب الله. قال تعالى: (وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبُهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ).

٣- النية :

ولابد في كل عمل يأتيه الإنسان - بل كل أمر يتركه - من النية. ومن الإخلاص في النية، وذلك لكي يقرب الأجر والثواب من الله على العمل،

ويقول ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو

امرأة ينجسها، فهجرته إلى ما هاجر إليه». والنية، والقصد. والعزم. والإرادة. والمشية. كل ذلك بمعنى واحد،

أوجب أن يكون بمعنى واحد. وحقيقة النية عدم غير النوى عند الدخول فيه. وكما لها استصحاب ذلك على

كمال . ووقت النية عند افتتاح العمل . وكيفية ارتباط القلب مع الجوارح يقول عليه السلام : « من صلحت نيته صلح عمله » .

فحسن النية فيما بينك وبين الله يتوجيه القلب بالتعظيم لله . والتعظيم لأمر الله والتعظيم لما به أمر .

وفيما بينك وبين المباد توجيه النفوس بالنصيحة لهم . والقيام بالحقوق . وترك المحظوظ ونبد العوارض مع الصبر لله والتوكل على الله (٣٢) .

ومهما يكن من شيء فإنه بمقدار الإخلاص في النية يكون الثواب ويكون الذوق .

٤ - الطريق القصد إلى الله تعالى :

والطريق القصد إلى الله تعالى أربعة أشياء ، من حازها فهو من الصديقين المحققين ، ومن حاز منها ثلاثاً فهو من الأولياء المقربين ، ومن حاز منها اثنتين فهو من الشهداء الموقنين ، ومن حاز منها واحدة فهو من عباد الله الصالحين .

أولها : الذكر وبساطة العمل الصالح . وثمرته النور .

وثانيها : التفكير . وبساطة الصبر . وثمرته العلم .

وثالثها : الفقر (٣٥) وبساطة الشكر وثمرته المزيد منه .

ورابعها : الحب . وبساطة بغض الدنيا وأهلها (٣٦) . وثمرته الوصل بالخير .

(٣٤) حدة الاسرار ص ١٥٤ .

(٣٥) الفقر عما سوى الله إلى الله .

(٣٦) بغض الدنيا على أنها شهوات ، وبغض أهل الدنيا اللاحقين المائتين .

٥ - الحلوة :

وأخذاً في هذا الطريق القصد إلى الله . وتدعيماً للتوبة . وتثبيتاً للإخلاص . بحسن أن يخلو الإنسان وره فترة من الزمن . هي فترة العزلة . أو فترة الخلوة . أو فترة الكهف . أو فترة الغار . يلازم فيها : والذكر والمراقبة والتوبة والاستغفار .

ومهما خالط سره شيء من ذنب أو عيب ، أو نظر إلى عمل صالح أو حال جميل ، فيجب عليه المبادرة إلى التوبة والاستغفار من الجميع ، أما من الذنب فواجب شريعاً ، وأما من غيره فاعتباراً باستغفار النبي عليه السلام تسليماً بعد البشارة واليقين بمغفرة ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، هذا من معصوم لم يقترف ذنباً قط فما ظلك بمن لا يخلو من ذنب أو عيب في وقت من الأوقات .

أما ثمرة العزلة فهي الظفر بمواهب الله وهي أربعة : كشف الغطاء ، وتنزل الرحمة ، وتحقيق الحجة ، ولسان الصدق في الكلمة ، قال الله تعالى : (قَلَّمَا اعْتَدَلْتُمْ وَمَا يُعْتَدِلُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا) .

٦ - الجهاد :

ولابد للمريد من الجهاد .

لا بد له من جهاد العدو ، ومن أراد ألا يكون للشيطان عليه سبيل فليصح الإيمان والتوكل ، والعبودية لله ، وليستعذ به سبحانه ، قال تعالى :

(إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ) .

وقال تعالى : (إِنْ عَادَى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ) .

٤- ومركز في العجز عن أداء الفروضات .

(فَاَقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ . وَخَذُوهُمْ وَاقْضُوا لَهُمْ كُلَّ مَرَدٍّ) .

وإذا أردت جهاد النفس فاحكم عليها بالعلم في كل حركة (٣٩) واضربها بالخوف عند كل خطرة واسجنها في قبضة الله أيها كنت . واشك عجزك إلى الله كلما غفلت ، فهي التي لم تقدرها عليها قد أحاط الله بها . فإن سخرت لكم في قضية

نجدد أن تذكروا نعمة الله عليكم وتقولوا :

(سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ) .

ومها يكن من شيء فإن موت النفس يكون بالعلم والمعرفة والافتداء بالكتاب والسنة ، وعلاج من انقطع عن المعاملات ولم يتحقق بمقتضى المشاهدات أربعة : طرح النفس على الله طراحاً لا يصحبه الحول والقوة ، والتسليم لأمر الله تسليماً لا يصحبه الاختيار مع الله . هذان علاجان باطنان .

وإذ الجوارح عن المخالفات ، والقيام بحقوق الواجبات . وهذان علاجان ظاهران .

ثم يقعد على بساط الذكر بالانقطاع إلى الله عن كل شيء سواه لقوله تعالى : (وَادْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبْتَغِ إِلَيْهِ مَخِيلًا) .

٨- الدنيا :

وحينما يذكر الشيطان ، وتذكر النفس ، فإنه تذكر الدنيا . والدنيا التي لا حساب عليها في الآجل . ولا حجاب معها في العاجل هي التي

(٣٩) أي جعل حركاتها تابعة للعلم بما يجب عمله أو يجب تركه .

وقال تعالى : (وَ

الْعَلِيمِ) . ولعلك تسأ

بالشكر على النعم

أما صحة التوكل

بالملك الحق ، ولازم

قال الله تعالى :

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا

أما تصحيح العبد

وحقيقتها أنها فقر بالنس

سبحانه . ومهما يكن

١- إما أن تجل

٢- أو مفكراً

٣- وإما أن تج

٤- وإما أن تج

٧- النفس :

والحديث عن الش

١- مركز للشهر

٢- ومركز للش

٣- ومركز في

(٣٧) أي النزغات

(٣٨) ونسيان الخلق

الوحيد هو الله .

الشيطان تَزَعَّ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ ، إِنَّهُ هُوَ السَّيِّعُ

سبح الإيمان فاعلم أنه :

البلاء ، والرضا بالقضاء .

لنفس (٣٧) ، ونسيان الخلق (٣٨) ، والتعلق

عارضك عارض يصدك عن الله فائت .

فَاتَّبِعُوا وَادْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) .

الفكرة عن حقيقة الصفات الإنسانية .

وعجز بالنسبة إلى قوته ، وذلك في مقابلة عزه

مجازي الشيطان أربعة :

تربك إلى الله فتأثبه .

يجتنبه .

سبق من حسن عملك فتشكر وتستغفر .

سبق من ذنوبك فتستغفر وتشكر .

يث عن « النفس » ومراكز النفس أربعة :

يا الله ، يا ولي ، يا نصير ، يا غني يا حميد ، أعوذ بك من دنيا لا يكون فيها نصيب لوجهك ، ومن عمل آخره يكون فيها حظ لعيرك .

وأعوذ بك من كل حركة تعرى من الاقتداء بسنة رسولك ، ومن كل ضرورة لا تؤدي إلى حقيقة معرفتك .

واعكف قلبي في حضرتك ، واغتنى عن رعايتي برعايتك ، إنك على كل شيء قدير (٤١) .

٩- العبودية :

وإذا أكرم الله عبداً في حركاته وسكناته نصب له العبودية لله ، وسر عنه حظوظ نفسه ، وجعله يتقلب في عبوديته ، والحظوظ عنه مستورة مع جريان ما قدر له منها ، ولا يلتفت إليها كأنه في معزل مشغول عنها .

وإذا أهان الله عبداً في حركاته وسكناته نصب له حظوظ نفسه ، وسر عنه عبوديته ، فهو يتقلب في شهواته ، وعبوديته لله عنه بمنزل ، وإن كان يجري منها شيء في الظاهر .

والعبودية هي امتثال الأمر واجتناب النهي ، ورفض الشهوات والمشيئات ، فمن وصل بتطهير قلبه عن الشيطان والنفس والدنيا وبكثرة الذكر إلى العبودية فقد ظفر بجبر عديم .

١٠- الطاعات :

والعبد الذي أكرمه الله بالعبودية يؤدي كل طاعة في وقتها ذلك أن لكل وقت

لا إرادة لصاحبها فيها قبل وجودها . ولا معها لما مع وجودها . ولا ألفة عليها عند فقدانها .

والحر الكريم من يأخذها منه على المواجهة وبدعها به على المواجهة ، لا أثر للأغيار على قلبه ، هذا ما يقوله الشاذلي عن الدنيا ، وكل ما تریده الصوفية إنما هو الابتعاد عن أن يكون الإنسان عبداً للدنيا ، ولا مانع عندهم أن يكون الإنسان من أصحاب الملايين إذا لم يكن قلبه متعلقاً بالدنيا في إقبال أو إقبال ، وجهتهم تحق الآلة القرآنية الكريمة : (لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم) . ومع أننا نحمدنا عن « الدنيا » في نظر الصوفية فإننا نريد أن نزيد الأمر وضوحاً ، وذلك لأنه يلتبس دائماً الأمر في موضوعها عند الصوفية على كثيرين .

إن الدنيا المقنونة عند الصوفية إنما هي الدنيا التي تشغل وتلهي وتستعبد ، إنها الشهوات والتزعات والأهواء ، إنها اللعب واللهو والغفلة عن الله .

أما امتلاك المال ، واقتناء العقار ، والثراء عريضاً أو غير عريض ، فلا مانع منه عند الصوفية إذا خلا من المضار ، يقول أبو الحسن ضارعا إلى الله داعياً :

اللهم وسع أرزاقنا ، وكثر أضيافنا . واجعلنا من المتقين في سبيل مرضاتك قصداً بلا إسراف ولا تقتير . ووقفنا لذلك ، واحداً نهدايتك ، وأخلصنا بإخلاصك عن إخلاصنا وقتنا من الشح والبخل والمن ، ومن التهمة في الرزق (٤١) .

وقال رضي الله عنه : اعرف الله ثم استزقه من حيث شئت غير مكب على حرام . ولا راغب في حلال .

ومن الدعاء الجميل لأبي الحسن . الدعاء الذي يستنتج منه الإنسان الرأي لحقيق للصوفية فيما يتعلق بالدنيا . قوله :

سهماً في العبودية يقتضيه الحق منك بحكم الربوبية ، فلا تؤخر طاعة وقت لوقت متعاقب بفوتها أو بفوت غيرها .

وقائدة الطاعات والمحافظة عليها لا تنتكر ولقد قيل لأبي الحسن مرة :

ما الذي استغفرت من طاعتي ، وما الذي استغفرت من معصيتي . فقال :

استغفرت من الطاعة العلم الزائد والنور النافذ والحقبة .

واستغفرت من المعصية : الغم والحزن والخوف والرجاء .

وعليك أيها الأخ بالمطهرات الخمس في الأقوال ، والمطهرات الخمس في

الأفعال ، والتبصر من الحول والقوة في جميع الأحوال ، وغص بعقلك إلى المعاني

لقائمة بالقلب ، واخرج عنها وعنه إلى الرب ، واحفظ الله يحفظك ، واحفظ الله

نحده أمانك ، واعبد الله بها وكن من الشاكرين .

والمطهرات الخمس في الأقوال : سبحان الله ، والحمد لله . ولا إله إلا الله .

والله أكبر ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

والمطهرات الخمس في الأفعال هي : الصلوات الخمس ، والتبصر من الحول

والتقوى هو قولك : لا حول ولا قوة إلا بالله ، وإيمانك بها .

١١ - درجات ودرجات :

ومن علم اليقين بالله ، وبمالك عند الله أن تتعاطى بين الخلق مالا تصغر به عند

خلق وإن صغرت به في أعين الخلق بلا اعتراض من الشرع ولا منازعة من الطبع .

بل من عين اليقين نسيان الخلق عند هجوم الشدايد وتتابع القوايد بسواطع

نشواهد .

بل من حق اليقين الفرق في الشيء كأنك نفس الشيء . كمن اضطرب إلى رؤية

بحر فركبه . وانكسرت سفينته فتلاطمت عليه أمواجه ، فنهزم بعد من يفنى

ويذهب مع الداهيين وينقل إلى درجات عليين .

ومنهم من يجيا ويبقى مع الباقيين ، لاحظ للمقتدى فيه بل هو مستور عن الخلق

أجمعين . ومنهم من يجيا ويبقى مع الباقيين . لاحظ للمقتدى فيه بل هو في

الوصفين ، قلدوة للقليل . ومنهم الإمام الأكبر الفرد القطب القوث الجامع المختص

بالأسماء والصفات والأنوار والأخلاق ، وما لا يسع أن يسمعه سامع .

ومن دونهم ممن لا درجة له مع الأولياء والأقبياء والعباد والزهاد ومن أهل

النظر بالدليل والبرهان ، ولم يطلع بعد على الكشف والبيان .

ومن دونهم أهل الوسائل بالأعمال والأحوال . وأهل التخليط في الأقوال

والأفعال . (ومن يُهن الله فما له من مكريم . إن الله يُفعل ما يشاء) .

١٢ - الذكر :

وعلى المرید السالك الأخذ في الذكر :

و عليك أيها الأخ بالذكر الموجب للأمن من عذاب الله في الدنيا والآخرة

وتمسك به وداوم عليه ، وينصح أبو الحسن بالإكثار من صيغة من الذكر وهي :

الحمد لله ، واستغفر الله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

ويقول رضي الله عنه : اجتمع بين هذه الأذكار الثلاثة في عموم الأوقات

وداوم عليها تجد بركتها إن شاء الله . فإذا ما فرغ الإنسان لسانه للذكر ، وقبله

للذكر . وبدنه لتابعة الأمر فهو من الصالحين .

ويرى الصوفية أنهم مها أشادوا بالذكر ، وتحدثوا عن نواته ومزاياه فأنهم

لا يوفونه حقه . إنهم يرون أنه - بعد التوبة والإخلاص - الباب إلى التزقي في

الدرجات وقطع المنازل وطى المسافات إلى المعارج والفرجات وإلى الفتح

والإلهامات .

يقول الإمام القشيري :

الذكر ركن قوى في طريق الوصول إلى الحق سبحانه وتعالى ، بل هو العدة في طريق القوم . ولا يصل أحد إلى الله إلا بدوام الذكر .

ومن أجل ذلك كان اهتمام أبي الحسن بالذكر كبيراً ، وكان ماروى عنه في ذلك كثيراً .

ولقد حاولنا - في الحدود المحدودة بالنسبة لحجم هذا الكتاب - أن نذكر ، في الفصل الذي عقدناه عن الذكر ، إشراقات مختارة من ذلك لعل الله ينفع بها .

١٣ - الورع :

وإذا ما كان الذكر كانت الأحوال وكانت المقامات . فمن ذلك الورع .

والورع نعم الطريق لمن عجل مبراته وأجل ثوابه .

فقد انتهى بهم الورع إلى الأخذ من الله وعن الله ، والقول بالله ، والعمل لله .

وله على البيئة الواضحة والبصيرة الفائقة .

هم في عموم أوقاتهم وسائر أحوالهم لا يدبرون ولا يختارون ولا يريدون

ولا يتفكرون ولا ينظرون . ولا ينطقون . ولا يمشون ولا يتحركون

... له من حيث يعلمون . هجم بهم العلم على حقيقة الأمر فهم مجموعون في

جميع لا يتفكرون فيها هو أعلى . ولا فيما هو أدنى . وأما أدنى الأدنى فالله

يرغمهم عنه ثواباً لورعهم مع الحفظ لمانزلات الشرع عليهم . ومن لم يكن لعلمه

رغمه ميراث فهو محجوب بدنياً أو مصروف بدعوى ، وميراثه التعزز لخلق

... منكر على مثله . والدلالة على الله بعلمه . فهذا هو الحصران المبين والعياذ بالله

مع من ذلك .

وكم يكرهون عن هذا الورع ويستعينون بالله منه . ومن لم يزد بعلمه

وعمله افتقاراً إليه وتواضعاً لخلقهم فهو هالك . فسبحان من قطع كثيراً من الصالحين

صالحهم عن مصلحتهم كما قطع كثيراً من المفسدين بفسادهم عن موجدتهم .

فاستغنى بالله أنه هو السميع العليم ^(١٢) .

١٤ - الزهد :

وحقيقة الزهد فراغ القلب مما سوى الرب تبارك وتعالى .

١٥ - التوكل :

والتوكل صرف القلب عن كل شيء سوى الله ، وحقيقته : نسيان كل شيء

سواه . وسره وجود الحق دون كل شيء تلقاه . وسره سره . ملك وتمليك لما يجبه

ويرضاه ^(١٣) .

ولا يصح التوكل إلا لمتق . ولا تتم التقوى إلا لمتوكل ^(١٤) .

١٦ - الرضا :

ومن ذلك الرضا : الرضا عن الله ، وعن قضاء الله ، لا عن النفس . يقول

أبو الحسن : لقي بنفسك على باب الرضا . وانخلع عن عزائمك وإرادتك .

^(١٥) يعلق ابن عطاء الله على ذلك فيقول : فانظر فهمك الله سبيل أوليائه . ومن عليك بمثابة أحيائه .

هذا الورع الذي ذكر الشيخ رضي الله عنه . هل كان فهمك يصل إلى مثل هذا النوع من الورع الأخرى قوله :

فقد انتهى بهم الورع إلى الأخذ من الله وعن الله والقول بالله والعمل لله وبالله على البيئة الواضحة ، والبصيرة

الفائقة ، فهذا هو ورع الإبدال والصديقين لا ورع المتشبهين الذي ينشأ عنه سوء الظن وغلبة الوهم .

^(١٦) درة الأسرار ص ٤٨ .

^(١٧) درة الأسرار ص ٥٨ .

ور ، والحق .

ولست تنال

لك القيام بمقها

ل للهي هناك

ايح الصالحين ،

ك أو مات فإن

ك أو مات فقد

به فيمن تحب ،

اجب والمندوب

عن كل شيء

را به على نفوسهم إذا

ب العالية من غير أن

دقين ، وقال هنا :

حقيقة إيمانك) . لا

ولا من هو مصر على

لغوى بغوايته ، وقال

إن في دائرة الرب ،

هل رضا الله في تركه

مأنت فيه من أفعال

ل حالة وعمل هزها

بل تغلف بالحق على

الحق وزعن الباطل .

والحق لا يزعم الحق .

واحدة ، والفضالة ، والطاعة ، والمعصية ، والعد

والباطل ، فإذا ميزت وأحييت ، وأبغضت فأحب له ،

بأبها كنت ، وقد يجتمع لك الوصفان في شخص واحد

جميعاً ، فإذا قد بان لك الحب في العشرة الأولى فإذ

أزاً ، فكذلك فاعترحب من حضر من إخوانك الصادة

والعلماء المهتدين وسائر من حضر ، ومن لم يحضر ممن

وجدت قلبك لامتعلق له بمن حضر كما لامتعلق له بمن

خلص الحب من الهوى وثبت الحب لله ، وإن وجدت ،

أو فها تحب فارجع إلى العلم واقتن النظر في الأقسام الخ

إليه ، والمكروه ، والمحذور ، والمباح (٤٥) .

وقال الشيخ رضي الله عنه : الحجة آخذة من الله

(٤٥) ويقول ابن عطاء الله معلقاً على ذلك :

واعلم أن قول الشيخ من ثبت ولايته لا يكره الموت ، هذا ميزان أصلاء

دعى فيهم أو ادعوا ولاية الله : فإن من شأن النفوس وجود الدعوى وال

بسلك السبل الموصلة إليها ، ولهذا قال الله سبحانه : (قل هاتوا برهانكم

(حضروا الموت إن كنتم صادقين) . وقال الرسول ﷺ : (لكل

قال لحارثة وكيف أصبحت مؤثماً حقاً ، ولا يجب الموت

نم ، من الخطايا ، وجعل الله نعمي الموت شاهداً للولي بولايته ، وعد

سبحانه : (وأقيموا الوزن بالقسط) ، والموت ميزان على الأفعال والأح

أما الرب فكما تقدم ، وأما الأفعال والأحوال فإذا التبس عليك أمر أن

أو فله ، أو حالة أنت بها لا تدري هل قمت فيها بحق أو قمت فيها بهوى ،

وأحوال ، فكل حالة وعمل يثبت مع تقدير ورود الموت عليها ولم تنزه

الموت فهي باطل : إذ الموت حق ، والحق يميز الباطل ويدسه لقول

الباطل ليسمه فإذا هو زائف) . (قل إن ربي يقذف بالحق علام الغيوب

إن الباطل كان زعوقاً) . وما كنت فيه قائماً بحق لم يوزمه الموت إذ هو

١٧ - الحجة :

والذي نختم به الطريق إنما هو الحجة . والحجة والرضا والزهد والتوكل هي سباط

لكرامة عند أبي الحسن يقول رضي الله عنه : بساط الكرامة أربع :

١ - حب يشغلك عن حب غيره .

٢ - ورضا يتصل به حبك بجه .

٣ - وزهد يحققك بزهد في بريته .

٤ - وتوكل عليه يكشف لك عن حقيقة قدرته .

ويؤثر الحسن كلام جميل عن الحجة ولا يتأني أن يخلو كتاب عنه من ذكرها .

قد نشيخ أبو الحسن رضي عنه : من أحب الله ، وأحب لله فقد تمت ولايته .

رحم على الحقيقة من لا سلطان على قلبه لغير محبوه ، ولا مشيئة له غير

سنة من ثبت ولايته من الله لا يكره الموت ويعلم ذلك من قوله تعالى :

فويل للذين كفروا إن زعمكم أنكم أولياء لله من دون الله فاعلموا أن الله لا يهديهم لشيئاً ولا يوفقهم ليعملوا .

فمنه ومن على الحقيقة لا يكره الموت إن عرض عليه .

يقدر حب الله من لا محبوب له سواه ، وأحب له من لا يجب شيئاً لهواه ،

حب لله من ذاق أنس مولاه .

يضمحل لك الحب له في عشرة فاعتبرها فيها وراءها : في الرسول ﷺ ،

عسرى ، وتقاروق ، والصحاب ، والتابعين ، والأولياء ، والعلماء ، الهداة إلى

عمر ، والشهداء والصالحين ، والمؤمنين .

وسر هزق لأمر بعد الإيمان إلى عشرة أشياء ، إلى السنة ، والبدعة .

في نهارهم : (أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) .
هذه المقامات من : ورع ، وزهد ، وتوكل ، ورضا ، ومحبة ، وغيرها ، إنما هي ثمرة ، الذكر ، التوسس على الإخلاص والتوبة والعبودية والاستقامة ، ولن يترقى المرید إلا بالركن الأساسي في طريق القوم وهو الذكر .

٧- معارج ومراء

ويستج الذكر المعارج والمراء . وهي نتائج الطريق الصوفي والسلوك إلى الله . من أمثلتها عند أبي الحسن :

١- رأيت كأنني مع النبيين والصديقين فأردت الكون معهم ثم قلت : اللهم اسلك لي سبيلهم مع العافية مما ابتليتهم فاتهم أقوى ونحن أضعف منهم .

٢- رأيت كأنني في المحل الأعلى فقلت :
إلهي أي الأحوال أحب إليك ؟ وأي الأقوال أصدق لديك ؟ وأي الأعمال أدل على محبتك ؟ فوفقتني واهدتني .

لا إله إلا الله على النظافة ، وأدل الأعمال على محبته بغض الدنيا والبأس من أهلها^(٤٦) مع الموافقة .

٣- رأيت كأنني واقف بين يدي ربي فقال :
لا تأمن مكركي في شيء وأن أمنتك ، فإن علمي لا يحيط به محيط .

(٤٦) بغض الشهوات والأموال والترغبات فذلك هو الدنيا وبغض أهل الشهوات والأموال والترغبات .

سواه . فزى النفس مائلة لطاعته والعقل متحصناً بمعرفته . والروح مأخوذة في حضرة . والسر مغشوراً في مشاهدته . والعبد يستريد فيزاد . ويفتتح بما هو أعذب من لذبة مناجاته . فيكسب حلال التقريب على بساط القرية . ويمس أبكار الحقائق ونبات العلوم . فمن أجل ذلك قالوا : أولياء الله عراس . ولا يرى العرائس الجرمون .

قال له القاتل : قد علمت الحب !

فما شراب الحب ؟ وما كأس الحب ؟ ومن الساق ؟ وما الذبوق ؟ وما الشراب ؟

وما الرى ؟ وما السكر ؟ وما الصحو ؟

قال : الشراب : هو النور الساطع عن جمال المحبوب .

والكأس : هو اللطف الموصول ذلك إلى أفواء القلوب .

والساق : هو المتولى الأكبر المخصوصين من أوليائه والصالحين من عباده . وهو

الله العالم بالقادير ومصالح أحيائه .

فمن كشف له عن ذلك الجمال وحطى به بشيء نفساً أو نفسين . ثم أرخى عليه

الحجاب . فهو الذائق المشائق .

ومن دام له ذلك ساعة أو ساعتين فهو الشارب حقاً .

ومن توالى عليه الأمر ودام له الشرب حتى امتلأت عروقه ومفاصله من أنوار الله

المخزونة فذلك هو الرى .

وربما غاب عن المحسوس والمقول فلا يدري ما يقال ولا ما يقول فذلك هو

السكر . وقد تدور عليهم الكئوس وتختلف لديهم الحالات فيردون إلى الذكر

والطاعات . ولا يجيبون عن الصفات مع تراحم المقدورات . فذلك وقت

صحوهم واتساع نظريتهم ومزيد علمهم .

فهم بنجوم العلم وقمر التوحيد يتدرون في ليلهم . وشموس المعارف يستضيئون

قل لفلان ابن فلان يقرأ هذه الكلمات ، فمن قالهن تنصب عليه الرحمة
كالطير : الحمد لله الذي بُدئ منه الحمد وإليه يعود كل شيء ، كذلك . لا إله إلا
الله ، اللهم اغفر لي شركي (٤٧) وكفري (٤٨) وتقصيري . واغفر للمؤمنين
والمؤمنات .

١٠ - استأذني بعض الفقهاء في الحضور والسماع ، فهست بذلك ، فرأيت
استاذي رضي الله عنه ، وفي يده اليمنى كتاب فيه القرآن العظيم . وحديث رسول
الله ﷺ . وفي يده اليسرى أوراق فيها مرجز وهو يقول لي كالشهر :

تعدلون عن العلوم الزكية إلى علوم ذوى الأهواء الردية ، فمن أكثر من هذا فهو
عبد مرفوق هواه . وأسير لشهواته ومناه . يستفزون بها قلوب ذوى الغفلة
والنسيان ، وأهل الضلالة والعميان ، ولا إرادة لهم في عمل الخير واكتساب
الغفران . يتأبلون عند سماعها تمايل الصبيان .

لئن لم يته الظالم ليقبلن الله أرضه سماء وسماءه أرضاً .

قال : فأخذني منه حال يوجد وأنا أقول له :

نعم يا استاذي . إلا أن النفس أرضية والروح سماوية .

فقال لي : نعم يا علي ، إذا كانت الروح بأقطار العلوم دارة ، والنفس بالأعمال
الصالحة ثابتة فقد حصل الخير كله ، وإذا كانت النفس غالبية والروح مغلوبية . فقد
حصل القحط والجذب ، وانقلب الأمر وجاء الشر كله .

فعلبك بكتاب الله الهادي : وبكلام رسوله الشافي . فلن تزال بخير ما آثرتها ،

(٤٧) يطلق الشريف على الإشتراك بالله الذي يخرج الشخص عن دائرة الإسلام ويطلق على الظلم بألوانه :

الكبير منها والصغير .

(٤٨) يطلق الكثير على تكرار الجليل وعلى ألوان من المعاصي لا تصل إلى درجة إخراج الإنسان عن

الإسلام .

٤ - رأيت كاتبي أطوف بالكعبة طائلاً من نفسي الإخلاص وأنا أفنث عليه في
سرى فإذا النداء علي :

كم تنددن مع من ينددن وأنا السميع القريب العليم الخير . وتعريفى بعنك
عن علم الأولين والآخرين . ما خلا علم الرسول وعلم النبيين .

٥ - قلت على مصيبة نزلت : (أَنَا اللَّهُ وَإِلَهُ رَاجِعُونَ) . اللهم أجرني في
مصيبتى واعقبني خيراً منها ، فأننى في سرى أن أقول :

فاغفر لي بسببها . وما كان من توابعها . وما اتصل بها . وما هو محشوها . وكل
شيء كان قبلها . وما يكون بعدها .

فقلتها ، فهانت علي ، فلو أن الدنيا كلها كانت لي في ذلك وأصبحت فيها لاهات
علي ، ولكان ما وجدت من برد الرضا والتسليم أحب إلي من ذلك كله .

٦ - وكذب رضي الله عنه إلى الشيخ أبي يحيى :

أما بعد - فإني منذ اثنتي عشرة سنة أغدو وأروح فيما هيا لي من سفر الروح على
عساكر أولياء الله فما مررت بك إلا وجدتك روحاً طيبة تعقلها العقول وتالفها
النفوس ويستريح بها السر ويدعن لها الأمر ويجمع إليها كل مفترق ...

٧ - قرأت ليلة في وردي قوله تعالى :

(كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا قَان ، وَيَتَّقِي وَجْهَ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ) .
فرأيت أبا بكر الصديق رضي الله عنه في المنام . فقال لي : صِلْ من بيني
وامهرج من بيني . نخل وتكرم ، نخل عن الفناء وتكرم بالبقاء .

٨ - كان لي صاحب وكان كثيراً ما ياتيني بالتوحيد . فرأيت في النوم كاتبي أقول
له : يا عبد الله ، إن أردت التي لا لوم فيها . فليكن الفرق على لسانك موجوداً .
والجميع في شرك مشهوداً .

٩ - رأيت رسول الله ﷺ . فقال لي :

وانعدم وجودك فصرت محملاً لا وجود لك البتة ، فذاك محل الفناء والبقاء بعد الفناء .

(ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ) :

٦٣- وقال رضى الله عنه : كنت ذات ليلة متفكراً بالفكرة الغيبية ... فأفادنى الله علماً جليلاً ، وسعيت فى الغيوب سعياً جليلاً . فقلت فى نفسى :

أليس هذا خيراً من الدخول فى الحوائج للخلق مع الخالق . والكون مع الله أتم من الكون فى الحاجات للناس وإن كان مأذوناً فيها شريعاً ؟

فبينما أنا كذلك إذ نمت ، فرأيت كأن السيل قد أحاط بى من كل جهة يحمل الغناء عن يمينى وعن شمالى ، فجعلت أخوض لأخرج منه فلم أرى أنفذ إليه من الجهات الأربع . فاستسلمت نفسى ووقفت فى السيل كالسارية أو النخلة الثابتة ، فقلت فى نفسى :

هذا من فضل الله أن ثبت لهذا السيل ولا يصيبنى شيء من الغناء ، وإذا بشخص جميل الصورة يقول لى :

إن من أحل التصوف التعرض فى الحوائج للخلق واستقضاؤها من الملك الحق ، فما قضاه الله شكرت ، وما لم يقضه رصيت ، وليس قضاؤها الموجب للشكر بأنم من عدم قضائها الموجب للرضا .

وقد علمنى الله علماً قائماً بذات نفسى لا يفارقها ، بل هو لازم لها كالبياض فى الأبيض والسواد فى الأسود ، وهو : الله لا إله إلا هو الواحد القهار ، رب السموات والأرض وما بينهما العزيز الغفار . فانظر الألوهية الفردانية والوحدانية والقاهرة والربوبية والعز والمغفرة . وكيف لف هذا كله فى كلمة واحدة ، إن المغفرة لتتزل على العارف بالله كالسيل الحامل من الغناء ، ويثبت الله فيها وبها من يشاء ولا يصيبه شيء من الغناء .

فانتبهت من نومي وقد وعيت السر العظيم والحمد لله .

وقد أصاب الشر من عدل عنها ، وأهل الحق إذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه . وإذا سمعوا الحق أقبلوا عليه : (وَمَنْ يَقْرَفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا) .

١١- وقال رضى الله عنه : خطر ببالى يوماً أنى لست بشيء ، ولا عندى من المقامات والأحوال شيء . فنفست فى بيت مسك . فكنت فيه غريقاً ، فلدوام غرقى فيه لم أجد له تلك الراحة فقبل لى علامة المزيد فقدان المزيد لعظيم المزيد .

١٢- وقال رضى الله عنه : قيل لى إن أردت رضائى فمن اسمى ومنى لا من اسمك ومنك .

قلت : وكيف ذلك ؟

قال : سبقت اسمائى عطائى . وأسمائى من صفائى . وصفائى قائمة بذاتى .

ولا تمنحنى ذاتى .

وللعبد أسماء دنية ، وأسماء عليية ، فأسماءه العلية قد وصفه الله تعالى بها بقوله : (الثَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْعَامِلُونَ) (١٩) إلى آخرها .

ويقوله : (إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ) إلى آخرها (٥٠) .

وأسماءه الدنية معروفة كالعاصى والذنب والفاسق والظالم وغير ذلك . فكما تمنحنى أسماءك الدنية بأسمائك العلية كذلك تمنحنى أسماءك بأسمائه وصفاتك بصفاته . لأن الحادث إذا اقترن بالقديم فلا بقاء له ، إذا ناديته باسمه كقولك : يا غفور يا تواب يا قريب يا وهاب ، فاستدعيت بها العطاء لنفسك وقد تنزلت لنفسك من أسمائه ، وكذلك إذا لاحظت أسماءك الدنية من المعاصى والظلم والفسق فاشتغلت بسترها ومغفرتها فانت باق مع نفسك .

وإذا ناديته باسمه العلى ولا لاحظت صفته العلية قائمة بذاته محقت أسماءك كلها

(٤٩) سورة التوبة . الآية : ١١٢ .

(٥٠) سورة الأحزاب . الآية : ٣٥ .

٨ - الذكر والدعاء والأحزاب والأوراد

يقول الله تعالى محيياً في الذكر وداعياً إليه بطريقة من أسنى الطرق وأجملها :
(فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ) .

ولقد دعا الله سبحانه إلى الذكر بشئى الطرق . لقد دعا إليه بصيغة الأمر .
ودعا إليه طالباً الإكثار منه . فقال سبحانه :

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ، وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا) .

ودعا إليه سبحانه في جميع الحالات التى يكون الإنسان عليها من قيام ،
أو جلوس ، أو على جنبه : (فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ) .

وجعل سبحانه الذكر إحدى الصفات التى يتحلى بها أولو الألباب :
(إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولَى الْأَلْبَابِ ، الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ) .

وأخبر الله سبحانه أن الذكر علاج للقلق والضيق وامم فقال سبحانه :
(الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ ، أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ) .
على أن الرضا ، وهدهو النفس ، وطمانينة القلب . والسكينة ... إن كل

ذلك يكون نتيجة للذكر . يقول تعالى :
(فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ ، وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ، وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ) .

أما في الآخرة فإنه سبحانه يقول :
(وَالَّذَاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا) .
ولقد حجب رسول الله ﷺ في الذكر بمختلف الأساليب . وبشئى الأنحاء .

١٤ - فتح الله بشئى من الدنيا ففرحت لأستعين أو أعين بها . فجعلت أحمد الله وأشكره : والشكر معرفة قائمة بالقلب . وكلمة قائمة باللسان . فكننت أجمع بينهما . فوظفت على ذلك وقتاً من الليل ونمت . فرأيت استاذى رحمه الله تعالى يقول :

استعذ بالله من شر الدنيا إذا أقبلت ، ومن شرها إذا أدبرت ، ومن شرها إذا أنفقت ، ومن شرها إذا أمسكت .

فجعلت أقول كذلك . فوصل الشيخ كلامى فقال :
ومن المصائب والرزايا والأمراض البدنية والقلبية والنفسية جملة وتفصيلاً بالكلية وإن قدرت شيئاً فاكسنى جلال الرضا والحة والتسليم . ونواب المغفرة والتوبة والإنابة المرضية .

١٥ - رأيت رسول الله ﷺ ، فقلت له :
ياسيدى يا رسول الله ، ادع الله أن يجعلنى رحمة للعالمين .

فقال لى : أنا هو ذلك يا على ، والولى رحمة فى العالمين .

١٦ - رأيت كأن رجلاً جاء إلى فقال لى : إن السلطان يأنى إليك فقل :
اللهم الذى على من زيتك ومحبتك وكرامتك ومن نعوت ربوبيتك ما بهر القلوب ، ونذل له النفوس ، وتخضع له الرقاب ، وتبرق له الأبصار ، وتبتدد له الأفكار ، ويصغر له كل متكبر جبار ، ويسجد له كل ظلوم كفار ، يا الله ، يا مالك ، يا عزيز ، يا جبار ، يا الله ، يا أحد ، يا واحد يا قهار .

في حديث رواه الإمام أحمد ، أن رسول الله ﷺ قال :
« إن الدعاء هو العبادة » ثم قرأ : (ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ . إِنَّ الَّذِينَ

يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ) .

وعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « الدعاء مع العبادة » .
وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « ليس شيء أكرم على الله من

الدعاء » .

الدعاء يرد القضاء :

وروى ابن عمر رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ قال :

« من فتح له باب الدعاء فتحت له أبواب الرحمة ، وما سأل الله تعالى شيئاً
أحب إليه من أن يُسأل العافية ، وإن الدعاء ينفع مما نزل وما لم ينزل . ولا يرد

القضاء إلا الدعاء ، فعليكم بالدعاء » .

وتقول السيدة عائشة رضي الله عنها - فيما رواه البزار والحاكم وصححه - قال

رسول الله ﷺ : « لا يغني حذر من قدر ، والدعاء ينفع مما نزل وما لم ينزل ،

وإن البلاء لينزل ، فينتلقاه الدعاء ، فيعتلجان إلى يوم القيامة » .

وروى الترمذي عن سيدنا سلمان الفارسي : أن رسول الله ﷺ قال :

« لا يرد القضاء إلا الدعاء ، ولا يزيد في العمر إلا البر » .

ولقبول الدعاء شروط منها :

١ - التوبة الخالصة النصوح .

٢ - وتحري الحلال .

فمن ابن عباس ، فيما أخرجه الحافظ ابن مردويه ، نلت هذه الآية عند

النبي ﷺ : (يا أيها الناس كلوا مما في الأرض حلالاً طيباً) فقام سعد بن

وكان هو نفسه قدوة في

يذكر الله على كل أمير

وكلمة « على كل أمير

لذلك ، الأحوال ، فهو

ذلك ، وكان يذكره ق

ويقول ﷺ عن

« أنا عند ظن عبدي

في نفسي ، وإن ذكرني

إليه ذراعاً ، وإن اقترب

هرولة » .

ويرشد ﷺ فيما

« ما عمل آدمي عد

وبيّن ﷺ أن :

والميت . وكما ينال الذ

فإنه ينفع في هذه الحيا

وصححه ، عن ابن ع

« من لزم الاستغفار

ورزقه من حيث لا يحت

والدعاء :

(وَإِذَا سَأَلَ عِبَادَ

وقد أمر الله سبحانه

قول السيدة عائشة رضي الله عنها : كان ﷺ

لغة شاملة ، إنها تعني الأوقات ، وتعني بالبيع

يذكر الله صباحاً ومساءً ، وكان يذكره فيما بين

أما وعلى جنبه .

جل في حديث قدسي رواه الشيخان :

« ما معه حين يذكرني ، فإن ذكرني في نفسه ذكرته

كرته في ملاخيخه منه ، وإن تقرب إلى شبرا تقربت

وأما اقتربت إليه باعاً ، وإن أتاني يمشي أتيته

م أحمد ، إلى أنه :

أنجي له من عذاب الله ، من ذكر الله » .

يذكر ربه ، والذي لا يذكره ، مثل الحي

الله وثوابه ، وكما ينفع الذكر في الدار الآخرة ،

تقول ﷺ فيما رواه أبو داود والنسائي والحاكم

عن الله عنهما :

له من كل هم قريباً ، ومن كل ضيق مخرجاً ،

فإنني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان) .

أن يدعو ، وهلد الذين يستكبرون عن دعائه ،

أبى وقاص فقال : يا رسول الله ، ادع الله أن يجعلني مستجاب الدعوة فقال :
« يا سعد ، أطلب مطعمك تكن مُستجاب الدعوة ، والذي نفس محمد بيده إن
الرجل ليقذف اللقمة الحرام في جوفه ما يتقبل منه أربعين يوماً ، وأما عبد نبت
لحمه من السحت والربا قالنار أولى به » .

أوقات الدعاء :

والدعاء يصح في كل وقت ، بيد أن هناك أوقاتاً وأماكن أرجى في الدعاء من
غيرها ، وقد ذكر رسول الله ﷺ أوقاتاً للدعاء منها ثلث الليل الأخير ، يقول
صلوات الله وسلامه عليه :

« ينزل ربنا كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر ، فيقول :
من يدعوني فأستجيب له ؟ من يسألني فأعطيه ؟ من يستغفرني فأغفر له ؟ »
ولقد سئل رسول الله ﷺ عن أى الدعاء أسمع ؟ فقال :
« جوف الليل الآخر ، ودبر الصلوات المكتوبة » .

وروى مسلم عن أبى هريرة عن رسول الله ﷺ قال :
« أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد ، فأكثروا من الدعاء » .
أما الأماكن الأرجى في استجابة الدعاء ، فإنها الأماكن الطاهرة المباركة ؟
وأشرفها الحرم المكي والحرم المدني .

ومن أجل هذه الأهمية الكبرى للذكر والدعاء في الإسلام استفاد أبو الحسن
في الذكر وفي الدعاء .

وكانت طريقته في أكثر الأحيان أن يمزج الذكر بالدعاء ، وما روى عنه في هذا
الباب كثير مستفيض سواء منها ما يتعلق بالأحزاب أو بغيرها من أبواب الذكر
والدعاء . ولا يتسع المجال لذكرها كلها هنا وسنكتفي ببعض ما ذكره ابن عطاء الله

سكندري في لطائف المتن ، وابن الصباغ في درة الأسرار ، وابن عياد في المفاتيح
عليه .

وعن أحزاب أبى الحسن يقول ابن عياد :

وأحزاب أهل الكمال ممزوجة بأحوالهم ، مؤيدة بعلومهم ، مسددة بإلهامهم ،
مصحوبة بكراماتهم . حتى قال الشيخ أبو الحسن رضى الله عنه في شأن حزبه
كبير : « من قرأه كان له مالنا وعليه ما علينا » .

وقد تقدم بيان ذلك ، واعلم أن أحزاب الشيخ رضى الله عنه جامعة بين إفادة
لعلم وآداب التوحيد . وتعريف الطريقة ، وتلويح الحقيقة ، وذكر جلال الله تعالى
وعظمته وكبريائه ، وذكر حقارة النفس وخساستها ، والتنبيه على خدعها وغوايتها ؛
والإشارة لوصف الدنيا والخلق وطريق القرار من ذلك ، ووجه حصوله ، والتذكير
بالذنوب والعيوب والتنصل منها ، مع الدلالة على خصائص التوحيد وخالصه ،
واتباع الشرع ومطالبه ، فهي تعليم في قالب التوجه ، وتوجه في قالب التعليم ، من
نظرها من حيث العلم وجده كامناً فيها ، ومن نظرها من حيث العمل فهي عينة ،
ومن نظرها من حيث الحال وجده كامناً فيها ، وقد شهد شاهداً بذلك عند
الخاص والعام ، فلا يسمع أحد من كلامها شيئاً إلا وجد زائراً في نفسه ،
ولا يقرؤها إلا كان مثل ذلك ما لم يكن مشغولاً بيلوى ، أو مشغولاً بدنياً ، أو
مصرفاً بدعوى ، أعاذنا الله تعالى من البلاء .

ويقول أبو الحسن ناصحاً الذاكرين والداعين الذين يرحون قبول الله
لدعائهم : إذا أردت أن يستجاب لك أسرع من لمح البصر فعليك بخمسة أشياء :

١ - الامتنال للأمر .

٢ - والاجتناب للنهى .

٣ - وتطهير السر .

اللهم أن تحقق هذا الخلق من قلوبنا ، وأن تجعلهم في أسرارنا كالحباء في الهواء ،
راسلك بنا سبيل أنبيائك وأصفياك ، وأنقيائك في السر والعلانية ، إنك على كل
شيء قدير .

ومن ذكره ودعائه :

يا الله ، يا نور ، يا حق ، يا مبين ، افتح قلبي بنورك وعلمني من علمك ،
واحفظني بحفظك ، وأمعني منك ، وفهمني عنك ، وبصرني بك ، وسبب لي
سبباً من فضلك ، تغني به من الفقر ، وتعزني به من الذل ، وتصلح لي به الدنيا
والآخرة ، وتوصلني به إلى النظر إلى وجهك في جنة الفردوس ، إنك على كل شيء
قدير ، يا نعم المولى ويا نعم النصير .

ومن دعواته :

وقتنا الله وياياكم لما يحبه ويرضاه ، وخار لنا وياياكم فيما قدره وقضاه ، وجعلنا
وياياكم من الفائزين يوم لقاه . اللهم توفنا مسلمين ، وألحقنا بمحمد وحزبه على
الرضا منك ومنهم مع السلامة من الحياء والخجل والذي بما سلف منا من أفعال
الخطئين . اللهم اعذرنا في جهلنا ، ولا تؤاخذنا بفتلتنا عنك ، ولا بسوء أدبنا
مك ومع الملائكة الكرام الكائين ، اللهم اغفر لنا ذنوبنا وغفلتنا وجهلنا بعمك ،
واغفر لنا قلة حياتنا وأقبل علينا بوجهك . ولا تفتنا بشيء من خلقك : إنك على
كل شيء قدير ، اللهم اغفر لنا ما علمه البشر من خلقك ، واغفر لنا ما علمته وكتبته
ملائكتك ، واغفر لنا ما علمناه من أنفسنا ولم يعلمه أحد من خلقك ، واغفر لنا
ما استأثرت به عنا في جميع أحكامك وتفضل علينا بالغنى عن جميع خلقك ،
ورفع الحجاب فيما بيننا وبينك إنك على كل شيء قدير . اللهم اغفر لنا مغفرة

ومِن دُعوِي ، قَالَ لَا تَكُنْ عَهْدِي الظَّالِمِينَ فَاجْعَلْنَا مِنَ الْمُحْسِنِينَ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ وَمِنْ
ذُرِّيَةِ آدَمَ وَنُوحَ ، وَاسْلُكْ بِنَا سَبِيلَ أُمَّةِ الْمُتَّقِينَ وَاللَّهُ بِصَبْرِ الْعَبَادِ . رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ
نَفْسِي ظُلْمًا كَبِيرًا وَلَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ : فَاغْفِرْ لِي وَارْحَمْنِي وَتُبْ عَلَيَّ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ
سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ . وَهَذَا الاسْتِغْفَارُ لَهُ شَأْنٌ عَظِيمٌ وَضِيَاءُ كَرِيمٍ
فَتَنَاولْهُ تَرَعَجًا ، ثُمَّ أَقُولُ : يَا اللَّهُ يَا عَلِيَّ يَا عَظِيمَ ، يَا حَلِيمَ يَا عَلِيمَ ، يَا سَمِيعَ
يَا بَصِيرَ ، يَا مُرِيدَ يَا قَدِيرَ ، يَا حَيَّ يَا قَيُّومَ ، يَا رَحْمَنَ يَا رَحِيمَ ، يَا مَنْ هُوَ يَا هُوَ
يَا أَوَّلَ يَا آخِرَ يَا ظَاهِرَ يَا بَاطِنَ ، تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ . اللَّهُمَّ
صَلِّ بِاسْمِكَ الْعَظِيمِ الَّذِي لَا يَضُرُّ مَعَهُ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ، وَهَبْ لِي
مِنْهُ سِرًّا لَا تَضُرُّ مَعَهُ الذُّنُوبَ شَيْئًا ، وَاجْعَلْ لِي مِنْهُ وَجْهًا تَقْبَلُ بِهِ الْحَوَائِجَ مِنْ
الْقَلْبِ وَالْعَقْلِ وَالرُّوحِ وَالسَّرِّ وَالنَّفْسِ وَالْبَدَنِ ، وَوَجْهًا تَدْفَعُ بِهِ الْحَوَائِجَ مِنَ الْقَلْبِ
وَالْعَقْلِ وَالنَّفْسِ وَالْبَدَنِ ، وَادْرَجْ أَسْمَاءِي تَحْتَ أَسْمَائِكَ ، وَصَفَاتِي تَحْتَ صِفَاتِكَ ،
وَأَفْعَالِي تَحْتَ أَفْعَالِكَ ، مَرِجِ السَّلَامَةَ وَاسْقَاطِ اللَّامَةَ ، وَتَنَزَّلِ الْكَرَامَةَ ، وَظَهِّرِ
الْأَمَانَةَ ، وَكُنْ لِي فِيهَا ابْتِلَاءً بِهَ أَئِمَّةٍ مُهْدِيٍّ مِنْ كَلِمَاتِكَ ، وَاغْنِنِي حَتَّى تَغْنِي لِي ،
وَأُحْيِنِي حَتَّى تُحْيِي لِي مَا شِئْتَ وَمِنْ شِئْتَ مِنْ عِبَادِكَ ، وَاجْعَلْنِي خِزَانَةَ الْأَرَبِينَ ،
وَمِنْ خَالِصَةِ الْمُتَّقِينَ وَاغْفِرْ لِي فَإِنَّهُ لَا يَبَالُ عَهْدُكَ الظَّالِمُونَ ، طَس ، حَم ، عَسْ ،
مَرِجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ . وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ .
(قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ، اللَّهُ الصَّمَدُ ، لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ . لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا
أَحَدٌ) اهـ .

ومن دعائه :

اللهم إلى أسألك بجاه محمد المصطفى ، وإبراهيم الذي وفي ، وبغمرة كل رسول
ونبي ، وصديق وولي وشهيد وصالح وتقي ، وبغمرة الأسماء ، وبالأسماء كلها أسألك

عائله لفضيق الحال :

ن يعلم أصحابه لفضيق الحال فيجدون الفرج والسعة : يا واسع يا عليم
خل العظم . أنت ربي وعلمك حسي ، إن تمسسن بضر فلا كاشف له إلا
وإن ترون بخير فلا راد لفضلك ، تصيب به من تشاء من عبادك وأنت
الرحيم .

عائله :

هم حب لي من النور الذي رأى به رسولك ﷺ ما كان ويكون ، ليكون
وصف سيده لا يوصف نفسه ، غنياً بك عن تجديدات النظر لشيء من
ت ، ولا يلحقه عجز عما أراد من القدورات ، ومحيطاً بذات السر بجميع
الدوات ، ومرتباً للبدن مع النفس وللقلب مع العقل ، وللروح مع السر
مع البصيرة ، والعقل الأول المدد من الروح الأكبر المنفصل عن السر

هم إنا نتوسل بك إليك ، اللهم إني أقسم بك عليك ، اللهم كما كنت دليلي
فكن شفيعي إليك ، اللهم إن حسنتي من عطائك ، وسيتاتي من فضلك
لهم بما أعطيت علي ما به قضيت حتى تمحو ذلك بذلك ، لا لمن أطاعك فيها
فيه له الشكر ، ولا لمن عصاك فيها عصاك فيه له العذر ، لأنك قلت
الحق : (لَا يَسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ) .

هم لولا عطائك لكنت من المالكين ، ولولا قضاؤك لكنت من الفاترين .

الأحباب ، التي لاتدع شيئاً من الارتباب ، ولا يبقى معها شيء
والعتاب ، واجعل ماعلمته فينا ومنا خير معلوم بعد الحق والتبشير ، في
الكتاب . اللهم اغفر لنا ذنوبنا كلها ، دقيقها وجليلها ، سرها وع
آخرها ، واغفر لمن سافر عنا من أحيانا ، سفر الدنيا أو سفر الآ
تقليهم قلب الثقلين ، وإياهم إياب الفاترين ، واجعلنا برحمتك
القبولين . وإن كنا زانقين فإن النقاد يسمعون وإن كانوا عارفين ، فأن
فإنك أكرم الأكرمين ، وأرحم الراحمين ، والحمد لله رب العالمين
ولا قوة إلا بالله العلي العظيم . اللهم لا تخيبنا ونحن نرجوك ، ولا
ندعوك ، وقد دعوناك كما أمرتنا ، فاستجب لنا كما وعدتنا ، ولا تجعل
عليك وغير مقبول . وكما يسر لنا الدعاء فسر لنا الإجابة ، إنك
قدير .

ومن ذكره ودعائه :

يا حي يا قيوم ، لا إله إلا أنت كن لي بجائتك كما كنت لأحبا
عنى بصفائك كما فعلت بأصفيائك واجعلني قيوماً بذلك بالمصصة
فعلت بمحمد رسولك إنك على كل شيء قدير .

إلهي إذا طلبت منك القوت فقد طلبت غيرك ، وإن سألتك ما فر
اتهمتك . وإن سكن قلبي إلى غيرك فقد أشركت بك . جلت أن
الخلو ، فكيف أكون معك . وتزهت عن العال فكيف أكون
وتعالييت عن الأغيار فكيف يكون قوامي بعيرك . اللهم إني أسألك تو
به ضدًا ، وبقينًا لا تنفع به شكًا .

الحق : (فاستجبتا له ونجيتاه من النعم وكذلك نسجى المؤمنين) .
يا الله ، يا جميل ، يا جليل اللطف ، الطيف بي في لطفك الذى لطف به
لأوليائك ، وانصرني بالرعب الشديد على أعدائك ، إنك على كل شيء قدير .

ومن دعائه رضى الله عنه :

يا الله يا فلاح يا عليم ، يا غنى يا كريم ، افتح قلبى بنورك ، وارحمنى
بطاعتك ، واحجبنى عن معصيتك ، وامتن على بمعرفتك ، واغنى بقدرتك عن
قدرتى ، وبملكك عن علمى ، وبإرادتك عن إرادتى ، وبجياتك عن حياتى ،
وبصفائك عن صفاتى ، وبوجودك عن وجودى ، وبدونك عن دنوى ، وبقربك
عن قربنى ، وبجيك عن حجبى ، وبصدقك عن صدقى ، وبحفظك عن حفظى ،
وبنظرك عن نظرى ، وبتدبيرك عن تدبيرى ، وباختيارك عن اختياري ، وبحولك
وقوتك عن حولى وقوتى ، وبجودك وكرمك وفضلك ورحمتك عن علمى وعملى ،
إنك على كل شيء قدير .

وقال :

اللهم إن الدنيا حقيرة ، حقير ما فيها ، وإن الآخرة كريمة ، كريم ما فيها .
وأنت الذى حقرت الحقير وكرمت الكريم ، فأنى يكون كريماً من طلب غيرك أم
كيف يكون زاهداً من اختار لدنياه غيرك . فحققتى بمقتاتك الزهد حتى استغنى بك
عن طلب غيرك ، وبمعرفتك حتى لا أحتاج إلى طلبك ، إلهى كيف يصل إليك من
طلبك ، أم كيف يغفرك من هرب منك ، فاطلبنى برحمتك ، ولا تغفلنى
بقنصتك ، يا عزيز يا متمم ، إنك على كل شيء قدير .

وقال :

اللهم اسلبنى عقلاً يحجبنى عنك وعن فهم آياتك وعن فهم كلام رسولك ،

وأنت أجل وأعظم ، وأعز وأكرم من أن تطاع إلا بإذنك ورضاك . أو تعصى إلا
بمحلك وقضائك ، إلهى ما أظنك حتى رضيت ، ولا عصيتك حتى قضيت .
أظنك بإرادتك والمنة لك على ، وعصيتك بتقليدك والحمية لك على ، فبورجوب
حجتك وانقطاع حجيتى إلا ما رحمتنى ، وبفقرى إليك وغناك عنى إلا ما كفتنى .
يا أرحم الراحمين .

اللهم إني لم آت الذنوب جرأة منى عليك ولا استخفافاً بحقك ، ولكن جرى
بذلك قللك ، وفقد به حلك . وأحاط به علمك . ولا حول ولا قوة إلا بك ،
والعذر إليك وأنت أرحم الراحمين .

اللهم ، إن سمى وهرى ولسانى وقلبى وعقلى ، بيدك ، لم تمككنى من ذلك
شيئاً ، فإذا قضيت بشيء فكن أنت ولي ، واهدنى إلى أقوم السبل يا خير من
سئل ، ويا أكرم من أعطى ، يا رحمن الدنيا والآخرة ، ارحم عبداً لا يملك الدنيا
ولا الآخرة ، إنك على كل شيء قدير .

وقال رضى الله عنه :

بت ذات ليلة في غم عظيم فألهمت أن أقول : إلهى منت على بالإيمان والحمية
والطاعة والتوحيد ، فأحاطت بي الغفلة والشهوة والمعصية ، وطرحتنى النفس في
بحر الظلم ، فهى مظلمة ، وعبدك محزون مهموم مقوم ، وقد التقمه نون الهوى ،
وهو يتناديك نداء المحبوب المعصوم نيك وعبدك يونس بن متى ، ويقول :
لا إله إلا أنت ، سبحانك . إني كنت من الظالمين .

فاستجبت لى كما استجبت له ، وانبذنى بعراء الحية في محل التفريد والوحدة ،
وأثبت على أشجار اللطف والحنان ، إنك أنت الله لللك المنان ، وليس لى إلا أنت
وحداك لا شريك لك ، ولست بمخلف وعداك لمن آمن بك ، إذ قلت وقولك

وهب لي من العقل الذي خصصت به أنبياءك . ورسلك والصديقين من عبادك ،
واهديني بنورك هداية المخصصين بميثقتك ، ووسع لي في النور توسعة كاملة تخصني
بها برحمتك ، فإن الهدى هداك ، وإن الفضل بيدك تؤتبه من تشاء وأنت
ذو الفضل العظيم .

وقال :

يا عزيز يا رحيم يا حكيم يا غني يا كريم يا واسع يا عليم يا ذا الفضل العظيم ،
اجعلني عندك دائماً ، وبك قائماً ، ومن غيرك سالماً ، وفي حبك هائماً ، وبِعظمتك
علماً ، واسقط البين بيني وبينك حتى لا يكون شيء أقرب إلى منك ، ولا تحجيني
بك عنك إنك على كل شيء قدير .

وقال :

يا الله يا حميد يا مجيد ، يا الله يا كريم يا بر يا رحيم ، يا الله يا قوی يا متين :
هب لي من رحمتك ما أحمده به ، فأكون من المؤمنين ، وارزقني من لطائف الغز
ما أكون به قوياً متيناً حاملاً محملاً في العالمين ، وهب لي من كرمك ما أكون به برّاً
نقياً من الصالحين ، يا رحيم يا لطيف ، الطف بي لطفاً لا يدركه وهم الواهمين .
إلهي وجدتك رحيماً حيث لا أرجوك ، فكيف لا أجدك ناصراً وأنا أرجوك ،
على كل شيء قدير . وصلي الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم
تسليماً .

حزب الفتح :

وهو الحزب الذي فتح الله به على أبي الحسن ، ويسمى أيضاً حزب
« الأنوار » ، نبدأ به الأحزاب للتيمن والبركة .

بسم الله الرحمن الرحيم .
وصلی الله علی سیدنا محمد وعلی آله وصحبه وسلم . اللهم إنا نسألك إيماناً
لا ضدك له ، ونسألك توحيداً لا يقابله شرك ، واطاعة لا تقابلها معصية ، ونسألك
حجة لا شيء ولا على شيء . ونخوفاً لا من شيء ولا على شيء .

ونسألك تترهاً لا من نقص ولا من دنس ، بعد التتره من النقائص
والأذناس ، ونسألك يقيناً لا يقابله شك ، ونسألك تقديساً ليس وراءه تقديس ،
وكمالاً ليس وراءه كمال ، وعلماً ليس فوقه علم ، ونسألك الإحاطة بالأسرار
وكتائنها عن الأغيار .

ربّ ابنی ظلمت نفسي ، فأغفر لي ذنبي وهب لي تقواك ، واجعلني ممن يحبك
ويغفلك ، واجعل لي من كل ذنب وهم وغم وضيق وسهو وشهوة ورغبة ورهبة
وخطرة وفكرة وإرادة وفعلة وغفلة ومن كل قضاء وأمر مخزجاً . أحاط علمك
بجميع المعلومات ، وعلمت قدرتك على جميع المقهورات ، وجلّت إرادتك أن
يواقعها أو يخالفها شيء من الكائنات . حسبي الله . حسبي الله . حسبي الله . وأنا
بريء مما سوى الله .

الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو ربّ العرش العظيم .

لا إله إلا الله نور عرش الله .

لا إله إلا الله نور لوح الله .

لا إله إلا الله نور قلم الله .

لا إله إلا الله نور رسول الله .

لا إله إلا الله نور سِرِّ رسول الله .

لا إله إلا الله نور ذاتِ رسول الله .

على عبدك ، أعوذُ بِمُحَافَاةِكَ مِنْ سَخَطِكَ ، وَأَعُوذُ بِمُحَافَاةِكَ مِنْ عَقُوبَتِكَ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ ، لَا أَحْصِي ثَنَاءَ عَلَيْكَ ، أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ ، بَلْ أَنْتَ أَجَلُ مَنْ أَنْ أَنْتَ عَلَيْكَ ، وَإِنَّمَا هِيَ أَعْرَاضُ تَذَلُّ عَلَى كَرَمِكَ ، قَدْ مَتَّعْتَهَا لَنَا عَلَى لِسَانِ رَسُولِكَ لِتُعْبِدَكَ بِهَا عَلَى أَفْتَارَاتٍ لَا عَلَى قُدْرِكَ ، فَهَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْكَامِلُ إِلَّا الْإِحْسَانُ مِنْكَ .

بِأَمْنٍ بِهِ وَبِهِ يَبُودُ كُلُّ شَيْءٍ . أَسْأَلُكَ بِجُودَةِ الْأَسْتَاذِ بِلِ بَحْرَمَتِي النَّبِيِّ الْهَادِي ﷺ وَبِحُرْمَةِ الْإِنْتِزَاعِ وَالْأَرْعَةِ ، وَبِحُرْمَةِ السَّبْعِينَ وَالْخَامِيَةِ وَبِحُرْمَةِ أَسْرَارِهَا مِنْكَ إِلَى مُحَمَّدٍ رَسُولِكَ ﷺ ، وَبِحُرْمَةِ سَيِّدَةِ آدَمَ الْقُرْآنِ مِنْ كَلَامِكَ ، وَبِحُرْمَةِ السَّبْعِ الثَّانِي وَالْقُرْآنِ الْعَظِيمِ بَيْنَ كُنُكِكَ ، وَبِحُرْمَةِ الْأَسْمِ الْأَعْظَمِ الَّذِي لَا يَضُرُّ مَعَهُ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ، وَبِحُرْمَةِ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ، اللَّهُ الصَّمَدُ ، لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ :

اَكْفِنِي كُلَّ خَفَلَةٍ وَشَهْوَةٍ وَمَغْصِيَةٍ مِمَّا تَقْدَمُ أَوْ تَأْخُرُ ، وَاكْفِنِي كُلَّ طَالِبٍ يَطْلُبُنِي مِنْ خَلْقِكَ بِالْحَقِّ وَيَغْيِرُ الْحَقُّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، فَإِنَّهُ لَكَ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ، وَاكْفِنِي هَمَّ الرِّزْقِ وَخَوْفَ الْخَلْقِ ، وَاسْلُكْ لِي سَبِيلَ الصَّدَقِ ، وَانْقُصْ بَالِي الْحَقِّ ، وَاكْفِنَا كُلَّ عَذَابٍ مِنْ قُوَّتِهِ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِنَا أَوْ يَلْبِسُنَا شَيْعًا أَوْ يَذِينَ بَعْضُنَا بِأَسْ بَعْضٍ ، وَاكْفِنَا كُلَّ هَمٍّ وَغَمٍّ وَكُلَّ هَوْلٍ دُونَ الْجَنَّةِ ، وَاكْفِنَا شَرَّ مَا تَمَلَّقَ بِهِ عِلْمُكَ مَا كَانَ وَيَكُونُ ، إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ .

سُبْحَانَ الْمَلِكِ الْخَلَّاقِ ، سُبْحَانَ الْخَلَّاقِ الرَّزَّاقِ ، سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ ، عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَمَلَّكَ عَمَّا يُشْرِكُونَ ، سُبْحَانَ ذِي الْعَرْوَةِ وَالْجَبُورِ ، سُبْحَانَ ذِي الْمُلْكِ وَالْمَلَكُوتِ ، سُبْحَانَ مَنْ يَجِي وَيُمِيت ، سُبْحَانَ الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ ، سُبْحَانَ الْمَلِكِ الْقَادِرِ ، سُبْحَانَ الْعَظِيمِ الْقَاهِرِ ، وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ ، وَهُوَ الْحَكِيمُ الْغَيِّبُ .

لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ آدَمُ خَلِيفَةُ اللَّهِ .
لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ نُوحٌ نَجِيُّ اللَّهِ .
لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ إِبْرَاهِيمُ خَلِيلُ اللَّهِ .
لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُوسَى كَلِيمُ اللَّهِ .
لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ نُورُ لَوْحِ اللَّهِ .

لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ عِيسَى رُوحُ اللَّهِ .
لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْأَنْبِيَاءُ بِخَاصَّةٍ اللَّهُ .
لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْأَوْلِيَاءُ أَنْصَارُ اللَّهِ .

لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الرَّبُّ الْإِلَهُ الْمَلِكُ الثَّوَرُ الْحَقُّ الْمُبِينُ .

لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْمَلِكُ اللَّطِيفُ الرَّزَّاقُ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينِ .

لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ، وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ، رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ .

لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ .

لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْحَكِيمُ الْكَرِيمُ .

لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الرَّبُّ الْعَظِيمُ . سُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبِّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ .

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ . بِأَسْمِ اللَّهِ ، وَبِإِلَهِهِ ، وَبِوَيْهِ اللَّهِ ، وَبِأَلِيهِ اللَّهِ ، وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ .

حَسْبِيَ اللَّهُ . آمَنْتُ بِاللَّهِ ، رَضِيتُ بِاللَّهِ ، تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ . أَحِبُّ إِلَيْكَ بِكَ مِنْكَ إِلَيْكَ ، وَكَلِمَاتُكَ كَمَا جِئْتُ إِلَيْكَ . فَاغْنِ عَنْ قَلْبِي عَجَبَ غَيْرِكَ ، وَاحْفَظْ جَوَارِحِي عَنْ خَالْفَةِ أَثَرِكَ ، وَاللَّهُ لَقَدْ لَمْ تَرْضَ بَيْنَكَ ، وَكُنْظِي بِقُدْرَتِكَ ، لِأَهْلِكَ نَفْسِي ، وَلَا أَهْلَكَ أَمَةً مِنْ خَلْقِكَ ، ثُمَّ لَا يَبُودُ ضَرُّ ذَلِكَ إِلَّا

قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ.
أعوذ بالله من جهد البلاء، ومن سوء القضاء، ومن درك الشقاء، ومن
شقاء الأعداء، وأعوذ بالله ربّي وربكم ورب كل شيء من كل مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ
بِیَوْمِ الْحِسَابِ.

يَا مَنْ يَدُوْهُ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يَجْعِرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ : انصُرْنِي بِالْخَوْفِ بِمَا
وَالْتَوَكَّلُ عَلَيْكَ ، حَتَّى لَا أَخَافُ غَيْرَكَ ، وَلَا أَعْبُدُ شَيْئًا سِوَاكَ .

بِاخْتِلَاقِ السَّيِّعِ سَمَاوَاتٍ وَمِنْ الْأَرْضِ مَطْلَعُ ، يَنْتَزِلُ الْأَمْرَ بَيْنَهُنَّ ، أَشْهَدُ أَنَّكَ
عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ، وَأَنَّكَ قَدْ أَطْعَمْتَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ، أَسْأَلُكَ بِهَذَا الْأَمْرِ الَّذِي
هُوَ أَضَلُّ الْمَوْجُودَاتِ ، وَإِلَيْهِ الْمَبَادِ وَالْمُنْتَهَى ، وَإِلَيْهِ غَايَةُ الْقَائِلَاتِ ، أَنْ تَسْخَرَنِي
هَذَا الْبَحْرِ ، بِحَرِّ الدُّنْيَا وَمَا فِيهِ وَمَنْ فِيهِ ، كَمَا سَخَّرْتَ الْبَحْرَ لِمُوسَى ، وَسَخَّرْتَ النَّارَ
لِإِبْرَاهِيمَ ، وَسَخَّرْتَ الْجِبَالَ وَالْحَدِيدَ لِلدَّوَادِ ، وَسَخَّرْتَ الرِّيحَ وَالشَّيَاطِينَ وَالْجِنَّ
لِسُلَيْمَانَ ، وَسَخَّرَنِي كُلَّ بَحْرٍ هُوَ لَكَ ، وَسَخَّرَنِي كُلَّ جَبَلٍ ، وَسَخَّرَنِي كُلَّ
حَدِيدٍ ، وَسَخَّرَنِي كُلَّ رِيحٍ ، وَسَخَّرَنِي كُلَّ شَيْطَانٍ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ ، وَسَخَّرَنِي
نَفْسِي ، وَسَخَّرَنِي كُلَّ شَيْءٍ ، يَا مَنْ يَدُوْهُ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ ، وَآخِثِلْ أَمْرِي
بِالْيَقِينِ ، وَأَيِّدْنِي بِالنَّصْرِ الْمُبِينِ ، إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ .

وصلّى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما ، ولا حول
ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

حزب البحر :

بسم الله الرحمن الرحيم .

اللهم يا علي ، يا عظيم ، يا حليم ، يا عليم ، أنت ربّي ، وعلمك حسي .

فعمّ الربّ ربّي ، ونعم الحسب حسي تنصّر من نشاء وأنت
تسألك العضمة في الحركات والسكنات والكلمات والإ
ظنون والشكوك والأوهام الساترة للقلوب عن مطالعة الغيوب
وزلزلوا زلزلا شديدا ، وإذا يقولون اتّفاقون والذين في قلوب
ورسولهم الأغرور .

فَكَيْفَ نَا وَنَنْصُرُنَا وَسَخَّرْنَا هَذَا الْبَحْرَ كَمَا سَخَّرْتَ الْبَحْرَ
لِإِبْرَاهِيمَ ، . . . وَسَخَّرْتَ الْجِبَالَ وَالْحَدِيدَ لِلدَّوَادِ ، وَسَخَّرْتَ
لِسُلَيْمَانَ ، وَسَخَّرْنَا كُلَّ بَحْرٍ هُوَ لَكَ فِي الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ وَ
الدُّنْيَا وَبِحَرِّ الْآخِرَةِ وَسَخَّرْنَا كُلَّ شَيْءٍ يَا مَنْ يَدُوْهُ مَلَكُوتُ
كُلِّ شَيْءٍ ، كَهَيْصَ ، كَهَيْصَ ، كَهَيْصَ ، انصُرْنَا فَإِنَّكَ خَيْرُ
فَائِدَةٍ خَيْرِ الْفَائِدِ ، وَاعْفُرْنَا فَإِنَّكَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ
الرَّاحِمِينَ ، وَارْزُقْنَا فَإِنَّكَ خَيْرُ الرَّاغِبِينَ ، وَاهْدِنَا وَنَجِّنَا مِنْ
لَنَا رَحْمَةً طَبِيعَةً كَمَا هِيَ فِي عِلْمِكَ ، وَانْشُرْهَا عَلَيْنَا مِنْ خِزَائِنِ
حَمَلِ الْكَرَامَةِ مَعَ السَّلَامَةِ وَالْعَافِيَةِ فِي الدِّينِ وَالْدُّنْيَا وَالْآ
قَدِيرٌ .

اللهم يَسِّرْ لَنَا أُمُورَنَا مَعَ الرَّاحَةِ لِقُلُوبِنَا وَأَبْدَانِنَا ، وَالْ
وَدِينِنَا ، وَكُنْ لَنَا صَاحِبًا فِي سَفَرِنَا وَخَلِيفَةً فِي أَهْلِنَا ، وَام
وَانصُرْهُمْ عَلَى مَكَائِبِهِمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ الْمَقِيضُ وَلَا الْجَمْعُ
وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ

(٥١)

يقول ابن عطاء الله السكندري عن حزب البحر والحزب الكبير الذي
إنهما سارا مسير الشمس والقمر ، وأشد ذكرهما في البدو والحضر . وحزب
الشافعية .

لعزير الحكيم (٥١)

ات والخطرات من

فقد ابتلى المؤمنين

مرض ما وعدنا الله

حي ، وسخّرت النار

والشياطين والجن

ك والملوك ، وبخر

كل شيء .

صيرين ، وأفزع لنا

أرحمنا فإنك خير

يوم الظلمين ، وهب

عنك ، واحمنا بها

إنك على كل شيء

ة والعافية في دُنيا

على وجوه أعدائنا

يتنا .

يُصِرُّونَ وَلَوْ نَشَاءُ

يه حزب ، وإذا جاءك :

يقرب العصر في التقاليد

والله بصير بالعباد. الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّا أَفْأَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ. الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُتَّقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ.

الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَتَبُغُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ. رَبَّنَا إِنَّكَ مِنْ تَدْخِيلِ النَّارِ فَقَدْ أَخْرَجْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ. رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا. رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَقَّنَا مِنَ الْآثَارِ. رَبَّنَا

وَرَبَّنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ. وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ.

رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ. رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَاسْتَزِفْنَا فِي آفِرْنَا، وَبِئْسَ أَقْدَامُنَا، وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ.

رَبَّنَا لَا تُؤْخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا. رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ. رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْنَا مَلَأَ طَاقَةً لَكَ بِهِ. وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ.

رَبَّنَا لَا تُفْرِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ. رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ.

رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَأَتَّعِنَا الرُّسُولَ فَاصْكُنَّا مَعَ الشَّاهِدِينَ. (وَمَا كُنَّا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبَّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ. فَأَنَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا فَجَاءَتْ نَجْمٌ مِنَ تَخَفِهَا الْأَنهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُخْسِفِينَ.

وَقَالَ مُوسَىٰ يَا قَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَقَلِّبُوهُ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ. فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ. وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ.

قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ. الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ. وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ اللَّغوِ مُعْرِضُونَ. وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ، وَالَّذِينَ هُمْ لِقُرُوبِهِمْ حَافِظُونَ، إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ. فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ، وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ، وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَواتِهِمْ يُحَافِظُونَ. أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ، الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ. (إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ، وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ، وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ، وَالصَّامِتِينَ وَالصَّامِتَاتِ، وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ، وَالْمُتَصَلِّينَ وَالْمُتَصَلِّاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ، وَالْحَافِظِينَ قُرُوبَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ، وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا. إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا، إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا، وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا، إِلَّا الْمُسْلِمِينَ. الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ. وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ. وَالَّذِينَ يُصَلُّونَ بِيَوْمِ الدِّينِ. وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُتَّقُونَ. إِنْ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ. وَالَّذِينَ هُمْ لِقُرُوبِهِمْ حَافِظُونَ. إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ. فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ، وَالَّذِينَ لِأَمَانَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ، وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ، وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ. أُولَٰئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُكْرَمُونَ.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ صُحْبَةَ الْخَوْفِ، وَغَلَبَةَ الشُّوقِ، وَثَبَاتَ الْعِلْمِ، وَدَوَامَ الْفِكْرِ. وَنَسْأَلُكَ سِرَّ الْأَسْرَارِ الْمَانِعِ مِنَ الْإِضْرَارِ حَتَّى لَا يَكُونَ كُنَّا مَعَ الدُّنْيَا وَالْعِيبِ قَرَارًا. وَاجْتِنَا وَاهْدِنَا إِلَى الْعَمَلِ بِهَذِهِ الْكَلِمَاتِ الَّتِي بَسَطْتَهَا لَنَا عَلَى لِسَانِ رَسُولِكَ، وَابْتَلَيْتَ بِهِمْ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَاتَّخَذَهُمْ قَالَ ابْنِي جَاعِلًاكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَبَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ، فَاجْتَنَّا مِنَ الْخُسْفَانِ مِنَ ذُرِّيَةِ آدَمَ وَنُوحٍ. وَاسْلُكْ بِنَا سَبِيلَ أُمَّةِ الْمُهْتَدِينَ.

يَوْمَ الدِّينِ . إِنَّكَ تَعْبُدُ وَإِنَّكَ تَسْتَعِينُ . اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ . صِرَاطَ الَّذِينَ

أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ .

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ، ثُمَّ الَّذِينَ

عِنْدَهُ كَفَرُوا بِهِمْ يَقْعُدُونَ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجْلاً وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ

ثُمَّ أَنْتُمْ تُمْتَدُونَ . وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرُّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ

مَا تَكْسِبُونَ .

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ

رَبِّنَا بِالْحَقِّ .

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ

الأنهارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ . دَعَاؤُهُمْ فِيهَا شَبَّانِكِ اللَّهُمَّ وَنَجِّنَهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَآخِرُ

دَعَاؤُهُمْ أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ .

وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً . وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ

لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الدَّلِّ وَكَرُّهُ تَكْبِيراً .

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجاً . فَيَسْأَلُ لِينِذَرُ بِأَسَا

ئِدِيداً مِنْ لَدُنْهُ وَيُنَبِّئُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَفْعَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً حَسَناً .

مَا كُنْتُمْ فِيهِ أَبَدًا .

قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى ؕ اللَّهُ خَيْرُ مِمَّا يَشْرِكُونَ .

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي كَلَّمَ فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَآلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ

الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ، يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ

وَمَا يَخْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْقُدُّوسُ .

الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولَى أَجْنِحَةٍ مَثْنَى

وَتِلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنْ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ .

رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَبْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَداً .

رَبَّنَا آتِنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ .

رَبَّنَا أَصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنْ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ، إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا

وَمَقَامًا .

رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا ذُرِّيَّتًا مُرَّةَ آخِرٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا .

رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْماً فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ

عَذَابَ الْجَحِيمِ . رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ

وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ . وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ

يُوقِطْ . فَقَدْ رَجِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ .

رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ .

رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ ، وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ

آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ .

رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنْتَابْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ . رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا

وَاعْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ .

رَبَّنَا آمَنَ لَنَا نُورٌ وَاعْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ . اللَّهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ ، وَلَمْ يُولَدْ ،

وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْقَلْبِ . مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ . وَمِنْ شَرِّ

غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ . وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ، وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْكَافِرِ . يَلِكِ النَّاسِ ، إِلَهَ النَّاسِ . مِنْ

شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ . الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُفُوفِ النَّاسِ . مِنَ الْهَيْجَةِ وَالنَّاسِ .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ . الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . مَالِكِ

تَلَحَّحَ فَاهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ .
صَاحِبُهُ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ
كُلَّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ
رَبُّهُوَ الطَّيِّفُ الْخَبِيرُ .

صِفُون .
شَيْءٌ . تَتَّبِعُوا مِنِّي خَلَقَ
مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي
بَابِهِ يَعْلَمُ السِّرَ وَأَخْفَى ،

صُوفٍ وَقَدْ وَصِفَتْ كُلُّ
حِكْمِكَ وَاعْفِرْ لِي إِنَّكَ عَلَى
مَا عَلَّمْتَنَا لَنَا فِيهِ رِضَاكَ
عَنْ كُلِّ وَصْفٍ يُوجِبُ

رِزَاكَ . وَالْعَفْوُ بِكَ حَتَّى
حُجُّ لِي وَأَلَاكَ . وَاتَّخَذْنَا
عِبَادًا لَكَ فِي جَمِيعِ
الْمَحَلِّاتِ وَالْمَمَكَاتِ .
فَوَحَّيْنَا بِمَاذَا وَلِمَاذَا وَعَلَى
وَمِمَّا ، وَلَا نَسْأَلُكَ دَفْعَ
لَا أَتَيْتَ أَنْبَاءَكَ وَرُسُلَكَ

مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا . وَمَا يُمْسِكُ فَلَا - سِلَّ لَهُ مِنْ
يَعْدِيهِ . وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ .

ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ ، وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنْ
يَتْلُو مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ . الْحَمْدُ لِلَّهِ كُلِّ أَكْثَرِهِمْ لَا خُسْرَ .

ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِي شُرَكَاءٍ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا مَلِكًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ
مَثَلًا . الْحَمْدُ لِلَّهِ . كُلُّ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ .

وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقْنَا وَعَدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَّبِعُهُمْ مِنَ الْغَايَةِ .
فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ . وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ خَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ - حَمْدُ رَبِّهِمْ

وَقَفِيزُ يَتَّبِعُهُمُ بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ .
فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ . رَبِّ الْكِبَرِيَاءِ فِي

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ .
فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ، وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السُّبُوحِ وَالْأَرْضِ

وَعَنِيٍّ وَحِينَ تَطْمُحُونَ . يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُخْرِجُ
الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ .

سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ، وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ . وَالْحَمْدُ لِلَّهِ
رَبِّ الْعَالَمِينَ .

حُزْبُ الْبَرِّ (الْمَعْرُوفُ بِالْحُزْبِ الْكَبِيرِ) (٥٣)

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ . بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا قُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ

(٥٣) الرِّقَّةَ اخْتَارَ لِهَذَا الْحُزْبِ - فِي الْمَعْرُوفِ الشَّافِلِ - بِمَدِّ صَلَاةِ الصُّبْحِ . وَلَا يَكُنْمْ حَالِ تَلَاوُثِهِ ، وَقَدْ
رَوَى عَنْ أَبِي الْحَسَنِ أَنَّهُ قَالَ عَنْهُ : مَنْ قَرَأَ حُزْبَنَا فَلَهُ مَالُنا وَطَيْبُهُ مَا عَلَيْنَا .

الرَّحْمَةُ أَنَّهُ مَنْ

بَلِيعُ السُّ

رَهُو بِكُلِّ شَيْءٍ

عَلَى كُلِّ شَيْءٍ

الرَّ . كَمُ

رَبِّ أَخِي

طَه . مَا

الْأَرْضِ وَالْبَرِّ

الْأَرْضِ ،

اللَّهُ لَا إِلَهَ

اللَّهُمَّ

شَيْءٌ مِنْ

كُلِّ شَيْءٍ

وَإِخْتِصَانِي

نَفْضًا مِمَّا

يَا اللَّهُ

لَا تَشْهَدُ

جَلِيلٌ

الْمَحَلَّاتِ

اللَّهُمَّ

مَاذَا وَتَمَلَّ

مَا تُرِيدُ وَ

وَخاصَّةِ الصَّالِحِينَ مِنْ خَلْقِكَ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

اللَّهُمَّ قَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ.

فَهَبْنَا لِمَنْ عَرَفَكَ قَرْضَى بِقَضَائِكَ ، وَالْوَيْلُ لِمَنْ لَمْ يَعْرِفَكَ ، بَلِ الْوَيْلُ ثُمَّ الْوَيْلُ

لِمَنْ أَقْرَبُ بَوَاحِشِنَا لَمْ يَرْضَ بِأَحْكَامِكَ .

اللَّهُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ قَدْ حَكَمْتَ عَلَيْهِمْ بِالذُّلِّ حَتَّى عُرُوا ، وَحَكَمْتَ عَلَيْهِمْ بِالْفَقْدِ

حَتَّى وَجَدُوا ، فَكُلَّ عَزِيزٍ دُونَكَ ، فَسَأَلْنَاكَ بِذَلِكَ ذُلًّا نَضْحِبُهُ لَطَائِفُ رَحِمَتِكَ ،

وَكُلَّ وَجَدٍ يَجْجِبُ عَنْكَ ، فَسَأَلْنَاكَ عَوَضَهُ فَقَدْ أَتَصَحَّبَهُ أَنْوَارُ مَحَبَّتِكَ ، فَإِنَّهُ قَدْ

ظَهَرَتْ السَّعَادَةُ عَلَى مَنْ أَحَبَّيْتَهُ ، وَظَهَرَتْ الشَّقَاوَةُ عَلَى مَنْ غَيَّرَكَ مَلَكُهُ ، فَهَبْ لَنَا

مِنْ مَوَاهِبِ السَّعَادَةِ ، وَاعْظِمْنَا مِنْ مَوَارِدِ الْأَشْقِيَاءِ .

اللَّهُمَّ إِنَّا قَدْ عَجَزْنَا عَنْ دَفْعِ الضَّرِّ عَنْ أَنْفُسِنَا مِنْ حَيْثُ نَعْلَمُ بِمَا نَعْلَمُ ، فَكَيْفَ

لَا نَعْبُزُ عَنْ ذَلِكَ مِنْ حَيْثُ لَا نَعْلَمُ بِمَا لَا نَعْلَمُ ، وَقَدْ أَمَرْنَا وَنَبَيْتْنَا ، وَالدَّخَّ وَاللَّم

الرَّمْتَا ، فَأَخُو الصَّلَاحِ مِنْ أَصْلَحَتِهِ ، وَأَخُو الْفَسَادِ مِنْ أَضْلَلَتِهِ ، وَالسَّعِيدُ حَقًّا مِنْ

أَغْنَيْتَهُ عَنِ السُّؤَالِ مِنْكَ ، وَالنَّقِيُّ حَقًّا مِنْ حَرَمَتِهِ مَعَ كَثْرَةِ السُّؤَالِ لَكَ ، فَاعْنِنَا

بِفَضْلِكَ عَنْ سُؤَالِنَا مِنْكَ ، وَلَا تُخْزِنَا مِنْ رَحْمَتِكَ ، مَعَ كَثْرَةِ سُؤَالِنَا لَكَ ، إِنَّكَ

عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ .

بِأَشَدِّهِ الْبَطْشِ ، يَا جَبَّارُ يَا قَهَّارُ يَا حَكِيمُ ، نَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقْتَ ،

وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ ظِلْمَةٍ مَا أَبْذَعْتَ وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ كَيْدِ الْقَوَاسِمِ فِيهَا قَدَرْتَ وَأَرَدْتَ ،

وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ الْحَسَادِ عَلَى مَا أُنْعَمْتَ ، وَنَسْأَلُكَ عِزَّ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، كَمَا سَأَلَكُمَا

نَبِيُّكَ سَيِّدَانَا مُحَمَّدٌ ﷺ ، عِزَّ الدُّنْيَا بِالْإِيمَانِ وَالْمَرْقَةِ ، وَعِزَّ الْآخِرَةِ بِاللِقَاءِ

وَالْمُشَاهَدَةِ إِنَّكَ سَمِيعٌ قَرِيبٌ مُجِيبٌ .

اللَّهُمَّ إِنِّي أَقْدَمْتُ إِلَيْكَ بَيْنَ يَدَيَّ كُلِّ نَفْسٍ وَلَمْ تَحِمْ وَطَرَفَةً يَطُوفُ بِهَا أَهْلُ

السَّمَوَاتِ وَأَهْلُ الْأَرْضِ وَكُلِّ شَيْءٍ هُوَ فِي عِلْمِكَ كَأَنَّ أَوْ قَدْ كَانَ ، أَقْدَمْتُ إِلَيْكَ بَيْنَ

بَدَى ذَلِكَ كُلُّهُ (اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ ، لَهُ مَا فِي

السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ

وَمَا خَلْفَهُمْ ، وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ

وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ .

أَقْسَمْتُ عَلَيْكَ بِسُطِّ يَدَيْكَ وَكَرَمِ وَجْهِكَ ، وَنُورِ عَيْنَيْكَ . وَكَمَا لَأَعْنِيكَ أَنْ

نُعْطِيَا خَيْرَ مَا قَدَرْتَ بِهِ مَشِيئَتِكَ ، وَتَعَلَّقْتُ بِهِ قُدْرَتُكَ ، وَأَحَاطَ بِهِ عِلْمُكَ ،

وَكَفَيْتَنَا شَرًّا مَا هُوَ ضِدُّ ذَلِكَ ، وَأَكْمَلْتَ دِينَنَا ، وَأَتَمَمْتَ عَلَيْنَا نِعْمَتَكَ ، وَهَبْ لَنَا

حِكْمَةَ الْحِكْمَةِ الْبَالِغَةِ ، مَعَ الْحَيَاةِ الطَّيِّبَةِ ، وَالْمَوْتِ الْحَسَنَةِ ، وَتَوَلَّ قُبُصَ أَرْوَاحِنَا

بِيَدِكَ ، وَخَلَّ بَيْنَنَا وَبَيْنَ غَيْرِكَ فِي الْبَرَزِخِ وَمَا قَبْلَهُ وَمَا بَعْدَهُ نُورَ ذَاتِكَ وَعَظِيمَ

قُدْرَتِكَ وَجَمِيلَ فَضْلِكَ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ .

يَا اللَّهُ يَا عَلِيُّ يَا عَظِيمُ يَا حَلِيمُ يَا حَكِيمُ يَا كَرِيمُ يَا سَمِيعُ يَا مُجِيبُ

يَا وَدُودُ خُلِّ بَيْنَنَا وَبَيْنَ فِتْنَةِ الدُّنْيَا وَالنَّسَاءِ وَالْعَقَلَةِ وَالشَّهْوَةِ وَظَلَمِ الْعِبَادِ وَسُوءِ

الْخُلُقِ ، وَاخْغَيِّرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقْضِ عَنَّا كَيْدَاتِنَا ، وَاكْشِفْ عَنَّا السُّوءَ ، وَنَجِّنَا مِنَ الْغَمِّ

وَاجْعَلْ لَنَا مِنْهُ مَخْرَجًا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ .

يَا اللَّهُ يَا اللَّهُ يَا اللَّهُ يَا لَطِيفُ يَا رَزَاقُ يَا قَوِيَّ يَا عَزِيزُ لَكَ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ

وَالْأَرْضِ تَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ تَشَاءُ وَتَقْدِرُ ، فَابْسُطْ لَنَا مِنَ الرِّزْقِ مَا تُوصِلُنَا بِهِ إِلَى

رَحْمَتِكَ ، وَمِنْ رَحْمَتِكَ مَا تَحُولُ بِهِ بَيْنَنَا وَبَيْنَ رَحْمَتِكَ ، وَمِنْ حِلْمِكَ مَا يَسْتَعِينُ بِهِ

عَشْرَتُكَ ، وَاجْتَمِعْ لَنَا بِالسَّعَادَةِ الَّتِي حَكَمْتَ بِهَا لِأَوْلِيَائِكَ ، وَاجْعَلْ خَيْرَ آيَاتِنَا وَأَسْعَدَهَا

يَوْمَ لِقَائِكَ ، وَزَخْرَجْنَا فِي الدُّنْيَا عَنْ نَارِ الشَّهْوَةِ ، وَأَذْهِلْنَا بِفَضْلِكَ فِي مَيَادِينِ

الرَّحْمَةِ ، وَاكْتَسَبْنَا مِنْ نُورِكَ جَلَالِيَّهِ الْعُضْمَةِ ، وَاجْعَلْ لَنَا ظَهْرًا مِنْ عَقُولِنَا

وَمُهَيِّئْنَا مِنْ أَرْوَاحِنَا وَسَخِّرْنَا مِنْ أَنْفُسِنَا كَمَا تُسَبِّحُكَ كَثِيرًا وَتَذْكُرُكَ كَثِيرًا إِنَّكَ كُنْتَ

بَنَّا بِصَبْرٍ . وَهَبْ لَنَا مُشَاهَدَةَ تَصَحُّبِهَا مُكَالَمَةً ، وَافْتِاحَ أَسْمَاعِنَا وَابْتِصَارَنَا وَادْكُرْنَا

الثلقي منك ، كلقني آدم منك الكلمات ليكون قدوة لولدو في القربة والأعمال
الصالحات ، وباعد بيتنا وبين العباد والإضرار والشبه بلبس رأس القزاة واجعل
سبائنا سيئات من أحبت ، ولا تجعل حسناتنا حسنات من أبقت ، فالإحسان
لا يقع مع البغض منك ، والإساءة لا تضر مع الحب منك ، وقد أهدمت الأمر
علينا لرجو ونخاف ، فأمين خوفنا ولا نجيب رجاءنا واعطنا سؤلنا فقد أعطيتنا
الإيمان من قبل أن نسألك وكتبته وحيت وزييت وكهنت وأطلقت الألسن بما به
ترجمت ، فينعم الرب أنت فلك الحمد على ما أقممت ، فاغفر لنا ولا تماتيتنا
بالسلب بعد المطاء ، ولا بكفران النعم وجرمان الرضا .

اللهم رخصنا بقضائك ، وصبرنا على طاعتك ، وعن منصبتك وعن الشهوات
الموجبات للنقص أو البعد عنك وهب لنا حقيقة الإيمان بك حتى لا نخاف غيرك
ولا نرجو غيرك ، ولا نجيب غيرك ولا نهد شيئا سؤالا ، وأوزعنا شكر نعمائك
وغفنا برداء عافيتك ، وانصرتنا باليقين والتوكل عليك واسفر وجوهنا بنور
صفائك ، وأضحكتنا وبشرنا يوم القيامة بين أوليائك واجعل يدك منبوعة علينا
وعلى أهلينا وأولادنا ومن معنا برحمتك ، ولا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين ولا أقل
من ذلك يا نعم المجيب ، يا نعم المجيب ، يا نعم المجيب .

يا من هو هو هو في علوه قريب يا ذا الجلال والإكرام ، يا محيط باليالي
والأيام ، أشكو إليك من غم الحجاب وسوء الحساب وشدة العذاب ، وإن ذلك
لأرفع ماله من كافع إن لم ترحمني .

لا إله إلا أنت سبحانك أي كنت من الظالمين .
لا إله إلا أنت سبحانك أي كنت من الظالمين .
لا إله إلا أنت سبحانك أي كنت من الظالمين .
ولقد شكنا إليك بقرب فخلصنا من حزنه ووددت عليه ما ذهب من بصره

إذا غفلنا عنك بأحسن مما تذكرنا به إذا ذكرناك ، وارحمنا إذا عصيناك بأثم مما
ترحمنا به إذا أظفناك ، واغفر لنا ذنوبنا ما تقدم منها وما تأخر والطف بنا لطفاً
يخجنا عن غيرك ولا يخجنا عنك ، فإنك بكل شيء عليم .

اللهم إنا نسألك لساناً رطباً بذكرك ، وقلباً شغافاً بشكرك ، وبدناً هيناً لينا
بطاعتك ، واغفناك مع ذلك مالا عثر رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب
بشر ، كما أخبر به رسولك ﷺ حسب ما علمته بعلمك واغفنا بلا سبب واجفناك
سبب الغنى لأولياتك وبرزخا بينهم وبين أعدائك إنك على كل شيء قدير .
اللهم إنا نسألك إيماناً دائماً ، ونسألك قلباً خاشعاً ، ونسألك علماً نافعاً ،
ونسألك يقيناً صادقاً ، ونسألك ديناً قيماً ، ونسألك العافية من كل بلية ، ونسألك
تمام العافية ، ونسألك دوام العافية ، ونسألك الشكر على العافية ، ونسألك العنى
عن الناس .

اللهم إنا نسألك التوبة الكاملة ، والغفرة الشاملة ، والحيمة الكاملة الجامعة ،
والخلة الصافية ، والمروة الواسعة ، والأنوار الساطعة ، والشفاعة القائمة والحجة
البالغة والدرجة العالية ، ولك وثاقاً من المنصية وركائناً من النعمة بمواهب
الميت . اللهم إنا نسألك التوبة ودوامها ، ونعوذ بك من المنصية وأسبابها ،
وذكرنا بالخوف منك قبل هجوم خطراتها ، واخيلنا على النجاة منها ومن التفكير
في طرائقها وامنح من قلوبنا حلالة ما اجتنيته منها ، واستبدلها بالكراهة لها ،
والطمع لينا هو يضدها . وأنص علينا من بحر كرمك وعفوك حتى نخرج من الدنيا
على السلامة من وبالها واجفناك عند الموت ناطقين بالشهادة عالين بها ، وارأف بنا
راقة الحبيب بحبيبه عند الشدايد وتزولها ، وأرحنا من هوم الدنيا وغمومها
بالروح والريحان إلى الجنة ونعيمها .

اللهم إنا نسألك توبة سابقة منك إلينا لتكون توبتنا تامة إليك وبنا وهب لنا

قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ
وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ يَدُكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ، تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ
وَتُخْرِجُ النَّهَارَ مِنَ اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرزُقُ مَنْ
تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ .

الذي خلقني فهو يهدين . والذي هو يطعمني ويسقين . وإذا مرّضت فهو
ين . والذي يُبْسِئُ ثمَّ يُحْيِي ، والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين .
هَبْ لِي حُكْمًا وَالْحَقِّقْ بِالصَّالِحِينَ . واجعل لي لسان صدق في الآخرين .
اعلمني من وَرِثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ ، واغفر لاني إنه كان من الضالين . ولا تخزني يوم
يُنزَلُ . يوم لا ينفَعُ مالٌ ولا بَنُونَ ، إلا من أتى الله بقلب سليم . وأزلفت الجنة
للمنقين ، وبرزت الجحيم للغاوين .

سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ، له ملك السموات
وَالْأَرْضِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ، هو الأولُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ
بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ، هو الذي خلق السموات والأرض في ستة أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى
الْعَرْشَ يَعْلَمُ مَا يَلِيحُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا
وَمَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ، له مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ
تَرْجِعُ الْأُمُورُ . يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ .
هو الله الذي لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ . هو الله
الذي لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ
عَمَّا يُشْرِكُونَ ، هو الله الخالق البارئ المصور له الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ .

والضحى . واللَّيْلُ إِذَا سَجَى . ما ودعك ربك وما قَلَى . وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنْ
أُولَى . وَلَسَوْفَ يَرْضَى . أَلَمْ يَجْعَلْ يَسَاءَ مَا يَدْعُونَ بِمُحَمَّدٍ رِيسًا فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا
بِأَنفُسِهِمْ يَفْهَمُونَ .

حزب الشيخ أبي الحسن (٥٤) :

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ، بِ
الْعَالَمِينَ . الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . مَالِكِ يَوْمِ
الْقَضَاءِ الْمُسْتَقِيمِ . صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ
عَلَيْهِمْ . آمِينَ .

الله لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ
الْأَرْضُ ، مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا
وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ ،
حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ .

آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ
وَرُسُلُهُ ، لَا تَفَرُّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ
الْمُتَصِيرُ . لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا
لَا تُؤَاخِذُنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ، رَبَّنَا وَلَا
قُلْنَا ، رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ
مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ .

أَلَمْ . اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ
يُدَبِّرُ . وَأَنْزَلَ الْقُرْآنَ وَالْإِنْجِيلَ مِنْ قَبْلِ هـ
بَيَّاتِ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزَّ
الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ . هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُ
الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ .

(٥٤) هذا الحزب الجليل رواه ابن عطاء

[illegible]

۱۸۱۸
 ۱۸۱۸

[illegible]

الحمد لله رب العالمين . اللهم صل على محمد وآل محمد
عليهم السلام جميعاً . آمين .

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين

[illegible]

المؤمنين من الجنه ومن ذرية آدم
الذين آمنوا بالله واليوم الآخر
والذين آمنوا بالله واليوم الآخر
والذين آمنوا بالله واليوم الآخر

[illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين
الذين هم أئمة المرسلين وأوصيائه الكرام

والذين هم لأيمانهم دأبون. والذين هم بشهادتهم قاتلون. والذين هم
على صلاتهم غافلون. أولئك في جنات مكرمون.

عذاب ربههم غير مأثون. والذين هم لقروهم حافظون. لا على أزواجهم أو
ما ملكهم أو آباءهم غير مأثون. فمن اتقى تلافى ذلك تلافيا مما يندون.

وَإِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُوا أَمْرَهُ
 وَتَرْضَوْا عِقَابَهُ يُخَفِّضْ يَدَهُ
 عَنْكُمْ وَيُخَذِّلْ لَكُمْ أَعْيُنَ
 بَصَرِهِ وَيَنْزِلْ فِي قُلُوبِهِ
 الرُّوحَ الْقُدُسَ الَّذِي يَتَذَكَّرُ
 فِيكُمْ لَتُبْلِغُوا إِلَى الْآخِرَةِ
 الْوَسِيلَةَ الَّتِي رَمَيْتُمْ إِلَىهَا
 لَوْلَا أَنْ يَرْفَعَنَّ اللَّهُ يَدَهُ
 عَنْكُمْ وَلِيُخَذِّلَ لَكُمْ أَعْيُنَ
 بَصَرِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَكُونَ
 الْوَعْدَ إِنَّكُمْ عِنْدَ اللَّهِ
 مُخْلَفُونَ

والله اعلم بالله أعد الله لمنه وأجره عظماء.

[illegible]

١٠٠ . اُولَئِكَ هُمُ الْفٰسِقُونَ . الَّذِيْنَ يَرْوُوْنَ الْاَثَرَ الَّذِيْ فِيْهِ كَيْدٌ مِّنْ رَّبِّكَ . اُولَئِكَ هُمُ الْمَكِيدُونَ .

أزواجهم أو ما ملكت أيما لهم غير ملومين. فمن اتبعني ذلك فإني والله أعلم
بأحوالهم. والله أعلم. والله أعلم. والله أعلم. والله أعلم. والله أعلم.

قد أطلع المومنين الذين هم في صلاحهم جامعون. والذين هم في الضلال على مريضهم جامعون. والذين هم في الضلال على مريضهم جامعون. والذين هم في الضلال على مريضهم جامعون.

والتقوى من الله عز وجل والبر والعدل والصدق والوفاء والحياء والكرامه والنجاه من النار والنجاه من النار والنجاه من النار

[illegible]

إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ بِمَوَالِهِمْ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقاتلون في سبيلِ اللَّهِ

الم تسمع انك قد اخطيت بطريقك . ووضعت عنك وزرك . الذي اتفقنا عليه . وولدت لك ولدا . والى ربك

وَأَنَا نَصِيحٌ رَأِي

وقل : سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير.

فمن كان متمسكاً بهذه الصفات الحميدة ضمن الله عز وجل له أربعة أمور في الدنيا : الصدق في القول ، والإخلاص في العمل ، والرزق كالطر ، والوقاية من الشر.

وأربعة أمور في الآخرة : المغفرة العظمى ، والقرية الزلنى ، ودخول جنة النأوى ، واللحوق بالدرجة العليا .

فإن أردت الصدق في القول فداوم على قراءة : (إنا أنزلناه في ليلة القدر) :

وإن أردت الرزق كالطر فداوم على قراءة : (قل أعوذ برب الفلق) .

وإن أردت السلامة من شر الناس فداوم على قراءة : (قل أعوذ برب

الناس) .

وإن أردت جلب الخير والرزق والبركة فداوم على قراءة : بسم الله الرحمن

الرحيم . الملك الحق المبين هو نعم المولى ونعم النصير ، وقراءة سورة : (الواقعة)

رسورة (يس) .

وإن أردت أن يجعل الله لك من كل هم فرجاً ، ومن كل ضيق مخرجاً ،

ويرزقك من حيث لا تحسب ، فالزم : الاستغفار .

وإن أردت أن تأمن مما يروعك ويفزعك فقل : أعوذ بكلمات الله التامات من

غضبه وعقابه ومن شر عباده ومن همزات الشياطين وأن يحضرون .

وإن أردت أن تعرف أى وقت تفتح فيه أبواب السماء ويستجاب الدعاء

فاشهد نداء المنادى فأجبه ففى الحديث : « من نزل به كرب أو شدة فليجب

النادى ، وهو التؤذ .

وإن أردت أن تسلم من أمريكريك ، فقل : توكلت على الحى الذى لا يموت

أبداً ، والحمد لله الذى لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك فى الملك ، ولم يكن له

ربك ذى الجلال والإكرام .

اللهم صلنى باسمك العظيم الذى لا يضر معه شيء فى الأرض ولا فى السماء

وهب لى منه سراً لا تضره الذنوب شيئاً ، واجعل لى منه وجهاً تقضى به الحاجج

للقلب والعقل والروح والسر والنفس والبدن ووجهها ترفع به الحاجج من القلب

والعقل والسر والروح والبدن والنفس ، وادرج اسمائى تحت أسمائك ، وصلاتى

تحت صفاتك ، وأفعالى تحت أفعالك درج السلامة وإسقاط اللامة وتنزل الكرامة

وظهور الإمامة وكمل لى ما ابتليت به أئمة الهدى من كلماتك ، واغنى حتى تغنى لى

وأجنى حتى تحبى لى ما شئت ومن شئت من عبادك واجعلنى خزنة الأربعين ومن

خلاصة المثقين واغفر لى فإنه لا ينال عهدك الظالمين .

طس . حم عسق . مرج البحرين يلتقيان بترزخ لا يبغيان .

الحمد لله رب العالمين . الرحمن الرحيم . مالك يوم الدين . إياك نعبد وإياك

نستعين . اهدنا الصراط المستقيم . صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم

ولا الضالين .

قل هو الله أحد . الله الصمد . لم يلد ولم يولد . ولم يكن له كفواً أحد .

قل هو الله أحد . الله الصمد . لم يلد ولم يولد . ولم يكن له كفواً أحد .

قل هو الله أحد . الله الصمد . لم يلد ولم يولد . ولم يكن له كفواً أحد .

نصائح :

كن متمسكاً بهذه الصفات الحميدة تفر بسعادة الدارين :

لا تتخذ من الكافرين ولياً ، ولا من المؤمنين عدواً ، وارنخل بزادك من التقوى

فى الدنيا وعد نفسك من الموتى ، واشهد الله بالوحدانية ورسوله بالرسالة ، وحسبك

عمل صالح وإن قل . وقل : آمنت بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ،

وإن أردت أن توفق للسلامة من كل سوء : فاترك الظن السيئ بكل الناس .
 وإن أردت المتعة : فاترك الاعتماد على الناس وتوكل على الله .
 وإن أردت الأمان فليكن قلبك قفل كل يوم أربعين مرة : يا حي يا قيوم لا إله إلا أنت .
 وإن أردت أن ترى النبي ﷺ ، يوم القيامة ، يوم الحسرة والندامة فأكثر من قراءة (إذا الشمس كورت) و (إذا السماء انقطرت) و (إذا السماء انشقت) .

وإن أردت أن ينور الله وجهك فداوم على قيام الليل .
 وإن أردت السلامة من عطش يوم القيامة فلازم الصوم .
 وإن أردت أن تسلم من عذاب القبر فاحترز من النجاسات واترك أكل

الحرمات وارفض الشهوات .

وإن أردت أن تكون غنياً فلازم القناعة .

وإن أردت أن تكون خيراً من الناس فكن نافعاً للناس .

وإن أردت أن تكون أعبد الناس فكن متمسكاً بقوله ﷺ : « من يأخذ بعني

هذه الكلمات فيعمل بين أو يعلم من يعمل بين » . قال أبو هريرة أنا يا رسول الله ،

فأخذ بيدي وعد نجساً قال : « اتق المحارم تكن أعبد الناس ، وارض بما قسم الله

لك تكن أغنى الناس . وأحسن إلى جارك تكن مؤمناً ، وأحب للناس ما تحب

لنفسك تكن مسلماً ، ولا تكثر الضحك فإن كثرة الضحك تميت القلب » .

وإن أردت أن تكون من الحسنيين الخالصين فاعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن

تراه فإنه يراك .

وإن أردت أن يكل إيمانك فحس خلقك .

وإن أردت أن يحبك الله فاقض حوائج إخوانك المسلمين .

وإن أردت أن تكون من الطيبين فأد ما فرض الله عليك .

ولم من الذل وكبره تكبيراً .

وإن أردت أن تنجو من هم أو غم أو خوف يصيبك ، قل : اللهم إني

عبدك ، وابن عبدك وابن أمتك ، ناصيتي بيدك ، ماض في حكمك ، عدل في

قضاؤك ، أسألك بكل اسم سميت به نفسك ، أو أنزلته في كتابك ، أو علمه أحداً

من خلقك ، أو استأثرت به في علم الغيب عندك ، أن تجعل القرآن العظيم ربيع

قلبي ، ونور صدري ، وجلاء حزني ، وذهاب همي وعمي .

وإن أردت أن يداويك الله من تسعة وتسعين داءً أبرها اللهم فقل : لا حول

ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

وإن أردت أن تخرج بما يصيبك من مصيبة فقل : (إنا لله وإنا إليه راجعون) .

وإن أردت أن يذهب همك ويقضي دينك فقل إذا أصبحت وإذا أمسيت :

« اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن ، وأعوذ بك من العجز والكسل ، وأعوذ

بك من الجبن والبخل ، وأعوذ بك من غلبة وقهر الرجال » .

وإن أردت أن توفق للخضوع والخشوع : فاترك فضول النظر .

وإن أردت أن توفق للحكمة : فاترك فضول الكلام .

وإن أردت أن توفق لخلاوة العبادة : فاترك فضول الطعام ، وعلبك بالصوم

وقيام الليل والتهجد فيه .

وإن أردت أن توفق للهيبة : فاترك المزح والضحك فإنهما يسقطان الهيبة .

وإن أردت أن توفق للجنة : فاترك فضول الرغبة في الدنيا .

وإن أردت أن توفق لإصلاح عيب نفسك : فاترك التجسس على عيوب

الناس ، فإن التجسس من شعب النفاق كما أن حسن الظن من شعب الإيمان .

وإن أردت أن توفق للخشية : فاترك التوهم في كفيات ذات الله تعالى تسلم

من الشك والنفاق .

لأنفسهم، وإنما ينسبونها إلى التفصل الوهاب، صاحب القدرة والقهر، إنهم ينسبونها إلى من هو على كل شيء قدير.

٤ - والملاحظ في منكرى الكرامات على مر العصور أنهم يتميزون بألوان من الغلظة وقساوة القلب، فلا تجد فيهم رقة الشعور، ولا صفاء البصيرة، ولا ملائكية الروح، وهم - إن لم يكونوا من الملاحدة - من الصنف الذي لم يخاطب الإيمان شعاف قلبه وإنما بقي صورة عاتمة على السطح.

٥ - وجمهرة المسلمين على مر العصور، عامتهم وخاصتهم، وقمهم الشوامخ في العلم والدين من الذين يشنون الكرامات ويؤمنون بها.

تلك هي الأسباب العامة التي لم تعمل في أنخرج من نفل بعض كرامات النبي الحسن، وأضيف إليها بعض الأسباب الأخرى الخاصة، وأضيفها لأواجه الشككة في صراحة، أضيفها معنًا في غير كبرياء ولا فخر بأنني من الأشخاص الذين لا تلعب بهم الأوهام ولا التخيلات، ولم أكن في يوم من الأيام فريسة أباطيل أو خرافات، ولقد باعد الله سبحانه - وله الفضل والمنة - بيني وبين التأثير بالإعجاب الموهوم، فإذا أضفت أسبابًا خاصة فإنما أضيفها عن يقين وثقة ولعل الله يهدي بها بعض من لا يزال في قلوبهم الاستعداد للخير، وفي أرواحهم أسس الاهتمام إلى الحق.

في فترة من الفترات ابتلاني الله بموضوع شق على نفسي وعلى نفس المحيطين بي، واستمر الابتلاء مدة كنا نلجأ فيها إلى الله طالبين الفرج.

وذاث يوم أتى عندي بعض الصالحين - وكان على علم بهذا الابتلاء - وأعطاني ورقة كتب فيها صيغة من صيغ الصلاة على رسول الله ﷺ وسلم، وقال: اقرأها، واستغرق فيها، وكررها متفرقًا في الليل لعل الله يجعلها سببًا في تفرج هذا البلاء، والصيغة هي: اللهم صل صلاة جلال وسلم سلام جمال على

عنه - وماشككت قط في ثوبتها، وماشككت قط في صحة النقل، ثم وجدتني أنقل هذه الكرامة في مناسبة، وتلك في أخرى، ولم أجد في ضميري عتابًا، ولا في شعوري تراجعًا، ولا في ذوقى تفورًا، حقيقة أتى لم أنقل كل الكرامات، ولا أغلبها، ولكنني نقلت منها ما رأيت له مناسبة في كتابي.

لماذا لم أجد حرجًا في نقل بعض الكرامات في كتابي هذا؟
لماذا؟

للأسباب الآتية:

١ - إن القرآن الكريم يحدثنا في أسلوب لا لبس فيه عن المعجزات التي تفضل الله بها على رسله وأنبيائه، ويحدثنا عن الكرامات التي منحها سبحانه لأوليائه وأصفياه.

ألم يحدثنا القرآن بصورة لا تختمل التأويل بأن عيسى عليه السلام كان يخلق من الطين كهنية الطير فينفخ فيه فيكون طيرًا ياذن الله، وأنه كان يرى الأكفم والأبرص ويحيى الموتى ياذن الله؟

ألم يحدثنا عن سيدنا موسى بأنه أتى عصاه فإذا هي تلقف ما يأفكون، وبأنه أخرج يده فإذا هي بيضاء للناظرين؟

وسيدتنا مريم ألم تحمل سيدنا عيسى من غير أب خارقة بذلك قوانين الطبيعة، وكانت كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقًا، قال: يا مريم أتى لك هذا؟ قالت: هو من عند الله.

٢ - ثم إن مانسميه قوانين الطبيعة إنما هو في الواقع عادات و عادات الطبيعة لا تسطر على رب الطبيعة.

٣ - ثم إن هؤلاء الذين تجرى على أيديهم المعجزات أو الكرامات لا ينسبونها

وبعد فترة ونحن على هذا الوضع ، أنظر إليه في تحديق ، وبعد عنيه إلى في نظرات ثابتة أخذ يشف شيئاً فشيئاً ، والأحظ أنا في وضوح التدرج في هذه الشفافية وانتهت الشفافية بزواله تماماً دون أن يتحرك من موضعه . ذلك ماشاهدته بنفسى . وماذا يكون خرق العادات غير هذا ؟

إن الذين يتكبرون خرق العادات ، ويتكبرون الكرامات لأولياء الله ، إنما يتكبرون شيئاً أثبتته تجارب الإنسانية منذ أن وجدت الإنسانية ، وأثبتته القرآن الكريم ، وأثبتته جمهور الأمة ، وقد رأيت أنا خرق العادات بنفسى ويعنى كما رويت سابقاً ...

ومن أجل كل ذلك أثبت ماثبت في الكتاب من كرامات أبي الحسن وبداته بعد المقدمة مباشرة ، بكرامة من كراماته ، رواها أقرب تلاميذه ومريديه إليه وهو القطب الكبير أبو العباس المرسى الذى كان شاهد عيان فيها .

وأمر آخر أريد أن أعترف به وأن أشرح وجهة نظرى فيه :
 "ذلك أنى لم أتحدث عن وسط أبى الحسن وبيته الاجتماعية ، ولم أتحدث عن شيوخه الذين يكثّر بعض المؤرخين من ذكرهم ، اللهم إلا عن الولي الكبير سيدى عبيد السلام بن مشيش :

وإذا كنت لم أتحدث عن الوسط ولا عن الشيوخ ، فإنما فعلت ذلك متعمداً إبنى فعلته عن مبدأ وعن رأى قد ترويت فيه وتاملته .
 إبنى أرى في صراحة أن هؤلاء الذين يكتبون عن الصوفية فيتحدثون عن الوسط والبيئة ، وعن الأساندة والشيوخ ليقولوا بعد ذلك أن الصوفى تأثر وقلد وأخذ ، وأن فكرته هذه يدين فيها لفلان ، وفكرته تلك يدين فيها للوسط الفلانى ... إن هؤلاء الذين يدينون بالآلية في الفكر الصوفى ، أو بأن الصوفى مرآة تنعكس صور المجتمع والربيع ، وتنعكس فيها أفكار المجتمع والشيوخ ، ويأخذون في

حاضرة حبيك سيدنا محمد ، واغشه اللهم بنورك كما غشيتة سحابة التجليات فنظر إلى وجهك الكريم ، وبحقيقة الحقائق كلم مولاه العظيم ، الذى أعاده من كل سوء .

اللهم فرج كربى كما وعدت : آمين بحبيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء . وعلى آله وصحبه آمين .

واعتكفت في غرفة بعد صلاة المشاء . وأضأت نور الغرفة . وأمست الورقة يلى وأخذت في تكرار الصيغة واستغرقت فيها وإذا بي أرى فجأة أن الحروف التى كتبت بها الصيغة مضىبة تتلأأ نوراً . ومع أن الغرفة كانت مضىبة فإن الحروف كانت تتلأأ نوراً في وسط هذا النور .

ولم أصدق عيني ففحصتها وفتحتها عدة مرات فكان النور على ما هو . فوضعت الورقة أمامى ووضعت يدي على عيني أدلكها وأدعكها . ثم فتحت عيني فإذا بالحروف على ما هو عليه تتلأأ نوراً . وتشتع سناء .

فحمدت الله وعلمت أن أبواب الرحمة قد فتحت . وأن هذا النور رمز ذلك ، وفلا أزال الله الكبر وحقق الفرج بكرامة هذه الصيغة المباركة . وأمر آخر من خوارق العادات شاهدته بنفسى :

في ذات صباح كنت جالساً ، في المنزل ، في غرفة المكتب . كعادتي . وكنت في تلك اللحظة مطأطئ الرأس . ثم رفعت رأسي ناظراً أمامى وإذا بي أجد أمامى إنساناً فأخذت في تأمله دون أن أشعر قط بخوف أو فرح .

كان طويلاً . أقرب إلى النحافة منه إلى السمنة يميل لونه إلى السمرة . وعلى رأسه شالي أبيض أو مايسميه الحجازيون « القطرة » . وكان في وقته منحنياً قليلاً . وقد تأملت ملابسه أيضاً في تفاصيلها وشكلها .

لم يتحدث معي ، ولم أتحدث إليه .

تنقضي حياة الغزالي ، وحياة ابن سينا ، وحياة الخواص ، وحياة العشرات غير هؤلاء

هذا الطريق الزائف سار فيه المشرقون . وحاولوا ما استطاعوا أن يفعلوا بكل فكرة في الجو الصوفي عند مصدر أجنبي . وأن يجدوا في تراث كل صوفي مسلم ألواناً من أفكار سابقة من الزمن مختلفة . أو متحدة في البيئة سار المشرقون في هذا الطريق الفضال ففصلوا وأصلوا .

لقد حصلوا ولم يتأت لهم - بعد أكثر من قرن ونصف - أن يصلوا إلى نتائج موحدة . أو يقينية . أو شبه يقينية . بل لقد ظهروا بمظهر لا يخطون عليه . وذلك أن الكثير منهم كان يرى الرأي اليوم . يؤيده بما شاء من كل شاردة وواردة . ويتلقف من أجله كل خير ورواية . ويخرجه للناس على أنه الحق الذي لا راء فيه . ثم يقبضه هو نفسه من الغد . فيخرج برأى آخر مغاير . يؤيده بما شاء من كل شاردة وواردة . ويتلقف من أجله كل خير ورواية .

لقد فعل ذلك المشرق « نولك » فأعلن هجومية التصوف الإسلامي . ثم عدل عن ذلك وأعلن إسلاميته .

وفعل ذلك « نيكولسن » فأعلن أفلاطونية التصوف الإسلامي ثم أعلن إسلاميته في جوهره ...

وأخذ المشرقون يتحدثون عن مشكلة وهمية هي مشكلة مصادر التصوف ولا يزالون مختلفين .

وجارى الشرقيون المشرقين في الحديث عن مصادر التصوف . وكما اختلف المشرقون فقد اختلف الشرقيون . ولا يزالون مختلفين .

ويستمر الخلاف ؛ لأن النقاش إنما هو عن مشكلة وهمية . ويستمر الخلاف ؛ لأن وضع المشكلة خطأ .

تحليل آراء الصوفي وتفصيلها وتشرحها من أجل أن يعزوا كل فكرة إلى مصدر يختلف عن مصدر الفكرة الأخرى للصوفي نفسه . إن هؤلاء الذين يصنعون ذلك مخطئون .

فالصوفي لا يكون صوفيًا بالقراءة . أو الدراسة والبحث . حتى ولو كانت هذه القراءة والدراسة في الكتب الصوفية نفسها وفي المجال الصوفي خاصة . وقد يكون شخص من أعلم الناس بهذه الكتب . درسنا دراسة باحث متأمل . وعرف قديميها وحديثيها . ويميز بين الزائف منها والصحيح وصفها زمنًا ويميزها أمكنة ... وهو مع ذلك لا سهم له . في قليل ولا في كثير . في المجالات الصوفية .

وتلقد درس الإمام الغزالي كتب الصوفية المحققين . درسها دراسة تعمق وتأمل . لقد درس كتب الحارث المحاسبي . وكتب أبي طالب المكي . وماروي عن الجنيد . وعن الشبلي . وغيرهم . ثم اعترف بأن ذلك لم يجعله صوفيًا . ولو اقتصر على القراءة . مهما كانت عميقة . لما كان له في التصوف نصيب . ليس قراءة كتب الصوفية . سلمًا يرقى به الإنسان في معارج القدس .

وابن سينا درس التصوف في كتبه الأصلية . وخالط الصوفية وتحدث إليهم وكتب في التصوف فصولًا توج بها كتابه الذي كان يعتز به وهو كتاب الإشارات والتنبيهات ... ومع ذلك فإن ابن سينا لم يصير بذلك صوفيًا ولم تجعله دراسته للتصوف وكتابته عنه في عداد الصوفية .

ثم إنه قد يكون الصوفي أميًا لم يقرأ فلسفة ولم يجهد نفسه في بحث والحديث إذن عن المصادر والبيئة والأساتذة والتقليد والتأثر ... في مجال التصوف إنما يقوم على أساس فاسد ، وكل من يتوهم هذا المنهج من الكتاب عثر التصوف إنما يسير في طريق زائف ، ويقف فوق جدار منقوض ، ويعتمد على أسس

يندرجه ويحسه ويشهد . ولامبادى تلقى فى الروح فيدركها الصوف سارية فى كيانه كنه .

لقد تحدثت عن سيدى عبد السلام بن مشيش كموجه . ولا بد للسالك من موجه . لابد له من شيخ يقوده . لابد له من خبير يرشده .

يقول الأستاذ رينيه جينو الفيلسوف الفرنسى المعروف :

« ولا بد فى التصوف من شرط جوهرى هو « التأثير الروحى » . أو بتعبير أدق « البركة » وهى لاتتأتى إلا بواسطة « شيخ » ومن هنا كانت « الطرق » ومن هنا كانت « السلسلة » . وهل السلسلة إلا بركات تنتقل من شيخ إلى مرید يوشك أن يصبح شيخاً فيؤثر بدوره فى مرید أو مریدين ؟ » هـ .

وبعنى الأستاذ رينيه جينو بالبركة « السر » الذى ينتقل من الشيخ إلى المرید حينما تلقى يد المرید بيد شيخه معاهداً إياه على الاستقامة .

وإذا كان الأستاذ رينيه جينو يرى ضرورة الشيخ من أجل « السر » فإن الإمام الرازى يرى ضرورة الشيخ لأن : « من سلك الطريق . وعرف مراحلها ومنازلها . واطلع على متالفها ومعاطبها . أمكنه إرشاد الغير إلى سواء السبيل . والإنجبار عن كيفية تلك الأحوال على التفصيل » هـ .

إلام تستمر مهمة الشيخ ؟

إنها تستمر إلى أن يرتبط السالك بالسما إلى أن يشرق عليه الملائ الأعلى . إلى أن يتمكن فى المجال الروحى . ومن هنا كان طبيعياً أن يقول أبو الحسن . وقد سئل عن شيخه : « أما فيها مفضى فكان سيدى عبد السلام بن مشيش . وأما الآن فأستقى من عشرة أئمة : خمسة سماوية . وخمسة أرضية . أما السماوية فجبريل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل والروح ، وأما الأرضية فأبو بكر وعمر وعثمان وعلى والنبي ﷺ » هـ . وليس معنى ذلك انفصال المرید عن شيخه انفصال تاماً . وإنما معنى

إنهم يتحدثون عن مصادر ثقافية على اعتبار أن التصوف ثمرة ثقافة كسبية . ومادام ثمرة ثقافة كسبية فإنه إذن يتأثر بالوسيلة التى أدت إليه . أى بالثقافة الكسبية التى كان ثمرة لها .

ولكن التصوف ليس ثمرة لثقافة كسبية . إن الوسيلة إليه ليست هى الثقافة . ولكن الوسيلة إليه إنما هى العمل . إن الطريق إليه إنما هو السلوك .

والمعرفة الناشئة عن العمل والسلوك هى إتمام . وهى كشف . وهى ملا أعلى انعكس على البصيرة المجلوة فتذوقه الشخص حالاً . وأحس به ذوقاً . وأدركه إلهاماً وكشفاً .

فهل يتأتى والحالة هذه أن نتحدث عن مجوسية التصوف الإسلامى . أو عن أفلاطونية . أو فارسية . أو هندية ؟

سار المستشرقون فى طريق خطأ . وجاراهم الشرقيون فضلوا بضلالهم . بيد أن المؤلف هو أن الناس ألقوا الحديث عما سماه المستشرقون مصادر التصوف الإسلامى . وشارك فى الحديث عنها القارئون والسامعون . وهكذا لبس الوهم صورة الجدل . واتخذ الزائف مظهر الصحيح . وكان نقاش . وكان جدل . ومازال النقاش ومازال الجدل وسيستمر ذلك إلى أن يصحح الوضع .

وتصحح الوضع إنما هو بخذف الوهم الذى اتخذ صورة الجدل . وبخذف الزائف الذى لبس مظهر الصحيح . أى بخذف مايعبرون عنه بمشكلة « مصادر التصوف » .

ومن أجل ما تقدم لم أكتب عن « مصادر » أبى الحسن . وإذا كنت قد كتبت عن سيدى عبد السلام بن مشيش فإنما كتبت عنه كموجه . موجه فقط . والموجه ليس هو الموحى وليس هو الملهم . ليس الوجه بصيرة ترق وتشف . ولا سراً بصيرة مرآة مجلوة يخادى بها الصوفى شطر الحق . ولأملأ أعلى ينعكس على بصيرة الصوفى

ذلك أن الشيخ رأى بنور الله يرشد السالكين إلى الله . فبدأ إلى الله .. ويشرق بذلك في مشرق . وتوسع الإنسانية في جديدة قريبة العهد من الله . أما الأمر أو الأمور التي يتأملها أي إنسان فإنه سيجد لقد أشاع الماديون على اختلاف يروجون لها في كل مكان . التوفيق في الوصول إلى ص ١ - من ذلك مثلاً أو التصوف والعمل ضداً مؤلفان ، وحياة أبي الحـ لقد كان عاملاً في الز معنىً بترية يحتاج إليه وعنى عناية شديدة بأـ المعركة ، وفي ميدان الحر وعنى عناية شديدة بقض في أن يسر لهم - بتوفيق منها لاقى في سبيل ذلك ٢ - وأشاع الماديون أن صديقان . وتلك فرية أيضاً

قد قطع الطريق . وأنه أصبح جديراً بأن . وبيارك خطواته وتوجيهاته في الدعوة جديد . ويتألق في سماء الروح كوكب يغنى النثر الروحي للإنسانية بإشرافان بها فهي أن حياة أبي الحسن الشاذلي حيناً الأنهام الخاطئة الشائعة عن التصوف . تيراً من الأباطيل ضد التصوف . وأخذوا فتعلقت بأذهان كثير ممن لم يصادفهم عن التصوف . الماديون من أن التصوف والكفاح . أو من أن التصوف والتواكل صنوان مثل التصوف الصحيح - تهدم ذلك : ب حقوق . وزرع وحصيد . ودرس . إن وماشية . حروبهم . حتى لقد كان دائماً في قلب والجند عاملاً ومشجعاً . للمعين الضعفاء والمساكين . وسعى جاهداً وخل لهم ماتعقد ، وبفرج من كرباتهم كم أو عدم ميالة صاحب جاه . حلم لا يجتمعان ، أو أن التصوف والجهل أبي الحسن وحياة الغزالي ، وحياة هؤلاء

لصوفية الذين بلغوا في العلم الذروة والسماء ، وكانوا من الكثرة بحيث لا يكاد بعضهم المؤرخون مها بالغا في الاستقصاء والبحث .

٣ - وأشاع أصحاب الطائعات الكثيفة ، هؤلاء الحسيون المغرورون في التصور الحسي أن الصوفية لا يتأبهون الكتاب والسنة . ومن أجل الرد على هؤلاء عقدنا مثلاً خاصاً عن ذلك يهدم زيفهم وأباطيلهم .

٤ - ثم لقد كان أبو الحسن أنيقاً في ملبسه ، والله جميل يحب الجمال . وكان لا يترتب في مأكله ومشربه مادام حلالاً طيباً ، والله سبحانه وتعالى يقول عن الملبس والمطعم : (قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ؟ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ) .

والتصوف في النهاية هو الاسترسال مع الله على ما يريد . وهو متابعة الرسول ﷺ على ما يجب . هذا باعتباره وسيلة وطريقاً .

وهو قرب من الله ومشاهدة التوحيد باعتباره الغاية . ويلخص هذا وذاك شارحاً الطريق والغاية . ورأساً حياة كل صوفي .

الحديث القدسي الذي نختم به هذا الكتاب . وقد رواه إمام المحدثين أبو عبد الله البخاري في أصح كتاب بعد كتاب الله تعالى . وهو : عن أبي هريرة رضي الله عنه

قال : قال رسول الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه عز وجل :

« من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب ، وما تقرب إلى عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه . وما يزال عبدي يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه . فإذا أحببته

كنت سمعه الذي يسمع به . وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها . ورجله التي يمشي بها . وإن سألني أعطيته ولن استعاذ بي لأعبيده » .

الفصل الشافى

العارف بالله أبو العباس المرسى

١ - حياته

إنها رؤية رمزية لطيفة . تعبر فى عمق عميق . وفى دقة دقيقة عن مكانة العارف بالله أبى العباس المرسى من شيخه أبى الحسن الشاذلى رضى الله عنهما . يروى ابن عطاء الله السكندرى فى كتابه اللطيف : « لطائف المنن » ما يلى : وأخبرنى بعض أصحابنا قال : « رأى إنسان من أهل العلم والخير كأنه بالقرافة الصغرى والناس مجتمعون يتطلعون إلى السماء . وقال يقول : الشيخ أبو الحسن الشاذلى ينزل من السماء ، والشيخ أبو العباس مرتقب لنزوله متأهب له . فرأيت الشيخ أبى الحسن قد نزل من السماء . وعليه ثياب بيض فلما رآه الشيخ أبو العباس نبت رجله فى الأرض ونهياً لنزوله عليه . فنزل الشيخ أبو الحسن عليه . ودخل من رأسه حتى غاب فيه .. واستيقظت » اهـ .

هذا الرمز الجميل لصلة أبى العباس بالشاذلى : هذا الرمز الذى يشير إلى الاتحاد بينهما فى المنهج والفكر والسلوك . يجاريه ويسير معه فى نسق واحد مارواه ابن عطاء الله أيضاً . قال : من المشهور بين أصحاب الشيخ أبى الحسن وغيرهم . أن الشيخ كان يوماً بالقاهرة فى دار الزكى السراج . وكتاب المواقف للنفرى يقرأ عليه . فقال : أبى أبو العباس ؟ فلما جاء قال : يا بنى تكلم ، يا بنى تكلم بارك الله فىك ،

وقد كان يذمها معترفاً بفضله وفضلها . فمن ذلك مثلاً أنه كان يفسر قوله تعالى :
(لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ
بَعْدَ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُمْ يَرْتَوْفُونَ رَجِيمٌ . وَعَلَى
الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ
أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنْ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ . ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيُتَوَدَّ . إِنَّ اللَّهَ هُوَ
الْكَرِيمُ الرَّحِيمُ) .

فأخذ يقول عن شيخه أبي الحسن رضى الله عنها : ذكر توبة ما لا يذنب .
لئلا يستوحش من أذنب . لأنه ذكر النبي ﷺ . والمهاجرين . والأنصار . ولم
يذنبوا . ثم قال : (عَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا) . فذكر من لم يذنب ليؤنس من
أذنب . فلو قال أولاً : لقد تاب الله على الثلاثة الذين خلفوا لتفطرت أكبادهم .
ولقد كثر حديثه عن شيخه فكان يقول كثيراً : قال الشيخ .. قال الشيخ ..

فقال له إنسان : لا نراك أبداً تسد لنفسك كلاماً ؟ فقال رضى الله عنه :

لو أردت عدد الأنفاس أن أقول : قال الله عز وجل .. لقلت .

لو أردت عدد الأنفاس أن أقول : قال رسول الله ﷺ لقلت .

ولو شئت أن أقول عدد الأنفاس : قلت أنا . لقلت .

ولكن أقول : قال الشيخ ، وأترك نفسي أدباً .

وروى صاحب درة الأسرار قال : ومن مكاتباته من الإسكندرية يجاوب
بعض أصحابه بتونس . ووقفت على هذا الكتاب بخطه رضى الله عنه . كتاب
طويل يسأله عن الحال . ويقول في آخره :

« والأحوال ما هي إلا كما تعهد . وأنى صحبت رأساً من رهوس الصديقين
وأخذت منه سرّاً . لا يكون إلا لواحد بعد واحد . والشرح يطول . وبه افتخر .
وبإيه أنسب . رضى الله عنه وهو أبو الحسن الشاذلى . وكان لا يصحبه أحد إلا أفتح

كلم وإن تسكت بعدها أبداً . فقال الشيخ أبو العباس : فأعطيت في ذلك الوقت
سان الشيخ . ويجاريه أو يتطابق معه في صورة جميلة أيضاً مقالته الشاذلى رضى الله
عنه له : « يا أبا العباس ماصحبتك إلا لتكون أنت أنا ، وأنا أنت » .

لم يمت الشاذلى رضى الله عنه حين مات . وإنما غاب في أبي العباس أوبى في
ت العباس . لقد كان أبو العباس امتداداً للشاذلى . فقد غاب فيه . وكان لسانه .
كان هو هو . وكان الشاذلى هو الحلقات الأولى في الطريق . وأخذت هذه
حلقات تتسلل متحدة للألاء على مر الزمن . فكانت مدرسة بدأها في قوة قوية
والحسن . وتابعه وترسم خطاه على هدى وعلى بصيرة من تبعه . وكان على رأس
تابعين أبو العباس .

ولقد كان الشاذلى يحب أبا العباس كما يحب الإنسان صورة لنفسه ، أوكما يحب
من آثاره ، أوكما يحب ابناً نجيباً من أبنائه .

ونقدير الشاذلى لأبي العباس تقدير جميل . إنه يذكره غير مرة مبصراً الناس
شبه ويقول عنه مرة : هذا أبو العباس منذ نفذ إلى الله لم يحجب عنه . ولو طلب
حجاب لم يجده . ويقول مرة أخرى للشيخ الصالح زكى الدين الأسوانى :
« رضى عليك بأبي العباس . فوالله إنه لبأبيه البدوى يقول على ساقيه . فلا يمسى
بنيه أنساء إلا وقد وصله إلى الله . يازكى عليك بأبي العباس . فوالله مامن ولي لله
د . وهو كائن إلا وقد أطلعه الله عليه . يازكى أبو العباس هو الرجل الكامل .
ومرة ثالثة يقول عنه : أبو العباس بطرق السماء أعرف منه بطرق الأرض .
وذكر . يشيد به ، ويعرف الناس بمكانته الروحية العالية . يقول الشيخ ماضى بن
سعر . وقع بينى وبين أبي العباس كلام فسمعنى الشيخ فقال لى : يا ماضى : الزم
أدرك مع أبي العباس . فوالله إنه لأعرف بأزقة السماء أكثر مما تعرف أنت أزقة
الأمم . سرية . ولقد كان أبو العباس من جانبه وفيما كل الوفاء لتربية شيخه وتعاليمه .

وما كان فناؤه في أبي الحسن . ولا فناؤه في الدعوة إلا فناء في الله ورسوله . في حينها . وفي العمل جاهداً على مرضاتها . ومن كان كذلك لا يهتم بالحديث عن نفسه . على أن التزعة العامة عند الصالحين في اتجاههم الحديث الصادق إلى الله . إنما هي إلغاء الآتية . إنها الدوبان في الرسالة الدوبان في تحقيق الرسالة أولاً : في النفس . بالتزامها التزاماً تاماً . وثانياً : في المجتمع . بالعمل الجاهد على نشرها . وتحقيقها واقعياً . ومثلهم في ذلك هو رسول الله ﷺ .

لقد كان صلوات الله وسلامه عليه . يلقى الأضواء كلها على الرسالة وما كان يهتم بنشر الأخبار عن حياته الشخصية . اللهم إلا إذا كان لابد من ذلك من أجل الدعوة نفسها .

على أن الصوفية ينفرون عادة من الحديث عن أنفسهم . اللهم إلا إذا كان ذلك بيان وإيضاح لدعوتهم . وفي هذه الحالة لا يكون الحديث حديثاً عن النفس . وإنما يكون حديثاً عن الدعوة . « وقد سئل الشبلي رضي الله عنه يوماً فقيل له : لم سميت الصوفية بهذه التسمية ؟ فقال : لبقية بقيت عليهم من نفوسهم . ولولا ذلك لما تعلق بهم التسمية » .

فالصوفية يحاولون إلغاء الآتية . إنهم يهدفون حتى إلى إلغاء أسمائهم لو استطاعوا فيعيشون فناء كاملاً في الله سبحانه وتعالى والله عز وجل . أي في سبيل الله تبارك وتعالى .

وإذا ما جئنا الآن لأبي العباس المرسى . فإن التاريخ يجدنا أنه ولد في الأندلس في بلدة « مرسية » التي ينسب إليها . ولد سنة ٦١٦ هـ ١٢١٩ م . ويتصل نسبه بالأَنْصار الذين أخبر رسول الله ﷺ أن حبيبهم من علامات الإيمان . إن نسبه يتصل بسعد بن عباد . سيد الخبزج .

ولد في « مرسية » ونشأ بها . حيث كان والده يعمل في التجارة ويبدو أن حالة

الله له في يمين أو ثلاثة فإن لم يجد شيئاً بعد ثلاثة أيام فهو كذاب . أو يكون صادقاً . ولكم أخطأ الطريق . ودليله من كتاب الله عز وجل :

(قال رب اجعل لي آية . قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاثة أيام إلا رمزاً) . وكان يقول : إذا عرضت لك إلى الله حاجة فأقسم عليه بي . فكنت والله لا أذكره في شدة إلا انفرجت . ولا على أمر صعب إلا هان . وأنت يا نبي إذا كنت في شدة فأقسم على الله به . وقد نصحتك والله يعلم ذلك . والسلام . وهذا كله توضيح للرؤيا التي صدرنا بها هذا الفصل . وهي مع ذلك في دقتها الدقيقة غير محتاجة إلى توضيح . والواقع أن أبا الحسن رضي الله عنه كان امتداداً لأبي العباس في الماضي . وكان أبو العباس امتداداً له بعد انتقاله .

ومن الطريف في الرؤيا أنها تذكر أن أبا العباس عندما رأى الشيخ نازلاً من السماء . ثبت رجله في الأرض . وتنبأ لتزوله عليه . وهذا يشير إلى أن محاولة أبي عباس أن يكون في وحدة واحدة مع الشاذلي رضي الله عنها لم تكن سهلة . وإنما احتاجت إلى جهد عير عنه بثبيت الرجلين في الأرض . والتهوؤ للتزول . ويرشد من جانب آخر إلى أن مقام أبي الحسن مقام كبير يحتاج تمثله إلى جهد غير

مر هو أبو العباس ؟ وكيف اتصل بأبي الحسن ؟

حينما نريد الحديث عن حياة أبي العباس الشخصية . فإننا لا نكاد نجد شيئاً . لم يكن أبو العباس معيّناً بالحديث عن نفسه ولم يكن مهتماً بالتأريخ . إنه لم يتحدث عن أسرته . ولم يتحدث عن نفسه . ولم يشد بأفعاله . لقد مررت في الحسن . فلم يكن في آفاقه فراغ للحديث عن نفسه . ثم فني في الدعوة . ثم بعد أبي الحسن . فلم يكن في آفاقه فراغ للحديث عن نفسه .

مهمة المؤدب الذي كان من
في أتوار القرآن ، فأتخذ من
رأفة والكتابة ومبادئ الدين

• لأجل أن يكون ثاني خلفاء
شاكاً للشاذلي ، وليكون قطعاً
ليقص كيفية اتصاله بالشاذلي
- وأنا إذ ذاك شاب سمعت
تمضي بنا إليه فقلت : حتى
إلى رأس جبل ، طما علوت
هو جالس وعن يمينه رجل .
خليفة الزمان قال : فانتبهت .
دعاني إلى زياره الشيخ ففسرت
في الجبل فدعشت ! فقال لي :
نبي ونبي . فقال لي : رفعت
المنطلق . والممانه المتلفعة ،
الصادق لشبهه الماروف .
• واستعدداً طلياً للإقبال على
تربية توهله لاهل خليفته من

قاضي القضاء البراء - هذا
سمة الشاذلي ، وكانت نتيجة

الوالد كانت من اليسر بحيث مكنته من إرسال ابنه إلى مؤدب لتعلم القرآن والتفقه
في أمور الدين . يقول أبو العباس وكنت وأنا صبي عند المؤدب ، جاء رجل
موجلي أكب في لوح . فقال : الصوفي لا يسود بياضاً فقلت : ليس الأمر كما
زعمت ، ولكن لا يسود الصخائف بسواد الذنوب .

هذه القصة تدل دلالة واضحة على ذكاء غير عادي وعلى مهارة وفهم
لا يوجدان في المستوى العام في أطفال الكاتب ، وترسم أيضاً انجهاً إلى الصلاح
وتتقوى منذ هذه السن المبكرة .

أما نشأة أبي العباس على الصلاح والتقوى في هذه السن المبكرة ، أو بتعبير
أدق ، صقل فطرته الصافية ، وتثبيتاً على الصلاح والتقوى ، فقد تكفل بها المؤدب
نذري كان يفقهه ويريه . ويقول أبو العباس : عمل إلى جانب دارنا خيال
نستار . وأنا إذ ذاك صبي . فحضرتة ، فلما أصبحت أتيت إلى المؤدب وكان من
أولياء الله تعالى فأنشد حين رآني .

بناظرًا صور الخيال تعجبًا وهو الخيال بعينه لو أبصرنا

وخجل أبو العباس ، وعزم في نفسه أن يأخذ في حياته مسلك الجد .
ولما بلغ مرحلة الشباب وبلغ درجة الاستقلال بنفسه في التفقه والدراسة ، أخذ
في معاونة والده في الأعمال التجارية . فكان التاجر الصدوق . ذلك كل ما تعلم عن
أبي العباس قبل سنة ٦٤٠ هـ أربعين وستانة هجرية . وفي سنة ٦٤٠ هـ - ١٢٤٢ م
حرم والده أمره . ورتب شؤنه على أن يقوم بالحج إلى بيت الله الحرام ، وأخذ
الأسرة معه . وركبوا البحر ، وشامت إرادة الله سبحانه وتعالى أن تهب عليهم
بحاصفة بالقرب من شاطئ بونة . فاستشهد والده وللده غرقاً . ونجا هو وأخوه
عبد فيما شطر تونس . وأتجه محمد نحو الأعمال التجارية ، على غرار والده . أما

أحمد فلم يكن حينه إلى التجارة . و
أولياء الله ، وكان هواه هو تعليم القرآن
زاوية التقية ، وعمر بن خلف ، مكا
والقرآن الكريم .

وكان القاضيات به من مربية
الطريقة الشاذلية . وليكون داعية إلى
من كبار الأقطاب . وعلماً من أشهر
فيقول : لما نزلت بتونس وكنت أتيت
بذكر الشيخ أبي الحسن الشاذلي . و
استخير الله . فسمعت تلك الليلة . فراء
فوقه . رأيت هناك رجلاً : عليه برز
وعن يساره رجل : فنظرت إليه فقال
طما كان بعد صلاة الصبح . جاء
معه . فلما دخلنا عليه رأيته بالصفة
عشرت على خطيئة الزمان . ماسمك ؟
في منذ عشر سنين . ويهره أبو الحسن
وسلوكة الريافي فلازمه أبو العباس
ورأى الشاذلي فيه فطرة طاهرة
الله . فتمحه ودعه . وغمره بعبادته .
يعلمه .

وحلت في « تونس » سوء تقاه
الحلاق الذي سبق أن فصلناه في ك

فأكلنا . فقال الشيخ : رأيت في المنام قاتلا يقول : أهل الحلال مالم يحظر لك
ببال . ولا سألت فيه أحداً من النساء أو الرجال .

واستمر أبو العباس مع الشاذلي يسير في ضوء تربيته . وبنح طريقه لا يجد عنه
قيد شعرة إلى أن كانت وفاة الشاذلي .

لقد بشر الشاذلي بأنه سيموت ويدفن في أرض لم يعص الله عليها قط . فلما كان
في طريقه إلى الحج ووصل إلى حميرة^(١) . وقد خيم الركب للمبيت جمع أصحابه
وأوصاهم بأشياء وأوصاهم بحزب البحر . وقال لهم : حفظوه لأولادكم . فإن فيه
اسم الله الأعظم .

وخلا باني العباس المرسي وحده رضى الله عنها . وأوصاه بأشياء واختصه بما
اختصه الله به من البركات . وقال لأصحابه : إذا أنا مت فعليكم بأبي العباس
المرسي : فإنه الخليفة من بعدى . وسيكون له بينكم مقام عظيم . وهو باب من
أبواب الله سبحانه . يقول صاحب كتاب « درة الأسرار » نقلا عن نجل الشيخ
أبي الحسن : وبات تلك الليلة متوجهاً إلى الله سبحانه ذاكراً اسمه يقول : إلهي . .
إلهي .

فلما كان السحر سكن . فظننا أنه نام . فحركناه فوجدناه ميتاً رحمه الله .
واستدعينا سيدى أبا العباس المرسي فغسله وصلينا عليه . ودفناه بحميرة . وهذا
الموضع بيرية عذاب . في واد على طريق الصعيد .

(١) يقول صاحب تاج العروس : حميرة . بضم فتح . أهله الجماعة . وهو (ع) بصحره عذاب)
بالصعيد الأعلى . بينه وبين الأقصرين يومان للمجد . به قبر إمام الطائفة سيدنا القطب أبي الحسن علي بن عمر
الشاذلي . قدس الله سره . ونعم بركاته . وهو على منقطع على غير طريق . ويقال فيه أيضاً : حميرا بالألف
ومن أقوال دفينه المذكور لطيفه أبي العباس المرسي حين سأله عن حكمة أخذ القاس والحنوط والكفن : في
حميرة سوف ترى .

أن غادر الشاذلي تونس . ميمماً شطر الديار المصرية ورافقه في هذا السفر جماعة
كان على رأسهم أبو العباس . وعن هذا السفر يقص أبو العباس القصصتين التاليتين .
نروهما لا فيها من بيان لبعض مناحي أبي الحسن في التوجيه والتربية اللذين أثمر ثمرًا
ناضحًا هو أبو العباس وزملائه .

١ - قال الشيخ أبو العباس : كنت مع الشيخ في السفر . ونحن قاصدون
الإسكندرية حين مجيئنا من الغرب . فأخذني ضيق شديد حتى ضعفت عن حملي .
فاتيت إلى الشيخ أبي الحسن . فلما أحس بي قال : أحمد . قلت : نعم ياسيدي
قال : آدم خلقه يده . وأسجد له ملائكته وأسكنه جنته . ثم نزل به إلى
الأرض : والله ما أنزل الله آدم إلى الأرض لينقصه . ولكن نزل به إلى الأرض
ليكمله . ولقد أنزله إلى الأرض من قبل أن يخلقه بقوله تعالى :

(إني جاعل في الأرض خليفة)

ماقال في السماء . ولأفي الجنة : فكان نزوله إلى الأرض نزول كرامة .
لا لنزول إهانة . فإنه كان يعبد الله في الجنة بالتعريف . فأنزله إلى الأرض ليعبده
بالتكليف . فلما توفرت فيه العبوديتان استحق أن يكون خليفة .

وأنت أيضاً لك قسط من آدم كانت بدايتك في سماء الروح في جنة التعريف .
فأنزلت إلى أرض النفس لتعبده بالتكليف . فإذا توفرت فيك العبوديتان استحققت
أن تكون خليفة وزال ضيق أبي العباس وانشرح صدره .

٢ - ويقول أبو العباس أيضاً : لما قدمنا من الغرب إلى الإسكندرية . نزلنا
عند عمود السورى من ظاهرها . وكان دخولنا عند اصفرار الشمس . وكانت بنا
فاقة وجوع شديد فبعث إلينا رجل من عدول الإسكندرية بطعام . فلما قبل للشيخ
عنه قال : لا يأكل أحد منه شيئاً . فبتنا على ما نحن عليه من الجوع . فلما كان عند
الصبح صلى بنا الشيخ وقال : مدوا السباط وأحضروا ذلك الطعام ففعلوا وتقدمنا

واضحاً من مواقف أبي الحسن مع أبي العباس : ومن حديثه عنه أنه كان يعدد للخلافة . بل لقد أقامه فيها بصورة تشبه أن تكون صريحة حيناً استدعاه وقال له : يا أبا العباس . تكلم بين الناس فجلس في جامع المطارين بالإسكندرية . فصاروا بالكلام والتدريس والدعوة إلى الله عن إفته وأمر منه . وحمل أبو العباس لواء الدعوة إلى الله طيلة حياته . متتابعاً فيها . بأدراك ما يستطيع في سبلها حتى انتهت به الحياة ، واضحاً عن الله ، مرضياً عنه من الله ، وكان ذلك في الخامس والعشرين من ذي القعدة سنة ٦٨٥ هـ - ١٢٨٧ م . وكان يبلغ تقريباً سبعين عاماً ، رحمه الله رحمة واسعة .

من كراماته :

وقد ذكر له صاحب كتاب جامع كرامات الأولياء العارفين بالله الشيخ يوسف النياتي عدة كرامات . فقتصر منها على مايلي :

يقول : من كراماته رضي الله عنه أنه كان يقول :
 لي أربعمائة سنة ما حجت عن رسول الله ﷺ . ولو حجت عنه طريقة عين ما عدت نفسي من جملة المسلمين .

ومن كراماته أنه قال : وأما الخضر عليه السلام فهو حي . وقد صافحته بكفى هذه . وأخبرني أن كل من قال كل صباح : اللهم اغفر لأمة محمد ﷺ . اللهم أصلح أمة محمد ﷺ . اللهم تجاوز عن أمة محمد ﷺ . اللهم اجعلنا من أمة محمد ﷺ « صار من الأبدال . فعرض بعض الفقهاء ذلك على الشيخ أبي الحسن الشاذلي فقال : صدق أبو العباس (٣) .

(٣) للرجح : كتاب جامع كرامات الأولياء . تأليف يوسف بن إسماعيل الشافعي الجزء الأول ص ٥٢٠ وما بعدها .

يقول صاحب «درة الأسرار» : وقد شربت من مائها . وززت ضريحه . ورأيت له البركات . فقع الله به في الدنيا والآخرة .

قال : ولا دفناه اخلف أصحابه في الرجوع أو التوجه فقال لهم سيلي أبو العباس : الشيخ أمرني بالحج وودعني بكرامات . وتوجهنا ودينا تهوناً وبركات . ورجعنا صحيحه .

وما حدث لهم في أثناء سفرهم إلى الحج ما حدث به أبو العباس قال : سافرنا مع الشيخ رضي الله عنه في السنة التي توفي فيها . فلما كنا عند أنجم . قال لي الشيخ : رأيت البارحة كآفي في جلبة وأنا في البحر . والرياح قد انعطفت ، والأمواج قد تلاطمت ، والمركب قد انفتح ، وأشرفنا على الفروق ، فأتيت إلى جانب للمركب وقلت : أيها البحر ، إن كنت قد أمرت بالسمع والطاعة لي قللة قد السميع العلم . وإن كنت أمرت بغير ذلك فالحكم قد العزيز الحكيم ، فسمعت البحر يقول : الطاعة .. الطاعة .

فلما سافرنا . وتوفي الشيخ رضي الله عنه ودفناه بحميرة من صحراء عذاب . وكنا في جلبة . فلما صرنا في وسط البحر . انخلفت الأمواج وتلاطمت الرياح . وانفتح المركب . وأشرفنا على الفروق . ونسيت كلام الشيخ . فلما اشتد الأمر ذكرت ذلك . فأتيت إلى جانب للمركب وقلت : أيها البحر إن كنت أمرت بالسمع والطاعة لأولياء الله فإني قد سمعت العلم . ما قلت كما قال الشيخ بالسمع والطاعة لي : وإن كنت أمرت بغير ذلك فالحكم قد العزيز الحكيم . فسمعت البحر يقول : الطاعة الطاعة . وسكن البحر وطاب السفر ! هـ . وظهر أبو العباس من بعد الشاذلي ظهوراً عظيماً . وظهرت له كرامات كثيرة (٤) هـ . على أنه كان يبدو

(٤) درة الأسرار .

على الشيخ رضي الله عنه قال : لا تطالبوا الشيخ بأن تكونوا في خاطره ، بل طالبوا أنفسكم أن يكون الشيخ في خاطركم ، فقل مقدار ما يكون الشيخ عندكم ، تكونون عنده . ثم قال : أي شيء تريد أن تكون ؟ والله ليكون لك شأن . ومن دقته في مراعاة الكرامة الإنسانية للمريدين ، أنه كان يكره للأشياخ إذا جاءهم يريد أن يقولوا له : قف ساعة . ويقول : إن المرید يأتي إلى الشيخ بجمته المتوقدة ، فإذا قيل له : قف ساعة . طفق ما جاء به .

ومع ذلك فإن للشيخ حسبا يرى أمثالا ، أن يطالب المرید مادام قاصرا عن حقيقة دعواه ، ولا يستمر في ذلك إلى الأبد ، ولكن إذا بلغ المرید مبلغ الرجال ، لم يطالبه شيخه ببرهان على دعواه وذلك لخروجه عن مقام التلميس . وكان رضي الله عنه إذا رأى مريضا دخل في أوارده بنفسه وهواه ، أخرجه منها ، وكان يحب دائما إخراج المريدين عن هوامهم ، ويقول لهم مثلا : من أحب الظهور ، فهو عبد الظهور ؛ ومن أحب الخفاء فهو عبد الخفاء ؛ ومن كان عبدا لله ، فسواء عليه أظهوره أو أخفاه .

ولأجل إخراج المريدين دائما عن هوامهم بقص عليهم أن رسول الله ﷺ ، سمع أبابكر يقرأ ، ويخفي صوته ، وسمع عمر يقرأ ، ويرفع صوته فقال لأي بكر : لم خفضت صوتك ؟ فقال قد أتممت من ناجيت . وقال لعمر : لم رفعت صوتك ؟ فقال : لأوقظ الوسنان وأطرد الشيطان . فقال لأي بكر : ارفع قليلا . وقال لعمر : اخفض قليلا .

قال الشيخ رضي الله عنه : أراد أن يخرج كلا منهما عن إرادته لنفسه ، لمراد رسول الله ﷺ له .

ويتأسي الشيخ رضي الله عنه برسول الله ﷺ فيخرج للمريدين دائما عن هوامهم ، وإذا رأى مريضا يفتقر بزمه في الدنيا يقول له : يا أخي لقد عظمت

الدنيا حين رأيت لها وجودا ، حتى زهدت فيها فقدرها أص وما يتصل عادة بالظهور والفخر أمران :

الأمر الأول : وهو السلوك في الزى ، وفي المأكول والمشرب إلى التصوف يحبون المرقعات ، وعليط الطعام والشراب وقد كان يصادف رغبة من بعض المريدين في ذلك ، فإذا كانت سياست رأى المدرسة الشاذلية على وجه العموم في ذلك ؟

يقول ابن عطاء الله : طريقة الشيخ أبي العباس وشيخه أبو عنها ، وطريقة أصحابها ، الإعراض عن لبس زى يتنادى بالإفشاء ، ويفضح عن طريقة بالإبداء ، ومن لبس الزى ويقول أبو العباس معبرا عن رأي شيخه ، وعن أتباعه له : أتبي الحسن وفي نفسي أن آكل الخشن وألبس الخشن ، ياأبا العباس ، اعرف الله وكن كيف شئت .

وبروي أبو العباس أيضا في ذلك أنه دخل على الشيخ أبو لباس من شعر ، فلما فرغ الشيخ من كلامه دنا من الشيخ وأبسدى ما عبد الله بمثل هذا اللباس الذي عليك . فأمسكك الخشونة فقال : ولا عبد الله بمثل هذا اللباس الذي عليك . لبس منكم ، فلا تعطوني ، ولباسك يقول : أنا فقير إليكم فأعني ويعقب على ذلك ابن عطاء الله فيقول : ولا تفهم رجما القول على من لبس زى الفقراء ، بل قصدنا أنه لا يلزم كل

للقوم أن يلبس ملابس الفقراء . فلا حرج على اللابس ولا كان من المحسنين : (ماعلى المحسنين من سبيل) .

وأما لبس اللباس اللين ، وأكل الطعام الشهي ، و

فأقبل بحصر البول، واشتد به الأمر، فصر. ثم لم يصبر على الصبر، فأظهر الألم، وصار يمر على الصبيان والناس، ويقول: ادعوا لمعكم الكذاب. يقص الشيخ قصته ثم يقول: لو كان سمون عرض مقال فكيفما شئت فأخبرني، قال: فاعف عني، لكان أولى من طلب الاختبار. وإنما وقع الامتحان لسمون لغفلته عن التبري من الدعوة، فلو قال: مدني بالقوة، ثم أخبرني بما شئت، لم يمتحنه.

وكان رضي الله عنه يقول للمريدين: إذا قيل لك أنخاف الله تعالى؟ فقل نعم: لكن بقدر ماخفه من الخوف، وكذلك القول في أنحب الله تعالى؟ فمن سلك ذلك لا يقع له امتحان لتعويله على الله، لا على قوة نفسه هو وقد قالوا كل مدح ممتحن، وهذا ميزانه. والله أعلم.

وكان يحدث المريدين بكثير من مناحي تربية أبي الحسن له فيقول لهم مثلاً: دخلت يوماً على الشيخ أبي الحسن رضي الله عنه فقال لي: إن أردت أن تكون من أصحابي فلا تسأل أحداً شيئاً، وإن أتاك شيء من غير مسألة فلا تقبله فقلت في نفسي: كان النبي ﷺ يقبل الهدية، وقال: ما أتاك من غير مسألة فخذ.

فقال الشيخ: كأنك تقول: كان النبي ﷺ يقبل الهدية. وقال ما أتاك من غير مسألة فخذ؛ والنبي ﷺ قال الله في حقه: (فَلْ إِنَّمَا أُتِرَكُمْ بِالْوَحْيِ) متى أوحى الله إليك؟

إن كنت مقتدياً به في الأخذ فكن مقتدياً به في كيفية الأخذ. كان ﷺ لا يأخذ شيئاً إلا ليبيح من يعطيه، ويعرضه عليه فإن تطهرت نفسك، وتقدمت هكذا فأقبل... وإلا فلا.

وما يسع في نسق القصة السابقة. ما أخبر به الشيخ الصالح بالوقت الجبشي

ويفسر ذلك الإمام ابن عطاء الله فيقول: ومعنى كلام الشيخ رضي الله عنه: لن يصل الولي إلى الله حتى تنقطع عنه شهوة الوصول إلى الله؛ أي انقطاع أدب لا انقطاع ملل، فإنه يطلب عليه التفويض إلى الله وشهود حسن الاختيار منه، فليق القيادة إليه، ويترك نفسه مسلماً بين يديه، فلا يختار مع مولاه شيئاً لعلمه بما في الاختيار مع الله من الآفات. ولنا في هذا المعنى من قصيدة ذكرناها في كتاب التنوير.

وكن عبده والى القيادة لحكمه وإياك تدبيراً فما هو نافع أنحكمت تدبيراً وغيرك حاكم أنت لأحكام الإله تنازع فجو إرادات وكل مشيئة هو الغرض الأقصى فهل أنت سامع؟ كذلك سار الأولون فأدركوا على إثرهم فليمش من هو تابع وما من شك في أن ابن عطاء الله يقصد أن يكون الجزم القلبي والتيقن النفسي إنما هو التفويض لله سبحانه. فليس مع تدبير الله تدبير. ولا مع إرادته إرادة. ولا يتناقى هذا مع اتخاذ الأسباب فقد قال الله سبحانه وتعالى: (خُذُوا حِزْبَكُمْ) وقال سبحانه: (وَأَعْلُوا لَهُمْ تَأَمَّسْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ).

ولقد كان رسول الله ﷺ يحكم الأمر إحكاماً، وكان من قبل إحكام الأمر، وفي أثناء إحكامه. ومن بعد إحكامه. مفوضاً كل أموره إلى الله. موقناً بأنه سبحانه فقال لا يريد.

لا بد إذن - مع اتخاذ الأسباب - من التبري من الحول. ومن التفويض إلى الله. وكان أبو العباس يحاول تثبيت ذلك في أذهان المريدين بكل الوسائل فيقص عليهم مثلاً قصة سمون الحب، لقد قال:

وليس لي سواك حظ فكيفما شئت فأخبرني

ولم ينس الشيخ رضى الله عنه أن يبين المرشدين إلى فضائل معينة ليلزموها في أنفسهم ، ولتكون أساساً يرشدهم إلى صداقة من يتحقق بها ؛ يقول رضى الله عنه : قال لى شىخى : لا تصحب إلا من تكون فيه أربع خصال :

الجود من القلة ، والصفع عن المظلمة ، والصبر على البلية ، والرضا بالقضية .

ونذكر فى النهاية بعض أمثلة مما كان من توجيهات الشيخ لابن عطاء الله السكندرى . لقد ذكرنا فيها مقضى بعضاً منها ؛ ونذكر الآن مايلى :

يقول ابن عطاء الله ، وسمعته يقول : أريد أن أستسخ كتاب التهذيب ، لولدى جمال الدين ، فذهبت أنا فاستسخته ، من غير أن أعلم الشيخ وأتيت به بالجزء الأول فقال : ما هذا ؟ قلت : كتاب التهذيب استسخته لكم ، فأخذته فلما نهض ليقوم قال : اجعل فى بالك أن الولي لا يتفضل عليه أحد ، نجد هذا إن شاء الله فى ميزانك . فلما أتيت بالجزء الثانى ، لقينى بعض أصحابه بعد نزولى من عنده ؛ وقال : قال الشيخ عنك : والله لأجعلنه عيناً من عيون الله ، يقتدى به فى العلم الظاهر والباطن ، فلما أتيت بالجزء الثالث ، ونزلت من عنده لقينى بعض أصحابه ، وقال : طلعت عند الشيخ فوجدت عنده مجلدة حمراء . فقال : هذا استسخته لى ابن عطاء الله فوالله ما رضى له مجلدة جده ، ولكن بزيادة التصوف .

وأخبرنى بعض أصحابه قال : قال الشيخ يوماً : إذا جاء ابن عطاء الله فقيه الإسكندرية فأعلمونى به ، فلما أتيت . أعلمنا الشيخ بك فقال تقدم . فتقدمت بين يديه . ثم قال : جاء جبريل عليه السلام إلى رسول الله ﷺ ومعه ملك أمره الله أن يطبع أمرى فى قرش ، فلم عليه ملك الجبال ، وقال : يا أحمد ، إن شئت أطبق عليهم الأخشبين فعلت . فقال رسول الله ﷺ : لا ، ولكن أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يوحى الله ، ولا يشرك به شيئاً فصر عليهم رسول الله ﷺ رجاء أن يخرج من أصلابهم ، كذلك صبرنا على جد هذا الفقيه ، لأجل هذا الفقيه .

بمدينة الإسكندرية فى عام خمسة عشر وسبعمائة . وكان من أصحابه وخدامه . قال : كنت أتعب فى مسجد بخارج الإسكندرية ، فبقيت فيه مواسلاً أياماً . فأصابنى الجوع ، فدخلت الإسكندرية فأصداً الشيخ ، فوجدت فى طريقى درهما فأردت أن اشتري به خبزاً وإداماً فأريت فى السوق زيبياً طيباً . وكنت أعلم أنه يجه لأنه من بلاد الأندلس وهو كثير بيلاده ، قال : فاشتريت به زيبياً وآثرته على نفسى وقصدت إليه فوجدته جالساً فى القلعة ، لأنه كان يسكنها بعد الشيخ ، قال : فوضعت الزبيب بين يديه . وجلست ساعة ، وأردت أن أقوم فقال لى : اجلس ، قال : فجلست وإذا برجل وصل إليه بمائدة فيها كبش سمين مشوى ، وورق طيب ، فقال لى : هذا فتوحك ، لما آثرنى على نفسك وأنت جائع فكمل ، فأكلت وحذى حتى غلبت^(١) ، ثم أمر الفقراء بأكله . وقال لى : ارفع الزبيب ، وتصدق به . فإننا لا تباح لنا اللقطة .

وما يتصل بذلك أنه كان يقول للمريدين : من اشتري زيبياً من بيع ، فلما فرغ قال له ، زدنى فزاد خيطاً ، فدينه أرق من ذلك الخيط .

ومن اشتري قمحاً فلما فرغ ، قال له : زدنى ، فزاده فحمة . فقلبه أسود من تلك الفحمة . وقد اتفق رضى الله عنه مع أستاذه أبى الحسن على ميزان الصدق للمريد ، يزن به نفسه . يقول رضى الله عنه : سمعت الشيخ أبى الحسن الشاذلى رضى الله عنه يقول : من ثبتت ولايته من الله تعالى لا يكره الموت ، وهذا ميزان للمريدين ليزنوا به نفوسهم إذا ادعوا ولاية الله ، فإن من شأن النفوس وجود الدعوة للمراتب العالية من غير أن يسلك السيل الموصل إليها . قال تعالى : (فَتَتَّبِعُوا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) .

وت ليلة من الليالي مهموماً ، فزارت الشيخ في المنام ، فشكوت إليه ما أنا فيه . فقال : اسكت ، والله لأعلمنك علماً عظيماً ، فلما استيقظت أتيت إلى الشيخ رضى الله عنه ، فقصصت عليه الرؤيا ، فقال حكنا تكون إن شاء الله . وقدم يوماً من السفر ، فخرجنا للقائه . فلما سلمت عليه . قال : يا أبا أحمد كان الله لك ، ولطف بك ، وسلك بك سبيل أوليائه ، وبهاك بين خلقه ، فلقد وجدت بركة هذا الدعاء وعلمت أنه لا يمكنني الانقطاع عن الخلق ، وأنى مراد بهم لقوله :

« وبهاك بين خلقه » اهـ .

لقد ذكرنا كل ذلك في صلة الشيخ بابن عطاء الله لنذكر صورة قريبة من الواقع في الارتباط الوثيق بين الشيخ ومريديه . وهذه الصورة هي التي نصفها مثلاً وضاء لأئمة التصوف مع مريديهم . لقد كان رضى الله عنه :

(أ) يتفقد حال المريدين . ويسأل عما ظهر من أحوالهم وعما خفى .

(ب) وكان يخرجهم عن هواهم . ويتحرى أن بصرف عنهم حب الظهور

سواء أكان ذلك عن طريق لبس الرقعات . أم عن طريق غيرها .

(ج) وكان رضى الله عنه يوجههم إلى أن يسوموا بهمهم إلى معالي الأمور .

متسامين عن صفاتها .

(د) وكانت تربيته جماعية وفردية : أى أنه كان يتحدث عن أمراض عامة .

ولا يقتصر على ذلك ، بل يعالج كل فرد بما يتناسب مع مرضه الخاص . لقد كان

مريباً كاملاً .

وأخيراً سيدى جمال الدين . ولد الشيخ قال : قلت للشيخ : هم يريدون يصدرون ابن عطاء الله في الفقه . فقال الشيخ :

هم يصدرونه في الفقه . وأنا أصدره في التصوف . ودخلت أنا عليه فقال لى : إذا عوفى الفقيه ناصر الدين مجلسك في موضع جدك ومجلس الفقيه من ناحية وأنا من ناحية . وتكلم إن شاء الله في العلمين فكان مأخبر به رضى الله عنه . وخرجت يوماً من عند الفقيه مكين الدين الأحمري رضى الله عنه وخرج معى أبو الحسن الجزيرى . وكان من أصحاب الشيخ أبى الحسن فسلمت عليه . فسلم على بياشة وإقبال فقلت له : من أين تعرفنى ؟ فقال : وكيف لا أعرفك ؟ كنت يوماً جالساً عند الشيخ أبى العباس . وكنت أنت عنده فلما نزلت قلت له : ياسيدى إنه ليعجبنى هذا الشاب انقطع فلان وفلان عن الملازمة ، وهذا الشاب ملازم . قال : فقال الشيخ أبو العباس : لن يموت هذا الشاب حتى يكون ذاعياً يدعو إلى الله فكان كما قال الشيخ . والله الحمد .

وكان رضى الله ، يلحق للرسواس : سبحان الملك الخلاق (إن يشأ يؤهلكم ، ويأتى بخلق جديد . وما ذاك على الله بعزيز) .

وعملت قصيدة أمدحه بها سيأتى ذكرها إن شاء الله آخر الكتاب فقال حين أنشدت : أيدك الله بروح القدس . ثم عملت قصيدة بإشارته جواباً لقصيدة مبدحه بها إنسان من بلاد أحميم . وسيأتى ذكرها أيضاً آخر الكتاب إن شاء الله تعالى . فلما قرأت عليه قال : هذا الفقيه صحيحى وبه مريضان . وقد عافاه الله منها . ولا بد أن يجلس ويتحدث في العلمين . يشير الشيخ إلى مرض الوسوسة . فلقد انقطع نغنى ببركة الشيخ حتى صرت أخاف أن أكون لشدة التوسمة التي أجدها قد تساهلت في بعض الأمور ، والمرض الآخر كان بي ألم برأسى فشكوت ذلك إليه ، فدعا لى ، فعافانى الله وشفانى .

٢- وكان كتابه في الحديث : المصاييح ، وهو كتاب على غرار كتاب الترغيب والترهيب « وعلى غرار « رياض الصالحين » وإن كان أوسع منه . ألّفه إمام البغوى الذى كان من كبار الفقهاء في المذهب الشافعى . وكانت وفاته روالرود سنة ٥١٦ هـ .

٣- أما في الفقه : فكان يعنى بكتاب التلبيب ، وكانت الرسالة ومما كتابان في الفقه مشهوران . والفقيه فيما يرى الشيخ : هو من اتفاق الحجاب عن عيني قلبه شاهد ملكوت ربه . ومع ذلك فإن علوم المعاملة هذه - على حد تعبير الصوفية - لا كان رضى الله عنه ينتزل إليها إلا في الزمن السير وحسب الضرورة فقط .

٤- وكتابه في التفسير هو الكتاب المفضل عند شيخه أبي الحسن وهو كتاب لحرير الوجيز لابن عطية . ووصل به الأمر بعلوم الوسائل - أى النحو وأشباهه من لعلوم التى ليست في نفسها غايات - أن قد كان يقرأ عليه بعض المفرقين في العربية فيرد عليهم اللحن .

٥- أما في التصوف : فقد كانت كتبه الفصلة هي :

١- الرسالة القشيرية . ومكانت الرسالة القشيرية إلا مسلماً يصعد عليه ليستشر من إشراقاته هو . والقصة التالية توضح طريقته في كيفية أخذه للرسالة القشيرية في التدريس . يروى صاحب كتاب درة الأسرار حلتنى الشيخ الصالح العالم الفقى جمال الدين يوسف ابن الشيخ القدس المرحوم أبى محمد عبد الكرم الواداش المالكى المعروف بالعرامى ، بمدينة القاهرة حياها الله تعالى ، في أوائل جمادى الآخرة سنة عشر وسبعائة قال : كان سيدى أبى العباس فقع الله به ، لما توفى سيدنا الشيخ أبى الحسن رضى الله عنه يطلع للقاهرة زمن زيادة النيل ، يقيم بمسجد بموضع يقال له : القص بالدكة . بخارج باب البحر من القاهرة .

وكان الشيخ سيدنا أبى الحسن يفعل هذا في كل عام فتجتمع إليه مشايخ

كان أبى الحسن الشاذلى ، مد حسب استعداده ، ولقد كان مدر العلوم وللباطن منها ، فقد كان يدرس ، ويفنى على الوضع اللو لا تعارض بين الشريعة ، والخف كما يقول الجنيّد رضى الله عنه وأخذ عنه الصوفية كل على أبى العباس الرضى .

ورجال المدرسة الشاذلية به أبى الحسن رضى الله عنه - ونش ولقد كان رضى الله عنه لا

الله - إلا تحدث معك فيه . حتى علم الحديث : والتفسير .

وكان يقول : شاركنا الفقهاء من العلوم الظاهرة كتب معيا ١- ففى أصول الدين ، والجلد ، والنقاش ، والانتصا على العاديين من الناس ، بل لا طويّلة في علم الكلام ، والجل

القاهرة . ومصر ، ومن كل الجهات ، يتبركون به ، ويأخذون عنه العلوم العظيمة . والأحوال الكريمة ، فبقى سيدى أبو العباس يقف أثره .

حدثنى هذه الحكاية بهذا المسجد المبارك . وفيه أعلية للسكن وهذا الفقيه ساكن بها . وهو قاضى الموضع وفقهه وقاضيه قال :

فجاءه سيدى الشيخ أبو العباس على عادته فاجتمع إليه جماعة من كبار مصر وعلمائها ، وقالوا له : يا شيخ . كان سيدى أبو الحسن رضى الله عنه إذا جاء لهذا الموضع يحىء إلينا بمصر ونسمع منه من مواهب الحق سبحانه ، وتبرك بقدمه علينا ، وأنت قد أقامك الله مقامه ، فنحب أن تبرك بكلامك ، ونشكر كرام الشيخ رحمه الله ورضى عنه . فقال لهم : إذا كان صبيحة غد إن شاء الله يحىء إليكم فلما كان فى صبيحة تلك الليلة ، أمر بالمسير إلى مصر وأمرنى أن تحمل رسالة القشبرى معنا ، فحملناها ووصلنا إلى جامع سيدنا عمرو بن العاص فوجدناه قد امتلأ بكبار الديار المصرية وعلمائها . فقال لى : منتقد ومعتقد . قال فجلسنا فى شرق الجامع . ثم قال لى : أخرج رسالة القشبرى . فأخرجتها ثم قال أقرأ . فقلت : وماذا أقرأ ؟ قال الذى يظهر لك . قال : ففتحت الكتاب فوجدت باب الفراسة . قال فقرأت أوائل الباب . فلما فرغت من حديث رسول الله ﷺ ، قال لى اغلق الكتاب . ثم قال : الفراسة تنقسم إلى أربعة أقسام :

١ - فراسة المؤمنين .

٢ - فراسة الموقنين .

٣ - فراسة الأولياء .

٤ - فراسة الصديقين .

فأما فراسة المؤمنين : فحالتها من كذا . ومدها من كذا . ثم تكلم بكلام عظيم . ثم انتقل إلى فراسة الموقنين فتكلم ببطقة أعلى . ثم قال : وأما فراسة الولي . فدها من كذا . وحالتها من كذا وتكلم فى ذلك بكلام موهوب غير مكسوب .

أدهش به قلوب الحاضرين واستغرق فى ذلك إلى أن أذن الظهر ، والناس يكون ،

ورأيت العرق ينحدر من جبينه . حتى سال على لحينه . وكانت له لحية كبيرة . فلما صحا من حاله قال : وأما فراسة الصديقين : إن الشيخ رضوان الله عليه ما كان يتخذ الرسالة القشبرى إلا أساساً ينطلق منه سابقاً فى بحار المعرفة الإلهامية .

٢ - وكتاب إحياء علوم الدين . من الكتب التى عنى بها الصوفية على وجه العموم . وقد كان رضى الله عنه يقول عن شيخه أبى الحسن : كتاب الإحياء يورثك العلم . وكان يقول فى الإمام أبى حامد الغزالى رضى الله عنه . إنا لنشهد له بالصدقية العظمى .

٣ - كتاب قوت القلوب : وكان يقول عن شيخه أبى الحسن : كتاب القوت يورثك النور .

٤ - كتاب ختم الأولياء للحكيم الترمذى ، وهو كتاب آثار اهتمام الصوفية ، وآثار اهتمام غيرهم ، وأحدث حيوية ، وحياة ، ونقاشاً فى الجو الفكرى ، والصوفى ، وحصل على المؤلف الحاملون ، ودافع عنه المدافعون ، وإن كتاباً يثير اهتمام الإمام الكبير ابن العربى إثارة بالغة فيكتب عنه غير مرة ، هو كتاب فذ .

لقد كان شيخنا معنياً به ، وكان شيخه معنياً به . يقول ابن عطاء الله عن أبى العباس وشيخه رضى الله عنهما : وكان هو والشيخ أبو الحسن . كل منهما يعظم الإمام الربانى محمد بن على الترمذى . وكان لكلامه عندهما الحظوة الثامة . وكان يقول عنه : إنه أحد الأربعة الأوتاد .

٥ - كتاب الحقائق للسلمى : وقد كان ابن عطاء الله يقرؤه عليه . فلما قال السلمى فى الكتاب : انتهى عقل العقلاء إلى الحيرة .

قال الشيخ رضى الله عنه . عن شيخه أبى الحسن رضى الله عنه . لاحيرة عند المحققين فيما فيه الحيرة عند المؤمنين .

وإذا كان الشيخ رحمه الله درس هذه الكتب مراراً وتكراراً . فإنه بعد أن

العلوم السابقة ، فإن المشتري للمرجان قد يكثرون وقل أن يجتمع على شراء الباقوت اثنان . ولم يزل اتباع أهل الحق قليلين .

كما قال الله تعالى في أهل الكهف : (مَا يَمْلِكُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ) .

وأهل الله ، كهف لأمر الناس ، ولكن قليل من يعرفهم ^(٥) ، ويقول ابن

عطاء الله السكندري أيضاً عنه : « الجامع بين علم الأسماء والحروف والدوائر .

مشرق شمس المعارف بعد غروبها ، ومبدئ أسرار الطوائف بعد غروبها » .

ومع استغراقه في علوم التصوف فإنه من الأهمية بمكان أن نسجل هنا مقاله

الإمام ابن عطاء الله السكندري : « لقد صحبت الشيخ اتني عشر عاماً فاستمعت

منه شيئاً ينكره ظاهر العلم » .

لقد كان أبو العباس من كبار العلماء في علوم الظاهر ، ومن كبار المهتمين في

علوم الباطن ، ومع ذلك فإن إمامنا لم يؤلف كتباً .

والسبب في ذلك : « أن علوم هذه الطائفة ، علوم التحقيق ، وهي

لا تحملها عقول عموم الخلق » ، بل لقد كان رضي الله عنه يقول : « جميع ما في

كتب القوم عبرات دموع من سواحل بحر التحقيق » .

ولتم الصورة عن أبي العباس نذكر أن مما يتصل بعلمه وبشخصيته أنه كان

شاعراً ، وشعره شعر معاني ، وشعر تخليق في سماء الروح ، ومن أمثله مايلي :

لقد كتب إلى بعض مرديه قائلاً : وسل الله أرواحكم ، وفسح في غيوبه

مراحكم فإنه سألني سائل عن شعر منظوم ، يعبر عن النفس وتعلقها بالبدن ،

وتقيدها بالخط ، وانبعاثها بالشهوة . وتحققها بالجمع فأجيبته بهذه الأبيات :

(٥) انظر الطبقات الكبرى للإمام الشافعي رضي الله عنه .

أفاض الله عليه من أنواره وأشرفت عليه فيوضاته قال :

والله ما نطالع كلام أهل الطريق إلا لنرى فضل الله علينا .

لقد انتهى الأمر بأبي العباس ، أن كان يلقى بالدرر من بخره هو أو من بجوره .

فقد كانت له بحور تتميز نقاسة وشرقا ، ولابن عطاء الله السكندري في ذلك كلام

جميل . يقول رضي الله عنه عن شيخه أبي العباس :

أما علوم المعارف والأسرار ، فقطب رحاها ، وشمس ضحاها . تقول إذا

سمعت كلامه : هذا كلام من ليس وطنه إلا غيب الله . هو بأخبار أهل السماء

أعلم منه بأخبار أهل الأرض . وسمعت أن الشيخ أبا الحسن قال عنه : أبو العباس

بطرق السماء أعرف منه بطرق الأرض .

كنت لاسمعه يتحدث إلا في العقل الأكبر . والاسم الأعظم - وشعبه

الأربع ، والأسماء ، والحروف ، ودوائر الأولياء ، ومقامات الوقتين . والأملك

القربين عند العرش . وعلوم الأسرار ، وإعداد الأذكار . ويوم المقادير . وشأن

التدبير . وعلم البده . وعلم المشيئة . وشأن القبضة - ورجال القبضة . وعلوم

الأفراد . وما سيكون يوم القيامة من أفعال الله مع عباده : من حلمه . وإنعامه .

ووجوه انتقامه . حتى لقد سمعته يقول :

والله لولا ضعف العقل لأخبرت بما يكون غداً من رحمة الله .

وهذا الخط من العلوم كان الفضل عند أبي العباس ، وكان لا يميل إلى

دراسته . والحديث فيه .

أما علم المعاملة ، فقد كان يرى أن أسألتهم هم من الكثرة بحيث لا يحتاج إلى

كثير من اهتمامه قال ابن عطاء الله رضي الله عنه :

وكان الشيخ أبو العباس رضي الله عنه لا يتنزل إلى علوم المعاملة إلا في قليل من

الأيام لحاجة بعض الناس إلى ذلك . قال : ولذلك يقل اتباع من تكون علومه

وكتب إلى أبي عبد الله جلال الدين يخبره على النعمك بالفضائل :

وإذا أردت من السلوك أحله فالزهد في الدنيا مع التمسك الحسن
واعبد الهك حيث كتب على الرضا تحظى بما قد ناله أهل المن
أهل - الولاية والهداية والتقى هم سادتي فيهم أصول على الزمن
أحمد لاتنس عيشك منهم أشهدك روحك إذ بها قام البدن
وأجمله منك لذاته من وصفه تجدد التحقق في السريرة والعلم
الله يعلم أنني لك ناصح لأمدة أبني بذلك ولائمن
والله حصي والمؤيد ربنا وهو المعين عن الأمور كما ضمن

وقال ابن عطاء الله : وجدت بخط شيخنا أبي العباس هذه الآيات :

أعتك من ليل حديث محرر بإيراده يحيا الربيم وينشر؟
فمهدى بها العهد القديم وأتني على كل حال في هواها مقصر
وقد كان عنها الطيف قدما يزورني ولا يزر ساباله يتعذر
فهل بخلت حتى بطيف خيالها أم اعتل حتى لايصح التصور؟
ومن وجه ليلي طلعة الشمس تستضي وفي الشمس أبصار الوري تتحير
وما احتجبت إلا برفع حجابها ومن عجب أن الظهور تستر

° ° °

وقال رضي الله عنه : أظفني الله على الملايكة وهي ساجدة لآدم عليه السلام ،

فأخذت بقسطي من ذلك ، فإذا أنا أقول :

ذاب رمي وصح صدق فنائي وتجلت للسر شمس ضيالي

إن كنت سائلنا عن خالص الفن وعن تعلق ذات النفس بالبدن وعن تشيئها بالخط مد ألفت أدرانها ففقدت تشكو من العطن وعن تنزلها في حكمها ولها علم يفرقها بالقيح والحسن وعن بواعثها بالطبع مائلة تهوى بشهوتها في ظلمة الشجن وعن حقيقتها في أصل معدنها لايتنى وصفها منها إلى وزن عن العيان ولايعورك ذو لسن قامت حقائقها بالأصل والفن فصلا إلى الحق لا تخفى شواهداها ياسائل عن علوم ليس يدركها لكن بنور على جامع خمدت خذها إليك بحق لست جاهله عن الحقيقة خذ علم الأمر ولا ففطرة النفس سر لا يحيط به لكنها برزت بالحكم قائمة وكى يقال عيب قائمون بما والنفس بين نزول في عوالمها والروح بين ترق في معارجها من الحجاب دنت أنوارها فبدت مثالها في العلا مرآة معدنها زيتونة زيتها نور لصاحبها وثار دعوتها ماء لشاربها والكل أنت بمعنى لاخفاء به والنور يحجبه كالماء في اللبن والمبد محتجب في عز مالكة دقت معارفه في الدمز والزمن

الأمر ببعض الصحابة
 أمعناه : أرايتم لو وضعها
 حلال كان له أجر .
 . من سمات الإسلام .
 هذه الخطوات المباركة
 وسار أبو العباس الرضى
 في مجالسه أنه سمع الطلبة
 في العلم الظاهر شىء .
 يخ بوجهونه نحو العبادة .
 كانت ، أوفقها وأصولا ،
 لها - فشق على أن يفوتى
 فأنيت إلى الشيخ فوجدته
 معنى لقمة من يده . فما
 قال :
 تعال ؟ أو صاحب صنعة .
 له له اترك طلبك وتعال ؟
 لدينا فهو واصل إليه . وقد
 اترك تجارتك . ولا لذى
 م بتقوى الله فيها . اهـ .
 أصبح ما كان يشق عليه ،
 يوما ، ودخل عليه . وفي

وتنزلت في العوالم أبدى
 فصفاني كالشمس تبدى سناها
 أنا معنى الوجود أصلا وفصلا
 أنا نور لأهله مستبين
 شهدوني فقد كشفت غطائي

* * *

لقد كان رضى الله عنه عالما في اللغة : مادتها ، ونحوها ، وصرفها . وعالما في
 التفسير ، وفي الحديث ، وفي الفقه ، وفي السير ، وفي التصوف .

وهكذا ينبغي أن يكون الصوفى في كل المصور .
 إن شعار الصوفى هو الشعار الإسلامى : (وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا) .

٤ - المكافح

من أظهر السمات عند رسول الله ﷺ سمة الكفاح والعمل . ومما شك في
 أنه ﷺ كان يتجه إلى الله بكل أعماله ، فكانت كلها - من أجل ذلك - عبادة .
 ولقد كافح رسول الله ﷺ طيلة حياته في جميع الميادين التي تقربه إلى الله
 تعالى ، والتي ترقى به كفرد . وزرق بالجمع في دوائره التي تتسع متدرجة . مبتدئة
 من الأسرة حتى تشمل الإنسانية كلها ، وما كان هذا الكفاح إلا من أجل الله ، وفي
 الله . ورسول الله ﷺ هو القائل : « إنما الأعمال بالنيات . وإنما لكل امرئ
 ما نوى . فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله . ومن كانت
 هجرته لدنيا يصيبها ، أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه » .

وهو الذى أخبر أن إمالة الأذى عن الطريق من الإيمان ، وأن اللقمة التي
 تضعها في فم امرأتك تزيد بذلك وجه الله ، صدقة ، وأن النطفة تضعها في

الحلال . لك عليها ثواب : وحينما قال ذلك
 فقالوا : أياقنا أحدنا شهوته . ويؤجر عليها ؟ فقال
 في حرام ! أما كان عليه وزر ؟ فكذلك لو
 إن العمل والكفاح . وإرادة وجه الله بالعلم
 ومن سمات رسول الله ﷺ : ولقد ترسم ك
 فكانت حياتهم عملاً وكفاحاً يريدون به وجه
 على هذا النسق بالنسبة لنفسه ، وبالنسبة ل
 روى ابن عطاء الله ، بعد أن اتصل بالشيخ
 يقولون : من يصحب المشايخ « أى الصوفية
 يريد ابن عطاء الله ، ويريد الطلبة بذلك .
 ويصرفونه عن العلم المكتسب . والدروس :
 أو غير ذلك ، ويقول ابن عطاء الله - وكان
 العلم . وشق على أن يفوتى صحة الشيخ ر
 يأكل لحماً بجل . فقلت في نفسى : ليت
 استممت الخاطر إلا وقد دفع في فمى ل
 « نحن إذا صحبنا تاجراً ، ما نقول له اتر
 ما نقول له اترك صنعتك وتعال ؟ أو طالب
 ولكن نترك كل أحد فيها أقامه الله فيه ، وماق
 صحب الصحابة رسول الله ﷺ . فما
 صنعة : اترك صنعتك . بل أقروهم على أن
 ويبدو أن ابن عطاء الله تطورت به
 مرغوباً وما كان يفر منه مطلوباً . فقد ذهب

نفسه ترك الأسباب ، والتجريد ، وترك الاشتغال بالعلم الظاهر وحدته نفسه بأن الوصول إلى الله لا يكون إلا على هذه الحالة ، وعلى هذا الوضع . فقال الشيخ له - من غير أن يدعى له ابن عطاء الله شيئاً من الأمر - صحبني بقوص إنسان يقال له ابن ناشئ . وكان مدرساً بها ، ونائب الحكم . فذاق من هذا الطريق شيئاً على أيدينا فقال : « يا سيدى أترك ماأنا فيه ، وأتفرغ لصحبك ؟ »

قلت له : ليس الشأن ذا ، ولكن : امكث فيما أقامك الله فيه ، وما قسم لك على أيدينا فهو لك واصل . ثم قال : وهذا شأن الصديقين ، لا يخرجون من شئ ، حتى يكون الحق سبحانه هو الذى يتولى إخراجهم .

يقول ابن عطاء الله : فخرجت من عنده وقد غسل الله تلك الخواطر من قلبي ، وكأنما كانت ثوباً نزعته ورضيت عن الله فيما أقامني فيه ، اهـ .

ومن المعروف عن أبي العباس ، أنه كان لا يحب للريد الذى لا سبب له ، وأنه كان يقتنى الخيل ، ويعنى بشأها ، فيسأل عن طلعها وشرابها متفقاً أحوالها . وسيراً على قاعدته هذه ، فى العمل واتخاذ الأسباب ، كانت له توجيهات جميلة فى شرح القرآن ، من ذلك مثلاً : أنه تحدث عن بعض آيات تتعلق بحرم رضى الله عنها . هى قوله تعالى : (كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ ، وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا) . قَالَ يَامَرْيَمُ أَنَّى لَكَ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ، إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ) .

ثم قال الله فيما بعد : (وَهَرَى إِلَيْكَ يَجِدُكَ الثَّمَلَةُ مُشَاقِقَةً عَلَيْكَ رُطْبًا جَنِيًّا) . يقول الشيخ رضى الله عنه : فذكر بعض الناس فى هذا تأويلاً لارضى ، ولا ينبغي أن يلتفت إليه . وهو أنها كان حبها لله وحده . فلما ولدت انقسم حبها ، وليس الأمر كما قال هذا القائل ، لأنها صديقة كما أخبر الله عنها بقوله : (وَأَمَّهُ صِدِّيقَةٌ) .

والصديق ، والصديقة ، لا يتقلان من حالة إلا إلى أكمل منها .

ولكنها كانت فى بدايتها متعزلاً إليها بخرق العادات . وسقوط الأسباب فلما تكمل يقينها أرجعت إلى الأسباب . فالحالة الثانية أتم من الحالة الأولى ومما يتصل بالموضوع ، حديثه عن التاجر الصدوق : يقول رسول الله ﷺ : « التاجر الصدوق يحشر مع النبيين . والصديقين . والشهداء . والصالحين » . فقال رضى الله عنه : « بأى طريق يحشر مع النبيين ؟ وبأى طريق يحشر مع الصالحين ؟ »

مع الشهداء ؟ وبأى طريق يحشر مع الصالحين ؟

يحشر مع النبيين ، فإن الأنبياء شأنهم أداء الأمانة وبذل النصيحة فيحشر مع الأنبياء بهذا الوصف ؛ وهذا التاجر أدى الأمانة . وبذل النصيحة .

ويحشر مع الصديقين ، لأن الصديق شأنه الصفاء فى الظاهر والباطن قد آسوى ظاهره وباطنه ، والتاجر الصدوق كذلك ؛ فيحشر مع الصديقين بهذا الوصف .

ويحشر مع الشهداء . فإن الشهيد شأنه الجهاد والتاجر الصدوق يجاهد نفسه وشيطانه وهواه . فيحشر مع الشهداء بهذا الوصف .

ويحشر مع الصالحين ، فإن الصالح شأنه أخذ الحلال وترك الحرام . فيحشر مع الصالحين بهذا الوصف . اهـ .

ولا يتنافى التصوف مع الكفاح . والعمل . والغنى . والثراء ؛ فلقد كان أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنه من كبار المزارعين . وهو القائل : لكل ولى حجاب . وحجابى الأسباب . ونذكر القصة التالية : يروى ابن عطاء الله يصف فيها عارفاً بالله من كبار الأثرياء . ولكن الدنيا كانت فى يده لاقى قلبه . يقول ابن عطاء الله : « وقد يكون حجاب الولي كثرة الغنى وانسياط الدنيا عليه » . وقال بعض الشايخ : كان رجل بالغرب من الزاهدین فى الدنيا . ومن أهل الجد والاجتهاد وكان عيشه مما يصيده من البحر . وكان الذى يصيده يتصدق ببعضه

٥ - الصوفي

إن أبا العباس صوفي . قيل أن يكون شيئاً آخر . إنه صوفي بطبعه وفكرته . وهو صوفي بأخلاقه وسلوكه . وهو صوفي بتربيته وثقافته . وهو كما يقول الشاذلي - رضي الله عنها : « أعرف بطرق السماء منه بطرق الأرض .. » ولقد كان يأتيه أصحاب الحاجات . فيعلم إليهم في صراحة : أنه لن يجازل المتحدث في حاجاتهم مع فلان أو فلان . من ذوي النقوذ . ومن يتصل قضاء الحوائج بهم . ولكن سلباً في قضاء حاجاتهم إلى الله داعياً . وسائلاً . فإذا اطمانت نفوسهم بذلك . اتجه إلى الله بالتضرع والدعاء . في قضاء حوائجهم وسؤالهم بتوفيق الله . بيان التصوف عنده في ألوانه المختلفة . وزواياه المتعددة . وسنحاول - إن شاء الله - بيان رأيه في التصوف وفي معناه . وبيان ألوان من التفسير الصوفي للقرآن . وشرحه الصوفي لبعض الأحاديث . ورأيه في بعض الصوفية . وفهمه لبعض آرائهم (١)

التصوف لفظاً ومعنى أما عن اسم التصوف ومعناه . فإنه يقول : يختلف الناس في اشتقاق الصوفي . فمنهم من قال : إنه منسوب إلى الصوف لأنه لباس الصالحين . وقيل : هو منسوب إلى الصفة . يعني صفة مسجد رسول الله ﷺ التي ينسب إليها أهل الصفة . وهو نسب على غير قياس . ثم قال : وأحسن ما قيل فيه إنه منسوب لفعل الله به ، أي صافاه الله فصوصي ، فسمى صوفيًا . ثم أنشد رضي الله عنه :

(٦) إن مرجعنا في ذلك إنما هو كتاب : لطائف اللز . أولاً وبالذات . ثم كتاب : طبقات الإمام الشمراني . وكتاب : الكواكب الدرية . وكتاب درة الأسرار لابن الصباغ .

ويتعش ببعضه . فأراد بعض أصحاب هذا الشيخ أن يسافر إلى بلد من بلاد المغرب . فقال له هذا الشيخ : إذا دخلت إلى بلد كذا . فاذهب إلى أخي فلان . فأقرنه مني السلام . وتطلب الدعاء منه لي . فإنه ولي من أولياء الله تعالى . قال فسافرت حتى قدمت تلك البلدة وسألت عن ذلك الرجل . فدللت على دار لاصلاح إلا للملوك . فتعجبت من ذلك . وطلبته . فقيل لي : هو عند السلطان . فأزاد تعجبي . فبعد ساعة ، وإذا هو آت في أفخر ملابس ، وموكب ، وكأنما هو ملك في موكب . قال فأزاد تعجبي أكثر من الأول . قال فهمت بالرجوع وعدم الاجتماع به . ثم قلت : لا يمكنني مخالفة الشيخ . فاستأذنت فأذن لي . فلما دخلت رأيت ماهاتني من العبيد . والخدم والشارية الحسنة فقلت له : أخوك فلان . يسلم عليك . قال جئت من عنده ؟ قلت نعم . قال : إذا رجعت إليه قل له إلى كم اشتغالك بالدنيا . وإلى كم إقبالك عليها . وإلى متى لانتقطع رغبتك فيها . فقلت : هذا والله أعجب من الأول . فلما رجعت إلى الشيخ . قال اجتمعمت بأخي فلان ؟ قلت : نعم . قال : فما الذي قال لك ؟ قلت لأشيء . قال : لا بد أن تقول لي فأعدت عليه مقال فيكي طويلاً . وقال : صدق أخى فلان . هو غسل الله قلبه من الدنيا . وجعلها في يده . وعلى ظاهره . وأنا آخذها من يدي وعندى إليها بقايا التطلع . اهـ .

ويظن بعض الناس أن الصوفية بعيدون عن جو العمل والكفاح . هذا بخلاف ما عرف عن حياتهم من أنها كانت نضالاً لا يقتر . نضالاً في سبيل الدعوة . وهم الذين نشروا الإسلام على نطاق واسع في ربوع أفريقيا . وفي آسيا . ونضالاً في سبيل الإصلاح الأخلاقي في المجتمع . وقد كانوا دائماً مثلاً للهداية بأقوالهم وسلوكهم . ومثلهم الأعلى في النضال والكفاح هو رسول الله ﷺ

وبين أبو العباس جوانب الإنسان التي تتصل بالطاعة والمعصية ويرسم لكل جانب كماله ونقصه ووقاه وسقطه فيقول :

اعلم أن الله خلق هذا آدمي وقسمه على ثلاثة أجزاء :

فلسانه جزء ، وجوارحه جزء ، وقلبه جزء ، وجعل على كل جزء حظاً .

فقال سبحانه وتعالى : (مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ) .

وقال سبحانه وتعالى :

(وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كَأَنَّ عَلَيْكُمْ تُهْرُوكًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ) .

وتولى حفظ القلب بنفسه فقال عز وجل :

(وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَنْظُرُ مَا فَعَلُوا فَخَذَرُوهُ) .

وسلط على الجوارح الشيطان ، واقتضى من كل جزء وقاء ما ألزم به ، فواء

القلب ألا يشتغل بهم دنيا ، ولا بكم ، ولا بجمد . وواء اللسان : ألا يفتاب .

ولا يكذب ، ولا يتحدث فيما لا يعنيه . وواء الجوارح : ألا يسارع بها إلى

معصية ، ولا يؤذى أحداً من المسلمين .

فمن وقع من قلبه فهو منافق . ومن وقع من لسانه فهو كافر . ومن وقع من

جوارحه فهو عاص .

أوقات الإنسان ووقته منها :

ويقسم شيخنا أوقات الإنسان إلى أربعة لا خامس لها ، هي : النعمة والبلية ،

والطاعة ، والمعصية ، ثم يقول : والله عليك في كل وقت منها سهم من العبودية ،

يقضيه الحق منك بحكم الربوبية ، فمن وقته الطاعة . فسيله شهود النية من الله

تعالى إذ هداه الله لها ، ودفعه للقيام بها .

ومن كان وقته المعصية عليه فسيله الاستغفار والتوبة . ومن كان وقته النعمة :

ومن كان وقته المعصية عليه فسيله الاستغفار والتوبة . ومن كان وقته النعمة :

ومن كان وقته المعصية عليه فسيله الاستغفار والتوبة . ومن كان وقته النعمة :

ومن كان وقته المعصية عليه فسيله الاستغفار والتوبة . ومن كان وقته النعمة :

سيله الشكر . وهو مزج القلب بالله . ومن كان وقته البلية : فسيله الرضا

تقواء . والصبر . والرضا رضا النفس من الشهوات ، والصبر مشيقي من

اضطبار . وهو الغرض للسهم . وكذلك الصابر ينصب نفسه غرضاً لسهم

تقواء . فإن ثبت لها فهو صابر . والصبر ثبات القلب بين يدي الرب : قال رسول

له عليه السلام :

« من أعطى فشكر ، وابتلى فصبر ، وظلم فغفر ، وظلم فاستغفر ثم سكت .

قالوا : ثم ماذا له يا رسول الله ؟ قال : أولئك لهم الأمن وهم مهتدون » .

الحرف من الله :

وإذا سئلت عما يزعج الناس من الغفلة إلى عروج سبيل الله ، فإنه التنبيه بسبب

الحرف من الله .

والحرف فيما يرى إمامنا على قسمين : خوف العامة ، وخوف الخاصة ، فخوف

العامة على أجسادهم من النار ^(٧) ، وخوف الخاصة على خلعهم التي كساهم

مولاهم أن تدنس بالخالفه ، فعبروا الدنيا وقد رفعوا ملابس المنى خشية أن تدنس

بأوساخ الخالفه . كى يقوموا عليه بخلعه التي أنتم بها عليهم . ونهضوا له بالوفاء فيما

بأوساخ الخالفه . كى يقوموا عليه بخلعه التي أنتم بها عليهم . ونهضوا له بالوفاء فيما

بأوساخ الخالفه . كى يقوموا عليه بخلعه التي أنتم بها عليهم . ونهضوا له بالوفاء فيما

بأوساخ الخالفه . كى يقوموا عليه بخلعه التي أنتم بها عليهم . ونهضوا له بالوفاء فيما

بأوساخ الخالفه . كى يقوموا عليه بخلعه التي أنتم بها عليهم . ونهضوا له بالوفاء فيما

بأوساخ الخالفه . كى يقوموا عليه بخلعه التي أنتم بها عليهم . ونهضوا له بالوفاء فيما

بأوساخ الخالفه . كى يقوموا عليه بخلعه التي أنتم بها عليهم . ونهضوا له بالوفاء فيما

بأوساخ الخالفه . كى يقوموا عليه بخلعه التي أنتم بها عليهم . ونهضوا له بالوفاء فيما

بأوساخ الخالفه . كى يقوموا عليه بخلعه التي أنتم بها عليهم . ونهضوا له بالوفاء فيما

بأوساخ الخالفه . كى يقوموا عليه بخلعه التي أنتم بها عليهم . ونهضوا له بالوفاء فيما

بأوساخ الخالفه . كى يقوموا عليه بخلعه التي أنتم بها عليهم . ونهضوا له بالوفاء فيما

بأوساخ الخالفه . كى يقوموا عليه بخلعه التي أنتم بها عليهم . ونهضوا له بالوفاء فيما

بأوساخ الخالفه . كى يقوموا عليه بخلعه التي أنتم بها عليهم . ونهضوا له بالوفاء فيما

بأوساخ الخالفه . كى يقوموا عليه بخلعه التي أنتم بها عليهم . ونهضوا له بالوفاء فيما

بأوساخ الخالفه . كى يقوموا عليه بخلعه التي أنتم بها عليهم . ونهضوا له بالوفاء فيما

بأوساخ الخالفه . كى يقوموا عليه بخلعه التي أنتم بها عليهم . ونهضوا له بالوفاء فيما

تقدير والرحيم . وغير ذلك من أسمائه الحسنى . إلا اسمه « الله » . فإنك إذا
 نطق الألف بقى « لله » ، فإذا أسقطت اللام الأولى بقى « له » ، فإذا أسقطت
 لام الثانية . بقى « هو » . وهو النهاية في الإشارة . وأثبت ابن منصور الحلاج :
 حرف أربع بها هاء قلبى ولا أضحت بها همومى وفكرى
 ألف الخلاق بالصفح ثم لام على الملامة تجزى
 لام زيادة فى المعافى ثم هاء بها أهمى أندرى

الفرق بين الصوفى والزاهد :

كثيراً ما يخلط الناس بين الصوفى والزاهد . ولكن الشيخ رضى الله عنه يوضح
 ذلك قائلاً : والزاهد جاء من الدنيا إلى الآخرة . والعارف جاء من الآخرة إلى

الدنيا . وقال رضى الله عنه : الزاهد غريب فى الدنيا لأن فى الآخرة وطنه .

والعارف غريب فى الآخرة لأنه عند الله (٩)

(٩) يقول ابن عطاء الله : فإن قلت ماعنى الغربة فى كلام الشيخ هنا . وما معناها فى الحديث الوارد :

« بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ فطوى للغريباء » : فاعلم أن الغربة فى الحديث معناها قلة من يعين على

القيام بالحق . فيكون القائم به غريباً لفقدان المساعدين . وعدم المعاونة . فلا يفيض القائم حينئذ إلا قوة إيمانه .

ودون إيقانه . ولذلك قال عليه السلام : « بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ » . فطوى للغريباء .

يريد عليه السلام أنهم قاموا بأمر الله . فى بلاده وعباده حيث تقاعدت مهم الناس عن القيام به .

وأما الغربة فى كلام الشيخ رضى الله عنه فمعناها : أن الزاهد يكشف له عن ملك الآخرة . فحينئذ قلبه فيها

موطن قلبه . ومعيش روحه فيكون غريباً فى الدنيا . إذ ليست وطناً لقلب عاين الدار الآخرة . فأخذ قلبه فيها

عائناً من ثوابها وثوابها . ولما شاهد من عقوبتها وتكاليفها . فاستغرب لى هذه الدار .

وأما العارف . فإنه غريب فى الآخرة . فإنه كشف له عن صفات معروفة فأخذ قلبه فيها هناك فصار غريباً

فى الآخرة . لأن سره مع الله بلا أين .

فهؤلاء العباد تصير المحضرة مشتمل قلوبهم . إليها بأدب . وفيها يسكنون فإن تنزلوا إلى سماء المحفوق .

أو أرض المحفوظ ملائذ والممكن . والرسوخ فى اليقين . فلم ينزلوا إلى المحفوظ بالشهوة واللذة . ولا إلى

المحفوق بسوء الغفلة . بل كانوا فى ذلك كله آداب الله . وآداب رسله وأتباعه متابعين وبما اقتضى

منهم مولا لهم عاملين .

فما استأنسهم . وقال رضى الله عنه : العامة إذا

والخاصة متى خوفوا رجوا ومتى رجوا خافوا

يكون الذكر ، ولأبى العباس أذكار وأورد

ولكننا الآن نقول : إنه ينصح بالذكر باسم

أصحابه : ليكن ذكرك الله . فإن هذا الاسم

، فبساطه العلم ، وثمرته النور . ثم النور ليس

شف والعيان ، وجميع أسماء الله للتخلق بإسمه

لله : ومعنى كلام الشيخ هذا : أنك إذا ناديت

أنا الحليم ، فكأن عبداً حليماً . وإذا ناديت باسمه

، أنا الكريم فكأن عبداً كريماً . وكذلك سائر

فحسب ، إذ مضمونه الألوهية ، والألوهية

منها حرفاً . ذهب دلالة على الله . كالعلم

ون مع ظواهر الأمر . فإذا خوفوا خافوا . إذ ليس لهم قوة إلى

وراء خوفهم وما به خوفوا . أوصاف المرجو الذى لا ينفى أن

حتالوا على أوصاف كرمه علماً منهم أنه ما خوفهم إلا ليجتمعهم

يخافون غيب مشيئة التى هى من وراء رجائهم . وخافوا أن

ل تقف مع ظاهر الرجاء أو تنفلت إلى خوف ما يظن فى مشيئة

فى الخوف والرجاء . غير أن البسط مزية أقدام الرجال . فهو

المخرج إلى الله

والناس من قبل ذلك ومن بعده - من حيث عروجهم إلى الله على قسمين

١٠ وصولوا بكرامة الله إلى طاعة الله . وقوم وصلوا بطاعة الله إلى كرامة الله . قال

الله سبحانه وتعالى : (اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ . وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ) .

وبلغ ابن عطاء الله السكندري على هذه الفكرة أضواء توضحها فيقول : معنى

١١م الشيخ هذا : أن من الناس من حرك الله همته لطلب الوصول إليه . فصار

١٢لدى مهامه نفسه . وبيداء طبيعه . إلى أن وصل إلى حقيرة ربه يصدق على هذا

١٣سبحانه . (وَالَّذِينَ جَاءَهُدُوا فِينَا لَنَهْدِيَهُمْ صَبَاطًا) .

١٤من الناس من فاجأته عناية الله من غير طلب ولا استعداد . ويشهد لذلك

١٥عالي : (يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ) .

لأول : حال السالكين .

والثاني : حال المجذوبين .

١٦من كان مبدؤه المعاملة فنهائه المواصلة .

١٧من كان مبدؤه المواصلة . رد إلى وجود المعاملة . ولا تظن أن المجذوب

١٨من له . بل له طرق طوبى عناية الله له . فسلكتها مسرعاً إلى الله عجل .

١٩ثبثاً ما نسمع عنه مراجعات المتسبين للطريق : أن السالك أتم من

٢٠السالك لأن السالك عرف الطريق . وما توصل إليه . والمجذوب ليس كذلك .

٢١منهم على أن المجذوب لا طريق له . وليس الأمر كما زعموا . فإن

٢٢صيرت الطريق له . ولم تظفر عنه . ومن طوبى له الطريق لم تقفه . ولم

٢٣منه . وإنما فاته متاعها وطول أمدّها . والمجذوب كمن طوبى له الطريق إلى

والسالك كالسائر إليها على أنوار المطايا .

لتروق

قال رضى الله عنه الشوق على قسمين : شوق على الغية لا يسكن إلا بقاء

٢٤خيّب . وهو شوق النفوس وشوق الأرواح على الحضور والمعانية .

٢٥فإذا رفعتك إلى محل الحاضرة والشهود المسلوب عن الملل فذلك مقام التعريف

٢٦بأننا حقيقة . وذلك ميدان تزل الأزل .

٢٧وإذا أنزلت إلى محل الماثرة والجهاد فذاك مقام التكليف المقيد بالعمل . وهو

٢٨إسلام الحقيقى . وذلك ميدان تجل حقائق الأبدية . والحق لا يلبى بأى صفة

٢٩يكون لأن صفتك تميل لا أنت والصفة من العين للعين . وهو ظهورك . والاسم

٣٠لسان . وهو نطقك . والاسم حقيقة الصفة .

٣١والصفة حقيقة الوجود . والأسرار منتزعة عن الوجودية للصدقية والحقائق

٣٢منجنية عن الصفات بالولاية لأهل العلوم الظاهرة عن الاسم بالدليل لأهل

٣٣السعاية . وإليه الإشارة بقوله ﷺ لأبى جحيفة : يا أبا جحيفة سائل العلماء .

٣٤وخاطب الحكماء . وجالس الكبراء . فالعالم بذلك بالعلم من الأسماء . ونهايته

٣٥الجنة . والحكيم القرب يملك باليقين والحقائق من الصفات . ونهايته منازل

٣٦القرى . وإليه الإشارة بقوله تعالى : (أَتَقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ) .

٣٧والكبير بذلك بالأسرار من الوجود على طريق الصفاء والزراعة . ونهايته إلى

٣٨الله . وتجتمع الراتب الثلاثة فى الكبير . فجعل نوراً بالعلم وقوماً بالحقائق وقوماً

٣٩بالأسرار . وهم خلفاء الأنبياء وأبدال الرسل وهم البصراء .

٤٠(قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعْنِي) .

٤١أى على معانية يعاين لكل صنف طريقهم ليحملهم عليها . وهى النهاية .

وكان إمامنا رضى الله عنه كثيراً ما يشهد :

وعلني لي من قلبي فغشيت كما غني
وكسنا حينما كانوا وكانوا حينما كنا

٦ - المفسر

إن رسول الله ﷺ لم يُسلم تفسيراً للقرآن مطولاً ، أو مختصراً وإنما أُرِىَ ﷺ كلمات شريفة وجيزة عن هذه الآية أو تلك . ومن الحق أن سلوك رسول الله ﷺ كان تفسيراً للقرآن .

ولقد كان خلقه ، صلوات الله عليه وسلامه عليه القرآن كما قالت السيدة عائشة رضوان الله عليها .

ومن الحق أن نقول إن أحاديثه ﷺ . كانت تفسيراً للقرآن من قريب أو من بعيد . ولا ريب أن حياته كلها تنزس في تفاصيلها . وفي إجمالها النهج القرآني . وهي من هذه الوجهة تفسير للقرآن .

يبد أن التفسير النظري المباشر . وتتبع القرآن كلمة كلمة وآية آية وسورة سورة بالتفسير والشرح لم يحدث من رسول الله ﷺ . ولم يبق بذلك . في تعدد وترتيب متابع أحد من الصحابة رضوان الله عليهم . وكانت ثمرة ذلك في عالم الحكمة . أن بقي القرآن على نضرة الأولى غصاً يانعاً وبقي نبهاً فياضاً تنفجر معانيه من ينباع القلوب المستبصرة وتنثال إشاراته وتوجيهاته من أعماق الأرواح المشرقة . وبقي على الزمن وعلى تتابع الدهر المنارة المضيئة . يستنير بها كل من قرب منها على قدر قربهِ . ولقد سئل أحد المفكرين عن غير تفسير للقرآن فقال : الزمن .

ولاشك أن كل يوم يمر يكشف لنا عن آفاق في القرآن كنا نجهلها . ولقد كان للصوفية في هذا المجال إلهامات وإشراقات بتوفيق الله رائعة وهم في هذا الميدان

حسب إلهاماتهم : إشارات . يعنون بذلك أن الآيات القرآنية لها تفسير بحسب اللغة ، حسب التزول وحوادث التاريخ وهو تفسير يتفاوت دقة وجمالاً ، ولكنه مع ذلك تفسر لا يستنفد كل ماتعطي الآيات القرآنية من إشارات ، ومليشع عنها من أنوار ، وما يتصوع منها من غير طيب .

وإشارات الآيات وأنوارها وغيرها الزكي لا ينفد ولا ينضب المعين الذي عنه يصدر : (وكَوْنُ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِثَتْ كَلِمَاتٌ اللَّهُ . إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) .

ومن أجل ذلك فإن إلهامات الصوفية في الآيات القرآنية فياضة دائمة ، سيالة باستمرار . ومع هذا فينبغي أن نلاحظ أمرين :

الأول : أن هذه الإشارات لا تهدف في قليل ولا في كثير إلى أن تحمل عمل التفسير المألوف .

الثاني : أن هذه الإشارات لا تتعارض مع التفسير المألوف . إنها إشارات وليست تفسيراً ، ومن أجل ذلك فإنه لا تتعارض بين الصوفية والمفسرين . وعن هذا التفسير الصوفي يقول الإمام ابن عطاء الله :

فائدة : اعلم أن تفسير هذه الطائفة لكلام الله تعالى ولكلام رسوله ﷺ بالمعاني الغريبة كما مضى من فهم الشيخ رضي الله عنه . يهب لمن يشاء إناثاً : الحسنات ، ويهب لمن يشاء الذكور : العلوم . أوزوجهم ذكراً وإناثاً : علوماً وحسنات . ويجعل من يشاء عقيماً . لا علم ولا حسنة . كما مضى أيضاً من قوله عز وجل : (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُذِخُوا بَقَرَةً) .

فقال الشيخ : بقرة كل إنسان نفسه . والله أمرك بذبحها . وكما سيقى إن شاء الله في تفسير الأحاديث فذلك ليس إحالة للظاهر عن ظاهره . ولكن ظاهراً الآية مفهوم منه ما جلبت له الآية ودلت عليه في عرف اللسان . ونم أنهم باطنه تفهم

عند الآية والحديث لمن فتح الله على قلبه . وقد جاء أنه عليه السلام قال
ولكل آية ظاهر وباطن وحد ومطلع .

فلا يصدنك عن تلقى هذه المعاني منهم أن يقول لك ذو جدل أو معارضة :
هذه إحالة لكلام الله عز وجل وكلام رسول الله ﷺ فليس ذلك بإحالة ، وإنما
يكون إحالة لو قالوا : لا معنى للآية إلا هذا ، وهم لم يقولوا ذلك ، بل يفرقون
الظواهر على ظواهرها مراداً بها موضوعاتها . ويفهمون عن الله ما أفهمهم ، ورنما
فهموا من اللفظ ضد ما قصده واضعه كما أخبرنا الشيخ الإمام مفتي الأنام تق
الدين بن علي القشيري رحمه الله قال :

كان بيغداد فقيه يقال له الجوزي يقرأ التي عشر عاماً . فخرج يوماً قاصداً
المدرسة فسمع منشداً ينشد :

إذا العشرون من شعبان ولت فواصل شرب ليلىك ليلاً بالنهار
ولا تشرب بأقداح صغار فقد ضاق الزمان على الصغار
فخرج هائماً على وجهه حتى أتى مكة ولم يزل مجاوراً بها حتى مات .

وقرئ على الشيخ مكين الأسمر رضي الله عنه قول القائل :

لو كان لي مسعد بالراح يسعدني لما انتظرت لشرب الراح إفطاراً
الراح شيء عجيب أنت شاربه فاشرب ولو حملتك الراح أوزاراً
يامن يلوم على صهباء صافية خذ الجنان ودعني أسكن النار

فقال إنسان هناك لانتجوز قراءة هذه الآيات . فقال الشيخ مكين الأسمر
للقارئ : اقرأ هذا رجل محجوب .

ويكفيك في هذا أن ثلاثة سمعوا منادياً يقول : يا سعة برى . ففهم كل منهم
عن الله مخاطبة خوطب بها في سره .

سمع الواحد اسع تر برى .

وسمع الآخر الساعة ترى برى .

وسمع الثالث ماوسع برى ؟

فالمسوع واحد . واختلفت أفهام السامعين كما قال سبحانه :

(يَسْمَعُ بِنَاءٍ وَاحِدٍ وَتَقَعْلُ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ) .

وقال سبحانه : (قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مِثْرَهُمْ)

فأما الذي سمع : اسع تر برى . فمريد دل على النهوض إلى الله بالأفعال ليستقبل

الطريق بالجد . فقيل له : اسع البنا بصدق المعاملة ، تر برنا بوجود المواصله .

وأما الآخر . فكان سالماً إلى الله طاولته الأوقات فخاف أن تنفوته الوصلة فقيل

٤ . تزويحاً على قلبه لما أحرقته نار الشغف : الساعة ترى برى .

وأما الثالث : فعاروف كشف له عن وسع الكلام فخوطب من حيث أشهد .

سمع : ما أوسع برى .

وقال الشيخ محيي الدين رضي الله عنه :

دعانا بعض الفقهاء إلى دعوة بزقاق القناديل بمصر . فاجتمع بها جماعة من

الشيخ . فقدم الطعام . وعجزت الأوعية . وهناك وعاء زجاج جديد . قد اتخذ

للبول ولم يستعمل بعد . ففرف فيه رب المنزل الطعام . فالجماعة يأكلون . وإذا

بالوعاء يقول : منذ أكرمني الله بأكل هؤلاء السادة مني لأرضى نفسي أن أكون

بعد ذلك عملاً للأذى . ثم انكسر نصفين .

قال الشيخ محيي الدين : فقلت للجميع سمعتم ما قال الوعاء ؟ قالوا نعم .

قلت : ماسمعتم ؟ فأعادوا القول الذي تقدم .

قال فقلت : قال قولاً غير ذلك . قالوا : وما هو ؟

قلت : قال كذلك قلوبكم . قد أكرمها الله بالإيمان . فلا ترضوا بعد ذلك أن

تكون محلاً لنجاسة المعصية وحجب الدنيا جعلنا الله وإياها والنقي منه بمنه وكرمه .

وهذا الذي قاله الإمام ابن عطاء الله حق كله . و الصوفى . سوفى شرح الأحاديث إنما هي الصورة التى تنشر أو تنفس على الطريقة المألوفة . وفى ثانيا الشرح أو النسخ المتبع فى الآفاق الصوفية البهتة وتقول إن هذا هو الصورة تحيط بالكثير من أقطار الموضوع . وتلم بالعديد من للمتعللين أكثر .

وما من شك فى أن كثيراً من السادة الصوفية استعمل الآن لها مثاليين كريمين يصوران جو أئمة المدرسة الشاذلية فى بها آراء أبى الحسن وأبى العباس وابن عطاء الله فتكون وحي يوضح ما ينبغي أن يكون حينما يقف الصوفى بين جمهور الناس إذا كان الشيخ بين تلاميذه ومريديه فله أن ينثر الأنوار نثر السناء .

والمثل الأول الذى نذكره أنى بمناسبة مقال رسول الله ﷺ كيف أصبحت يا حارثة ؟ قال : أصبحت مؤمناً حقاً . فله حقيقة . فما حقيقة إيمانك ؟ قال : عزفت نفسى عن الدنيا . ومدبرها . وكأنى أنظر إلى أهل الجنة فى الجنة ينتعمون . وكأنى يعذبون ، وكأنى أرى عرش ربى بارزاً . من أجل ذلك أسهرت ليل يقول ابن عطاء الله : وفى حديث حارثة فوائد عشرة الأولى : أنه لما سأل النبى ﷺ حارثة فقال له : كيف أصبى حارثة غنياً ولا صحيحاً . ولا شيئاً من الأحوال البدنية أن

إن حارثة علم أن رسول الله ﷺ أجل من أن يسأل عن دنيا . بل فهم عنه أنه إنما له كيف حاله مع الله . فلذلك قال الصحابى : أصبحت مؤمناً حقاً . أما أبناء دنيا إذا سئلوا فلا يجيبونك إلا عن دنياهم . وربما أخبروك إذا سألتهم عن الضجر بحكام مولاهم . فاسأل لمن هذا وصفه مشارك له فيما استشاره بسؤله لجرىان سبيه .

وقال الشيخ أبو العباس رضى الله عنه لرجل أتى من الحج : كيف كان محكم ؟ فقال ذلك الرجل : كثير الرخاء . كثير الماء بسعر وكذا وسعر وكذا وكذا . فأعرض الشيخ عنه وقال : تسألم عن حجهم وما وجدوا فيه من الله من علم ونور وفتح . فيجيبون برخاء الأسعار . وكثرة المياه حتى كأنهم لم يسألوا إلا عن ذلك !

الفائدة الثانية : أنه ينبغي للمشايخ أن يتفقدوا أحوال المريدين ويحوز للمريدين إخبار الأستاذين . وإن لزم من ذلك كشف حال المريدين . لأن الأستاذ كالطبيب . وحال المريد كالعمورة . والعمورة قد تبدو للطبيب لضرورة التداوى .

الفائدة الثالثة : انظر إلى قوة نور حارثة فى قوله : أصبحت مؤمناً حقاً . فلو لا أنه منور بنور البصيرة الموجبة لخص اليقين ، والتحقق بالسنة ، ما أخبر بذلك وأبداه وأثبت لنفسه حقيقة الإيمان بين يدي صاحب الخو والإثبات ، وإنما أبدى ذلك حارثة ، لأنه علم أن طراعية رسول الله ﷺ واجبة ، والرسول قد استخبره عن حاله ، فلم يسمعه الكتم وأبدى ما علم أن الله تفضل به عليه ببركات متابعة الرسول ﷺ ليفرح له الرسول ﷺ بمنة الله ، فيشكر الله عنه ، ويسأله تثبيت ما أعطاه مثل ما ذكره بعض العلماء العارفين قال : وقعت زلزلة بالمدينة زمن خلافة عمر رضى الله عنه . فقال عمر : ما هذا ؟ ما أسع ما أحدثتم . والله لئن عادت لأخرجن من بين أظهركم .

وهما صفتان : عباد آمنوا بالله على التصديق والإذعان . وعباد آمنوا بالله على جهود والعبان . وهذا الإيمان الثاني تارة يسمى إيماناً وتارة يسمى يقيناً . لأنه إيمان حلت أنواره . وظهرت آثاره . واستمكن في القلب عموده . وداوم السر بهوده وعنه يكون خالص الولاية كما أن على القسم الآخر يكون ظاهر الولاية ، ليس يستوى إيمان مؤمن يغلب الهوى وإيمان مؤمن يغلب الهوى . ولا إيمان مؤمن مرض له العوارض فيدفعها بإيمانه . كإيمان مؤمن غسل قلبه من العوارض فلا ترد إليه لشهوده وعبانه . ولأجل هذا اختلف أهل الطريق في عبيدين : أحدهما يرد عليه خاطر الذنب فيجاهد نفسه حتى يذهب ذلك عنه . والآخر لا يجتر له هذا لحاظ أصلاً . أيها أتم ؟ والذي لاشك فيه تفضيل هذا القسم الثاني . فإنه أقرب لأحوال أهل المعرفة ، والأول هو حال أهل المجاهدة ، ولأنه لا يكون القلب على هذه الصفة إلا والنور قد ملأ زواياه ، فلأجل ذلك لم يجد خاطر الذنب مساعاً .

الفائدة الخامسة : مطالبة الرسول ﷺ لحارثة بإقامة البرهان على ما أثبتته لنفسه ببدل ذلك أنه ليس كل من ادعى دعوة سلمت له ، وقد قال الله سبحانه : (فَكُنُوا الْمَوْتِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) . وقال : (قُلْ مَا تَكْفُرُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) فوازين الحقائق شاهدة للعباد أو عليهم ، وقد قال سبحانه : (وَأَقِيمُوا

الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ) . فمن ادعى حالاً مع الله أقم عليه ميزانها . فإن شهد له سلمناها له . وإلا فلا وإذا كانت الدنيا على حساسة قدرها عند الله . لا تسلم لك إلا بيينة تقيمها فمن الأخرى ألا تسلم لك مراتب الموقنين إلا أن يشتها لك برهان ، أو تسلمها لك حقيقة .

الفائدة السادسة : كان الشيخ أبو العباس رضي الله عنه يقول : لو كان المسؤل أبا بكر رضي الله عنه لم يطالبه الرسول ﷺ بإقامة البرهان على ما ادعى . لأن عظم

فانظر رحمك الله هذه البصيرة الثابتة ، كيف أشهدته أن الزلزلة إنما هي من حدث كان . وأن ذلك الحدث منهم . والله برىء منه ؟

فهو هذا إلا من نور البصيرة الكاملة التي وهبها عمر رضي الله عنه ؟ وكذلك ضربه لأبي هريرة رضي الله عنهما في صدره حين وجد معه نعل رسول الله ﷺ . وقد أمره أن من لقيه من وراء الحائط يشهد أن لإله إلا الله أن يشهروا بالجنة . ورجوعهما إلى رسول الله ﷺ . وقول عمر رضي الله عنه : يا رسول الله أنت أمرت أبا هريرة أن يأخذ نعليك ويشير من لقي وراء الحائط يشهد أن لإله إلا الله بالجنة ؟ قال : نعم . قال : لا تفعل يا رسول الله . خلوهم يعملوا . فقال رسول الله ﷺ : خلوهم يعملوا .

وهاتان الواقعتان تعرفانك بعظيم قدر عمر رضي الله عنه . ووفور أخذه من رسول الله ﷺ . واختطافه من نوره وهذا الحديث مروى في صحيح مسلم . وإنا ذكرناه هنا مختصراً .

الفائدة الرابعة : يفهم من هذا الحديث انقسام الإيمان إلى قسمين : إيمان حقيقي . وإيمان رسمي .

فلذلك أخبر الصحابي بقوله : أصبحت مؤمناً حقاً . والحديث يشهد له أيضاً . وروى البخاري يرفعه إلى رسول الله عليه وسلم . أنه قال : « ذاق طعم الإيمان من رضى بالله رباً . وبالإسلام ديناً وبمحمد رسولاً » . وروى أيضاً قال صلوات الله عليه وسلامه : « ثلاث من كن فيه وجد بين حلاوة الإيمان وطعمه : أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله وأن تود ناز عظمته فكان أن يقع فيها خير له من أن يشرك بالله » وقد جاء في الحديث أيضاً قال ﷺ : « المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف . وفي كل خير » . وقد قال سبحانه : (أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا) .

رتبة أبي بكر رضى الله عنه شاهدة له من غير إظهار برهان . فأراد الرسول ﷺ أن يعرفنا الفرق بين رتب أصحابه . فمنهم من هو كحارثة : لما ادعى حقيقة الإيمان طوبى بيهاتها . ومنهم من هو كآبى بكر وعمر رضى الله عنهما . يثبت لما الرسول ﷺ الرتب . وإن لم يشتاها لأنفسهما . ألا ترى الحديث الوارد عن رسول الله ﷺ أن بقرة في بني إسرائيل ركبها رجل وأجهدها فقالت : سبحان الله . لم أخلق لهذا ، وإنما خلقت للحرث . فقال الصحابة : سبحان الله أبقرة تتكلم ؟ فقال الرسول ﷺ : « أمنت بذلك أنا وأبو بكر وعمر » . وهما غائبان . فانظر هذه المرتبة ما أفخمها . وهذه المنزلة ما أعظمها ! وسمعت شيخنا أبا العباس رضى الله عنه يقول : معنى قول الرسول ﷺ « أمنت أنا وأبو بكر وعمر » . أى من غير عجب . وأنتم آمنت متعجبين ! لأجل ذلك قالوا : سبحان الله . أبقرة تتكلم ؟ وكان أبو العباس يقول : إن الملائكة لما بشرت زوجة إبراهيم عليه السلام بالولد قالت : (أَلِدُوا وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَطْلَى شَيْخًا) إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ ؟ !)

فقلت لها الملائكة : (أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ؟) أى أمر الله لا يتعجب منه . فلم يسعها الحق صديقة . ومرت لما بشرت بالولد من غير أب فلم تتعجب من ذلك سماها الله صديقة . فقال سبحانه : (وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ) .

الفائدة السابعة : استدلال الصحابي على حقيقة إيمانه بزهده في الدنيا . وكذلك هو الإيمان إذا تحقق من قام به أوره الزهد في الدنيا . لأن الإيمان بالله يوجب لك التصديق ببقائه . وعلمك بأن كل آت قريب يوجب لك شهود قرب ذلك . فيورثك ذلك الزهد في الدنيا . ولأن نور الإيمان يكشف لك عن إعزاز حقك فتأنف منك من الإقبال على الدنيا والتطلع إليها . مع أن الحقيقة تقتضي الزاهد في الدنيا مثبت لها . فإنه شهد لها بالوجود إذا أثبتا مزهوداً فيها . وإذا

بها بالوجود فقد عظمها . وهو معنى قول الشيخ أبي الحسن الشاذلي رضى الله عنه : والله لقد عظمها إذا زهدت فيها . ومثل هذا الزاهد فيما زهد فيه فناء الفاني . ففى عنه . فإجابات أنك فأن عن الشيء إثبات لذلك الشيء . فما لا وجود له يتعلق به فناء ولا زهد ولا ترك .

ولما في هذا المعنى آيات كتبها لبعض الأصحاب يسمى حساً :

من بأن تدع الوجود بأسره حسن فلا يشغلك عنه شاغل
من فهمت لتعلمن بأنه لا ترك إلا للذى هو حاصل
من شهدت سواء فاعلم أنه من وهلك الأدنى وقلبك داخل
وحديث كان وليس شيء غيره يقضى به الآن الليب العاقل
فقد أشرت إلى الصريح من الحوى دلت عليه إن فهمت دلائل
وحديث كان وليس شيء غيره يقضى به الآن الليب العاقل
(غير إلا نسبة مشبوهة ليدم ذو ترك ويحمد فاعل

الفائدة الثامنة : قول الصحابي رضى الله عنه : عزفت نفسى عن الدنيا واستوى عندي ذهبها ومدرها ، والعزوف هو ترك الشيء بالتفرغ له والإعراض عنه . إذ لو قال تركت الدنيا لم يلزم من الترك عدم التطلع . فرب تارك للشيء وهو له متطلع ، فالعزوف إعراض مع كراهة وتخفيف . ومن كشف الله له عن حقيقة الدنيا فهذا شأنه فيها . وقد قال الرسول ﷺ : « الدنيا جيفة فذرة » وقال ﷺ : « ما طعامك ؟ » قال : اللحم واللبن . قال : « ثم يعود إلى ما ذا ؟ » قال : إلى ما قد علمت يارسول الله . قال : « فإن الله قد جعل ما يخرج من بطن آدم مثلاً للدنيا » .

فمن كشف له عن حقيقة الدنيا فشدها جيفة فذرة فحرق أن بصرف همه

عنها . فإن قلت : فقد قال رسول الله ﷺ : الدنيا حلوة خضرة . فاعلم أن الدنيا جيفة قذرة في مرأى البصائر . وحلوة خضرة في مرأى الأبصار .
فإن قلت : فما فائدة الإخبار بأنها حلوة خضرة ؟ فاعلم أن قوله ﷺ : الدنيا جيفة قذرة للتقدير . وقوله : الدنيا حلوة خضرة . للتحذير . أى فلا تفرك بخلاوتها وخضرتها . فإن حلاوتها في التحقيق مرارة ، وخضرتها ييس . ولهذا لما سئل رسول الله ﷺ عن أولياء الله قال :

« هم الذين نظروا باطن الدنيا حين نظر الناس إلى ظاهرها » :

الفائدة التاسعة : وقوف الصحابي رضي الله عنه ، على مستحق رتبته بقوله وكأني أنظر إلى أهل الجنة في الجنة يتنعمون . ولم يقل نظرت . وقد تقدم ذلك من أن الأنبياء يطالعون حقائق الأشياء . والأولياء يطالعون مثلها .

الفائدة العاشرة : قوله فن أجل ذلك أسهرت ليلي . وأظلمات نهاري . فحارثة عبد وصل بكرامة الله إلى طاعة الله . ألا تراه كيف قال في الأول : عزفت نفسي عن الدنيا . ثم قال بعد ذلك : فن أجل ذلك أسهرت ليلي . وأظلمات نهاري . فسبق عزوف نفسه عن الدنيا . معاملته لربه .

وكان الشيخ أبو العباس رضي الله عنه يقول : الناس على قسمين : قوم وصلوا بكرامة الله إلى طاعة الله .

وقوم وصلوا بطاعة الله إلى كرامة الله .

قال الله سبحانه : (الله ينجي إليه من يشاء . ويهدي إليه من ينيب) . ونور الله يرد إلى القلب . فيوجب له الاتصاف بصفة الزهد في الدنيا . والإعراض عنها . ثم ينيب منه إلى الجوارح . فما وصل منه إلى العين أوجب الاعتبار . وإلى الأذن أوجب حسن الاستماع . وإلى اللسان أورد الذكر . وإلى الأركان أورد الخدمة .

والدليل على أن النور يوجب عزوف الهمة عن الدنيا . والنأي عنها . قول رسول الله ﷺ : « إن النور إذا دخل الصدر انشرح وانفسح » فقيل : يا رسول الله . لذلك من علامة ؟ قال : « التجافي عن دار الغرور ، والإنابة إلى دار نور » .

أما المثال الثاني : فهو بمثابة حديث حنظلة رضي الله عنه . فقد روى مسلم في حجه ، قال : لقي حنظلة أبا بكر رضي الله عنه فقال : نافق حنظلة . فقال بكر رضي الله عنه : وما شأن حنظلة ؟ قال : نكون عند رسول الله ﷺ . كونا الجنة والنار حتى كانا رأى عين . فإذا خرجنا من عنده عافسنا الضيعات زوجات فنسينا كثيرا . فقال أبو بكر رضي الله عنه : إنا لنلقى مثل ذلك حنظلة . ثم أتيا رسول الله ﷺ فقال حنظلة : يا رسول الله نافق حنظلة . فقال رسول الله ﷺ : « وما شأن حنظلة ؟ » فقال : نكون عندك فتذكرنا الجنة والنار حتى كانا رأى عين . فإذا خرجنا من عندك عافسنا الضيعات والزوجات فنسينا كثيرا . فقال رسول الله ﷺ : « والذي نفسي بيده يا حنظلة . لو تدومون على تكونون عليه عندى وفي الذكر لصافحتكم الملائكة في طرقكم وعلى فرشكم لكن ساعة وساعة » ففي هذا الحديث ثمانى فوائد :

الفائدة الأولى : قول حنظلة نافق حنظلة . النفاق مأخوذ من اليربوع . وهو أن يفعل لبيته بابين متى طولب من أحدهما خرج من الآخر . كذلك المنافق يظهر بظاهر لإيمان . وله مسرب من الكفر باطن . إذا عاتبه أهل الكفر على ما أظهر من لإيمان . فتح مسربا من باطن كفره ليسلم من عتبه . وإذا ظهرت عليه ريبة أهل لنفاق فعوتب عليها . تصون من ذلك بظاهر الإيمان الذى أظهره . ولذلك أخبر الله عنهم بقوله . (وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا ، وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم . إنما نحن مستهزئون) .

لك الحالة عزيز . وأن عدم دوام العبد على تلك الحالة لا يوجب معية . لما عليه البشر من الغفلة . فكان الدوام على تلك الحالة من التعذر .

القائدة السادسة : كان الشيخ أبو العباس المرسي رضي الله عنه يقول : لم يقل الله ﷺ أن ذلك محال . أن يكون . أعني ما رتب على تقدير الدوام . وهو لصافحتكم الملائكة . في طرقكم . وعلى فرشكم . فقد يكون من الله من يبه الله ذلك .

القائدة السابعة : إنما خص الرسول ﷺ الفرش والطريق . لأن الفرش محل بهوات . والطريق محل الغفلات . فإذا صافحتهم الملائكة في طرقهم وفرشهم .

الأخرى أن تصافحهم في محل طاعاتهم . ومواطن أذكارهم .

القائدة الثامنة : اقتضت حكمة الله سبحانه وتعالى ألا يستوى وقت كينونتهم بعده . ووقت ذكركم بما سواهما . حتى يعرف عظم قدر رتبة محاضرتهم ﷺ عزارة الذكر . وجلالة منصفهما . ا . هـ .

هذان المثالان من نوع الشرح الصوفي الذي يشرح الموضوع . وبين الغاية وخداف .

ولأبي العباس درر كثيرة ، والمهمات جليلة في كبير من آيات القرآن ، وأحاديث رسول الله ﷺ .

ولقد كنا نتمنى أن نجد من ذلك الكثير حتى يمكن أن ننسق منه باقة متكاملة .

ولكن المراجع التي حوت آثار أبي العباس لم نعطنا ماتمناه .

ونذكر فيما يلي ما استطعنا الوصول إليه . كأمانة تجزية هي شحات من النور

لأنه يفيضه الله سبحانه على من حققوا له العبودية فأثار أفئدتهم بنوره .

فلما رأى حنظلة أنه يكون عند رسول الله ﷺ

أسباب الدنيا تغير حاله . فلم يبق على نحو ما كان عليه أن يكون ذلك تفاقاً لاختلاف حالته . فشكا ذلك الإيمان على أن يظهر ذلك ليعتدل الشفاء منه . ويشكر فلما شكاً ذلك لأن يكره رضي الله عنه قال له أبو بكر :

ولم يجبه أبو بكر رضي الله عنه لأن رسول الله ﷺ كان أن يجيب حنظلة ولو أن حنظلة أتى أبا بكر بعد وفا

القائدة الثانية : يستفاد من حديث حنظلة أن

ما به حصل له الشفاء . إما بأن يقال : إن ماظنته داء

الدواء على مايزيل الداء . فحنظلة قيل له : إن

القائدة الثالثة : قول حنظلة لرسول الله ﷺ تذكر

عين ولم يقل حتى نراها رأى عين لما قدمناه من أن الأ

والأولياء يطالعون مثلها . فلذلك قال حنظلة : حتى

حتى نراها رأى عين . كما قال حارثة : وكأنني أنه

نظرت إلى أهل الجنة . وقد تقدم هذا من قبل .

القائدة الرابعة : ينبغي أن يقلل الدعول في أس

الصحابي يقول : فإذا خرجنا من عندك عافسنا الضيع

وقد قال رسول الله ﷺ : « إن قليلاً من الدنيا ،

وقال ﷺ : « ما طلعت شمس إلا بخائبا ملكا كان يناد

ربكم فإن ما قل وكفى ، خير مما كثر وألغى ! »

القائدة الخامسة : قوله ﷺ : « لو تدومون على

لذكر لصافحتكم الملائكة . في طرقكم وعلى فرشكم

والآن نذكر - بتوفيق الله - ما يمكن جمعه من هنا وهناك . مرتباً بخسر ترتيب سور القرآن الكريم :

١ - بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله رب العالمين . الرحمن الرحيم . مالك يوم الدين . إياك نعبد وإياك نستعين . أهدنا الصراط المستقيم . صراط الذي أنعمت عليهم . غير المنضوب عليهم ولا الضالين .

قال الله سبحانه : (الحمد لله رب العالمين) .

قال الشيخ رضي الله عنه : علم الله عجز خلقه عن حمده . فحمد نفسه بنفسه في أزله . فلما خلق الخلق اقتضى منهم أن يحمده ويحمده . فقال : الحمد لله رب العالمين . أي قولوا الحمد لله رب العالمين . أي أن الحمد لله الذي حمد به نفسه . هو له لا ينبغي أن يكون لغيره . فعلى هذا تكون الألف واللام للحمد يقول ابن عطاء الله : وسميته يقول في قوله عز وجل :

(إياك نعبد وإياك نستعين) .

إياك نعبد شريعة . وإياك نستعين . حقيقة .

إياك نعبد . إسلام .

وإياك نستعين . إحسان . إياك نعبد . عبادة . وإياك نستعين . عبودية .

إياك نعبد . فرق . وإياك نستعين . جمع (١٠) .

(١٠) وقد كتب ابن عطاء الله الكندي عن ذلك ما يلي : واعلم وحسك الله بإقباله عليك بوجه . وحسبك من الراعين لمعهده أن الله سبحانه طلب من العباد أن يعبدوه . واقتضى منهم أن يسجلوا ذلك على أنفسهم نقلاً كما قاموا به علماً واقتضى منهم أن يفرّدوه . واقتضى منهم تنظيم العبادة في جميع جوانبهم الظاهرة . وحقائق وجوداتهم الباطنة . واقتضى منهم الرجوع إليه من دعوى القومية في العبادة بصفاق التبري من الحول والقوة .

فلما قام المعبود بالعبادة عملاً ، اقتضى الحق أن يعترف به انطفاً : ليكون ذلك معاهدة بينه وبين الحق عز وجل .

ثم قال سبحانه وتعالى : (اهدنا الصراط المستقيم) .

قال الشيخ رضي الله عنه : بالثبوت فيما هو حاصل . والإرشاد لما ليس

حصل . وهذا الجواب ذكره ابن عطية في تفسيره (١١) .. وسطه الشيخ رضي الله

به . فقال : عموم المؤمنين يقولون : (اهدنا الصراط المستقيم) . أي بالثبوت فيما

بوحاصل . والإرشاد لما ليس بحاصل فإنهم حصل لهم التوحيد . وفاتهم درجات

مخالين .

والصالحون يقولون : (اهدنا الصراط المستقيم) معناه : نسألك الثبوت فيما هو

حاصل ، والإرشاد لما ليس بحاصل ، فإنهم حصل لهم الصلاح ، وفاتهم درجات

نهاد .

والشهداء يقولون : (اهدنا الصراط المستقيم) : أي الثبوت فيما هو حاصل .

والإرشاد لما ليس بحاصل ، فإنهم حصل لهم درجات الشهداء وفاتهم درجات

لصديقية .

والصديقون يقولون : (اهدنا الصراط المستقيم) . أي بالثبوت فيما هو

حصل ، حتى إذا انفلت نفسه عن القيام بالعبادة ، ونقلت عنها ملازمة التكليف ، قلت الحجة على العبد بما فعل الله سبحانه من الاعتراف بالعبادة له . ولأنه لا يبعد غيره لقوله : إياك نعبد ، واقتضى من العباد أن تسوع العبادة جميع جوانبهم الظاهرة وعوالمهم ، بإتيانه بالصياغة حكماً : نريد ، وإعراضه عن التعبير بالعبادة المقررة بالشك . لأن التوابع تكون للواحد العظيم نفسه . أو العظم في نفسه ، وليس هذا موضع ملين للمبين . إذ العبد لا يتدبّر بين يدي الله بوصف عظمته : فلم يبق إلا أن يكون للواحد . ومعه غيره . وذلك ما أشرنا إليه من الجوارح الظاهرة والمخالفات الباطنة ، وأما أنه اقتضى منهم الرجوع إليه من دعوى القومية في العبادة ، لأنه لا قال : إياك نعبد ، فأضاف العبادة إليهم واقتضى منهم أن يعترفوا بذلك قياماً بدائرة الفرق التي عليها يثبت التكليف . أروف ذلك بقوله : وإياك نستعين كيلا يدعى العباد معه أنهم قاموا بالعبادة بأنفسهم فأراد منهم أن يوفوا الحقيقة حقها ، والشريعة حقها ، فلذلك جمع بين الأمرين : القيام بالعبادة لربوبيته . والتبري من الحول والقوة مع الحية .

(١١) المحرر الوجيز . وقد بدأ طبعه في المغرب . وظهرت منه الأجزاء الأولى .

حاصل . والإرشاد لما ليس بحاصل . فإنهم حصل لهم درجات الصلابة . وفانهم درجات القطية .

والقطب يقول : (اهدنا الصراط المستقيم) . أى بالثبوت فيما هو حاصل . والإرشاد لما ليس بحاصل فإنه قد حصل على رتبة القطانية ، وفاته علم إذا شاء الله أن يطلع عليه أطلعه .

٧ - قال الله تعالى : (الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة) .

كل موضع ذكر فيه المصلون في معرض المدح . فإنما جاء لمن أقام الصلاة . بما يلفظ الإقامة أو بمعنى يرجع إليها . قال الله سبحانه :

(الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة) .
(رب اجعلني مقيم الصلاة) .

(أقم الصلاة)

(وأقام الصلاة)

(وأقاموا الصلاة)

(والمقيم الصلاة)

ولما ذكر المصلين بالغفلة قال :

(فويل للمصلين ، الذين هم عن صلاتهم ساهون) ، ولم يقل فويل للمقضى الصلاة .

والإقامة هو أنه إذا صلى المؤمن صلاة فتقبلت منه خلق الله من صلاته صورة في مذكرته . راحة ساجدة إلى يوم القيامة : وثواب ذلك لصاحب الصلاة .

٣ قال الله تعالى : (إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة) .

بقرة كل إنسان نفسه . والله أمرك بذبحها .

٤ قال الله تعالى : (مانسوخ من آية أو ناسخا نأت بخير منها أو مثلها) أى

ينسحب من ولى الله إلا ونأت بخير منه أو مثله .

٥ - يقول الله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته . ولا تموتن إلا

بم مسلمون) . فقال له القائل : من أين للعبد أن يتق الله حق تقاته ؟

ومن أين له ألا يموت إلا وهو مسلم ؟

فقال الشيخ رضى الله عنه : قيل إن هذه الآية منسوخة بقوله تعالى :

(فاتقوا الله ما استطعتم) .

فكانوا قد خوطبوا أولاً أن يتقوا الله حق تقاته . وهو أن يطاع فلا يعصى .

ويذكر فلا ينسى . ويشكر فلا يكفر . ثم خفف عنهم بقوله تعالى :

(فاتقوا الله ما استطعتم) .

قال الشيخ رضى الله عنه ويمكن الجمع بين الآيتين :

(فاتقوا الله ما استطعتم) أى فى جانب الأعمال .

وقوله تعالى : (اتقوا الله حق تقاته) أى فى جانب التوحيد .

وقوله تعالى : (ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون) أى لاتعاطوا من الأعمال إلا أفعالاً

إذا متم عليها متم مسلمين .

٦ - (ما أصابك من حسنة فمن الله ، وما أصابك من سيئة فمن نفسك) .

قيل إنما وقع لتفصيل فى العبادة أدباً من الله لنا ، فأضاف المحاسن إليه وأضاف

المساوئ إليها . وإن كان فعل العبد كله خلق الله تعالى حسنة وسيئة كما قال :

(.... فأراد ربك أن يبلغا أشدهما) .

فأضاف ذلك إلى الله . وقال فى السفينة : (فأردت أن أعيبها) ولم يقل :

فأراد ربك أن يعيبها أدباً فى التعبير . وكما قال إبراهيم عليه السلام : (وإذا

مرضت فهو يشفين) . فأضاف المرض لنفسه ، والشفاء لله تعالى .

وممنهم من قال إن ذلك داخل فى مضمون القول . وإن هذا التفصيل حكاية الله

١٠- قال الله تعالى حاكياً عن الشيطان : (ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين) .

قال رضى الله عنه : لم يقل من فوقهم ولا من تحتهم . لأن فوق التوحيد . وتحت الإسلام . والشيطان لا يمكنه أن يأتي المؤمن من توحيد ولا من إسلام .

أما قوله : (ولا تجد أكثرهم شاكرين) .

فإنه لو علم الشيطان أن ثمَّ طريقاً توصل إلى الله أفضل من الشكر لوقف عليها .

ولا ترى قوله : (ولا تجد أكثرهم شاكرين) ولم يقل صابرين . ولا خائفين .

ولأرجين .

١١- للناس أسباب . وسببنا الإيمان والتقوى . قال الله تعالى : (ولو أن أهل

القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض) .

١٢- يقول الله تعالى : (ما خلق الله ذلك إلا بالحق) .

الحق الذى خلق الله به كل شيء كلمة « كثر » .

قال الله سبحانه وتعالى : (ويوم يقول كن فيكون قوله الحق) .

١٣- قال الله تعالى : (قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون) . أى من طاعتهم وأعمالهم . ومثل ذلك : (ورحمة ربك خير مما

يجمعون) .

١٤- يقول الله تعالى : (ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه) .

همت به هم إرادة . وهم بها هم ميل لا هم إرادة .

١٥- قال الله سبحانه وتعالى : (سبحانه الذى أسرى بعبده ليلاً) . ولم يقل

بنبيه ولا برسوله . وهو نبيه ورسوله . وإنما كان كذلك لأنه أراد أن يفتح باب السريان للاتباع . فأعلمنا بأن الإسراء من بساط العبودية . فأنبي عليهم السلام كان له كمال العبودية . فكان له كمال الإسراء . أسرى بروحه وجسمه . وظاهره

والتقدير : (فما هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثاً) فى قولهم :

« سأيك من حسنة فمن الله . ومأصباك من سيئة فمن نفسك » . ورد عليه

« تعالى : (قل كل من عند الله) .

١- قال الله تعالى : (واتخذ الله إبراهيم خليلاً) .

قال : سعى خليلاً لأنه خالل سره محبة الله تعالى . قال الشاعر :

« غللت مسلك الروح منى ولذا سعى الخليل خليلاً »

« نطقت كنت كلامي وإذا صمت كنت العليلاً »

١- قال الله تعالى : (سمعون للكذب أكالون للسحت) .

انت فى اليهود . ومن كان من فقراء هذا الزمان مؤثراً للسماع بهواه أكلاً بما

« مولاه . فهى نزعة يهودية لأن القوال يذكر العشق وماهو بعاشق . والنجبة

« محب . والوجد وماهو متواجد . فالقوال يذكر الكذب والسمتع سماع له .

« أهل من الفقراء طعام الظلمة حين يدعى إلى السماع فهو يصدق عليه قول الله

« ١٠٠ (سمعون للكذب أكالون للسحت) .

١- قال الله تعالى : (إن تعذيبهم فإنهم عبادك . وإن تغفر لهم فإنك أنت

المعزى الحكيم) .

« ١١ (رضى الله عنه وقد سأله سائل : لم قال عيسى عليه السلام : (إن تعذيبهم

« ١٢ (مبادك . وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم) ولم يقل الغفور الرحيم ؟

قال الشيخ رضى الله عنه : إنما عدل عن قوله : إنك أنت الغفور الرحيم إلى

« ١٣ (فإنك أنت العزيز الحكيم) لأنه لو قال وإن تغفر لهم فإنك أنت الغفور

« ١٤ (الرحيم . لكنت شفاعاً من عيسى عليه السلام لهم فى المغفرة . ولا شفاعاً فى

« ١٥ (لأنه عبد من دون الله . فاستغنى من الشفاعة عنده وقد عبد معه

وأولئك . فالأولياء لهم قسط من العبودية ، فلهم قسط من الإسرائ يسرى بأرواحهم
٧ أنشأهم .

١٦ قال الله تعالى : (إنهم فتيه آمنوا بربهم وزدناهم هدى) .
الفتوة : الإيمان والهداية .

١٧ قال الله تعالى : (ومالك يمينك ياموسى . قال هى عصاى أتوكأ عليها
وأهش بها على غنى ولى فيها مآرب أخرى . قال ألقها ياموسى فألقاها فإذا هى حية
سمى . قال خذها ولا تخف سنيدها سيرتها الأولى) .

يقال للول : ومالك يمينك أيها الولى ؟
قال : هى دنياى أتوكأ عليها وأهش بها على غنى . وغنمه أعضاؤه ول فى
أرب أخرى . فيقال له : ألقها فناء عنها .

فألقاها . فيكشف له عن حقيقة ، فإذا هى حية تسمى . ثم يقال له : خذها
ولا تخف . فلا يضره أخذها لأنه أخذها بإذن الله فى أخذها كما أطاعه فى إلقائها .

١٨ - قال الله تعالى : (قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له إبراهيم) .
سمى إبراهيم فتى . لأنه كسر الأصنام . فمن كسر الأصنام فهو الفتى الخليل عليه
السلام . وجد أصناماً حقيقية فكسرها . وأنت لك أصنام معنوية فإن كسرتها كنت
مهلكاً . ولك أصنام خمسة : النفس . والهوى . والشيطان . والشهوة . والدنيا . فإن
بها فانت الفتى .

١٩ قال الله تعالى : (يولج الليل فى النهار . ويولج النهار فى الليل) .
يولج المعصية فى الطاعة . ويولج الطاعة فى المعصية . يطع العبد الطاعة
فلا يمتد عليها . ويستصغر من لم يفعلها . ويطلب من الله العوض عليها .
فإن حسنة أحاطت بها سيئات . ويذنب الذنب فلجأ إلى الله فيه ويعتذر منه ،

يستصغر نفسه ويعظم من لم يفعله . فهذه سيرة أحد
٢ طاعة ؟ وأبها المعصية ؟ .

٢٠ - يقول الله تعالى : (ويوم تشق السماء بالغمام
والملك يومئذ الحق للرحمن) . إنما قال للرحمن . وأ

لأن تشق السماء بالغمام وتنزل الملائكة مظهران فى
قال للقهار أو العزيز لم يطق ذلك العباد ، ونقطرت قلا
(الملك يومئذ الحق للرحمن) . وهكذا قوله : (يوم
وفداً) . ولم يقل إلى القهار ، ولا إلى العزيز ، لأن
فلا تظفهم برحانيته فى ظهور سلطان قهره .

٢١ - يقول الله تعالى : (أمن يجيب المضطر
والولى لا يزال مضطراً) (١٢) . وقال رضى الله عنه

(١٢) ومعنى كلام الشيخ هذا أن العامة اضطرابهم بمثيرات الأسباب
وذلك لعلة دائرة الحس على مشهدهم . فلو شهدوا قبضة الله الشاملة
دائم ، لأن اضطرابهم تعطل حقيقة العبد إذ هو ممكن ، وكل ممكن مضطرب
الحق سبحانه هو الفتى أيضاً . فالعبد مضطرب إليه أيضاً ، ولا يزال العبد
الآخرة . ولودخل الجنة فهو محتاج إلى الله فيها . غير أنه غمس اضطرابه
وهذا هو حكم الحقائق ألا يختلف حكمها لا فى الغيب ولا فى الشهادة ولا
الكشف أى علم كان . وفى أى وقت كان . والإرادة صفها التخصيص
ومن اتعت آثاره لم يتوقف اضطرابه .

وقد عاب الله قوماً اضطربوا إليه عند وجود أسباب أليانهم إلى الأضداد
الدهسجانه وتعالى : (وإذا مسكم الضر فى البحر فمسل من تدعون إلا إيا
سبحانه وتعالى : (وإذا مس الإنسان الضر دعانا لجنبه ، أو قاعاً أو
يدعنا إلى ضره . كذلك زين للمسرفين ما كانوا يعملون) .

وقال تعالى : (قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر تدعونه تطف

بعض اليهود فسمعهم يقرءون التوراة . فنخشعوا ، فلما دخلوا على رسول الله ﷺ نزل عليهم جبريل عليه السلام فقال : اقرأ . قال : وما اقرأ ؟ قال : اقرأ (أول بكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب بتلى عليهم) . ففوتوا إذ تخشعوا من غيره . وهم أي تخشعوا من التوراة وهي كلام الله ، فما ظنك بمن أعرض عن كتاب الله وتخضع للملاهي والغناء ؟ !

٢٢ - يقول الله تعالى : (أن اشكرك لي ولوالديك) .

إنما قرن شكرها لأنها الأصل في وجودك .

٢٣ - قال الله سبحانه وتعالى : (إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا) فقوم ففهموا من هذا الخطاب أنهم أمروا بعداوة الشيطان ، فشتغلهم عن محبة الحبيب . وقوم ففهموا من ذلك أن الشيطان لهم عدو . أي وأنا لكم حبيب فاشتغلوا بمحبة فكفاهم من دونه . قيل لبعضهم كيف صنعتك مع الشيطان ؟ قال : وما الشيطان ؟ نحن قوم صرفنا همنا إلى الله فكفانا من دونه .

٢٤ - قال الله سبحانه وتعالى : (الله يجتبي إليه من يشاء ، ويهدي إليه من ينيب) . الناس على قسمين : قوم وصلوا بكرامة الله إلى طاعة الله ، وهؤلاء قد

الشاكسين . قبل الله بنبجكم منها ومن كل كبر ثم أنتم تشركون (الذي يغير ذلك من الآيات الواردة في هذا المعنى) . ولما لم تصل عقول العوام إلى ما تطبه حقائق وجوداتهم ، سلب عليهم الأسباب المثيرة للاضطراب ليعرفوا قهر ربوبيته ، وعظمة إلهيته وكبريائه .

ومن الدلائل على فخامة رتبة الاضطراب ، أن الحق سبحانه . أوقف الإجابة عليه فقال : (أنى يجيب اضطراب إذا دعاه) .

إذا أراد الله سبحانه وتعالى أن يعطى عبدا شيئا وجهه الاضطراب إليه فيه . فيطلب باضطراب فيعطى . وإذا أراد الله أن يمنع عبدا أمرا منه الاضطراب إليه فيه . ثم منه إياه وقامت حجة الله على العبد : لو اضطربت إليها ونعطيك ، فلا يغاف عليك أن تضطر وتطلب فلا تعطى . بل يغاف عليك أن تحرم الاضطراب . فحرم نصب . أو تطلب بغير اضطراب فحرم المطاء .

٢٤٣ - وقوم وصلوا بطاعة الله إلى كرامة الله وهؤلاء قد هداهم .

(يبب لمن يشاء إنانا) . قال رضى الله عنه : صليت خلف الشيخ صلاة

صبح . فقرأ بحم عسق حتى انتهى إلى قوله تعالى : (يبب لمن يشاء إنانا) . فخطر

بأنها الحسانات .

(ويبب لمن يشاء الذكور) . فخطر لي أنها العلوم .

(أو يزوجهم ذكرا ، وإنانا) علوماً وحسانات .

(ويجعل من يشاء عقيماً) . لا علم ولا حسة .

فلما سلم الشيخ من الصلاة استدعاني وقال : لقد وجدت فهمك في الصلاة

(يبب لمن يشاء) إنانا : الحسانات . (ويبب لمن يشاء الذكور) : العلوم . (أو يزوجهم ذكرا وإنانا) : علوماً وحسانات . (ويجعل من يشاء عقيماً) : لا علم ولا حسة . فعجبت من اطلاع الشيخ على ذلك ! فقال : أتعجب من اطلاعي

على فهمك في الصلاة !

قد فهم فلان كذا . وفهم فلان كذا . حتى عد أفهام الجماعة الذين خلفه .

٢٥ - يقول الله تعالى : (وبالأسحار هم يستغفرون) .

قال رضى الله عنه : من طاعتهم ، ومن أعلمهم التي قاموا لله تعالى بها في

ليلهم . أن يشهدوها من أنفسهم .

ويقول ابن عطاء الله : ودليل ما قال الشيخ رضى الله عنه أن الله عز وجل

وصفهم قبل ذلك بقوله : (كانوا قليلا من الليل ما يهجعون) .

ثم قال : (وبالأسحار هم يستغفرون) .

فلم يتقدم منهم في ليلهم ذنوب يكون استغفارهم منها . وقد جاء في الحديث

الصحيح أن النبي ﷺ كان إذا سلم من صلاته استغفر الله ثلاثاً . وقال الواسطي :

العبادات إلى طلب العفو عنها أقرب منها إلى طلب الإعواض عليها .

نعالى : (لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم ، ثم رددناه أسفل سافلين) .
ففكرت في معنى هذه الآية . فكشفت لي عن اللوح المحفوظ فإذا مكتوب فيه :
(لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم) .
روحاً وعقلاً . ثم رددناه أسفل سافلين ، نفساً وهوى .

٢٩- قال رضى الله عنه في قوله ﷺ :
« سبعة يظلمهم الله في ظله . يوم لا ظل إلا ظله : إمام عادل . وشاب نشأ في عبادة ربه ، ورجل قلبه معلق بالمسجد لا يخرج منه حتى يعود إليه . ورجلان تحابا في الله اجتمعا على ذلك وتفرقا عليه . ورجل دعه امرأة ذات حسن وجمال فقال إني أخاف الله . ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه من خشية الله . ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ماتنق يمينه » .

فقال الشيخ رضى الله عنه : الإمام العادل هو القلب . ورجل قلبه معلق بالمسجد حتى يعود إليه . أى رجل قلبه معلق بالعرش . فإن العرش مسجد قلوب المؤمنين . ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه . أى خالياً من النفس والهوى . ورجل تصدق بصدقة . أى أخفاها عن نفسه وهواه .

وكذلك قال في قوله عز وجل : (إذ نادى ربه نداء خفياً) .
أى من النفس والهوى . فاعلم أن هؤلاء السبعة جازاهم الحق سبحانه من حيث معاملتهم إياه أما الإمام العادل : فإنه عدل في عباد الله . فأوى المظلوم إلى ظل عدله . فأواه الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله .

وأما الشاب الذى نشأ في عبادة الله ، فإنه آوى إلى الله معرضاً عن هواه ، آوياً إلى كنف مولاه ، فصنع الحق معه ذلك في الآخرة جزاء ، كما صنع هو ذلك مع الله في الدنيا معاملة .

٢٦- يقول الله تعالى : (وإبراهيم الذى وفى) .
قال رضى الله عنه : (وفى) بمقتضى قوله : حسبي الله .
٢٧- وقال رضى الله عنه في قوله سبحانه وتعالى :
(إن المتقين في جنات ونهر . في مقعد صدق عند مليك مقتدر) .

إن المتقين في جنات ونهر . في هذه الدار . وفى تلك الدار . في الدنيا . في جنات العلوم ، وأنهار المعارف . وفى الآخرة في الجنة التى وعدوا بها ، في مقعد صدق في هذا الدار ، وفى تلك الدار ، عند مليك مقتدر في هذه الدار . وفى تلك الدار (١٣) .

يقول الله تعالى : (لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيه خاشعاً متصدعاً من خشية الله) . قال رضى الله عنه : في هذه الآية مدح لسيد المرسلين ﷺ . أى أن هذا القرآن لا تثبت له الجبال لو أنزل عليها ، وأنت يا محمد ثبت لتزوله بالقوة الربانية التى أودعنا فيك . وفيها ذم للكافرين . أى أن هذا القرآن لو نزل على جبل لخشع وتصدع . وأنتم ماخشعتم ولا تصدعتم .

٢٨- قال الله سبحانه وتعالى : (لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم ثم رددناه أسفل سافلين) .

قال رضى الله عنه : قرأت مرة (والتين والزيتون) إلى أن انتهيت إلى قوله

(١٣) وبسط كلام الشيخ رضى الله عنه : هو أن نعم الجنة الكائن فيها . يكون رفاته معجلة للمتقين في هذه الدار . فإكان لهم في الجنة حساً . يكون لهم في هذه الدار معنى . ومثل هذه الآية قوله سبحانه وتعالى : (إن الأبرار لفي نعم) أى في هذه الدار . وفى تلك الدار في الدنيا . في نعم الشهود . وفى الآخرة في نعم الرؤية . وكذلك قوله تعالى : (وإن الفجار لفي جحيم) أى في هذه الدار . وفى تلك الدار . في هذه الدار . في جحيم القطعية . وفى تلك الدار في جحيم العقوبة . وقوله تعالى : (في مقعد صدق) أى في هذه الدار . وفى تلك الدار في مقعد صدق خصوصي (عند مليك مقتدر) في هذه الدار . وفى تلك الدار . في هذه الدار لهم عندية الإمداد . وفى تلك الدار لهم عندية الإشهداد .

« لا أجمع على عبدى خوفين . ولا أمين . إن أمنت في الدنيا . أخفته في الآخرة . وإن أخفته في الدنيا أمنت في الآخرة » .

٣٠ - وقال رضى الله عنه في قوله ﷺ : « يسروا ولا تمسروا » .

أى دلومهم على الله . ولا تدلوا على غيره . فإن من ذلك على الدنيا فقد غرك . ومن ذلك على الأعمال فقد أتعبك ، ومن ذلك على الله فقد نصحك .

٣١ - وقال في قوله ﷺ :

« رأيت الجنة فتناولت منها عنقوداً ، لو أخذته لأكلتم منه ما بقيت الدنيا » .

فقال رضى الله عنه : الأنبياء يطالعون حقائق الأشياء والأولياء يطالعون مثلها .

فلذلك قال الرسول ﷺ : « رأيت الجنة » ولم يقل كأتى رأيت الجنة .

٣٢ - وكان يقول في معنى حديث : « من عرف نفسه عرف ربه » .

معناه من عرف نفسه بذلها وعجزها . عرف الله بعزته وقدرته . قلت : وهذا

أسلم الأجرية والله أعلم .

٣٣ - وقال في قوله ﷺ : « السلطان ظل الله في الأرض » .

هذا إذا كان عادلاً . فأما إذا كان جائراً فهو ظل النفس والهوى .

٣٤ - وقال رضى الله عنه : « مات رجل من أهل الصفة ، فوجد في شملته

ديناران . فقال ﷺ : كيتان من نار » .

قال الشيخ وقد مات - على عهد رسول الله ﷺ - كثير من الصحابة وتركوا

أموالاً . فإما قال رسول الله ﷺ فيهم مثل ما قال في هذا . لأنهم لم يبطنوا خلاف

ما أظهروا . وهذا الذى كان من أهل الصفة . أظهر الفاقة ، وكان عنده هذان

الديناران . فلما أظهر خلاف ما أبطن . قال الرسول ﷺ : « كيتان من نار »

٣٥ - وقال : كان الشيخ أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنه يقول : المؤمن في

وأما ترجلان اللذان تحباً في الله اجتماعاً على ذلك وتفرقاً عليه . فإنها توصلها
روح الله . وتآلفاً بمحبة الله . وكان ذلك منها تحيلاً إلى الله فأواهما الله بظله .
يوم لا ظل . إلا ظله

وأما الرجل الذى دعت امرأته ذات حسن وجمال فقال : إني أخاف الله . فإنه
صلى نار مخالفة الهوى مخافة من المولى . وخالف بواعث الطبع المعارضة للتقوى . فلما
خاف من الله هرب إليه . ولما هرب إليه هاهنا معاملة آواه الله إليه في الآخرة
مواصلة . فأظله الله بظله يوم لا ظل إلا ظله .

وأما الرجل الذى ذكر الله خائلاً ففانست عيناه فإنه لم تفض عيناه إلا من القرح
التي أحرق قلبه . إما حياء من الله أو شوقاً إليه . أو خوفاً من ربوبيته . أو لشهود
التقصير معه . فلما فعل ذلك حيث لا يراه أحد إلا الله الواحد الأحد . كان ذلك
منه معاملة لله ، وإحيائاً إليه ، بالاعتذار إليه ، أو بالشوق إليه ، فأوى إلى الله
فأظله الله ، يوم لا ظل إلا ظله .

وأما الرجل الذى تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه . فإنه
قد آثر الله على نفسه بئذ الدنيا إيثراً لحب الله على مانجه نفسه . لأن شأن النفس
حب الدنيا وعدم البذل لها ، فلا يذللها إلا من آثر الله عليها . ولذلك قال رسول الله
ﷺ : « والصدقة برهان »

أى برهان يدل على أن العبد آثر مولاه على نفسه وهواه . فلما مال هذا العبد إلى
الله بالمعاملة . من الله عليه بأن أظله في ظله يوم لا ظل إلا ظله .

وتشترك الأقسام السبعة في معنى واحد . فلذلك جوزوا جزاء واحداً اشتركت
في أن كلاً من هؤلاء السبعة : صلى حر مخالفة الهوى في الدنيا . فلم يذقه الله حر
الآخرة . وقد قال ﷺ حاكياً عن الله تعالى :

الدينا أسير . ولا فكك للأسير إلا بأحدى ثلاث :

إما بالجليلة - وإما بالقديرة - وإما بالعناية .

وما ذكره الشيخ مأخوذ من قول رسول الله ﷺ :

« الدنيا سجن المؤمن » . وقال الشيخ أبو العباس رضى الله عنه في تفسير هذا الحديث ، وشأن المسجون التحديق بعينه . والإصغاء بأذنيه . متى يدعى فيجب .

٧ - وحدة الوجود عند أبي العباس والصوفية

على وجه العموم

هل كان أبو العباس يعتقد في وحدة الوجود ؟

وما موقف شيخه منها ؟

وما رأى تلميذه ابن عطاء الله فيها ؟

إن موضوع وحدة الوجود من الموضوعات التي استخدمها أعداء التصوف في تأليب الجماهير المؤمنة . ونرجوا الله أن نوفق الآن إلى إلقاء بعض الأضواء على هذا الموضوع . أضواء نرسمها من جو المدرسة الشاذلية . ومن جو الصوفية على وجه العموم ، ومن الجو القرآني .

يقول أبو العباس : كان الإنسان بعد أن لم يكن . وسيفنى بعد أن كان . ومن كلا طرفيه عدم فهو عدم . هذه الكلمة بشرحها ابن عطاء الله مضمناً كلامه رأيه الشخصى . ورأى أبى الحسن رضى الله عنهم . وهى تصوير لرأى أبى العباس . ويعكس على هذا الوضع أن نقول إنها رأى المدرسة الشاذلية في وحدة الوجود . يقول ابن عطاء الله : ومعنى كلام الشيخ هذا أن الكائنات لا تثبت لها رتبة الوجود المطلق . لأن الوجود المطلق إنما هو الله . وله الأهمية فيه . إنما للعالم

الوجود من حيث ما ثبت لها .

واعلم أن من الوجود له من غيره فالعدم وصفه في نفسه . وقد قال الشيخ أبو الحسن رضى الله عنه : الصوفى من يرى الخلق في طى سره كالهباء في الهواء لا موجودين . ولا معدومين حسباً هم في علم رب العالمين .

وقال أيضاً رضى الله عنه وقد تقدم : وإنا لا نرى أحداً من الخلق هل في الوجود أحد سوى الملك الحق ؟ وإن كان ولا بد فالهباء في الهواء إن فنشته لم نجده شيئاً . وفى كتاب الحكم من كلامنا : العوالم ثابتة بإثباته . محمودة لأحدية ذاته .

وقد قال الشيخ أبو الحسن رضى الله عنه : كان لى صاحب كثيراً ما يأتينى بالتوحيد . فقلت له : إن أردت التى لالوم فيها فليكن الفرق على لسانك موجوداً . والجمع فى باطنك مشهوداً . وأشبه شىء بوجود الكائنات إذا نظرت إليها بعين البصيرة وجود الظلال . والظل لا وجود له باعتبار جميع مراتب الوجود . ولا معدوم باعتبار جميع مراتب العدم . وإذا أثبت ظلية الآثار لم تنسخ أحدية التأثير . إذ الشىء إنما يشفع بمثله ويضم إلى شكله . كذلك أيضاً من شاهد ظلية الآثار لم تنفقه عن الله . فإن ظلال الأشجار فى الأنهار لا يعوق السفن عن التسيار . ومن هاهنا يبين لك أيضاً أن الحجاب ليس أمراً وجودياً بينك وبين الله . ولو كان بينك وبينه حجاب وجودى للزم أن يكون أقرب إليك منه . ولا شىء أقرب إليك من الله . فرجعت حقيقة الحجاب إلى توهم الحجاب فما حجبك عن الله وجود موجود معه . إذ لا موجود معه . وإنما حجبك عنه توهم موجود معه . وذلك كرجل بات فى مكان وأراد الخروج فسمع صوت الرياح من كوة هناك فظنه زفير أسد . فمنعه ذلك عن الخروج . فلما أصبح لم يجد هناك أسداً وإنما هو الريح انضغط فى تلك الكوة . فما حجبه وجود أسد وإنما حجبه توهم الأسد .

ويقول ابن عطاء الله فى مكان آخر من كتاب لطائف المثنى : الحقيقة تقتضى أن

ولم يقل أحد من الصوفيين الحقيقيين - ومنهم ابن العربي والحلاج - بوحدة التَّجُود - وما كان للصوفية . وهم الذروة من المؤمنين أن يقولوا - وحاشاهم - بوحدة الوجود . وقد تسامل : من أين إذن أنت الفكرة الخاطئة التي يعتقدونها كثير من الناس . من أن الصوفية يقولون بوحدة الوجود ؟ وتفسير ذلك لاعسرفيه : إن فريقاً من الفلاسفة في الأزمنة القديمة ، وفي الأزمنة الحديثة ، يقولون بوحدة الوجود . بمعنى أن الله - سبحانه وتعالى عن إفكهم - هو والمخلوقات شيء واحد . قال بذلك هيراقليطس في العهد اليوناني : والله عنده نهار وليل ، صيف وشتاء ، وفرة وقلة ، جامد وسائل - إنه على حد تعبيره - كالنار المعطرة تسمى باسم العطر الذي يفوح منها . تقدس سبحانه وتزه عما يقول .

والله سبحانه وتعالى في رأى « شلى » في العصور الحديثة . هو هذه البسمة الجميلة على شفتي طفل جميل باسم . وهو هذه النسائم العلية التي تنعشنا ساعة الأصيل . وهو هذه الإشرقة المتألقة بالنجم الهادي في ظلمات الليل ، وهو هذه الوردة البانعة تنفتح وكأنها ابتسامات شفاه جميلة . إنه الجمال أبنا وجد ، ولكنه أيضاً - سبحانه وتعالى - القبح أبنا كان . وكما يكون طفلاً فيه نضرة . وفيه وسامة يكون جثة ميت ، ويكون دودة تنفث من جسد ميت ، ويكون قبراً يضم بين جدرانها هذه الجثة ، وهذا الدود . أستغفرك ربى وأتوب إليك .

ولوحدة الوجود - بمعنى وحدة الوجود - أنصار في كل زمان . ولما قال الصوفية . . بالوجود الواحد . . شرح خصومهم الوجود الواحد بالفكرة الفلسفية عن وحدة الوجود بمعنى وحدة الوجود وفروق كبير بينهما . ولكن الخصومة كثيراً ما ترضى عن التزييف وعن الكذب في سبيل الوصول إلى هدم الخصم . والغاية تبرر الوسيلة كما يقولون .

وشيء آخر في غاية الأهمية . كان له أثر كبير في الخطأ في فهم فكرة الصوفية

لما بالوجود إذا أثبتنا مزهوداً فيها ، وإذا نعى قول الشيخ أبي الحسن الشاذلى رضى فيها . ومثل هذا الزاهد فيما زهد فيه فناء من الشيء . إثبات لذلك الشيء . فاف . ولنا في هذا المعنى أبيات كتبها لبعض

حسن فلا يشغلك عنه شاغل
لاترك إلا للذى هو حاصل
من وهلك الأذى وقلبك ذاهل
والله يعلم مايقول القائل
دلت عليه إن فهمت دلائل
يقضى به الآن الليب العاقل
ليدم ترك . ومحمد فاعل
ة ، فهل هو رأى الصوفية على وجه

١٠٠ مع رأى الحلاج . وابن العربي

العبد ورده في هذا المجال ؟
سورة غير متوقعة - حدة المناقشة في
ود « ولستنا بصدد وحدة الوجود .
لونا ورائحة وطعما متفاوت ثقلا

[illegible]

(١٠) . وهو الذي يصوركم في الأرحام بشاره .
الوجود لكل كائن . وليس لكائن غيره سبحانه . والوجود من نفسه . أنه سبحانه
ويعطى أعطى الذي الحق الوجود . وهو الوجود ذاته عن غيره . والله المستعني بذاته عن غيره . وأنه وجود
وهل في الوجود الواحد من شأن ؟

الوجود الواحد :

. منطق البحث غير أهل للثقة .

أساساً تدور عليه أحكامهم بالكفر والأضلال ، ويكفي أن يشهدوا بأنفسهم أنهم لا يكونون
لا يوجد في كتاب من كتبه . ولم يخطها قلبه . لقد اجتروا ما اجتروا ثم وضموها
. أو أن غيره . أو أن الله تعالى رضى الله عنهم إلى الإلهام الذي يعزونه التي الكلمات هذه
أما هذه الكلمات تفصيلات وأبحاث .

مفاهيمها ، وأفكارها ، فتمثلها الفلسفة تجريئة على الخلق الإسلامي تتأدى بصورتها ومفاهيمها
في صلاته في صلاته في صلاته . وهذه الأفكار التي تثار لها وتأثيراتها . وهي هذه
تلك التي يجب ألا نعتبر أدنى التفات لأنه أتته - في منطق البحث - من أن نعتبر
الأفراد . وهذا التفسير على هذه الطريقة يسحب الثقة في آراء هؤلاء الخصوم . وأمر
أن يراجعوا مفاهيمهم ولا تأويلهم فيقولوا قوليهم بالوجود الواحد على أنه قول بالوجود
الصورية بالوجود الواحد . شرح خصوصياتهم فكيف في ضوء رأي الأشعرى ، دون
ولا قال مما قالوه أن الوجود غير الموجود وأنه ما به يكون وجود الموجود . ولا قال
مثل غيره في هذا الميدان بخطي تارة وبهذه أخرى .

رأي فلسفي خطي فيه أبو الحسن الأشعرى أو بعضه . وما مثله في آرائه الفلسفية إلا
المكررة الفلسفية . وفيه يؤلفه الكثير من مفكري الإسلام وفلاسفته على رأيه . وهو
الكلامية أن الوجود هو عين الوجود . ولم يؤلفه الكثير من الصوفية على هذه
عن الوجود الواحد . وهو أن الإيمان بالأشعرى رضي الله عنه رأى في فلسفته

(أفراييم ماتخوتون . أنتم تزرعون أم نحن الزارعون) !

(أفراييم النار التي تورون . أنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشئون) .

وعلى العكس من ذلك . لو شاء الله لما خلق هذا الفرد . ولجعل الريح حطاماً . ولما أنزل الماء من المزن . ولما أنشأ شجرة النار . إنه سبحانه بيده الأمر سلطاً وإيجاباً . وبيده أمر الخلق إيجاباً وإعداماً .

أرأيت إلى هذه الرمية التي ترميها ؟ إنك مارميت إذ رميت ولكن الله رمى .
أرأيت إلى الانتصار في الجهاد ؟

إن هذا الانتصار من عند الله . أما القتل : (فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم) .
ورزق الإنسان هذا وطعامه : (فلينظر الإنسان إلى طعامه . أنا صبينا الماء صباً ثم شققنا الأرض شقاً . فأنبتنا فيها حباً . وعناباً وقضباً . وزيتوناً ونخللاً . وحدائق غلباً ، وفاكهة وأباً . متاعاً لكم ولأنعامكم) .

هذه الهيمنة وهذه القيومية يمر بها قوم فلا يعيرونها التفاتاً ، إنهم يمرون بها مرور الحيوانات بما لا تدرك ولا تعقل . إن الله سبحانه وتعالى لا يختل من شعورهم درجة أيًا كانت . وهمهم كل همهم مصبحين ممسين . إنما هو ملء البطن . أو كثر الذهب والفضة . أو النزاع على جاه . أو العمل لتثبيت سلطان . إنهم يمرون بآيات الله فلا يشهدونها . وتحيط بهم آثاره . فلا ينظرون إليها . وتغمرهم نعاؤه وآلؤه . فلا يوجههم ذلك إلى الحمد ولا إلى الشكر . إن الله سبحانه وتعالى لا يختل في قلوبهم ولا في تفكيرهم ولا في بيئتهم قليلاً ولا كثيراً . والطرف الآخر المقابل لهذا هو هؤلاء الذين انغمسوا حقاً في محيط الإلهية . سبحوا في بحارها ، واستنشقوا نسائمها الندية ، وغمرهم لألأؤها وضيآؤها ؛ لقد بدءوا بحمد الله وشكره على نعمائه وآلائه التي تحيط بهم من جميع أقطارهم ، فزادهم الله نعمًا وآلاء : (لئن شكرتم لأزيدنكم) .

لقد اتقوا الله حق تقاته فعلمهم الله .

لقد اكتفوا بالله هادياً ونصيراً فهداهم الله إلى صراطه المستقيم ، ونصرهم على همهم وعلى أعدائهم . وأخذوا شيئاً فشيئاً يحاولون تحقيق التوحيد : قولاً عبدة ، وتدوفاً وتحققاً ، وأخذوا يرون في « أشهد أن لا إله إلا الله » معاني يتطلع إليها غيرهم .

وبدأ معنى الشرك يتضح لهم في صورة لا تخطر على بال اللاهين الذين شغلهم بهم وأهلهم . وبدءوا يحطمون الشرك . يحطمون أصنامهم وأوهامهم . من النفس البهيمية والشيطان . ومن الغرائز الحيوانية والغرائز الإنسانية ، وأنهار الشرك حتى من مسات الفؤاد . لقد انهار الشرك الواضح ، وانهار الشرك الخفي . وثبت في نواقيهم . واستقر في أحوالهم ومقاماتهم أن « لا إله إلا الله » وأنه : (أينما تولوا فثم وجه الله) .

وأينما كانوا فالله معهم . وهو أقرب إليهم من حبل الوريد . وهو أقرب إليهم من جلسائهم ومعاشرهم . إنه يغمر كياناتهم . فلا يرون غيره سبحانه . لا يرون غير قيوم السموات والأرض . ولا يرون غيره مصرفاً للسير من الأمور وللعظيم منها . ولا يرون غيره مالكاً للملك : يؤتى الملك من يشاء . ويترع الملك ممن يشاء . ويعز من يشاء . ويذل من يشاء .

لقد أصبحوا ربانيين ، وأصبح الله في بصرهم وسمعهم وجوارحهم وفي قلوبهم من قبل ذلك ومن بعده . يشغله كله فلا يدع فيه مكاناً للأغيار .

وأخذ هؤلاء الصوفية يوجهون أفراد هذا القطيع من البشر اللاهية عن الله . السادر في ضلاله . إلى الله تعالى . أخذوا في محاولة جاهدة مستمرة - لانتزاع الإنسان من الإخلاق إلى المادة ليتطلع إلى السماء لقد حاولوا أن يوجهوا نظر الناس

له سبحانه وتعالى مهية . وهيسته مسطرة . وإلى الشعور بتوجيهه سبحانه وتعالى
إلى أن يفر إلى الله في كل أمر من أموره . وأن يسمو بنفسه حتى يتحقق . -
لأنه إلا الله . وما فعل الصوفية أكثر من ذلك . إنهم مهتدون بهدى القرآن و
يريدون للإنسان أن يكون ربانياً . فإذا ما استمر الكثير من الناس بخلدود
لأرض . وينظرون دائماً إلى أسفل . فليس ذلك ذنب الصوفية فقد أدوا وحسب
هو التوجيه إلى الله . خير أداء .

أما إذا لم يكتف بعض الأفراد بالإخلاص إلى الأرض . وبالنظر إلى أسرار
وأخذوا يهاجمون من يدعوهم للتطلع إلى السماء ويوجههم إلى الله تعالى . فهؤلاء
إنما يخادعون الله ويخادعون أنفسهم .

وقد تساءل : نعم إذر حُكُم الحلاج وقضى عليه بالقتل ؟ !

إن أمر هذه القضية قضية الحلاج معروف سرها . وما كان سرها خافياً في يوم
من الأيام . لقد كان الحلاج قوة جارفة . كان مركزاً للجاذبية لا يضارع . يتف
حزله الناس أينما حل . ويسبرون معه أينما ارتحل . وكان - ككل صوفي - يجب آل
البيت لأنه كان يجب الرسول ﷺ . وكان آل البيت إذ ذاك يطمحون في أن تكون
الدولة لهم . وما كان بنو العباس يطمحون إلى شخصية كشخصية الحلاج الحجة لآل
البيت . نسل رسول الله ﷺ . ومادام الحلاج دعابة قوية تسير في كل مكان .
وتنتج إلى كل بلد . فيجب حفاظاً على أمن الدولة . وتحصيناً لاستقرارها . أن

ينكل بالحلاج . -

وما كان مقتل الحلاج دينياً قط . كلا . وإنما كان سياسياً بحثاً . ومن السهل

على الملوك المستبدين أن يزيغوا القضايا . أو يأتوا بشهود الزور . وأن يعدوا القضاة
بالمال والذوق . وأن ينفذوا أهواءهم .

فكان ما كان من قضية ومن قتل . والدين من كل ذلك براء . والألفاظ التي

إلى الله . عن طريق آله التي تغمهم وعن طريق صنعه . وقد أحسن كل شيء
خلقه سبحانه .

أخذوا يوجهون نظر الناس إلى الله تعالى . في الزهرة تتفتح . وفي الزرع يسقى
منجها إلى السماء . وفي الشمس تشرق . وفي القمر يتألق . وفي مواقع النجوم
ومداراتها . وفي كل هذا الإبداع الساري في الكون أخذوا يشرحون معنى تلك
الآيات الكريمة :

(تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير . الذي خلق الموت والحياة
ليبلوكم أيكم أحسن عملاً وهو العزيز الغفور . الذي خلق سبع سموات طباقاً ما ترى
في خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور ، ثم ارجع البصر
كرتين ينقلب إليك البصر خاسئاً وهو حسيب !!) .

وكانت تعبيراتهم تعبيرات متذوقين . وليست التعبيرات الجافة لعلماء الكلام
أو الفلاسفة . وهم في تعبيراتهم يشرحون أن الله سبحانه وتعالى الممد الوجود لكل
موجود . إنه يمد القائم بالقيام . ويمد الماشي بالمشي . والتمحرك بالحركة . إنه - على
حد تعبير أهل السنة والأشاعرة الذي يقطع وليست السكين هي التي تقطع . وهو
الذي يحرق وليست النار هي التي تحرق . وهو الذي حيناً يريد . يقول للنار : كوني
برداً وسلاماً . فتكون برداً وسلاماً .

ومهما عبر الصوفية في هذا الميدان عن الوجود الواحد . فقالوا في ذلك : وزعم
الناس أنهم أسرفوا واشتطوا فإنهم لن يبلغوا المدى الذي بلغته تلك الآية الكريمة .
التي تمثل في روعة رائعة الهيمنة المهيمنة . والاستغراق القاهرة . والجلال الشامل .
والتي لا تعنى وحدة متحدة . ولا اتحاداً متطابقاً بين الخالق والمخلوق . أو العابد
والمعبود . والآية هي : (هو الأول والآخر . والظاهر والباطن) .
وهذه الآيات القرآنية التي ذكرناها . هدفها أن تدفعنا دفئاً إلى الشعور بقيومية

٨ - شخصيات - إلهامات - عادات

رضي الله عنه : الأنبياء إلى أهمهم عطية . ونبينا ﷺ هدية . وغرف بين والهدية . لأن العطية للمحتاجين . والهدية للمحبوبين . قال رسول الله

« إنما أنا رحمة مهداة » .

قال رضي الله عنه في قول رسول الله ﷺ وسلم : « أنا سيد ولد آدم » .

أي لا أفخر بالسيادة . وإنما أفخر بالمعبودية لله سبحانه .

قال في قول أبي يزيد رضي الله عنه : « خضت بجزاً وقف الأنبياء بساحته »

: أن أبا يزيد رضي الله عنه يشكو ضعفه وعجزه عن الحقوق بالأنبياء عليهم

السلام . وذلك لأن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام خاضوا بحر التوحيد .

على الجانب الآخر على ساحل الفروق . يدعون المخلوق إلى الخوض . أي فلو

كاملاً لوقف حيث وقفوا .

قال ابن عطاء الله رضي الله عنه : وهذا الذي فسر به الشيخ كلام أبي يزيد

الله عنه . وهو اللائق بمقام أبي يزيد . وقد كان يقول : جميع ما أخذ

لنبي بالنسبة لما أخذ الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، كزق ملقى عسلاً ثم رشحت

رشاحة ، فما في باطن الزق للأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، وتلك

ساحة للأولياء رضي الله عنهم . والشهور عن أبي يزيد رضي الله عنه التعظيم

سم الشريعة . والقيام بكمال الأدب . فالحق تأويل أحوال الأكابر من أهل

استقامة دون المبادرة إلى الإنكار .

وقال في حكاية الحارث بن أسد من أنه كان إذا مده يده إلى طعام فيه شبيهة

لده عليه أصبعه . هذا وقد قدم لأبي بكر الصديق رضي الله عنه لبن فأكل منه ثم

يسونها للحلاج ليست في كتاب من كتبه الموجودة لا

هذا ما كان من أمر الحلاج . وبقيت كلمة :

إن المنطق الصحيح ألا يفنى المهندس في أبحاث الأ

باعتباره أدبياً في أعمال المهندسين . . .

ومن العدالة - على هذا الوضع - ألا يحكم

ابن عربي ، الحلاج ، ابن الفارض . . من لم يبلغ

لقد قيل مرة لأحد شيوخنا الصالحين الأجلاء : إ

المجلات . فقال رضوان الله عليه . وهل من حق الحق

الأسد . إن الخنافس لا تحكم على أعمال السباع . وليس

تفعله السباع . ومنطقها دائماً منطق الخنافس .

أما الإمام الياقبي رضوان الله عليه فإنه يقول عن

« إن حكمهم حكم ناموسة على جبل تريد إزالته من مكانا

الناموس ، وتبقى الجبال شوامخ راسيات ، بها تثبت ال

الدنيا » اهـ .

والرأي الذي لا يتأق غيره من المصنف ، الرأي

الشعراي عن الصوفية عامة . وعن سيدنا محي الدين

الأوثان لم يجروا على أن يجعلوا آلتهم عين الله . بل قال

إلى الله زلنى . فكيف يظن بأولياء الله أن يدعوا الاتحاد

محال في حقهم رضوان الله عليهم » اهـ .

فلا بد أن يبلغ الإنسان المستوى ويقارب المستوى

أسلافنا الذين بلغوا المستوى أوقاروبه . رضي الله عن

الله عن الحلاج . وعن ابن الفارض . ونفعنا بهم

إنا بكر أنعلم يوم القيامة؟ قال : نعم يا رسول الله سألتني عن يوم القيامة . ولقد سمعت جبرئيل وأنت تقول : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله . رجمته يقول : قال رسول الله ﷺ : (يا أبا بكر أتريد أن أدعوك لأمر؟ قال : وما هو يا رسول الله ؟

قال : هو ذلك .

وكان يقول : أبو بكر وعمر خلفاء الرسالة . وعثمان وعلى خلفاء النبوة . وكان يقول : طريقتنا هذه لا تنسب للمشاركة ولا للمغاربة ، بل واحد عن واحد إلى الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه وهو أول الأقطاب . وكان يقول : دخل رجل على عثمان رضي الله عنه . وقد كان نظراً إلى محاسن امرأة في الطريق .

فقال : يدخل أحدكم وآثار الزنى بادية في وجهه . وكان يقول : قد يطلع الله الولي على غيبه إذا ارتضاه بحكم النبع للرسول عليهم الصلاة والسلام . ومن هنا نطقوا بالغيبات وأصابوا الحق فيها .

وكان رضي الله عنه يقول : كان الجليل رضي الله عنه قطباً في العلم . وكان سهل التنزي قطباً في المقام . وكان أبو يزيد رضي الله عنه قطباً في الحال . قال ابن عطاء الله رضي الله عنه : قرأت على الشيخ أبي العباس كتاب « الرعاية » للمحاسبي . فقال : جميع ما في هذا الكتاب يغني عنه كلمتان : اعبد الله بشرط العلم . ولا ترض عن نفسك أبداً . ثم لم يأتني في قراءته بعد . وكان رضي الله عنه يقول : إنما بدأ القسري في رسالته بالفضيل بن عياض ، وإبراهيم بن أدهم لأنها كانا قد تقدم لهما زمن قطيعة ، فلما أقبل الله عليهما . فبدأ بذكرهما بسطاً لرجاء المريد الذين كانت تقدمت منهم الزلات واختلافات ، ولعلم أن فضل الله ليس بمطل بعمل ، ولو أنه بدأ بالجليل ، وسهل بن عبد الله ،

حد كدورته في قلبه . فقال من أين لكم هذا اللين؟ فقال غلام له : كنت تكهنت لقوم في الجاهلية ، فأعطوني ثمن كهنتي فتقايأه أبو بكر الصديق رضي الله عنه . فلم يكن للصديق عرق يتحرك عليه إذا أكل طعاماً فيه شربة . مع كونه أفضل من الحارث بالإجماع .

الجواب : أن أبا بكر رضي الله عنه كان خليفة مشرعاً للعباد . حتى يقتدى به من أكل طعاماً فيه شربة ولم يعلم فيتكلف طرحه بعد أكله فيشبه الله على ذلك . والحارث رضي الله عنه . ولم يكن إذا ذلك مشرعاً ولا قدوة . إنما يعمل بقصد نفع نفسه فقط . ومعلوم أن القدوة ممن شأنه التنزل في المقام للتعليم .

ولقد كان الشيخ رضي الله عنه معبياً بأبي بكر الصديق رضوان الله عليه يقول : كنت أخرج كل يوم من باب البحر إلى نحو المنار . فخرجت يوماً إلى المنار . فمعت عند الجانب الشرقي . وكان قد خطر في نفسي : ما سبب قلة رواية أبي بكر

رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ مع كثرة ملازمته له . فإذا قاتل يقول لي : أعلم الناس بعد رسول الله ﷺ أبو بكر الصديق رضي الله عنه . وإنما قلت روايته عنه لتحقيقه به .

وتكلم يوماً في فضائل أبي بكر رضي الله عنه فقال : قال رسول الله ﷺ : « ما فضلكم أبو بكر بصوم ولا صلاة . ولكن بشيء وقر في صدره » ثم قال : ما هو هذا الشيء الذي وقر في صدره؟ فقال بعض الحاضرين : المراقبة .

فقال الشيخ : هذا كلام هو قشور . من هو دون الصديق في الرتبة؟ إذا وجد المراقبة يستغفر الله منها كما يستغفر العاصي من المعصية وذلك أنه إذا أضاف المراقبة لنفسه كأنه يقول : أنت الرقيب . وأنا الرقيب . أله مع الله . تعالى الله عما يشركون .

يقول ابن عطاء الله السكندري : وسمعت يقول : قال رسول الله ﷺ :

والطيب : هو ما أخذته العبد بوصف الفناء . إذ لا وصف له مع مولاه .
والصافي : هو ما عاينه العبد من النبع ، يعنى من عين قدرة الله سبحانه

ونعالى .

وقال رضى الله عنه : قال سهل بن عبد الله : لا تكونوا من أبناء الدهور .

ولما من أبناء العد والإحصاء . وكونوا من أبناء الأزل أشقى أم سعيد .

ثم قال رضى الله عنه : يقول أحدهم صليت كذا وكذا ركعة . وصت كذا

وكذا شهرا . ختمت كذا وكذا ختمة . حججت كذا وكذا حجة . فهؤلاء من

بناء العد والإحصاء . فهم إلى عد سيئاتهم أخرج منهم إلى عد حسناتهم .

وأما أبناء الدهور فيقول أحدهم : لى فى طريق الله سبعون سنة . لى فى طريق

الله ستون سنة . وكونوا من أبناء الأزل أشقى أم سعيد . يعنى لاحظوا ما سبق فى علم

الله . ولا تتكلموا على ما لكم من العلم والعمل . ولكن ارجعوا إلى وجود الأزل .

وقال رضى الله عنه : يقول الله عز وجل فى الحديث القدسى :

« ابن آدم خلقت الأشياء كلها من أجلك . وخلقتك من أجلى . فلا تشغل بما

هو لك عمن أنت له » .

وقال رضى الله عنه : « الأكوان كلها عبيد مسخرة . وأنت عبد الحضرة » .

وسمعه يقول : حقيقة النية عدم غير النوى .

وكان يقول : من صحب المشايخ على الصدق وهو عالم بالظاهر ازداد عنه

ظهورا .

وكان يقول : إنما يلزم الإنسان تعيين المشايخ الذين استند إليهم إذا كان طريقه

لبس الخرقه . لأنها رواية . والرواية تعين رجال سندها . وطريقنا هذه هداية .

وقد يجذب الله تعالى العبد إليه . فلا يجعل عليه منه لأستاذ . وقد يجمع شمله

برسول الله ﷺ فيكون أخذاً عنه . وكفى بهذه منه .

وعبة الغلام وأمثالهم ممن نشأ فى طريق الله . لربما قال قائل : من يدرك هؤلاء ؟
إن هؤلاء لم يسبق لهم زلات ولا مخالفات .

وقال رضى الله عنه : قال الجنيد : أدركت سبعين عارفاً كلهم يعبدون الله على

ظن ووهم ، حتى انتهى أبى يزيد ، لو أدرك صبيّاً من صبيّتنا لأسلم على يديه . فقال

الشيخ : معنى قوله يعبدون الله على ظن ووهم ، لا يريد بذلك ظنّاً فى المعرفة ،

وهو ما فيها ، وكيف تجتمع المعرفة والظن والوهم . وإنما المراد أنهم وصلوا إلى

مقامات توهموا أن ليس وراءها للموقنين مقام .

فقال الجنيد : لو أدرك صبيّاً من صبيّتنا لأسلم على يديه . أى يبين له أن فوق

ذلك المقام مقاماً . وفوق ذلك مقام إلى ما لا آخر له . ومعنى لأسلم على يديه . أى

لائقاده له . فالإسلام هو الانتقاد .

وقال رضى الله عنه : قال بشر الحافى رضى الله عنه . منذ أربعين سنة أشتى

الشواء ، فما صفالى ثمته . فقال الشيخ رضى الله عنه : من ظن أن هذا الشيخ

مكث أربعين سنة ما وجد درهما حلالا يشتري به شواء فقد أخطأ . من أين له فى

الأربعين سنة . ما يأكل . وما يلبس ؟

وإنما المعنى فى ذلك : أن هؤلاء قوم أصحاب مراتب . لا يأكلون

ولا يشربون . ولا يدخلون فى شىء . ولا يخرجون من شىء . إلا بإذن من الله

وبإشارة . فلو أذن له فى أكل الشواء لصفاه له ثمته .

وبهذه المناسبة : يتحدث الشيخ عن أنواع القوت والرزق وأوصافها . فيقول

رضى الله عنه : قوت القوم على أربعة أوجه : مباح - وحلال - وطيب -

وصاف .

فالباح : ما كان مستوى الطرفين . ما على أخذه عقاب . ولا فى تركه ثواب .

والحلال : هو ما لم يخطر لك ببال . ولا سألت فيه أحداً من النساء والرجال .

وكان يقول عن شيخه : كل شيء نهانا الله عنه . فهو في معنى شجرة آدم عليه السلام . وكان يقول : للأولياء الإشراف^(١٤) على مقامات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام . وما لهم الإحاطة بمقاماتهم . والأنبياء عليهم الصلاة والسلام يحيطون بمقامات الأولياء . وكان يقول عن شيخه : اصحبوني ولا أمتنكم أن تصحبوا غيبي . فإن وجدتم منها أعذب من هذا الليل فردوا .

وكان رضى الله عنه يقول : قد يكون الولي مشغولاً بالعلوم والمعارف . والحقائق لديه مشهورة حتى أعطى العبارة كالإذن من الله تعالى في الكلام . ويجب أن تفهم أن من أذن له في التعبير . جلت في مسامع الخلق إشاراته .

وكان يقول : كلام المأذون له يخرج وعليه كسوة وطلاوة . وكلام الذى لم يؤذن له يخرج مكسوف الأنوار .

وكان رضى الله عنه يقول : والله ما جلست بالناس حتى هدوت بالسلب وقيل لى : لئن لم تجلس لسبائك ما وهبتك .

وكان يقول رضى الله عنه : لى أربعون سنة ما حجبت عن رسول الله ﷺ . ولو حجبت طرفة عين ما أعددت نفسى من جملة المسلمين .

وكذلك كان يقول فى حق الجنة . وفى الوقوف بعرفة كل سنة . وكان رضى الله عنه يقول : إذا قرأت القرآن فكأنما أقروء على الله عز وجل .

وكان إذا سمع أحدا ينطق باسم الله تعالى أو اسم النبي ﷺ . يقرب فله منه حتى يلتقط ذلك الاسم إجلالا أن يبرز فى الهواء .

وكان يقول : ما سمعتموه منى ففهمتموه . فاستودعوه الله . يرده عليكم وقت الحاجة . وما لم تفهموه فكلوه إلى الله . يتولى الله بيانه . واستعوا فى جلاء مرآة قلوبكم بتضح لكم كل شيء .

(١٤) بمعنى الاستشراق والتطلع .

وكان إذا مدح بقصيدة يخر المادح بإقباله عليه . ويعطيه العطايا . وكان يقول لأصحابه : إذا جاءنا رئيس قوم فأخبروني به . أخرج إليه . فإذا دونه منى معه خطوات ثم رجع . ويقول إن هؤلاء كلفوا أنفسهم إلى زيارتنا . ونحن لم نزرهم . وكان لا يأكل من طعام عني له . ولا من طعام أعلم به قبل أن يئيه . وكان لا يدعو حتى يخرج من مجلسه . فيدعوه بظهر الغيب . وكانت صلاته بوجزة فى تمام . ويقول : هى صلاة الأبدال .

وكان إذا سمع أحدا يقول : هذه ليلة القدر . يقول : نحن بحمد الله أوقنا كلها ليلة القدر^(١٥) .

وكان يكرم الناس على نحو رتبهم عند الله . حتى أنه ربما يدخل عليه الطمع فلا يلتفت إليه . لكونه يرى عبادته . ويدخل عليه العاصى فيقوم له . لأنه دخل

ليلة القدر .

ومدحوا عنده شخصاً بالعلم ، وكان كثير الوسوسة فى الرؤى والصلاة . فقال

الشيخ : أين علمكم الذى تمدحون به هذا الرجل ؟

العلم هو الذى ينطبع فى القلب كالبياض فى الأبيض . والسواد فى الأسود .

وقال لرجل من الحجاج : كيف كان حجكم ؟

فقال : كان كثير الرخاء . كثير الماء . سمر كذا وكذا . فأعرض عنه الشيخ .

فقال أسألهم عن حجهم وما وجدوا فيه من الله تعالى من العلم والفوز والفتح .

فيجيبون برخاء الأسعار وكثرة المياه .

وكان لا يثنى على مريد بين إخوانه خشية الحسد .

وكان يقول : إذا ضاق الولي هلك من يؤذيه فى الوقت . وإذا اتسعت معرفته

(١٥) الذى قال هو ابن عطاء الله السكندرى .

لله عباداً يحو أفعالهم
أسراره ما يعجز عامة

سأها بالجلال . وكذلك

العقل .

عبد لحضرته .

م رب البيت لا البيت .

للكون إلى الله ضرباً من

والأرض كالبيت .

ف . وهو بمجرد ملك .

وهو بمجرد ملك . وسر

عزها جاد . وبوجود نفسه

السر الغريب استحق أن

أربعين سنة . إنما العجب

سنة . وهو : البطن .

تقطع عنه شهوة الوصول إلى

احتمل أذى الثقلين . ولم يحصل لأحد منهم ضرر بسبه . وكان يقول : لحوم
الأولياء مسومة . ولو لم يؤاخذوك ، فإياك ثم إياك .

وكان يقول : نحن في الدنيا بأبداننا مع وجود أرواحنا . وسكنون في الآخرة
بأرواحنا مع وجود أبداننا . قلت : ولئى هذا رد لمن قال : يكون الناس في الجنة
بأرواحهم لا بأجسامهم . وعليه جماعة من أهل الكشف ناقص . وسبب غلظهم
شهودهم أهل الجنة يتحولون في أى صورة شاءوا . وهذا شأن الأرواح
لا الأجسام . وغاب عنهم أن الأجسام هنا منظوية على الأرواح لا معدومة . كما
أن الأرواح في هذه منظوية في الأجسام .

وكان سيدى أبو العباس - رضى الله عنه - يقول : معرفة الولى أصعب من
معرفة الله عز وجل . فإن الله تعالى معروف بكأله وجماله . وحتى متى تعرف مخلوقاً
مثلك يأكل كما تأكل ويشرب كما تشرب .

سمعت شيخنا أبا العباس رضى الله عنه يقول :

الطى على قسمين : طى أصغر وطى أكبر .

فالطى الأصغر : لعامة هذه الطائفة . أن تطوى لهم الأرض من مشرقها إلى
مغربها في نفس واحد .

والطى الأكبر : طى أوصاف النفوس (١٦) .

سمعت شيخنا أبا العباس رضى الله عنه يقول : قال ملك من الملوك لبعض
العارفين ممن على . فقال له ذلك العارف : ألى تقول ولئى عبدان قد ملكتهما
وملكاك . وقهرتهما وقهراك . وهما الشهوة والحرص . فأنت عبد عبدى . فكيف
أتمنى على عبد عبدى ؟ (١٧)

(١٦) السامع هو ابن عطاء الله الكندرى .

(١٧) السامع هو ابن عطاء الله الكندرى .

(١٨) السامع هو ابن عطاء الله الكندرى .

الله تعالى : أرى انقطاع أدب ، لا انقطاع ملل . نغلبة التفويض على قلبه
وكان يقول : الولي في حالة فناءه لابد أن تبقى معه لطيفة علمية عليها تنزب
التكاليف . وذلك كما يكون الإنسان في البيت المظلم . فهو عالم بوجوده . وإن كان
غير مشاهد .

وكان يقول : علامة حب الدنيا خوف المذمة . وحب الثناء . فلو زهد لما
خاف ، ولا أجب .

وكان رضى الله عنه يقول : الورع من ورعه الله .

وكان يقول : من لم يصلح للدنيا لا الآخرة . يصلح لله .

وكان يقول : من اشتاق إلى لقاء ظالم فهو ظالم .

وسمعه (١٩) يقول : لو عذب الله الخلاق أجمع لم ينلك من عذابهم شيء .

ولو نعمهم أجمع . لم ينلك من نعمهم شيء . وكأنك في الوجود وحدك ثم
أنشد :

أنت المخاطب أيها الإنسان فأصغ إلى بلع لك البرهان

وكان من مذهبه رضى الله عنه : أنه لا يلزم أن يكون القطب شرفاً حسبياً .

بل قد يكون من غير هذا القبيل (٢٠)

(١٩) السامع هو ابن عطاء الله السكندري .

(٢٠) لطائف اللذني .

٩ - الأخواب والأوراد

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم . بسم الله الرحمن الرحيم (٢١)

(الحمد لله رب العالمين . الرحمن الرحيم . مالك يوم الدين . إياك نعبد وإياك
نستعين . اهدنا الصراط المستقيم . صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم
ولا الضالين) آمين .

(الله لا إله إلا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم . له ما في السموات
وما في الأرض . من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه . يعلم ما بين أيديهم
وما خلفهم . ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء . وسع كرسيه السموات
والأرض ولا يشوده حفظها وهو العلي العظيم) .

(آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون . كل آمن بالله وملائكته وكتبه
ورسوله ، لا يفرق بين أحد من رسله . وقالوا سمعنا وأطعنا غفرناك ربنا وإليك
المصير . لا يكلف الله نفساً إلا وسعها ، لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا
لا تؤاخذنا إن نسبنا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من
قبلنا ، ربنا ولا تحمّلنا ما لا طاقة لنا به . واعفُ عنا وافرغ لنا وأرحمنا ، أنت
مولانا ، فأنصرنا على القوم الكافرين) .

(٢١) مصدر هذا الحزب : كتاب لطائف اللذني ، تأليف الإمام تاج الدين بن همام الله . وقد بدأ الحديث
بقوله : وما نحن نثيت حزب سيدنا ومولانا الشيخ الإمام قطب العارفين ، وراي المهتدين ، شهاب الدين
أبي العباس أحمد بن عمر الموصي رضى الله عنه ، وإن كان بعضه من كلام غيره . يريخ أبي الحسن الشافعي
رضي الله عنها .

ويقول أيضاً : فأما حزب الشيخ أبي العباس رضى الله عنه فهو هذا وهو ورد : يرخ بعد العشاء الآخرة :

(قل أعوذ برب الفلق ، من شر ما خلق ، ومن شر غاسق إذا وقب ، ومن شر
الغاثات في العقد ، ومن شر حاسد إذا حسد) .

(قل أعوذ برب الناس . ملك الناس . إله الناس . من شر الوسواس
الخناس . الذي يوسوس في صدور الناس . من الجنة والناس) .

اللهم يا من هو كذلك . وعلى ما وصفه به عباد الله اخلصون من النبيين
والصديقين . والشهداء والصالحين . والعلماء الموقنين . والأزلياء المقربين . ومن
أهل سمائاته وأرضه . وسائر الخلق أجمعين . أسألك بها وبآلائك والأسماء كلها .
وبالعظم منها . وبالألم (٢٢) . والسيدة (٢٣) . وبخواتم سورة البقرة . وبالبلادي
والخواتم . وبأمين على الموافقة . وبهاء الرحمة . وبمع الملك . ودال الدوام .
(محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم . تراهم ركعاً
شجواً . يبتغون فضلاً من الله ورضواناً . سيأثم في وجوههم من أثر السجود .
ذلك مثلهم في التوراة . ومثلهم في الإنجيل . كذراع أخرج شطئه فأزده فاستغلظ
فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار . وعد الله الذين آمنوا وعملوا
الصالحات منهم مغفرة وأجرًا عظيماً) .

أحون قاف آدم حم هاء آمين .
كهيمص : اغفر لي وارحمني برحمتك التي رحمت بها أنبياءك ورسلك
« ولا تجعلني بدعائك رب شقياً » .
وإني خفت . وأخاف أن أخاف ثم لا أهندي إليك سيلاً . فاهدني إليك .
وأنتي بك من كل خوف وخوف . في الدنيا والآخرة . إلك على كل شيء . قدير
اللهم يا بديع السموات والأرض ، يا قيوم الدارين ، ويا قيوم بكل شيء ،

(٢٢) هي الفاتحة .

(٢٣) سيد آتى القرآن : آية الكرسي .

(ألم الله لا إله إلا هو الحي القيوم . نزل عليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين
يديه . وأنزل التوراة والإنجيل من قبل . هدى للناس وأنزل الفرقان) .

(يأيها المدثر ، قم فأنذر ، وربك فكبر ، وثيابك فطهر ، والرجز فاهجر ،
ولا تمنن تستكثر ، ولربك فاصبر) .

(اقرأ باسم ربك الذي خلق . خلق الإنسان من علق . اقرأ وربك الأكرم .
الذي علم بالقلم . علم الإنسان ما لم يعلم) .

(الرحمن . علم القرآن . خلق الإنسان . علمه البيان . الشمس والقمر
بحسبان . والنجم والشجر يسجدان . والسماء رفعها ووضع الميزان . ألا تطغوا في
الميزان) . (تبارك اسم ربك ذي الجلال والإكرام) .

سبحان ربّي العظيم . سبحان ربّي العظيم . سبحان ربّي العظيم .
(سبح لله ما في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم . له ملك السموات
والأرض . يحيي ويميت . وهو على كل شيء قدير . هو الأول والآخر . والظاهر
والباطن . وهو بكل شيء عليم . هو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم
استوى على العرش . يعلم ما يليج في الأرض وما يخرج منها ، وما يتزل من السماء
وما يمرج فيها وهو معكم أينما كنتم . والله بما تعملون بصير . له ملك السموات
والأرض . وإلى الله ترجع الأمور . يولج الليل في النهار . ويولج النهار في الليل .
وهو عليم بذات الصدور) .

(هو الله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم هو الله
نزي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر .
سبحان الله عما يشركون . هو الله الخالق البارئ المصور . له الأسماء الحسنى . يسبح
ه ما في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم) .

(قل هو الله أحد . الله الصمد . لم يلد ولم يولد . ولم يكن له كفواً أحد) .

يا حي يا قيوم . يا إلهنا لا إله لنا إلا أنت . كن لنا ولياً ونصيراً وأميناً . وآمناً بك من كل شيء . حتى لا نخاف إلا أنت . واجعلنا في جوارك . واحجبنا بالذي حجب به أوليائك . فترى ولا يراك أحد من خلقك . واصبب علينا من الخير أكمله وأجمله . واصرف عنا من الشر أصغره وأكبره . طس . حم . عسق . مرج البحرين يلتقيان . بينهما برزخ لا يبغيان .

اللهم إنا نسألك الخوف منك . والرجاء فيك . والنجاة لك . والشوق إليك . والأنس بك . والرضا عنك . والطاعة لأمرك . على بساط مشاهدتك . ناظرين منك إليك . وناظرين بك عنك . لا إله إلا أنت سبحانك . ربنا ظلمنا أنفسنا وقد تنبأ إليك قولاً وعقداً . فتب علينا جوداً وعظماً . واستعملنا بعمل ترضاه . وأصلح لنا في ذرياتنا . إنا تنبأ إليك . وإنا من المسلمين . يا غفور . يا ودود . يا بر . يا رحيم . اغفر لنا ذنوبنا . وقرنا بودك . وصلنا بتوحيدك . وارحمنا بطاعتك . ولا تعاقبنا بالفترة . ولا بالوقفه مع كل شيء دونك . واحملنا على سبيل القصد . واعصمنا من جائرها . إنك على كل شيء قدير .

اللهم يا جامع الناس ليوم لا ريب فيه . اجمع بيننا وبين الصدق والنية والإخلاص والخشوع والهيبة والحياء والمراقبة والنور واليقين والعلم والمعرفة والحفظ والعصمة والنشاط والقوة والستر والمغفرة والفصاحة والبيان والفهم في القرآن . وخصنا منك بالحب والاصطفائية والتخصيص والتولية . وكن لنا سمعاً وبصراً ولساناً وقلباً وعقلاً ويداً ومؤيداً وآتياً العلم اللدني . والعمل الصالح . والرزق الهني . الذي لا حجاب به في الدنيا . ولا حساب ولا سؤال ولا عقاب عليه في الآخرة على بساط علم التوحيد والشرع سالمين من الهوى والشهوة والطبع . وأدخلنا مدخل صدق . وأخرجنا مخرج صدق . واجعل لنا من لدنك سلطاناً نصيراً .

يا الله . يا على . يا عظيم . يا حلیم . يا علیم . يا سمیع . يا بصیر . يا مرید .

يا قدير . يا حي . يا قيوم . يا رحمن . يا رحيم . يا من هو هو هو يا هو . أسألك بعظمتك التي ملأت أركان عرشك . وبقدرتك التي قدرت بها على خلقك وبرحمتك التي وسعت كل شيء . وبعلمك المحيط بكل شيء . وبإرادتك التي لا يتازعها شيء . وبسمعك وبصرك القريبين من كل شيء . يا من هو أقرب إلى من كل شيء . قد قل حيائي وعظم افترائي . وبعد منائي . واقترب شقائي . وأنت البصير بمحنتي وحيرتي وشهوتي وسوءتي . تعلم ضلالتني وعمايي وفاقتي . وما قبح من صفاتي . آمنت بك وبأسمائك وصفاتك . وبمحمد رسولك . فن ذا الذي صفاقني . وأرني سبيل الغنى وجنبي إياه . واصحبني منك النور والحق والحكم إليه سبيلاً . وأرني سبيل الله يا نور . يا حق . يا مبین . افتح لي قلبي والفصل والبيان . واحرسني بنورك يا الله يا نور . يا حق . يا مبین . افتح لي قلبي بنورك . وعلمني من علمك . وفهمني عنك . وأسمعني منك . وبصرني بك . إنك على كل شيء قدير .

اللهم إني أصبحت وأنا أريد الخير وأكره الشر . وسبحان الله . والحمد لله . ولا إله إلا الله . والله أكبر . ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم . فاهدني بنورك لنورك . فيما يرد على منك . وفيما يصدر مني إليك . وفيما يجري بيني وبين خلقك . وضيق على بقرتك . واحجبني بحجب عزتك وعن حجبتك . وكن أنت حجابي حتى لا يقع شيء مني إلا عليك . وسخر لي أمر هذا الرزق . واعصمني من الحرص والتعب في طلبه . ومن شغل القلب وتعلق الهم به . ومن الذل للخلق بسببه . ومن التفكير والتدبر في تحصيله . ومن الشح والبخل بعد حصوله . وما يعرض في النفس من ذلك وتخلقه بقدرتك على وفق إرادتك وعلمك . ومن ضرورات الحاجات إلى خلقك . فاجعله اللهم سبباً لإقامة العبودية . ومشاهدة لأحكام الربوبية . وهب لي خفية من خفياتك . ونوراً من أنوارك . وذكراً من أذكارك .

الرحمة بين يديك ؟ إلهي عظمتك ملأت قلوب أوليائك . فصغر لديهم كل شيء .
فاملاً قلبي بعظمتك حتى لا يصغر ولا يعظم لديه شيء ، واسمع ندائي بخصائص

اللفظ . فإنك السميع من كل شيء .

اللهم شير عني مكاني منك حتى عصيتك وأنا في قبضتك واجترحت

ما اجترحت فكيف لي بالاعتذار إليك . إلهي جذبك لي أطعمني فيك ، وحجائي
عنك آيسني من غيرك . فاقطع حجائي حتى أصل إليك ، واجذبني جذبة لا أرجع

بعدها لغيرك .

إلهي كم من حسنة ممن لا تحب لا أجزلها ، وكم من سيئة ممن تحب لا وزلها .

فاجعل سيئاتي سيئات من أحببت ، ولا تجعل حسناتي حسنات من أبغضت . فإن

كرم الكريم من السيئات أتم منه مع الحسنات . فأشهدني كرمك على بساط

رحمتك . ورضني بقضائك . وصبرني على طاعتك فيما أجريت على من أمرك

وهيبك . وأوزعني شكر نعمتك . وغطني برداء عافيتك حتى لا أشرك بك مع

الزريد المصومون بكرم وعدك . إنك على كل شيء قدير .

إلهي معصيتك ناديتني بالطاعة . وطاعتك ناديتني بالمعصية ؛ ففي أيها أخافك ،

وفي أيها أرجوك . إن قلت بالمعصية قابلتني بفضلك ، فلم تدع لي خوفاً . وإن قلت

بالطاعة قابلتني بعدلك فلم تدع لي رجاء . فليت شعري كيف أرى إحساناً مع

إحسانك . أم كيف أجهل فضلك مع عصيانك قاف جيم ، سران من سررك .

وكلاهما دالان على غيرك . فبالسر الجامع الدال عليك لا تدعني لغيرك . إنك على

كل شيء قدير .

يا الله . يا غفار . يا منعم . يا هادي . يا ناصر . يا عزيز . هب لي من نور

أسمائك ما أنحقق به حقائق ذاتك . واقفح لي واغفر لي . وأنعم علي واهدني .

وانصر لي وأعزني . يا معز لا تدلني بتدبير مالك . ولا تشغلني عنك بمالك . فالكل

وسراً من أسرارك . وطاعة من طاعات أنبيائك . وصحبة للملائكتك . وتوكل أمرى

بذاتك . ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين ولا أقل من ذلك . واجعلني حسنة من

حسناتك . ورحمة بين عبادك . تهدي بها من نشاء إلى صراط مستقيم . صراط الله

الذي له ما في السموات وما في الأرض إلا إلى الله نصير الأمور .

اللهم اهدي لنورك . واعطني من فضلك . وامنني من كل عدو حولك .

ومن كل شيء يشغلني عنك ؛ وهب لي لساناً لا يفتر عن ذكرك . وقلبا يسمع بالحق

منك . وروحاً بكرم بالنظر إليك . وسراً ممتعاً بحقائق قربك . وعقلاً جائلاً بجلال

عظمتك . وزين ما ظهر وما بطن مني بأنواع طاعتك ؛ يا سميع يا عليم . يا عزيز

يا حكيم .

اللهم كما خلقتني فاهدني . وكما أمنتني فاحيني . وكما أطعمتهم فاطعمني

واسقني ، ومرضني لا ينجني عليك فاشقني ، وقد أحاطت بي خطيئاتي فاغفر لي ،

وهب لي علماً يوافق علمك ، وحكماً يصادف حكمك ، واجعل لي لسان صدق

بين عبادك ، واجعلني من ورثة جنتك ، ونجني من النار بعفوك ، وأدخلني الجنة

حالا ومآلاً برحمتك ، وأرني وجه سيدنا محمد نبيك ، وارفع الحجاب فيما بيني

وبينك . واجعل مقامي عندك دائماً بين يديك وناظراً منك إليك . واسقط البين

عني حتى لا يكون شيء بيني وبينك . واكشف لي عن حقيقة الأمر كشفاً لا طلب

بعده لعبدك ؛ مع الزيد المصومون بكرم وعدك ؛ إنك على كل شيء قدير .

يا الله . يا عظيم . يا سميع . يا عليم . يا بر . يا رحيم . عبدك قد أحاطت به

خطيئاته . وأنت العظيم . وندائي كأنه لم يسمع وأنت السميع ؛ وقد عجزت عن

سياسة نفسي . وأنت العليم . وأني لي برحمتها وأنت البر الرحيم ؟ كيف يكون ذنبي

عظيماً مع عظمتك ؟ أم كيف نجيب من لم يسألك وتترك من سألك ؟ أم كيف

أسوس نفسي بالبر . وضعني لا يعزب عنك ؟ أم كيف أرحمها بشيء . وخزائني

كلارك . والأمر أمرك
حقك ، والجعل جم
يا عالم السر وأخفى
طلبك . فكيف لا يش
جهل ، وطلبي لغفرك
أنت القريب وأنا الب
لك . فكأن لي بفضل
شيء قدير .
اللهم لا تعذبنا
مرادنا . أو نخزن أو ن
فأرحمنا بالنعيم الأكبر
شيء . واشهدنا إياك
يا الله ، يا قدير
بالقدرة العظمى ، وب
تسخر لنا هذا البحر ،
سخرت البحر لموسى .
وسخرت الريح والشيا
شيء ، وهو يجير ولا
آدم حُم هاء آمين ا

سمى وجودى . ووجودى عسمى . فالحق
ك . وأنت الله الحق المبين .
فأه . علمك قد أحاط بعبدك وقد شفى في
تلفظت لي حتى علمت أن طلبي لك
الجهل ، وأعصمت من الكفر . يا قريب
من غيرك ، وبعدى عنك ردى لطلب
بطلبك . يا قوى يا عزيز . إنك على كل
أثنا ، فتشغل أو تحجب أو تفرح بوجود
النفق عند الفقد . وأنت أعلم بقلوبنا ،
، والفرز الأكمل . وغيبنا وغيب عنا كل
في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد .
يز ، يا حكيم ، يا حديد ، إنا نسألك
يات والأسماء كلها ، وبهذا العظم منها أن
الأرض والسماء والملك والملكوت ، كما
أهيم ، وسخرت الجبال والحديد لداود ،
سخرت لنا كل شيء يا من بيده ملكوت كل
، يا عظيم ، يا حلم يا عليم ، أدين قاف

ومن دعائه وذكره :

- ١ - لا إله إلا الله الأول الآخر . الظاهر الباطن . محمد رسول الله . السيد الكامل . الفاتح الخاتم .
- ٢ - ومن ذكره أيضاً : يا الله يا نور يا حق يا مبین ، احى قلبى بنورك ، وأقنى بشهودك وعرفنى الطريق إليك .
- ٣ - ومن ذكره أيضاً : رب اغفر لى . واجعلنى لك عبداً ذائب النفس بأنوارك . مطموس الحس مجلالك ، واغفر لى وللمؤمنين والمؤمنات .
- ٤ - ومن دعائه : اللهم اغفر لى . واستر لى ولا تفضحنى فى الدنيا والآخرة . وعلمنى وفهمنى . وارحمنى وفرحنى وبرنى وفرحنى من كل شيء إلا من ذكرك وطاعتك وطاعة رسولك . وعمايك وعمايك رسولك ﷺ
- ٥ - ومن دعائه عقب كلامه : اللهم كن بنا رءوفاً ، وعلينا عطوفاً ، ونخذ بأيدينا إليك أخذ الكرام عليك . اللهم قومنا إذا اعوججتنا ، وأعنا إذا استقمنا ، ونخذ بأيدينا إذا عذنا ، وكن لنا حيثما كنا .
- ٦ - ومن دعائه رضى الله عنه : اللهم ارزقنى من كثر لا حول ولا قوة إلا بالله . فإنها كثر من كنوز الجنة . واضربنى بها ضرباً تمحق بها من قلبى كل قوة . واغننى بذلك الرزق عن ملاحظة النفس والخلق ، وأخرجنى به عن ذل الفقر والتدبير والاختيار . وعن الغفلة والشهوة ومشية النفس والقهر والاضطراب . إنك على كل شيء قدير .
- ٧ - ومن دعائه رضى الله عنه : باسم المهيم العزيز القادر أجل كل شيء . وهو ناصرى فى حين ص انصرنى فإنك خير الناصرين . واقض لى فإنك خير الفاتحين . وارزقنى فإنك خير الرازقين . واهدنى ونجنى من القوم الظالمين .

٨- ومن دعائه رضى الله عنه : يا جامع الناس ليوم لا ريب فيه . اجمع بينى وبين طاعتك على بساط مساعدتك . وفارق بينى وبين هم الدنيا وهم الآخرة . وب عز فى أمرهما . واجعل همى أنت واملاً قلبى بمحبتك وبهجة بأنوارك . وخشع قلبى سلطان عظمتك . ولا تكلنى إلى نفسى طرفة عين . ولا أقل من ذلك .

١٠- مسجده وضريحه

أقام أبو العباس المرسى فى الإسكندرية ثلاثاً وأربعين سنة . ينشر العلم . ويهذب النفوس . ويضرب المثل بورعه وتقواه . إلى أن انتقل إلى جوار ربه فى الخامس والعشرين من ذى القعدة سنة ٢٨٥ هـ ودفن فى الإسكندرية فى مقبرة باب البحر . إلى أن كان سنة ٧٠٦ هـ حين رأى الشيخ زين الدين بن القطان كبير تجار الإسكندرية رؤيا . فبنى عليه مسجداً . وقد خضع هذا المسجد لتطورات كثيرة حيث أعاد بناءه الأمير قبحاش الإسحاقى الظاهرى والى الإسكندرية فى أواخر القرن التاسع الهجرى . وبنى لنفسه قبراً فيه . وفى سنة ١٠٠٥ هـ جدد بناءه الشيخ أبو العباس السننى . ودفن فيه بعد وفاته . وفى سنة ١١٨٩ هـ زار الإسكندرية الشيخ أبو الحسن على بن عبد الله المعزى وجدده معظم أجزاء المسجد ووسع بعض نواحيه . وفى سنة ١٢٨٠ هـ جددده أحمد الداخنى شيخ طائفة البنايين . وأوقف عليه أوقافاً كثيرة .

وفى سنة ١٩٢٧ م أعدت وزارة الأوقاف مشروعاً لإعادة بناء المسجد . وإنشاء ميدان فسيح أمامه . ووضعت الأسس للبناء الجديد فى أوائل سنة ١٩٢٩ م . وتم المسجد فى سنة ١٩٤٤ م . فأصبح أجمل مساجد المدينة .

ولقد كان مسجد أبى العباس المرسى مركز تجمع للمظاهرات الشعبية التى قام بها السكندريون خلال ثورة سنة ١٩١٩ م . إذ كانت تخرج منه مختزة أحياء المدينة .

كما اتخذ منه رجال الدين ملتقى يجتمعون عنده . ويشئون من على منبره الدعوة إلى الكفاح والتضحية فى سبيل الحرية والعدالة .

ويقول أحد المؤرخين القدامى : وحدثنى قاضى القضاة بالإسكندرية قال : قبر سيدى أبى العباس عندنا تزيان مجرب . ما قصد الله عنده أحد فى شىء إلا استجاب له . كما قال أهل بغداد فى قبر سيدنا معروف الكرخى رضى الله عنه . وكان قبره فى جبانة عليها حائط قصير . ارتفاعه قدر ثلاثة أذرع وفى قبلة الجبانة

محراب للصلاة . وعلى قبره سارية مكتوب فيها :

(يستبشرون بنعمة من الله وفضل . وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين) .

إلى قوله : (واتبعوا رضوان الله . والله ذو فضل عظيم) .

وفى تاريخ وفاته كما تقدم .

قال : فبنى عليه زين الدين المذكور . لما رأى هذه الكرامة ورد الله عليه ما ذهب عنه . بناءً عظيماً . ومسجداً للصلاة . وصومعة للأذان من أحسن صوامع الإسكندرية . وجس عليها جساً كبيراً للمؤذن والإمام والمقيم . وصار رمزاً عظيماً ومقاماً كريماً .

نفخنا الله ببركاته فى الدنيا والآخرة . إنه سميع مجيب . والحمد لله رب العالمين . وصلى الله وسلم على نبيه الأمين . وعلى آله وأصحابه ومن اتبع هدبه إلى يوم الدين .

الفصل الثالث

العارف بالله

الشيخ عبد الواحد نجى

١- كيف عرفت عبد الواحد نجى

إني لأذكر ذلك اليوم المشمس الجميل من شهر يونيو سنة ١٩٤٠ ، فقد صحت من نومي مبكراً ، أناهب لحوض غار معركة علمية هي : مناقشة رسالة الدكتوراه في جامعة السربون . سرت في طريق ميساً شطر الجامعة . وكنت أبني أنفنت لأجد الأوجوهاً يجلها الوجوم ، ونفوساً يعبروها الذعر ويطاردوها الخوف فقد كان الألمان يخشون الخطى إلى قلب باريس ، ويدكون ، في عنف : كل ما يعترضهم من قلاع وحصون ، ولكنني كنت مشغولاً عن هذا كله بما يزداد في نفسي ويجول بذهني من اعتراضات ستلقى ونقد سيوجه . ووصلت إلى فناء السربون . فإذا بي أجد صديقي بول ريفوليتي - وهو من الروس البيض الذين هاجروا إلى باريس - ينتظرنى ويده كتاب هو : « صوفية دانت » وطلب إلي أن أوصله إلى الشيخ عبد الواحد نجى في مصر . إذ كان من المقرر عندى أن أسافر غد ذلك اليوم الذي تناقش فيه رسالتى . حاولت أن أعرف من صديقي من هو الشيخ عبد الواحد نجى . فآثر الصمت متعمداً .

وانتهت المناقشة . ومرت الأيام بنجرها وشرها وحلوها ومرها . ووصلت لـ

النهاية إلى القاهرة . ولم يكدر يستقرى المقام فيها حتى يممت شطر ضاحية الدقي باحثاً عن الشيخ عبد الواحد . وفي شارع نوال « فيلا فاطمة » طرقت الباب . فاطلت الخادم التي أعطيتها الكتاب . وطلبت إليها أن تستأذن في مقابلة الشيخ . ثم وقفت أنظر الإذن بالدخول فإذا نفي أجده الخادم مقبلة نحوى . ويدها مقفلة من الخشب عليه مسحة الخشونة والشفط . وتطلب إليّ أن أنتظر هنيهة من الزمن .

وجلست أمام الباب في الشارع أنتظر . الدقائق تمر والانتظار يطول . أرى الخادم مقبلة فأتيت للدخول . ولكنها تطلب مني أن أنصرف اليوم . غير مطرود . وأحضر في الغد في الساعة الحادية عشرة . فانصرفت مزاحياً . وفي نفسي دهشة . وعلى وجهي شيء من طابع الخجل . ومع ذلك فقد أثارت هذه الحادثة رغبتي في أن أرى هذا الشيخ الذي يضع الكرسي في الشارع للزائرين . والذي يأمرهم بالانصراف اليوم . ليحضروا إليه في الغد .

وحضرت من الغد في الموعد المضروب . وكنت دقيقاً كالساعة . وطرقت الباب . وفي قلبي إشفاق . وفي نفسي تطلع إلى الدخول . ولم يكن حظي في هذا اليوم - سعد منه في اليوم السابق . فقد صُرفت ولكن لا إلى موعد بيعت في النفس لأمل . بل أبلغت عن لسانه بأن أكتب إليه ما أريد وهو يتولى الرد على ما أحب . وانصرفت بعد أن أضعت يميني في محاولة لقائه . لم أكتب إليه . فلم يكن يعني رده وإجابته بقدر ما كان يعني لقائه . ثم لم أكتب إليه . وفيه أكتب به . . . وموت الأيام ولم يزل من نفسي هذا التساؤل . . . من هو هذا الشيخ عبد الواحد يحيى ؟

وفي يوم من الأيام كنت أزور مسيو دى كومين مدير البعثة العلمانية الفرنسية نشر وهو شخص له خطره وأثره ومكانته في الأوساط المصرية . وجرى الحديث عن العادة في فنونه وشئونه . وإذا به يسألني هل أعرف ربنه جينو . فلما أجبت

بالنفي أخذ يحدثني عنه وعن اسمه الاسلامي : عبد الواحد يحيى . فحدثته بما كان بيني وبينه : فوجاني أن أعود إلى محاولة لقائه من جديد . وأن أستأذن له كذلك في لقائه . ولكنني مع ذلك لم أجد في نفسي عزيمته تدفعها إلى إعادة المحاولة . فقد كان الكرسي الخشب لا يزال ماثلاً أمام ناظري . وموت الأيام أيضاً .

وفي ذات يوم يحمل إلى البريد خطاباً من أستاذ جليل يقول فيه : إن « مسيو هيكتور ماديرو » وزير الأرجنتين المفوض في مصر قد زاره بكتبته ، ورجاه في أن يرشده إلى شخص يمكنه أن يتحدث معه عن الفلسفة الإسلامية ، والتصوف الإسلامي ولم أجد من يصلح لهذه المهمة سواك وطلب إلى أن أقابله . . .

والتيق بالوزير فكان أول ما يستفسر عنه : أتعرف ربنه جينو؟ ومريذهني مرة أخرى الكتاب والكرسي الخشبي وحديث مسيو دى كومين . وذكرت كل ذلك للوزير . وقال الوزير : إنك قد وصلت إلى نقطة حاسمة . هي معرفة بيته . وفي هذا نصر عظيم إذ أن الصحفيين الفرنسيين والسويسريين وغيرهم يأتون إلى مصر . فيجعلون من بعض مهامهم البحث عنه ويتجهون أول ما يتجهون نحو حي الأزهر وحي سيدنا الحسين أو السيدة زينب . ولكنهم لا يعثرون له على أثر . فيعودون وفي نفوسهم حسرة . لأنهم لم يقضوا وطراً شهياً من زيارة مصر . وصح منا الغرم ذات يوم . أنا ومسيو ماديرو . على أن نخترق الحجاب المضروب بيننا وبين الشيخ عبد الواحد . . .

لا أزال أذكر ذلك اليوم . وكان يوم أحد . حيث وقفنا أمام باب « فيلا فاطمة » ندق الجرس . وبعد برهة إذا شيخ طويل القامة بكاد وجهه يضيء نوراً . عليه سمت المهابة وطابع الوقار والجلال . نشع عيناه ذكاء . وتنطق قسماته بالصلاح والتقى . إذ بهذا الشيخ يفتح الباب بنفسه . ويقف أمامنا وجهاً لوجه . فالتقينا إليه بالسلام فرد التحية . ثم سألنا عن مقصدنا فأبلغه الوزير سلام أحد أصدقائه . فما إن

بهم في نفسه وهتو، ثم أخذ كلامه بين وهتازه يشتد زاده كرمع
لذا كرمين في نيرة واضحة وفي هزة رتيبة، ثم إذا به ينغمس في بحر استغراق.
ولم أكد أنه بعد فترة حتى انتفض انتفاضة قوية خلجت أنها به صفة من آفاق
قصية مجهولة.

وتتابع الأيام وسافر الوزير ومات الشيخ عبد الواحد. ولم يمر على سوى

الذكرات الجميلة.

ثم هيا الله لي أن أطلع كتاب المنقذ من الضلال للإمام أحمد. قدمت له
بمقدمة في منطق التصوف جعلت من بعض فصولها تلخيصاً لغيره من تصوف بقلم
الشيخ عبد الواحد. وقد نال هذا الفصل استحساناً كثيراً لدى القارئ. معنى ذلك
على أن استفيض نوعاً ما في دراسة الشيخ فكان هذا الجزء. وما ترومون بالله عليه
توكلت وإليه أنيب.

٢ - جيد وجينو

قال صاحبي^(١):

- تحدث مع جيد عن جينو: فإنه كثيراً ما يلتقي الآن بمريد. وهو هو السيد

عبد الله.

كنت على صلة بالسيد عبد الله. فقد كان فرنسياً اعتنق الإسلام. وكان
يتسبب روحياً إلى جينو الذي كان يقبع حينئذ في القاهرة، وكان يرسل الرسائل
دون انقطاع.

كان جينو في القاهرة. الحلقة المركزية على ما يقولون التي نهال الشرق بالغرب

(١) من حديث جرى في الجزائر بين الكاتب الفرنسي: هنري يسكو. وبين أئمة فرنسا وأديانها في

العصر الحديث: أندريه جيد. نشرته مجلة فرنسا - آسيا وباحصار.

سمع اسم صديقه حتى أذن لنا بالدخول.

من الممكن أن يكون الموقف حرجاً.

وتحدثت ذاكرة آراء الشيخ عبد الواحد.

والشيخ عبد الواحد صامت لا يكاد ينطق.

أن يسمح لنا بأن نعود لزيارته مرة أخرى.

وحين عدنا إلى المفوضية بعد لقائه.

- لقد قابلنا اليوم شخصية هامة.

- أحد الوزراء؟

- أعظم.

- رئيس الوزراء؟

- أعظم.

- ملك؟

- أعظم.

- ملك؟

- أعظم.

- ربنا؟

- إنه على كل حال شخصية إلهية.

فقلت في دهشة واستغراب: أخيراً! الخلا من سعيين.

وعدنا وتكررت الزيارة. وتحدث الشيخ مع الواحد. وأفاض في الحديث.

ذكر لنا أن عزله هذه إنما هي عزلة بالنسبة المتطهين الذين لا يرغبون إلا في

سافة الوقت بالأحاديث الشخصية النافهة، وأنه وقد رأى فينا رغبة صادقة في

معرفة فليس بيننا وبينه إذن حجاب.

واستطعنا بعد ذلك أن نخرجه من ذكره، وأن نصحبه إلى مسجد السلطان

أبي العلاء في الليلة الكبيرة من مولده، وجللسنا في حلقة من حلقات الذكر. فأخذ

في الناحية الروحية . وكنت أنا وزوج
جينو . وكنت معجباً بآرائه . واست
لقد انتقل جيل وعبد الله وجينو .
عبد الله - وكان يسمى بالفرنسية جو
صوفياً . وحيداً . مضطجماً على فرا
يده المسبحة .

لقد وجدوه نائماً على فراشه .
كان عبد الله في حياته يعيش ع
الطاهرة . كان متحدثاً لامعاً : وكان
ويسر . جاذبية لطيفة . كان قد تعلم
يكنز على شيء من العُجب أو الالاد
الحار والنواضع المثالي .

قال صاحبي : تحدث مع جيل
قال جيل : إذا كان جينو على ح
القيمة . إنها تنهار انهياراً تاماً .
فقال أحد الحاضرين : ويرافق
الفيلسوف « منتني » مثلاً .

فاستغرق جيل في التفكير . وبد
القلق . ثم أعلن في صراحة : إنني
جينو . إن ماكتبه لا يتطرق إليه
وساد المجلس صمت عميق . ولم
نفسه أنه لا ينقص : بل بدا على وج

مادياً، وإذا كانت باريس تمنح ذلك للماديين الحسينيين فمنه نية دينية،
ونعياً وجدانياً لمن لم تغرم الدنيا وزينتها.

وقد كان جينو من هذا النمط الأخير. كان متطعماً إلى المعرفة. وأن
الصفوى. كان يتطلع إلى السماء يريد أن يخترق الحجب، وأن يكشف عن
برقع المساتير، وأن يصل إلى الحق.

وقد كان مثله إذ ذاك مثل الإمام الغزالي بالضبط. ولو عبراً عن جينو
وجدنا أربع من حديث الإمام الغزالي عن نفسه إذ يقول:

« ولم أزل في عصفوان شباني - منذ راهقت البلوغ قبل بلوغ سن العشرين إلى
الآن وقد أناف السن على الخمسين - أفتحم لجة هذا البحر العميز، لم أعرفه [
واخوض غمرته خوض الجسور. لاخوض الجبان الحذور. ونوع في كل
مظلمة. وأنهجم على كل مشكلة. وأنقحم كل ورطة. وأنقصر عمر عبدة كل
فرقة. واستكشف أسرار مذهب كل طائفة. لأميز بين حق ومسر ومتستن
ومبتدع. لا أناغدر باطلاً إلا وأحب أن أطلع على بطائه. ولا ظاهراً إلا وأريد أن
أعلم حاصل ظهارته. ولا فلسفياً إلا وأقصد الوقوف على كنه فلسفه. ولا متكلماً
إلا وأجتهد في الاطلاع على غاية كلامه ومجادلته. ولا صوفياً إلا وأحرص على العثور
على سر صفواته. ولا متعبداً إلا وأترصد ما يرجع إليه حاصل عبادته. ولا زنديقاً
معطلاً إلا وأنجس وراءه. لتنبه لأسباب جراته في تعطيله ورده... »

وقد كان التمثل إلى درك حقائق الأمور دأبي وديني. من أمري،
وريمان عمري، غريزة وفطرة من الله، وضعنا في جبلي، لا باختيار، وجبلي،
حتى أجملت عنى رابطة التقليد، وانكسرت على العقائد المورثة، علم، فرب عهد
من الصبا... »

كانت تلك بالضبط حالة جينو. ولقد أخذت باريس تشير إليه، الانعقاد عن

حقاً إن كتب جينو راقعة. وإنه لعل هدى فيما يتعلق بآرائه الخاصة بالتأني
السبب للقلق الذي يسود العالم الغربي، ولكن المخاطرة الخطرة « الحضارة الحديثة،
التي ألقينا بنفسنا فيها مجازفين غير متحفظين. هي أهل لأن نتحمل من أهلها
ما تثيره لنا من متاعب. وبم ذلك فإننا لا نستطيع الآن. ولو حاولنا. أن نعود إلى
الزواء. يجب أن نسير إذ ذاك فيما شرعنا فيه. إلى الأمام. وأن ننتهي به إلى غايته
مهما كانت هذه الغاية. » انتهى باختصار.

من هو جينو؟ كيف كانت حياته؟ وما هي آراؤه؟
ذلك ما سأخذ فيه الآن إن شاء الله.

٣ - حياة جينو

ولد جينو في بلدة بلوا^(١) في ١٥ نوفمبر سنة ١٨٨٦ من أسرة فرنسية كاثوليكية
محافظة كانت تعيش في يسر ورخاء. فقد كان والده مهندساً ذا شأن.
وحياة جينو لا تنسم بجوارث معينة. فقد كان هادئاً وديعاً. وكانت تنوح
عليه. منذ الطفولة مخاليل الذكاء الحاد. وقد بدأ تعليمه في إقليته الذي نشأ فيه.
وكان دائماً متفوقاً على أقرانه. وانتهى به الأمر سنة ١٩٠٤ إلى نيل شهادة
البكالوريا. بعد أن نال جوائز عدة كانت تمنح للمتفوقين. وفي هذه السنة.
سنة ١٩٠٤ م سافر جينو إلى باريس لتحضير الليسانس، ومكث عامين في
الدراسات الجامعية، ولكن باريس لم تدعه يستمر في دراسته المدرسية المحدودة
فقد فتحت له أبواباً أخرى كلها للذة. وكلها نعيم. ولا تقصد للذة حسية. أو نعيمياً
(١) هي بلدة فرنسية على نهر اللوار. على بعد ١٧٢ كم من باريس. يبلغ عدد سكانها ٨٦٨ وهو
شهرة بصناعة السكوت والشكولاته. وقد نشأ فيها كثير من المشاهير.

السميات والشكليات . وتقدم له الكثير من النواحي الثقافية الروحية . كانت
 تيسر مفعمة بالمدارس مختلفة الألوان . كان فيها للموسوية . وكان فيها المدارس
 في تنسب إلى الهدى ، أولى التبت ، أولى الصين ، كان فيها الروحانيين على
 خلاف ألوانهم ومشاربهم ونزعاتهم ، بل كان فيها هؤلاء الذين يعالجون السحر ،
 والتنجيم ، والتصرف في العناصر ، وتخضير الأرواح ..
 وترك فتانا التعليم الجامعي غير آسف عليه . وأخذ ينهل من هذه المنايع المختلفة .
 فقد انتسب إليها . واتصل بها عن قرب . وعرف ما تهدف إليه . بل أسهم في
 شاطرها . ومنحته هذه المدارس درجاتها الكهنوتية السامية ...
 ولقد كانت صلته الوثيقة بهذه المدارس السبب المباشر في انفصاله عن أغلبها .
 فقد أدرك الطبيب منها والحديث . وهدته بصيرته الفعالة . وهداه رأيه القويم إلى أن
 حذرة الكثيرة من هذه المدارس إنما هي شكلية سطحية لا تصل بالإنسان حقيقة
 إلى معرفة ما وراء الطبيعة . أو إلى اختراق حجاب الماتير . فأخذ في الانفصال عنها
 شيئاً فشيئاً . وما إن تخلص جينو من هذه النزعات حتى أنشأ سنة ١٩٠٩ م مجلة
 سماها « المعرفة » . وهذه المجلة اشتهت بالطابع الذي كانت تسير عليه مجلة أخرى
 سبقتها كانت تسمى « الطريق » ، وهي ذات طابع صوفي .
 كان يسهم في إصدار مجلة « الطريق » ، ويشرف على منهجها ، عالم فرنسي
 اسمه شميرينو . وقد اعتنق شميرينو الإسلام ، وتسمى باسم عبد الحق ، واستمر
 يسهم في إصدار مجلة الطريق من سنة ١٩٠٤ إلى سنة ١٩٠٧ . ثم لأسباب
 عدة ، انتهى إصدار المجلة . وفي هذه الأثناء تعرف جينو بعبد الحق ، وساعد
 عبد الحق جينو في تحرير مجلة المعرفة . وكانت المجلة تنشر الأبحاث عن الإسلام .
 وعن الديانة الهندية ، وعن الديانة البوذية . وكانت في الوقت نفسه تنتقد كل
 ما لا تراه مستقيماً في المدارس التي تنسب إلى الروحية .

استمرت هذه المجلة إلى سنة ١٩١٢ وفي هذه السنة اعتنق جينو الإسلام .
 ونسبى باسم الشيخ عبد الواحد بجي .
 كيف اعتنق جينو الإسلام ؟ ولم اعتنقه ؟ وعلى يد من أسلم ؟
 هذه أسئلة وضعها الغربيون وأخذوا يفترضون مختلف الفروض للإجابة عن
 ولكن آراءهم لم تخرج عن أن تكون مجرد فروض .
 ولقد قال جينو إنه اتصل بممثل الأديان الشرقية عن طريق مباشر . وكيف
 اتصل بهم ؟ ويمكن منهم اتصال ؟ ثم إن جينو أهدى أحد كتبه إلى الشيخ
 عبد الرحمن عlish^(٥) . فمن هو هذا الشيخ عبد الرحمن عlish ؟ وكيف عرو
 جينو ؟ وهل هو الذي هداه إلى الإسلام ؟ وكيف ؟
 كل هذه الأسئلة كانت غامضة حتى أتى عليها الأستاذ فلسن الذي اعتنق من
 الآخر الإسلام . وأتقن لغة القرآن . شيئاً من الضوء في بحث مستفيض نشر في عدد
 يناير - سنة ١٩٥٣ من مجلة « أريد ترادسيونل » الفرنسية . وهذا البحث للحد
 فيما يأتي :

(٥) أسرة الشيخ عlish أسرة مغربية أشهر رجالها هو الشيخ محمد عlish الكبير ١٢١٨ - ١٢٩٩ هـ .
 درس الشيخ محمد عlish في الأزهر ثم جلس للتدريس به ١٢٤٥ هـ . وكان يحضر عليه ما يوفى عن والده
 الطلبة . وقد تقلد منسجعة السادة المالكية والإفلاء بالدار المصرية سنة ١٢٧٠ هـ . وتذكر المخطوط التوم
 كان في حال حياته مستقراً زومه في التأليف ، والتدريس ، والمبادة متجاً عن الدنيا وأهلها ، لا يأنس
 الله لومة لائم . ا هـ . وقد ألف الكثير من الكتب في مختلف الفنون التي تدرس بالأزهر .
 والطريف هو أن الشيخ عlish في ١ يولية سنة ١٨٨٢ م خطب ممدداً والجيش الذي تخلص الر
 الوقوع في أيدي الكفار ، وأتى على رؤسائه وحمل وطنيتهم . وكانت هذه الخطبة تتعارض كل الد
 سياسة الحديو توفيق ، ولكن الشيخ عlish لم يبال به .
 ثم اتقى الشيخ عlish بمروق الحديو توفيق من الدين كمروق السهم من الرمية ، لجأته دينه وروما .
 الشيخ محمد عبده هذه القوى في الجمعية العمومية في ٢٢ يولية سنة ١٨٨٢ م ، وكان الحديو قد أم
 يزل عراي ، وقداول الأعضاء في الموقف . وفيما يجب عمله فالتفت آراؤهم على عدم قبول عز
 وقررت الجمعية وقف أوامر الحديو وعدم تنهياها .

إيضالية كانت تصدر في القاهرة سنة ١٩٠٧ تسمى : النادى .
كانت الروح التى تسود هذه المجلة ، هى روح الشيخ الأكبر محيى الدين .
وكانت هذه المجلة تعتبر طليعة لجلات أخرى صدرت فيما بعد في فرنسا . وساهم فيها
جينو بنظ وافر . وكان من ألمع محررى مجلة النادى - سواء في ذلك قسمها العربى
أو قسمها الإيطالى - هو عبد الحادى . وعبد الحادى هذا من أصل لتوانى سنندى ،
ونشأ مسيحياً . وكان اسمه : إيفان جوستاف ، ثم اعتنق الإسلام . ونعم لعربية ؛
وأخذ يكتب في المجلة المقالات . ويطبع فيها الرسائل الصوفية الإسلامية من
مؤلفات الشيخ الأكبر . ويترجم بعض النصوص . وقد تحدثت هذه مجلة كثيراً
عن الشيخ عبد الرحمن عlish . ولقد كتب فيها الشيخ عlish نفسه ردة خاصة

بمحيى الدين بن عرقى .
وكان عبد الحادى على صلة شخصية طبعاً بالشيخ عبد الرحمن بن عرقى . قد
أعطانا عنه معلومات نفيسة . إنه يراه من أشهر رجال الإسلام . ووراءه من كبار
رجال المذهب المالكى . أما هو نفسه فقد كان حكيماً عميق الحكمة . وكان محترماً
من الجميع . سواء في ذلك الرجال العاديين أم الأمراء والسلاطين . وكان شيخاً
لكثير من الجماعات الدينية المنتشرة في جميع أنحاء العالم الإسلامى . وكان زعيماً من
زعماء الإسلام . سواء في ذلك ما يتصل بالجانب الصوفى . أو الجانب الفقهى
أو الجانب السياسى ؛ ومع ذلك فقد ابتعد هو ووالده عن الأعباء السياسية
ومؤامراتها . وكانت صفاتها الكريمة ، وتقشفها في الحياة . ومعرفتهما
المنفيضة العميقة ، وحسبها العريق .. كل ذلك سما بهما إلى مركز يبرز في العالم
الإسلامى ، بيد أنهما لم يعبرا ذلك التفاتاً والتزاماً مرضاة الله .

أما شهرتهما بالنعصب التى لا أساس لها ، فقد كان مصدره بى شىء شهيرة
كانت نتيجتها كما يقولون ثورة عرابى باشا سنة ١٨٨٢ . وفي هذه سنة - سنة

الشيخ عlish والشيخ عبد الواحد :
إن الصلة بين الشيخ الأكبر ، سيدنا محيى الدين بن عرقى ، وبين الشيخ
عبد الواحد بادية ظاهرة .

ولقد اعتنق جينو الإسلام بواسطة شيخ يتسبب إلى روحانية الشيخ الأكبر .
أعنى الشيخ عlish الكبير وهو الشخص الذى أهدى إليه جينو أحد كتبه في هذه
العبارة : « إلى الذكرى القدسة . ذكرى الشيخ عبد الرحمن عlish الكبير .
المالكى . المغرب . الذى أدين له بالفكرة الأولى لهذا الكتاب . من مصر القاهرة
١٣٢٩ - ١٣٤٧ هـ » .

وهذا الشيخ المصرى بهنا من ناحية أخرى ، لأنه فضلاً عن صفته الصوفية
السامية ، كان له صفة أخرى ، فلقد كتب جينو في أحد خطابه يقول : « كان
الشيخ عlish شيخ فرع من الطريقة الشاذلية . وكان في الوقت نفسه شيخ المذهب
المالكى بالأزهر » .
والشاذلية طريقة أسسها في القرن السابع الهجرى الشيخ أبو الحسن الشاذلى وهو
صورة من أروع الصور الروحية في الإسلام .

كان الشيخ الذى يتسبب إليه جينو ، إذن ، يجمع بين صفتين ، هما : الحقيقة
والشريعة ؛ كان شيخ طريقة ، وشيخ مذهب ، وهذا له أهميته بالنسبة لتلميذه
فيما يتعلق بتقديرنا لآرائه من الناحية الإسلامية .

وما ينبغي ملاحظته في عنابة ، أن هذا الشيخ هو الذى يدين له جينو بالفكرة
الأولى لكتابه : « رمزية الصليب » ، وهكذا كان هذا الشيخ يفتح السبل أمام
جينو ، ويهديه الطريق ، ولذلك ينبغي أن نعرف القراء بهذا الشيخ ، وبالواسطة
التي كانت بينه وبين جينو . والمعلومات التى ستحدث عنها مصدرها مجلة عربية

، وإلى السمو الروحي للشيخ عبش .
نشرت مجلة النادى مقالة للشيخ عبش عن محبى الدين وقد اختتمها بشكره .
هادى بسبب ماأداه للحضارة من خدمة جليلة هى تعريف الناس
لدين ، ثم ينتهى الشيخ بأن بحث عبد الهادى على أن يستمر فى متابعة
الصوفية غير معنى بما يثيره حوله حص من لم يفهموا الإسلام على حقيقته .
نشرت مقالة الشيخ فى المجلة حذر علن فى العدد التالى أنه تألفت جمعية فى
وفى الشرق لدراسة ابن عربى وسميت « الأكبرية » ووضعت منهاجاً هو

- دراسة ونشر تعاليم الشيخ محبى الدين سواء ما يتصل منها بالشريعة
صل بالحقيقة ، والعمل على صبح مؤلفاته ومؤلفات تلاميذه ، وشرحها ،
محاضرات خاصة به وأحاديث تشرح آراءه .

- جمع أكبر عدد ممكن من محبى الشيخ ابن عربى ، وعقد صلة قوية
تقوم على الأخوة وتؤسس على الترابط الفكرى ، بين النخبة المختارة من
بينين والغريبين .

٢- تقديم المساعدة المادية والنشجيع الأدبى لمن هم فى حاجة إلى ذلك ممن
ن الطريق الذى اختطه محبى الدين بن عبد .

ون دعوته بالقول أو بالعمل .

٤- ولا يقتصر عمل الجمعية على ذلك
وفية الشريكين ، كجلال الدين الرومى من
مر ابن عربى .

٥- ولا صلة للجماعة قط بمسائل السياسة ،
دائرة البحث فى الدين والحياة .

يسافر
قبل
وكان المفروض أن

١٨٨٢ - زج بالشيخين فى السجن ، وحكم عليهما بالإعدام ، وقد مات الا
فى السجن ، أما الشيخ عبد الرحمن فقد استبدل حكم الإعدام فيه بالنز
ولكن الحظ السبى تابعه فى منفاة ، كانت شهرته وكان حسيه ونبله الذاتى
كان كل ذلك من عوامل الشك فيه ، وانهم فى حماقة ، بأنه يتطلع إلى إق
الحلافة الإسلامية لحسابه أو لحساب سلطان مراکش ، فوضع فى السجن
جديد ، ولكن وضعه فى السجن هذه المرة كان بناء عن أمر أمير مسلم .
ومكث عامين فى زنزانة لا تطاق ، حيث العقوبة والروائح الكريهة ، وغير ذ
مما تضيق به النفس . ولأجل بعث الرعب فى نفسه كانوا يعتمدون أن يقتلوا أم
بعض من حكم عليهم بالإعدام ؛ ثم أخرج من السجن ونق إلى رودس
ولقد أقام أيضاً فى دمشق ، حيث التقى بعلو الفرنسين العتيد : الا
عبد القادر الجزائري ؛ فتألفت بينهما صداقة وطيدة ، كان من أسسها الحب الق
فى نفسيهما للشيخ الأكبر الذى كان الأمير يكرس وقته ؛ فى أخريات حيات
لدراسته ، وحمله إعجابه به ، على أن يمولى الطبعة الأولى لكتاب الفتوح
المكية . ذلك الكتاب الذى تبلغ صفحاته حوالى « ٢٥٠٠ » ، وللا مات الأمير ك
الشيخ وصلى عليه ودفنه فى الصالحية بجوار مقبرة الشيخ الأكبر محبى الدين
عربى .

وأصدرت الملكة فيكتوريا عفواً عن الشيخ ، فعاد إلى مصر وأقام فى القاه
وأخذ نوره ينبعث من القاهرة إلى جميع أقاليم العالم الإسلامى . وكان يتن
ويبعد تلاميذه عن جميع الصغائر ، وكان تأثيره قوياً إلى درجة أنه حينما
يرجل شرقى ، ترى فيه سمو الأخلاق وسعة المعرفة ، فيجب أن تعلم أنه « شاذل
والشاذلية^(١) لا شك مدينة ، فى احتفاظها بالمثل العليا للسنن التى أقامها أبوا-

(١) هذا رأى عبد الهادى . ورجال التصوف الحقيقيون كلهم غير وكلهم بركة .

وفي هذه السنة نفسها توقفت مجلة المعرفة عن الصدور ، فأخذ الشيخ عبد الواحد يكتب في مختلف المجالات ، أخذ يكتب عن الخراف الماسونية . فأثار سخط الماسونيين . وأخذ يكتب عن الخراف البروتستانتية ، فأثار سخط البروتستانتين . وانتقد الروحانية الزيفة التي وجدت ، فتنقّب عنه اللعيب يتسبون إلى الروحانية الحديثة .

وفي سبتمبر سنة ١٩١٧ عين الشيخ أستاذاً للفلسفة في الجزائر ، فقصي بها عاماً عاد بعده إلى فرنسا ، وعين في مدرسة بلدته ، ولكنه استقال بعد عام نضاه في التدريس لينفرغ لأبحاثه ، وكان من ثمرة هذا الفرغ أن نشر في سنة ١٩٢١ كتابين هما :

١ - مدخل لدراسة العقائد الهندية .

٢ - التيزوفية : تاريخ دين مزيف .

وتوالى نشر كتبه ، وتوالت مقالاته في مختلف الجرائد .

وفي سنة ١٩٢٥ فتحت له مجلة : « قناع إيزيس » صدرها فأخذ يكتب فيها ، وانتهى به الأمر في سنة ١٩٢٩ أن أصبح أهم محرريها ، ذلك أنه رفض عرضته عليه المجلة من رئاسة التحرير .

ومن بين من التفوا حوله في تحرير المجلة العالم الضليع الأستاذ شريف سي ألف كنيا بالفرنسية من بينها كتاب : « عين القلب » ، وقد اعتنق هذا العالم الإسلام أيضاً ، وهو يدين ، برغم أصلاته وعبقريته ، إلى جينو بكثير من تخالفاه . ثم عرض بيت من بيوت النشر في باريس ، على الشيخ عبد الواحد أن يسافر إلى مصر ، ليتصل بالثقافة الصوفية ، فينقل نصوصاً منها ويترجم بعضها . فقبل العرض .

وفي ٢٠ فبراير سنة ١٩٣٠ سافر إلى مصر لهذا الغرض . وكـ عرض أن

وبداً عبد الهادي ينشر دراساته الصوفية ، وقد ساعده الحظ . فوجد حوالي عشرين رسالة لابن عربي مخطوطة ، نادرة الوجود . نفيسة القيمة ، فأخذ في تحليلها . ولكن المجلة للأسف لم تسلم من شر أعداء التصوف فقصي عليها . ورأى عبد الهادي ، متابعاً لإشارة الشيخ عليش ، أن يحاول إقامة صلة روحية بين الشرق والغرب ، فسافر إلى فرنسا حيث التقى بجينو .

وكان جينو إذ ذاك يصدر مجلة باسم « المعرفة » ، فأخذ عبد الهادي في سنة ١٩١٠ يساهم فيها بجد ونشاط . لقد نشر فيها أبحاثاً . ولكنه نشر فيها على الخصوص ترجمة كثيرة من النصوص الصوفية إلى اللغة الفرنسية . وأثمرت مراقبته لجينو أن عقد بينه وبين الشيخ عليش صلة قوية متينة عن طريق تبادل الرسائل والآراء . وكانت النتيجة أن اعتنق جينو الإسلام سنة ١٩١٢ . بعد أن درسه دراسة مستفيضة . وقامت الحرب سنة ١٩١٤ فأوقفت كل نشاط يتصل بالدين والروح والفكر . وسافر عبد الهادي إلى أسبانيا ، وهناك ، في بلدة برشلونة ، توفاه الله سنة ١٩١٧ . وحمل جينو راية الجهاد فاستمر يبنى على ما أُنسبته « الأكبرية » : تلك الجماعة التي تنهج نهج الشيخ الأكبر محيي الدين بن عربي .

والواقع هو أن الذي وجه جينو هذه الوجهة . هو الشيخ عليش . والشيخ عليش إنما كان مرآة تعكس صورة الشيخ الأكبر محيي الدين بن عربي . وهو أسبق مظهر للتصوف الإسلامي والعقيدة الإسلامية . وإذا كان الشيخ عليش مالكاً محافظاً ، فإن تصوفه لا يخرج عن التعاليم الإسلامية . وإذا كان الأمر كذلك بالنسبة له فإنه كذلك أيضاً بالنسبة لتلميذه جينو .

° ° °

وفي السنة التي اعتنق جينو فيها الإسلام ونسبى باسم الشيخ عبد الواحد بجي . أعنى سنة ١٩١٢ . تزوج من فتاة فرنسية من إقليمه .

كانت هذه السيدة أدبية مشهورة ، وصحفية لامعة . ولا عجب في ذلك فقد

كانت من أسرة «لا مرتين» . وقد اعتنقت الإسلام ، وناصلت عنه جزاها الله خير الجزاء .

ولقد وصف الكاتب المشهور أندريه روسو - حيث كان في القاهرة إذ ذاك .

جائزة الشيخ عبد الواحد فكتب في جريدة الفيحارو الفرنسية يقول :

« شيعت جنازته في اليوم التالي لوفاته ، فذبح تحت نعشه ، كما هي العادة ،

كيش وأسيل دمه على عتبة المنزل ؛ وسار في الجنازة وزوجهُ وأطفاله الثلاث .

واختزلت الجنازة البلدة إلى أن وصلت إلى مسجد سيدنا الحسين حيث صلى عليه .

ثم سارت الجنازة إلى مقبرة الدراسة . لقد كانت جنازة متواضعة مكونة من الأسرة

ومن بعض الأصدقاء . ولم يكن فيها أى شيخ من مشايخ الأزهر . ودفن الشيخ

عبد الواحد في مقبرة أسرة الشيخ محمد إبراهيم .

وكان آخر ما قال لزوجته : « كوني مطمئنة : لن أتركك أبداً . حقيقة »

لا تربيتي ، ولكنني سأكون هنا وسأراك » .

ويضيف روسو : « والآن حينما لا يلزم أحد أطفالها الهدوء فإنها تقول : » :

كيف تجرؤ على ذلك مع أن والدك ينظر إليك ، فيلترم الطفل السكون في حضرة

والده اللامرنى » .

وفي ٩ يناير وصلت إلى باريس برفقة تعلقن : « وفاة رينيه جينو القليسيرف

والمستشرق الفرنسي » ، وما إن وصلت هذه البرقية حتى أخذت الصحف والمجلات

تنشر مختلف المقالات عن الشيخ تحت عناوين مختلفة منها : « حكيم كان يعيش في

ظل الأهرامات » ، « فيلسوف القاهرة » ، « أكبر الروحانيين في العصر الحديث » .

ووصفوه « بالبوصلية المصومة » ، « وبالدرع الحصين » . ثم خصصت له مجلة

« إيتودترا ديسونيل » عدداً ضخماً كتب فيه الكثيرون من كتاب فرنسا . روع

المقالات .

يقضى فيها بضعة أشهر فقط . ولكن هذا العمل اقتضاه مدة طويلة ، ثم عدل بيت

النشر عن مشروعه ، فاستمر الشيخ عبد الواحد يجي في القاهرة ، يعيش في حى

الأزهر ، متواضعاً ، مستخفياً لا يتصل بالأوربيين ، ولا ينغمس في الحياة العامة ،

وإنما يشغل كل وقته بدراساته .

كانت والدته وزوجه ووالده قد توفاهم الله قبل حضوره إلى القاهرة . فحضر

إليها وحيداً ، ووجد الكثير من المشاق في معيشته منفرداً ، فتزوج في سنة ١٩٣٤

كرغبة الشيخ محمد إبراهيم ، فهدت له حياة من الطمأنينة والهدوء . وانتقل بها من

حى الأزهر إلى حى الدقى . واستمر يرسل المقالات إلى فرنسا ، وينشر الكتب

مستريحاً إلى عطف زوجته ورعايتها ، ورزقه الله بفتاتين ، سمى إحداهما خديجة ،

والأخرى ليلي ، ورزقه بولد سماه أحمد ، كان له قرة عين ، وبعد وفاته بأربعة أشهر

أنت زوجته بولد سمته عبد الواحد .

ولقد حاول الشيخ عبد الواحد بمجرد وصوله إلى القاهرة ، أن ينشر فيها الثقافة

الصوفية ، فساهم مالياً وأديباً في إخراج مجلة « المعرفة » . وقد بدأت المجلة وعليها

طابع التصوف ، ولكنها ، فيما يبدو ، لم تجد الإقبال المنتظر ، فأخذت تسم شيئاً

فشيئاً بالطابع الأدبي . ثم توقفت عن الصدور بعد ثلاث سنوات من حياتها .

ومكث الشيخ عبد الواحد في القاهرة يؤلف الكتب ؛ ويكتب المقالات

ويرسل الخطابات إلى جميع أنحاء العالم . كان حركة دائمة ، حركة فكرية وروحانية

ترسل بسائنها إلى كل من يطلب الهداية والرشاد .

واستمر هكذا إلى أن أتاه المصير المحتوم في ٧ يناير سنة ١٩٥١ تحيط به أسرته

الكرمية ؛ ويحواره السيدة فلتين دى سان بوان ؛ تلك السيدة العظيمة التى أقامت

في القاهرة منذ سنة ١٩٢٤ ؛ واستقبلت الشيخ عند حضوره . واستمرت صديقة له

طيلة إقامته بالقاهرة ، ثم ودعته الوداع الأخير .

وكذلك خصصت له مجلة « فرنسا - آسيا » عدداً ضخماً كتب فيه كذلك كثير من الكتاب الفرنسيين. ولكن جينو كان عالمياً. ولذلك أوسعت المجالان صدرهما لكتاب الألمان، والإنجليز، وغيرهم من غربيين وشرقيين. فكتبوا المقالات المتباعدة التي تناولت آثاره بالتحليل والتقدير. وأخيراً خصه الكاتب الفرنسي الشهير بول سران بكتاب خاص تناول فيه نواحيه المتعددة مبدئياً إعجابه العظيم وتقديره السامي.

ولكن ما كتب عنه لم يكن كله من هذا النمط. فقد كان هناك أعداؤه. كان هناك الماسونيون المنحرفون. وكان هناك المسيحيون الحائقون. وكان هناك المشايخ لهذه الحضارة المادية التي هاجمها جينو ولعنبا في غير موارفة أو رحمة. وقد كتب هؤلاء كلهم ضد جينو. واحتد الخلاف بين أنصاره وأعدائه وكانت النتيجة من ذلك كله خيراً وبركة. فقد حث ذلك الكثيرون على قراءة كتب جينو. وفي قراءته الخير كل الخير. وكانت النتيجة المباشرة لذلك كله أن اضطرت وتهاافت حجج المبشرين ضد الإسلام. وأخذ الإسلام يغزو أوروبا في بعض أفراد من طبقتها المثقفة. وتكونت الجمعيات في فرنسا وسويسرا تريد أن تنهج نهج الشيخ عبد الواحد وتسير على منواله.

ولا يتأتى أن نترك المجال دون أن نذكر بعض ما سبق أن كتبناه عن الشيخ. لقد كتبنا عنه في الكتيب الذي نشرناه بعنوان : « أوروبا والإسلام ». ما يلي : أما الذي كان إسلامه ثورة كبيرة. هزت ضمائر الكثيرين من ذوي البصائر الطاهرة ، فاقصدوا به ، واعتنقوا الإسلام ؛ وكونوا جماعات مؤمنة مخلصه ، تعبد الله على يقين في معازل الكاثوليكية في فرنسا . وفي سويسرا... فهو العالم الفيلسوف الحكيم . الصوفي : « ربنه جينو » الذي يدعى اسمه في أوروبا قاطبة وفي أمريكا .

والذي يعرفه كل هؤلاء الذين يتصلون اتصالاً وثيقاً بالدراسات الفلسفية الدينية في أوروبا ، أوفي أمريكا .

وكان سبب إسلامه بسيطاً منطقياً في آن واحد :

لقد أراد أن يعنصم بنفس مقدس . لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

فلم يجد - بعد دراسة عميقة - سوى القرآن . فهو الكتاب الوحيد الذي لم ينله تحريف ولا تبديل : لأن الله تكفل بحفظه ، وحفظه حقيقة : (إنا نحن نرثنا الذِّكْرَ وَأَنَا لَهُ لحافظون) .

لم يجد سوى القرآن نصّاً مقدساً صحيحاً ، فاعنصم به . وسار تحت لوائه فصره الأمن النفساني في رحاب الفرقان .

ومؤلفاته كثيرة مشهورة من بينها كتاب : « أزمة العالم الحديث » بين به الانحراف الحائل الذي تسير فيه أوروبا الآن ، والضلال المبين الذي أعمى الغرب عن سواء السبيل .

أما كتابه : « الشرق والغرب » فهو من الكتب الخالدة ، التي تجعل كل شرق يفر بشرقيته . وقد رد فيه إلى الشرق اعتباره ، مبيناً أصوله في الحضارة . وسنوه في التفكير ، وإنسانيته التي لا تقاس بها مادية الغرب وفساده وامتصاصه للدماء . وعدوانه الذي لا يقف عند حد ، وظلمه المؤسس على المادية والاستغلال . ومظهراً في كل صفحة من صفحاته نبل الشرقيين وعمقهم وفهمهم للأمور بهما يتفق مع الفضيلة ومع أسس المبادئ الإنسانية... !

وقد كتبنا عنه تقريراً لإحدى جامعاتنا المصرية ، للتعريف به . نشره فيما يلي : « ربنه جينو من الشخصيات التي أخذت مكانها في التاريخ ، يضعه المسلمون بجوار الإمام الغزالي وأمثاله . ويضعه غير المسلمين بجوار أفلاطون ، صاحب الأفلاطونية الحديثة ، وأمثاله .

وإذا كان الشخص . في بيتنا الحالية . لا يُقدَّر التقدير الذي يستحقه إلا بعد وفاته . فقد كان من حسن حظ : « رينيه جينو » أنه قُدر في أثناء حياته . وقُدِّر بعد وفاته . أما في أثناء حياته فكان أول تقدير له أن حرمت الكنيسة قراءة كتبه . والكنيسة لا تفعل هذا إلا مع كبار المفكرين . الذين تخشى خطرهم . وقد وضع بذلك بخوار عباقرة الفكر . الذين اتخذت تجاههم نفس المسلك ، ولكنها رأت في « رينيه جينو » خطراً يكبر كل خطر سابق ، فحرمت ، حتى الحديث عنه . وإذا كان هذا تقديراً سلبياً له قيمته ، فهناك التقدير الإيجابي ، الذي لا يقل في أهميته ، عن التقدير السلبى ، فهناك هؤلاء الذين استجابوا لدعوة « رينيه جينو » فالفقوا جميعات في جميع العواصم الكبرى في العالم . وعلى الخصوص . في سويسرا . وفي فرنسا : والمكونون لهذه الجمعيات . احتلوا حذو « رينيه جينو » فاتخذوا الإسلام ديناً : والطهارة والإخلاص وطاعة الله . شعاراً وديناً : ويكونون ، وسط هذه المادية السابغة ، وهذه الشهوات المتغلبة ، واحات جميلة ، يلجأ إليها كل من أراد الطهر والطمأنينة .

ومن التقدير الإيجابي أيضاً . أن كتبه . برغم تحريم الكنيسة لقراءتها . قد انتشرت في جميع أرجاء العالم . وطُبعت المرة بعد الأخرى . وترجم الكثير منها إلى جميع اللغات الحية الناهضة . ماعدا العربية . للأسف الشديد .

ومن الطريف : أن بعض الكتب ترجمت إلى لغة : الهند الصينية . ووضعت كشرح للوصية الأخيرة من وصايا « الدالاي لاما » . ولم يكن يوجد في الغرب شخص متخصص في تاريخ الأديان . إلا وهو على علم بآراء « رينيه جينو » . كل هذا التقدير كان في حياته .

أما بعد مماته . فقد زاد هذا التقدير . لقد كتبت عنه جميع صحف العالم . ومنها بعض الصحف المصرية العربية . كالمصور مثلاً . الذي كتب عنه . في

استفاضة . والصحف الإفريقية أيضاً . نكتب عنه . عدة أسابيع . ثم أُنشِرَ وقد خصصت له مجلة « فرنس كيب ليه كبار الكتاب الشرقيين » أندريه جيد ، لـ « رينيه جينو » جينو ، لا تنقض .

وخصصت مجلة « إيتودترا » لسان التصوف الصحيح . عدد الكتاب الشرقيين والغربيين . ثم خصص له الكاتب الص عن حياته وعن آرائه ووضعه اللائق به بخوار الإمام الغزالي شأ « رينيه جينو » في فرنس الحسن . مرهف الشعور . مرهف الأبحاث الدقيقة . وهاله . يبحث في جد عن الحقيقة : في السماء أم في الأرض ؟ أين الحقيقة ؟ سؤال وجه نفسه الإمام الخاسبي . والإمام من قبلهم عشرات من الفك فترة الشك والحيرة والألم لـ « رينيه جينو » أن يهرته أن

لـ . في غرب كنه . كما وجهه . بر قبل إلى بن عربي . رينيه وجهه للتقليد الأم . وثاني وكان . به بالنسبة ضياؤه المر . فاعتنقه

٤ - دفاعه عن الإسلام

لقد أخذ المشركون منذ زمن بعيد يفتخرون الأباطيل ضد الإسلام . ولكنهم كانوا كناطق الصخرة يرتد عنها واهن القوى . والله غالب على أمره .

(إنا نحن نرُكِّتُكَ الذِّكْرُ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) .

لقد اتهم المشركون الإسلام بأنه لا يشر الروحية العميقة : فرد الشيخ عبد الواحد هذه الشبهة ردّاً عنيفاً في فصل عن التصوف الإسلامي . مقارناً بينه وبين التصوف المسيحي ، وستحدث عنه فيما بعد .

واتهم المشركون الإسلام بأنه دين سيف . لم يتشر بالبرهان . وإنما انتشر بجد الحسام . وأرجفوا بأن الحصار الإسلامية لم تتسم بالقوة الذاتية . التي تجعلها تؤثر في أقاليم غير التي نشأت فيها . ولذلك كانت حضارة إقليمية محليّة تسهم في التقدم الإنساني .

وكما رد الشيخ عبد الواحد على التهمة الأولى في أبحاثه عن التصوف الإسلامي . فقد رد كذلك على التهمتين الأخيرتين بما لا يدع لأراجيف المشركين مكاناً ، ونحن نذكر رده فيما يأتي :

١ - الإسلام والسيف :

تعوّد الغريون أن ينظروا إلى الإسلام على أنه دين يتميز بطابعه الحربي . وإذا ذكر السيف في النصوص الإسلامية فهمه الغريون فهماً حرفياً . ولم يأت لهم قط أن يسألوا أنفسهم عما إذا كان له معنى آخر .
ومع لاشك فيه أن الإسلام لا يخلو من جانب حربي . ولكن ذلك ليس خاصاً

وتسمى باسم الشيخ عبد الواحد يحيى . وأصبح جديداً من جنوده يدافع عنه ويدعو إليه . ومن أمثلة ذلك ماكتبه في كتابه : « رمزية الصليب » تفقيداً للقرية التي تقول : إن الإسلام انتشر بالسيف . ومن أمثلة ذلك أيضاً ماكتبه في العدد الخاص الذي أصدرته مجلة : « كايه دي سود » ، في عددها الخاص بالإسلام والغرب دفاعاً عن الروحية الإسلامية . لقد أنكر الغريون روحانية الإسلام أو قللوا من شأنها . وأشادوا بروحانية المسيحية وأكبروا من شأنها . ووضعوا التصوف المسيحي في أسنى مكانة ، وقللوا من شأن التصوف الإسلامي .

كتب الشيخ عبد الواحد يحيى ، مبنياً سمو التصوف الإسلامي وروعته ، وقارن بينه وبين ما يسمونه بالتصوف المسيحي . أو « الميتيسيم » وانتهى بأن هذا « الميتيسيم » لا يمكنه أن يبلغ ولا عن بُعد . ما بلغه التصوف الإسلامي من سمو ومن جلال . على أن الشيخ عبد الواحد يحيى لم يشد بالإسلام فحسب ، وإنما أشاد في جميع كتبه ، وفي مواضع لا يأتي عليها المحصر ، بالشرق ، ثم خصص كتاباً ضخماً بعنوان : « الشرق والغرب » تزيل قراءته من نفس كل شرق مركب النقص الذي غرسه الاستعمار في نفوس الشرقيين في هذه السنوات الأخيرة . لقد دأب الاستعمار على أن يغرس في نفوس الشرقيين أنهم أقل حضارة بل أقل إنسانية من الغربيين ...

وأتى الشيخ عبد الواحد ، قلب الأوصاع رأساً على عقب ، وبين للشرقيين قسيتهم ، وأنهم منبع النور والهداية . وشرق الوحي والإلهام .

إن كل شرق يفخر بشرقيته بمجرد قراءته لهذا الكتاب ، وهو ليس كتاباً يشيد بالشرق على الأسلوب الصحفي ، أو على الطريقة الإنشائية ، وإنما هو كتاب علمي بأدق المعاني لكلمة علم ، وهذا وحده يكفي لأن يقيم الشرقيون مظاهر التكريم للشيخ عبد الواحد ، اعترافاً منهم بالجميل . والله الموفق .

فإذا كان الأمر أمر مبادئ عليا . أمر إعلال كلمة الله : فالواجب « الجهاد » أغنى الحرب القدسة : الحرب من أجل الحق . وذلك هو للشروع في الإسلام . أما غير ذلك فإنه حرب وليس بجهاد . وهكذا يرمز السيف في الإسلام إلى التوازن الاجتماعي « العدالة » . وإلى سيطرة الإنسان على أهوائه « الجهاد الأكبر » وإلى وجوب انسجام الفرد والمجتمع في وحدة لا تعارض فيها كوحدة المحر الذي لا يعزبه التغير أبداً .

إن ما سبق إنما هو جمع لبعض الملاحظات التي كان من الممكن أن تتوسع فيها وتعمق ولكنها . على ما هي عليه . تبين في وضوح أن الذين لا يفهمون من معنى السيف في الإسلام إلا المعنى المادي بعيدون كل البعد عن الحقيقة .

٢ - أثر الثقافة الإسلامية في الغرب :

إن كثيراً من الغربيين لم يدركوا قيمة ما اقتبسوه من الثقافة الإسلامية . أو يفقهوا حقيقة ما أخذوه عن الحضارة العربية في القرون الماضية ؛ بل ربما لم يدركوا منها شيئاً مطلقاً ، وذلك لأن الحقائق التي تلقى إليهم - حقائق مشوهة . حطها من الصحة قليل . فإنها تبلغ كل المبالغة في الخط من شأن الثقافة الإسلامية . والتقليل من قدر المدنية العربية . كلما اتاحت الظروف لأصحابها ذلك . وبلا حظ أن دراسة التاريخ في المعاهد الغربية لا توضح هذا التأثير . بل إن الحقائق تناولتها يد التحوير والتحريف . قصداً في كثير من الحوادث عظيمة الشأن جليلة الخطر . مثال ذلك ما هو شائع معروف من أن أسبانيا ظلت تحت الحكم الإسلامي عدة قرون في حين لا يذكر التاريخ الغربي أن صقلية والجزء الجنوبي الحلال لفرنسا كانا تحت الحكم الإسلامي أيضاً . وربما عزا البعض هذا الإهمال من المؤرخين إلى تعصبهم الديني . ولكن ما هي حجة المؤرخين المعاصرين - وغالبيهم

لا ديني - في موافقتهم أسلافهم في قلب الحقائق ؟ لهذا ينبغي أن ندرك مقدار زهو الغربيين وكبريائهم . مما منهم عن إدراك الحقائق الصحيحة ، ومقدار ما هم مدينون به للشرق . والأغرب من ذلك كله : أنه بينما يعتبر الأوروبيون أنفسهم الورثة المباشرين للمدنية اليونانية القديمة . فإن الحق يدحض زعمهم هذا ، إذ أن الواقع المعروف من التاريخ نفسه . يثبت لنا أن علوم اليونان وفلسفتهم لم تنتقل إلى الأوربيين إلا بواسطة المسلمين . وبعبارة أخرى لم تصل المخلفات العقلية لليونانيين إلى الغرب . إلا بعد أن درسها الشرق . ولولا علماء الإسلام وفلاسفتهم لظل الغربيون جاهلين بتلك العلوم زماناً طويلاً ؛ بل ربما لم يدركوها كلية . وينبغي أن نلاحظ أننا نبحث هنا عن مقدار تأثير الحضارة الإسلامية لا العربية فحسب ، كما يخطئ على البعض أحياناً . وذلك لأن معظم من حاولوا نقل هذه الثقافة الإسلامية لم يكونوا من العرب الخالص ، وإذا كانت لغتهم عربية ، فإن ذلك ناتج عن تأثيرهم بدينهم الإسلامي . وما دمنا قد ذكرنا اللغة العربية . فإننا نلاحظ دليلاً واضحاً يثبت لنا انتقال المؤثرات الإسلامية في الغرب . وهو تلك الكلمات العربية الأصل والمثبت . التي تستعمل تقريباً في كل اللغات الأوربية ؛ بل ما زالت تستعمل حتى وقتنا هذا . على أن معظم الغربيين الذين يستعملونها يجهلون حقيقة مصدرها كل الجهل . وإنما أن الكلمات هي التي تستعمل لنقل الأفكار ، وإظهار ما تكنه النفوس ، فإن من السهل علينا جداً أن نستنتج انتقال تلك الأفكار والآراء الإسلامية نفسها ، وفي الحق أن تأثير الحضارة الإسلامية ، قد تناول لدرجة بعيدة وبشكل محسوس . كل العلوم . والفنون والفلسفة . وغير ذلك . وقد كانت بلاد الإنسان مركز الوسط الهام الذي انتشرت منه تلك الحضارة . وليس غرضنا الآن أن نفحص كل هذه الأنواع بالتفصيل . ونرى مقدار ما خلفته الثقافة الإسلامية فيها . ولكننا نركز بحثنا في بعض نقاط ، نعتقد أنها من الأهمية بمكان ، وإن قل من يدركها

في وقتنا هذا .

أما عن العلوم فمن السهل أن نفرق بين العلوم الطبيعية . والعلوم الرياضية . فأنه عن الأولى فإننا نعلم علم اليقين أنها انتقلت بكلياتها وجزئياتها إلى أوروبا ، عن طريق الحضارة الإسلامية ، مصبوغة بالصيغة الإسلامية تماماً . فالكيمياء احتفظت دأبها باسمها العربي الذي يرجع أصله إلى مصر القديمة . والذي كان له معنى من معنى المعاني التي لم يعرفها الكيميائيون الحديثون حقيقة . ولنضرب مثلاً آخر يعلم عندك . فإن أكثر اصطلاحاته الخاصة ما تزال محتفظة في كل اللغات الأوروبية . ومنها العربي . كما أن كثيراً من النجوم ما يزال علماء الفلك في كل الأمم يطلقون عليها أسماءها العربية . وهذا يرجع إلى أن مؤلفات الفلكيين اليونانيين القدماء . مثل هيبوس الإسكندرية . كانت معروفة في التراجم العربية . ومجتمعة مع المؤلفات الإسلامية . ومن السهل جداً أن نوضح أن كثيراً من المعارف الجغرافية الخاصة بسطق الحقيقة في آسيا وأفريقيا ، عرفت من الرحالة العرب الذين جابوا كثيراً من لاقدور وحملوا معهم معلومات جمّة . أما من ناحية الاختراعات - وهي تابعة للعلوم الطبيعية - فقد انتقلت أيضاً بنفس الطريق أي بواسطة المسلمين . وما تزال قصة ساعة المائية التي أهداها الخليفة هارون الرشيد إلى الإمبراطور شارلمان . عالقة لأذهان . ثابتة الواقع .

من الرياضيات فيجب أن نعيها التفاتاً خاصاً . وذلك لأهميتها في هذا بحث . فإن ميدانها الواسع لا نرى فيه علوم اليونان فحسب ، بل نرى فيه أكبر أنقىة الثقافة الإسلامية . مضافاً إليها علوم الهند أيضاً . أما اليونانيون فقد بلغوا قمة كبر في الهندسة . وعلم الأرقام . ويلاحظ أن الأخير يرتبط دائماً مع الأول في الأشكال الهندسية المناسبة . وهذا التوافق الذي كان للهندسة يظهر لنا جلياً في قصة نرى حفرها أفلاطون على مدخل مدرسته : « لا يدخله إلا عالم بالهندسة »

ولكن يوجد علم آخر من الرياضيات يتبع علم الأرقام . ولكنه لم يكن معروفاً - كالعلوم الأخرى - في اللغات الأوروبية بالاسم اليوناني . لأنه لم يكن معروفاً بين اليونانيين القدماء ؛ هذا هو علم الجبر الذي كان مصدره الأول الهند . والذي يسهل علينا من اسمه العربي أن نعرف طريق انتقاله إلى الغرب .

حقيقة أخرى حان حين ذكرها ولو أنها قليلة الأهمية . ولكنها تدل أيضاً على ما قدمناه . وهي أنه من الشائع في كل مكان أن الأرقام التي يستعملها الأوروبيون هي نفس الأرقام التي استعملها العرب . ولو أن مصدرها الأول هو الهند . لأن علامات العد التي كان العرب يستعملونها قديماً ما هي إلا حروف الهجاء نفسها . وإذا انتقلنا من بحث العلوم إلى بحث الفنون . فإننا نلاحظ أن كثيراً من المعاني التي جادت بها قرائع الكتاب والشعراء المسلمين في الأدب والشعر . قد أخذت واستعملت في الأدب الغربي ؛ بل أكثر من هذا . فإن بعض كتاب الغرب وشعرائه قد قلّدوا تمام التقليد بعض كتاب المسلمين وشعرائهم . وكذلك نلاحظ أن أثر الثقافة الإسلامية واضح كل الوضوح . وبصفة خاصة في فن البناء . وذلك في المصور الوسطى ؛ فن ذلك شكل القوس المقود الذي صار متميزاً بنفسه حتى صار يدل على طريقة خاصة للبناء كان يستعمل فيها . وقد كان مصدره فن البناء الإسلامي . ولو أن كثيراً من النظريات الخيالية اخترعت لمخالفة هذه الحقيقة . ومما هدم هذه النظريات وجود رواية يتناقلها دائماً البناؤون أنفسهم . وهي تثبت انتقال هذه الطريقة من الشرق . وقد كان لهذه الحقيقة صفة سرية جعلت لغتهم معنى رمزياً . فكانت ترتبط ارتباطاً وثيقاً بعلم الأرقام . وقد نسب هذا العلم في مصدره الأول لمؤلفاء الذين بنوا هيكل سيدنا سليمان . ومهما يكن من أمر هذا المصدر البعيد فلا يمكن بحال ما أن يكون انتقاله إلى أوروبا إلا بواسطة العالم الإسلامي . ومما يحسن ذكره أن هؤلاء المعربين - وقد كانوا هيئات متحدة له

شعائر خاصة - كانوا يعتبرون أنفسهم كأهم أجناب في الغرب حتى في مساقط رؤسهم . وقد ظلت هذه التسمية حتى الآن . على أن هذه الأمور حركات غير معروفة إلا للقليلين جداً .

في هذه النظرة العقلية . ينبغي أن نذكر بصفة خاصة نوعاً آخر هو الفلسفة . فقد بلغ التأثير الإسلامي في القرون الوسطى مبلغاً عظيماً لم يستطع أحد خصوم الشرق تعصّباً أن ينكر قوته . وهذا صحيح فإن أوروبا لم يكن فيها من وسيلة أخرى لمعرفة الفلسفة اليونانية في ذلك الزمن . وذلك لأن التراجم اللاتينية لأفلاطون وأرسطو - وهي التي استعملت حينئذ - لم تنقل أو تترجم من الأصل اليوناني مباشرة . بل أخذت من الترجمة العربية السالفة . وأضافوا إليها ما كتبه المعاصرون المسلمون في الفلسفة الإسلامية . ومن أولئك المعاصرين : ابن رشد . وابن سينا . وغيرهما .

والفلسفة التي كانت معروفة في ذلك الوقت باسم « الفلسفة المدرسية » كانت تتميز بها الفلسفة الإسلامية . واليهودية . والمسيحية . ولكن من الإسلام استمد النوعان الآخران مصدرهما ؛ بل إن الفلسفة اليهودية . وهي التي ازدهرت في أسبانيا . كانت لغتها عربية . وذلك ثابت ويرى في المؤلفات الهامة لموسى بن ميمون . وعنه نقل فيلسوف يهودي آخر - بعد قرون عديدة - كثيراً من فلسفته الخاصة . ذلك هو « سبينوزا » .

وليس من الضروري أن نصر على بحث أشياء معلومة لكل من درس شيئاً من تاريخ الفكر . بل يحسن أن نبحث أخيراً في أشياء أخرى من نوع مختلف لا يعرفه معظم الحديثين . خصوصاً في الغرب . بل لا يكاد يكون لأحد ما أبة فكرة ذات أهمية عنه . ولكن من وجهة نظراً نرى له أهمية كبيرة أكثر من كل المعارف الخارجية التي تحتويها العلوم والفلسفة . وما نقصده بهذا هو التصوف . وما يتصل

به . أو يعتمد عليه من أنواع المعرفة الأخرى الثانوية . التي تختلف عن تلك العلوم التي يدرسها الحديثون كل الاختلاف .

وليس للغرب في وقتنا هذا شيء من أمثال تلك العلوم على حقيقتها . بل أكثر من هذا أن الغرب لا يعرف أيضاً من المعارف الحقيقة كالتصوف أو ما يمثله شيئاً مطلقاً . على أن هذه الحال لم تكن هي الحال في القرون الوسطى . وهذه المعارف لها أيضاً أثرها الإسلامي البين الواضح بأجلى وضوح في تلك العصور . ومن السهل جداً ملاحظة أثر ذلك في بعض المؤلفات التي تختلف معانيها الحقيقية عن التراث الأدبية كل الاختلاف .

وقد بدأ هذا النوع يتضح لبعض الأوربيين أنفسهم . وذلك خلال دراساتهم لأشعار « دانتي » الإيطالي . ولكنهم لم يدركوا ماهية طبيعتها الحقيقة . ومنذ سنين عدة كتب المستشرق الإسباني « دون ميغيل آسين بلاثيوس » كتاباً عن الثورات الإسلامية في مؤلفات « دانتي » جاء فيه أن جزءاً كبيراً من الرموز والإشارات التي استعملها « دانتي » كان يستعملها قبله بعض المحققين والكتاب المسلمين . وبخاصة سيدي محيي الدين بن عربي . ولكن لسوء الحظ نرى أن ملاحظاته لم تمتد التخييلات الشعرية . على أن هناك كاتباً آخر إيطالي الجنس . هو « لويجي فاللي » . تعمق بعض التعمق في البحث . فذكر أن دانتي لم يكن وحده الذي استعمل الإشارات الماثلة لما كان مستعملاً في الشعر الصوفي . الفارسي والعربي . بل إن كثيراً من الشعراء المعاصرين لدانتي في مملكته كانوا أعضاء في اتحاد أو هيئة سرية تسمى « أمناء الحب » وكان دانتي نفسه أحد رؤساء تلك الهيئة .

ولما حاول « لويجي فاللي » أن يحل الغار لغتهم السرية لم يتمكن من إدراك ما كانت تتميز به تلك الهيئة . أو ما يمثّلها من الهيئات التي وجدت في أوروبا أيام القرون الوسطى . على أن الحق هو أن بعض الشخصيات السرية كانت تستتر خلف

الروحانية الحديثة . أم عن طريق الفلسفة الحديثة ؟
سندكر فيما يلي رأى الشيخ عبد الواحد في هذين الأمرين اللذين يعدها بعض الناس خطأ وسائل للمعرفة .

ثم نتبع ذلك بالوسيلة الصحيحة للمعرفة في نظره وهى التصوف .

١ - الروحانية الحديثة وخطؤها :

من أخطر الأغلاط الغربية الحديثة . واحدة ثبتت فى أمريكا منذ أقل من مائة سنة (٧) أى : سنة ١٨٤٧ م . وعرفت باسم [الروحانية الحديثة] ويمكن تحديد معناها بأنها ثبوت إمكان الاتصال بالموتى بواسطة وسائل مادية .. أما كيف بدأت أولاً : فإنها لاحت فى بعض ظواهر طبيعية كانبعاث أصوات . وتحرك أشياء فى أحد المنازل بدون ما سبب واضح لها . أما هذه الظواهر فقد لوحظت فى كل زمان ومكان . فلا يمكن القول بأنها ظواهر شاذة . فلماذا إذن يستولد منها الغربيون عقيدة جديدة فى تلك الحالة الخاصة ؟ فى حين لم يفكر أحد فى شئ ، من ذلك من قبل !

الحق أنهم ثاروا على تلك المادية المنتشرة فى العالم فعملوا على إيجاد وسيلة سرية تعمل على هدمها . ولكن إذا اعتبرنا أن غايتهم من ذلك حسنة فإن الوسائل التى استعملوها للبلوغ غايتهم لم تكن كذلك .

وحقيقة أن الباطل هو شر دائماً . ولذا يمكننا أن نوافق على ما بدعيه البعض من أن الغاية تبرر الوسيلة . وفى الواقع أن الوسيلة إذا لم تكن صالحة تماماً فإنها كثيراً ما تنقلب سريعا ضد الغاية المرجوة . وإننا إذا تخيلنا صورة الحياة بعد الموت . على مثال صورة حياة الجسم على الأرض . وهى التى انتقاد إليها أتباع العقيدة

(٧) مجلة المعرفة : صفر سنة ١٣٥٠ هـ ، يولية سنة ١٩٣٦ م .

تلك الهيئات لتكون مصدر إرشاد لها . وقد كانت تلك الشخصيات السرية ، تعرف بأسماء مختلفة ، من أهمها تلك التسمية « إخوان الورد والصلب » وليس هؤلاء قواعد مكتوبة يسيرون عليها . كذلك لم يكن لهم اجتماعات معينة . وكل ما كانوا يعرقونه به . هو أنهم وصلوا إلى حالات روحية خاصة . ويمكننا أن نصفهم بأنهم صوفيون غربيون ، أو على الأقل متصوفة فى درجات عالية .

وقد قيل إن هؤلاء « الإخوان » الذين كانوا يستترون بألصة البناتين ورموزهم ، كانوا يعلمون الكيمياء وعلوماً أخرى تماثل ما كان مزدهراً من العلوم فى العالم الإسلامى .

والحق أنهم كانوا حلقة اتصال بين الشرق والغرب . وكانوا على اتصال مباشر بالصوفيين المسلمين . وقد كان ذلك الاتصال يستتروا رحلات مؤسستهم الخيالى . وليس هذا معروفاً فى التاريخ الذى لا يتعمق كثيراً فى البحث ، بل يكفى فقط بمظهر الحوادث الخارجى ، مع أن هناك الفتح الحقيقى الذى يفتح لنا مغاليل كثير من الأشياء ولولاه لاستمرت دائماً غير واضحة بالمرءة .

هذا جزء من كل من أثر الثقافة الإسلامية فى الغرب . ولكن الغربيين لا يريدون أن يتعرفوا به فى وضوح . لأنهم لا يريدون أن يتعرفوا بفضل الشرق عليهم . ولكن الزمن كفيل بتبيان الحقائق التى يريدون إخفاءها .

٥ - فى المعرفة

تمهيد :

كيف نصل إلى المعرفة . المعرفة الحققة . معرفة ما وراء الطبيعة ؟ كيف نخترق الحجب . ونكشف المساتير ، ونزيل النقاب عن الملائ الأعلى ، فنصل إلى الروح ، وإلى الملائكة . وإلى الله ؟ كيف نصل إلى اليقين ؟ أليكون ذلك عن طريق

الجلدية ، فيمكننا أن نعتبر أن ما يسمى « الروحانية الحديثة » ما هي في الحقيقة إلا مادية من نوع آخر ، بل أكثر ضرراً من المادية ، لأنها تخلق الأوهام والتخيلات في حقيقة طبيعتها حتى تتمكن من التأثير في الذين لم يقلقوا الآراء المادية الصريحة الشائعة ، أكثر من هذا أن فيها خطراً آخر ، ويكفي أن نرى كم من الأشخاص - بواسطة ما يسمى الاتصال بالوحي - أصيبوا بالجنون أو الخراب ثم الانتحار ، عند ذلك يكون لنا الحق في التصريح بأن هذا التعليم الذي يجلب مثل هذه المواقف ، هو لومة على بني الإنسان ، وهذه العلوى الزمنة التي رسخت في عقول الكثيرين من الأشخاص الطاهري السريرة ، وذوى النوايا الطيبة ، هذا الخطر يتشرف في الشرق ، بل لا تغالي إذا قلنا إنه امتد إلى الشرق الأقصى حيث نلاحظ - منذ سنوات قليلة - انبعاث دين جديد من الهند الصينية يسمى « كاوداي » ويدعى أنصاره أنه لا يستمد تعاليمه عن طريق الوحي بل يستمدّها مباشرة من الله بواسطة « سلة » متحركة .

وينبغي أن يفهم القارئ أننا بعيدون جداً عن إنكار حقيقة أنواع الظواهر المختلفة التي يرى فيها « الروحانيون الحديثون » برهاناً على وجهة نظرهم . فإن هذه الظواهر - كما سبق القول - كانت معروفة دائماً عند القدماء ، بل كانوا أكثر علماً بها ممن يعرفونها الآن .

ولكننا نذكر تفسيرها الحديث الذي تفسر به هذه الحقائق بنسبتها إلى فعل « الأرواح الجردة » . وهي التي يقصد بها الشخصيات الإنسانية التي زالت عن عالم الوجود الأرضي .

كيف يقل التفكير السليم أن « الأرواح الجردة » يمكنها تحريك مائدة ، أو استيلاء قوة خفية على اليد فجعلها تكتب أو ترسم . أو تفعل أشياء أخرى كثيرة من هذا القبيل ؟

مثل هذه الإنباتات لا تدل إلا على عدم العلم - الذي أصبح تقريباً عاماً في وقتنا هذا - باختلاف الظروف في حالات الوجود الثابتة . وينبغي أن نذكر أنه إذا أمكن الإنسان أن يتصل بالأرواح - إنسانية أو غير إنسانية - فإن ذلك لا يكون إلا بأن يصير نفسه متيقظاً في حالة وجوده الخاصة التي تطابق الحالة نفسها . والتي تكون فيها تلك « الأرواح » فعلا . ولكن هذه مسألة أخرى ليس لها أية صلة بتعاليم وأفعال « الروحانية الحديثة » .

وفي الحقيقة توجد عناصر كثيرة من أنواع مختلفة ربما ساعدت على إيجادها . على حسب الحالات المختلفة . ولكن ينبغي أن نفرق بين هذه العناصر بدقة . ونشير بإيجاز إلى أنواعها المختلفة حيث لا يمكننا أن نفسر كلا منها تفسيراً كاملاً مفصلاً . لأن ذلك لا يتسع البحث فيه الآن :

(١) من أهم العناصر التي تحدث هذه الظواهر تلك التي تحدث في معظم الحالات . وكثيراً ما تكون منفردة . وهي التي في قوى الإنسان العقلية . هذه القوى التي يمكن أن تتسع وتكبر أكثر مما يظنه علماء النفس الحديثون . أو الذين يشتغلون بدراسة الحالات الشاذة .

هذه القوى كامنة في كل إنسان . وإذا تمت واتسعت بطبيعتها فإن ذلك يكون في حالات نادرة . لكن يمكن تسميتها صناعياً في بعض الأشخاص بوضعهم في حالات خاصة . مثل تلك الحالات المعروفة تحت الاسم العام « التنويم المغناطيسي » . وهي التي فيها يمكن الإنسان أن يحس بأشياء بدون أن يتصل جسمه بها . وكذلك يمكنه تحريكها . كما يمكنه أيضاً رؤية أشياء مخفاة عن حواسه العادية . أو بعيدة عنه في الزمان أو في المكان وغير ذلك .

ولا يمكن لغير الرجل المادى - في أضيق حدود معنى هذه الكلمة - أن يقول بأن الإنسان محدود بالقياس إلى جسمه . ولكن الروحانيين - تسميتهم هذه التي

وصحيح أن الإنسان في حالته العادية لا يحس بالأفعال التي يؤديها ،
أو المعارف التي يستقيها في الحالات الأخرى . ومن السهل جداً أن ندرك هذا ،
لأن الحالة العادية هي أضيق الحالات مجالاً . كما أنها لا تعتمد إلا على الشروط
الجسمية . في حين الحالات الأخرى تكون مطلقة الحرية . وإبنا لا نجد غرابة في
هذا لو فكرنا فقط في التفرقة التي توجد عادة في كل فرد بين شعوره بحالة اليقظة
وشعوره بحالة النوم .

ينبغي أن نوجه بحثنا نحو نقطة واحدة : هي أن كل ما يسمى « بالظواهر »
إما أن يصدر من القوى العقلية في الحالات العادية ، أو من قوى الحالات النفسية
الأخرى . هذه الظواهر تمثل فقط الجزء الظاهري من الكائن ، وواضح من
الكلمات نفسها أن « الظواهر » - من أي نوع أو درجة - هي كلها من الظاهر
وليست من الباطن ؛ أي أنها تعديلات سطحية للكائن وليست عناصر مكونة لذاته
الباطنية العميقة ، والقوى التي يمكن تسميتها تماماً باطنية ينبغي أن يبحث عنها في
حالات تختلف تماماً عن الحالات النفسية ، وتسمو كثيراً عن الظواهر العادية
أو الشاذة .

(ب) إذا رجعنا إلى الحالات النفسية التي تكلمنا عنها فنبغي أن نقرر أن
الإنسان في هذه الحالات - كما في الحالة العادية - يخاط بقوى فعالة مختلفة أطل
من تلك التي في عالم الجسم والحس ، ولكن بعضها ربما كان مشابهاً - لا ذاتياً
لقوى مثل الكهرباء وغيرها ، ولا يخفى أن هذه القوى يمكن للطبيعي العاد
الاستدلال عليها بتأثيراتها المحسوسة .

هذه القوى النفسية التي كان يعبر عنها [الطاو - صى] الصينيون بأنها « قوى
سابعة » كان لها قوانين مثل أي قوانين أخرى طبيعية . وربما كان الغرض منها علماً
فاذا أمكن أن تجمع وتركز بشروط خاصة . فإنه ينبعث منها تأثيرات ربما تظهر غير

درجت في الفلسفة الغربية - يشكون جداً في قدرة الإنسان على احتال ما هو فوق
مستوى قواه الجسمية . أو تلك القوى التي تتصل وثيقاً بالجسم وتظهر في الحياة
العادية لأى فرد . ومن جهة أخرى ينبغي أن نذكر أن تلك التي تسمى القوى
الشاذة - وهي التي تتكلم عنها - ليس فيها شئ ، روحى في الحقيقة أكثر من القوى
العادية .

وإن التصور الذى جعل الإنسان الحى يتكون من جزأين أو عنصرين فقط
- وهو ما انتشر في الفلسفة الحديثة خاصة وفي العقل الغربى عامة - هذا التصور هو
الذى سبب هذا الاضطراب . لأنه صير للناس جاهلين بالفرق الأساسى بين النفس
والروح . وإن طبيعة القدرة التي تظهر في الأشخاص الذين يتألمون تنوعاً
منظطسياً - وهم الذين يسمونهم « الروحانيون الحديثون » بالوسطاء - ليست
« روحية » بالرة ، بل هي « نفسية » تماماً ، وهي تخص الحالات التي يمكن وصفها
بأنها أطف من الحالات العادية كما أنها أكثر اتساعاً ، وأعلى منزلة أيضاً في درجات
الوجود : كما يجب أن تكون الحالات الروحية .

وإنما مثل هذه القوى في الإنسان هو إنماء الإحساس بالاتساع لا الإحساس
بالارتفاع .

هذه الحالات النفسية التي تظهر إما في التنويم المنظطسى . أو في بعض حالات
من الأمراض العقلية ينشأ عنها ما يسميه علماء النفس خطأ « بالشخصيات
التمعددة » لأنها تظهر منفصلة عن الحالات العادية . وربما كان هذا خطأ في استعمال
الكلمات . وإلا فإنه يكون خطأ فاحشاً لأنه لا يمكن لعقل ما أن يتصور أن الإنسان
الحى له أكثر من شخصية واحدة .

وحقيقة أن كل حالات الكائن ما هي الا مظاهر جزئية لشخصية واحدة غير
منفردة .

لمن يجهلون مثل هذه الأشياء . مثلها في ذلك مثل ظهور التأثيرات الكهربائية لمن يجهلون الطبيعيات .

أخفف إلى هذا أن الإنسان إذا اتصل بمثل هذه القوى يمكنه - بدون أن يشعر - أن يلبسها لوقت ما شخصية ظاهرية بزوال شخصيته الخاصة . ومن هذا يمكننا تفسير ظواهر كثيرة .

وهنا يمكننا أن نرى أحد الأسباب للأخطار التي يقع فيها من ممارس « الروحية الحديثة » ، أو ما يمثّلها ، يعرض الفرد نفسه لتأثيرات ربما أثرت فيه أحوال كثيرة فتمت في كائنه الخاص عناصر الاضطراب ، وعدم الاتزان النفسى ، تذهب به أحياناً إلى نوع من الوحدة والعزلة . ويمكننا أن نجد ما يماثل هذه الوحدة في بعض ما يسمى « بالشخصيات المتعددة » التي تكلمنا عنها سابقاً .

هذه الأخطار لا يستهان بها . وربما لا يمكن تجنبها إذا كان الأشخاص الذين يتصلون بهذه القوى جاهلين تماماً بطبيعتهم . كما هي الحال مع الأكثرية العظمى لمعاصرينا ، وخاصة « الروحانيين الحديثين » الذين هم في الحق كالأطفال يلعبون بالنار .

(ح) الإنسان في حالته العقلية أو النفسية يجد نفسه متصلاً - كما في الحالات العادية - بكائنات أخرى موجودة في حالات تتفق مع حاله . وأهم ما نقصده هنا بالكائنات هم بنو البشر . وهذا هو ما يحدث لهؤلاء الذين يشتركون في « جلسات » الروحانية الحديثة بدون رغبة منهم أو معرفة فيوصلون أفكارهم إلى الوسيط ، وليست أفكارهم هي المطابقة للواقع حينئذ فحسب . بل أيضاً وغالباً أفكارهم البعيدة التي تلوح لهم كأنهم تسوها لبعد المهد بها . فيعجبون جداً من اكتشافها ، ويمكن للأشخاص الغائبين أيضاً أن يتصلوا بأنفسهم بها كانوا بعيدين إذا كانوا في مثل هذه الحال متجردين من كل القيود الجسدية . ويمكن إجراء هذه التجربة

يشعور من الأشخاص . أو بدون إحساسهم بها . وتحدث الأولى في الحالات النادرة للأشخاص الذين هم معارف خاصة . والذين يعملون هذا لغرض محدود كما حدث عند ابتداء العلم « بالروحانية الحديثة » .

وتحدث الثانية في الحالة العامة وهي اتصال أى فرد - وخاصة في أثناء النوم - ويجدر بنا أن نضيف إلى ما ذكر أنه يوجد بعض المظاهر في الحيوانات لأن لهذه أيضاً حالات لطيفة في كائنها الخاص .

(د) وفي بعض الحالات تحدث الظواهر - طبيعية كانت أو مفتعلة - بعناصر تنبعث حقيقة من الموقى . ولكن ليس اتصال فعل بشخصياتهم الحقيقية : وهذه العناصر ما هي إلا آيات غريبة مشابهة لبقايا الجسم التي يتركها الميت بعده بتحلله . لأنه يوجد في الطبقة الندية عناصر تلازم الخالد من الكائن . وهذه العناصر أقرب إلى الحالة الجسمية . ولذا يمكننا أن تولد تأثيرات حسية . وهذه البقايا النفسية تمثل حقيقة حالات خاصة من « القوى السابعة » التي سبق ذكرها قبلاً ، وإذا ذكرناها على حدة فإن ذلك لأن مظاهرها جميعها يمكن اعتبارها كمظاهر حسية للموقى ، ولكن في معنى يختلف تماماً عما يقصده « الروحانيون الحديثون » ، مثل هذه العناصر يمكن أن تأخذ مظهراً مؤقتاً للحياة ثم تعطى حينئذ إجابات آلية تعكس بعضاً من أفكار الفرد التي سبق أن كانت تختص به .

وهذا الطيف من الشخصية - إذا أمكن تسميته كذلك - هو ما كان يسميه اليهود القدماء [أوب] كما يرى في بعض الكتب المقدسة . وقد أعطى إجابات في « الاستحضارات » التي استعملت بين معظم الناس . ولو أن الدين يحرمها بصفة عامة .

(هـ) وأخيراً ليكون الموضوع تاماً ، ينبغي أن نذكر إمكان تداخل تلك الكائنات التي ليس لها حياة جسمية . هذه الكائنات - التي تعتبر غير إنسانية -

ليس لها مطلقاً طبيعة روحية خالصة . ولكنها بالمعكس تقرب جداً من العالم الحسى . ولهذا يمكنها أحياناً أن تحدث تأثيرات فيه . ونريد هنا أن نشير بصفة خاصة إلى فعل الجن - ولكن ليس هنا مجال الإفاضة في هذا الموضوع - ربما أنه لا يوجد شئ روحى في كل هذه الأشياء أكثر من تلك التى لها انحصار بالحياة الأرضية : فلا ضرورة للقول بأنه لا يمكن المقارنة بينها وبين الأشياء الأخرى لى يختلف في طبقها : كوحى الأنبياء - عليهم السلام - أو لى في طبقة أقل ارتفاعاً . كالقدرة الخاصة للأولياء - رضى الله عنهم - وهى التى تنبعث في ميدان من المبادئ الروحية . وينبغى أن نقرر أن هذه المبادئ تختلف في حقيقتها . في حين تتفق في المظاهر الخارجية . ولكن هذه أيضاً مسألة أخرى تلك مسألة « المؤثرات الروحية » وليس لها صلة بموضوعنا الحالى . أما من حيث الظواهر النفسية فإننا نصف هذا : بعض الغربيين - وليس هؤلاء الذين يقبلون فحسب وجهة نظر الروحانية الحديثة . بل الذين يسمونها أغراضاً علمية - يحاولون بكل جهدهم أن يكتشفوا أشياء كانت معروفة تمام المعرفة في الأزمنة السحيقة عند الأمم الشرقية . ويلاحظون بعض الحقائق . ولكن يعجزون عن تفسيرها . في حين يوجد - كما سبق أن أوضحنا باختصار - كل ما نحتاج إليه لتفسير هذه الحقائق نفسها . بل حقائق أخرى كثيرة لم يكن لديهم أقل فكرة عنها .

والنتيجة :

أن كل من يود معرفة حقيقة مثل هذه الموضوعات ، لا يمكنه أن يجد ضالته في البحوث الغربية الحديثة . بل عليه أن يرجع إلى المعارف الشرقية القديمة .

٢ - الروحانية الحديثة « رد على رد » :

توكان الأستاذ فريد بك وجدى قد قرأ ماكتبناه منذ عشر سنين تقريباً عن موضوع « الروحانية الحديثة »^(٨) . فإنه ماكان ليكلف نفسه عناء جمع هذه الملاحظات التى كتبها في الجزء الماضى من هذه المجله . لأننا أجبنا عن كل منها إجابة نامة . وأكثر إسهاباً مما يمكننا ذلك في هذه الصفحات القلائل . ومع ذلك سنحاول هنا ثانياً . أن نحدد مركزنا في مثل هذا الموضوع : حتى لا يبقى مجال آخر لذلك الاضطراب الذى نشأ من هذا البحث .

ينبغى علينا أولاً ألا ننكر أنه منذ ابتداء ما يسمى بالعصور الحديثة - أى منذ ثلاثة أو أربعة قرون - شك الغربيون في كل معارف القدماء . ولكن ذلك إنما حدث لأنهم لم يدركوا تماماً معنى وطبيعة هذه المعارف . وفي نفس الوقت يظهر أنهم لم يستطيعوا أن يقبلوا أى شئ خارج عن دائرة التجارب الحسية . وكانت النتيجة الطبيعية لذلك ظهور وانتشار المادية واتساع دائرة البحث اتساعاً غير عادى في بعض علوم خاصة تختص بالمادة فقط .

وقد كان هذا الأمر في الغرب فحسب : أما الشرق فإنه لحسن الحظ لا يزال محتفظاً للآن بمعرفته القديمة . ولم يقبل هذه الحدود المتعسفة ولم يستعج أيضاً بتعاليم فرنسيس باكون . أو تعاليم ديكارت التى لا توضح شيئاً ما للعقول الشرقية النقية . أى التى لم تتأثر بسموم الأفكار الغربية .

والآن إن فكرة محاربة المادية المنتشرة في الغرب بواسطة العمل المادى نفسه هى فكرة خاطئة . ولا تؤدى إلى نجاح ما . لأن هذه الوسائل ليس لها من قيمة .

(٨) مجلة المعرفة : ربيع الثاني ١٣٥٠ هـ ، سبتمبر سنة ١٩٣١ م .

إلا في دائرة خاصة ضيقة جداً . وإذا تعدتها تكون عديمة القيمة . ويظهر أن هذه الفكرة نشأت من توهم أن مثل هذه الوسائل هي الوحيدة [الوسائل العلمية] التي يمكن الاعتماد عليها في محاربة المادة . ولكن هذه أيضاً أوهام غريبة . وفي الحق أن لدينا علوماً أخرى لا تنقل في أهميتها وحقيقتها عن سابقتها : تستخدم وسائل مخالفة تمام المخالفة . غير معروفة للغربيين الحديثين .

وإذا قلنا ذلك ينبغي أن نميز بين حقيقة مسألة الظواهر الشاذة التي نتحدث عنها هنا . والتفسيرات المختلفة التي أعطيت لها هناك . وإننا نستغرب جداً أن الأستاذ فريد بك وجدى لا يزال يصر على النقطة الأولى « للظواهر » لأننا قلنا إن حقيقة هذه الظواهر لا تقبل الشك . وإنها كانت معروفة في كل العصور . وفي كل الأقطار . فإن مثل هذه الحقائق شائعة الوجود وليست نادرة . ولها من الأنواع ما يكثر عما يدركه الغربيون « الروحانيون الحديثون » أو غيرهم من الذين يحاولون دراستها . وإننا للأسف على أن الأستاذ فريد بك وجدى - في هذه المسألة - بعدد كثيراً من أسماء العلماء الأوربيين والأمريكيين . الذين اشتبكوا في هذه الدراسة . كأننا ملزمون أن نقبل ما عليه علينا هؤلاء العلماء ، وإننا للأسف لأننا لا يمكننا أن نسبح للشرق أن يعتقد أنه ملزم بأن يتبع الغربيين . ويتقبل تعاليمهم . وخاصة في أشياء لا تزال حقيقتها معروفة دائماً في الشرق ، في حين أن الغرب ليس إلا باحثاً فيها فقط . وليس من حاجة إلى القول بأن الذين يبحثون عن شيء هم الذين لا يعرفون حقيقة هذا الشيء .

وأضف إلى ذلك أن الأشخاص الذين ذكروا ليست قيمتهم متعادلة فلا يمكننا أن نضع في صف واحد رجلاً [طبيعياً] نقلاً ، حتى قدره مثل : ولم كروكس ؛ مع آخر نعتبره « منجراً بالعلوم » مثل : كاسيل فلاماريون ، كما علينا أن نقصيف أنه إذا كان بعض الرجال قد قبل « الروحانية الحديثة » فإن كثيراً منهم اختلفوا في وجهة

نظرهم . أو ربما صدوا أنفسهم عن أى نظرية أو تفسير . وإننا نجد بين هؤلاء الذين صاروا « روحانيين حديثين » من اشتغل - لأسباب لا صلة لها - بالعلم مثل : سيار لومبوزو ، وأولفريد لوج ، فإن الأول اشتغل بها بعد موت والدته ، والثاني بعد أن قتل ابنه في الحرب . وهذا يظهر لنا أن مثل هؤلاء الرجال - بصرف النظر عن علومهم الخاصة - ضعاف القول جداً .

وينبغي أن نصيف إلى ذلك أيضاً أن بعض العلماء لم يمنهم تعليمهم من أن يحدوا بالظواهر المصطنعة . كما حدث لوليم كروكس مع وسيطته فلورنس كوك . وكما حدث حديثاً مع شارل مريشه في الجزائر . وحدث ذلك سهل الإدراك جداً . لأن هؤلاء الأشخاص - وهم بعيدون عن حدود علومهم - ليس لهم أية كفاية أكثر من أى إنسان جاهل آخر . بل ربما وقعوا في الخطأ بسهولة أكثر من أى شخص آخر . لأنهم حين ذلك يبحثون في أشياء تختلف طبيعتها وقوانينها اختلافاً تاماً عن تلك التي اعتادوها ، ولأنهم يحاولون استعمال وسائلهم العادية في هذه الأشياء . في حين هذه الوسائل لم توضع لمثل ذلك مطلقاً .

وماذ تقول في ذلك التاجر الغني الذي كان يتاجر بالنبيذ جان ماير « الذي مات . ولقد صرف هذا الرجل ملايين عديدة ، لأنه طمع في أن يصير يوماً ما بابا « الروحانية الحديثة » ، وقد أثار حرباً بلا شفقة على هؤلاء « الإخوان الدينيين » الذين تعدوا أن يؤسوسوا جمعيات ومكاتب مستقلة ، واضطروا أن يذعنوا لقوة المال . وكان ذلك بالطبع تحت اسم [الإخوة - والإخاء] . وقد أسس هذا الرجل نفسه في باريس معهداً (علمياً) لغرض إخضاع الباحثين الأحرار . ونقصد بهم الذين لم يكونوا « روحانيين حديثين » ، وبصلهم منه إعانات مالية لم يكونوا قادرين على أن يعارضوا شيئاً من « الروحانية الحديثة » .

وفي الحق إننا لنجد عاراً في اضطرابنا إلى التصريح بمثل هذه الأسماء والوقائع

والآن ينبغي أن نضيف ما يأتي
توجد أشياء لا يمكن أن تنقص
يقال عنها إنها خرافات لو من خيال
يؤدي إلى نوع آخر من العلوم يختلف عما
الذي يجدر بنا أن نسميه - بحق -

وإننا لا نخاف إذا قررنا وجود تلك
الحوادث الأرضية ، ولا نخاف أيضًا
ليست أربعة بل خمسة ، وأنه لا يوجد
ليس لها أية صلة بما تسميه الكيمياء
العناصر - ليست أجسامًا بل هي تلك
لا يمكننا أن نعطي أي أهمية - إذا
وهي على الدوام متغيرة غير ثابتة في نفس
من أشياء كثيرة كالكهرباء مثلاً بدون
يجب أن يسمى فقط صناعة .

فلا نستطيع مشاركة الاستاذ فريد
الغربية ، التي تظهر لنا كأنها تخاليل
وبما أننا نرى أن التقدم في هذه
روحية . فإننا لا نشك في صعوبة ، بل
الطريق إلى العالم الروحاني .

وإذا افترضنا حدوث ذلك بأي
الحديث ، والمدينة كما يفهمها الغربيون
الغربيون إلى ذلك .

وأخيرًا نقول : إن الشرق يجب أن يحنظ بعلمه الخاص . فإنه أصدق وأتم
وأكثر انتشارًا في كل الوجود بدلا من تفسيق دائرته في عالم المادة فقط . ولسنا كما
بظننا الأستاذ فريد بك وجدى نعيش في زمن غير زمنا . لأن زمنا يختلف عن زمن
الغربيين . فبينما يحلم هؤلاء ، بالتقدم ، حتى يستيقظوا على صوت إحدى الكوارث .
نعرف أن العهد الذهبي كان في الحق عند ابتداء التاريخ البشرى . إذ أعطيت كل
المعرفة للإنسان في المبدأ . أخذت تخفى عنه تدريجيًا بتوالي العصور . وتنتقل رويدًا
من عالم الروح إلى عالم المادة . وأخيرًا نحن نؤكد أن تلك العقول التي تأثرت بالفكر
الغربي سوف تهتمنا بأن كل ما نقرره خرافات . ولكن ذلك لا قيمة له من جهتنا .
وإنما نحن نوجه كلامنا هذا لا إلى مثل هؤلاء الأشخاص . بل إلى الشرقيين
الحقيقيين الذين يصرون دائماً على أن يكونوا - كما هو الواجب عليهم - محافظين على
الحكمة الأبدية .

٣ - القوى الساجدة :

عندما بينا العناصر ^(١) المختلفة التي تتضافر في إحداث تلك الظواهر التي ينسبها
الروحانيون المحدثون إلى ما أسموه « بالأرواح » : أشرنا بصفة خاصة إلى واحد منها
يلعب دوراً خطيراً : هو عنصر القوى اللطيفة التي أسماها الطاو - صى ، الصينيون
[بالقوى الساجدة] . ولقد يكون من المهم الآن أن نعطي تفسيراً تكليلاً لهذه
النقطة . حتى نتجنب الخلط الذي يقع فيه بسهولة أولئك الذين لهم دراية بالمعارف
الغربية الحديثة أكثر مما لهم من علوم الشرق القديمة . وهم لسوء الحظ كثيرون في
أيامنا هذه .

(١) مجلة المعرفة : جمادى الآخرة ١٣٥٠ هـ . نوفمبر سنة ١٩٣١ م .

لقد نبهنا إلى أن القوى التي نعنيها هنا - لكونها ذات طبيعة نفسية - تكون بالضرورة ألطف من قوى العالم الحسى أو الجسمى . ولهذا فينبغى ألا نخلط بينها حتى ولو تشابهت نتائجها مع نتائج القوى الحسية بعض الشبه ، مثل هذا التشابه يوجد في الواقع على وجه الخصوص مع نتائج الكهرباء . ولكن هذا التشابه يفسره ما يوجد من تطابق بين سائر القوانين التي تسيطر كل العوامل وكل الحالات . . ذلك التطابق الذى بواسطته يتحقق التناسق والانسجام في درجات الوجود كلها . وهذه القوى السابجة أنواع متباينة تمام التباين . ونحن نجد في العالم الحسى أنواعاً عديدة من القوى . ولكننا نجد في العالم النفسى أن الأمور أكثر تعقيداً مما هي هنالك . ولهذا فالميدان النفسى أكثر امتداداً من الميدان الجسمى . وأقل ضيقاً منه إلى حد كبير . ويندرج تحت هذه التسمية العامة « القوى السابجة » كل القوى الخارجة عن الأفراد . وأعني بذلك كل القوى التي تفعل وتؤثر في الوسط الكونى من غير أن تدخل في تركيب أى كائن معين . وفي بعض الحالات تكون هذه القوى بذاتها . وفي حالات أخرى تكون صادرة عن عناصر نفسية منحلة كانت تخص فيها سبق كائنات حية : ومن بينها الإنسان ، كما أوضحنا ذلك في المقال السابق . على أن المقصود في كل الحالات إنما هو صنف معين من القوى الطبيعية التى لها قوانينها كما لغيرها من القوى . والتي لا تنشذ عن تلك القوانين كما لا يشذ غيرها من القوى عن قوانينه . وإذا لاح أن فعلها إنما يجرى غالباً اتفاقاً ومصادفة ومن غير نظام : فما ذلك إلا لجهلنا بقوانينها . ويكفى أن نلقى نظرة إلى نتائج صاعقة مثلاً ، النتائج التى ليست أقل غرابة من هذه القوى لنعلم أنه لا يوجد البتة شئ في هذا العالم لا يجرى وفق قانون .

وهذه القوى - كغيرها - يمكن أن نجمعها ونستخدمها أولئك الذين يعرفون قوانينها . وهنا يجب علينا أن نميز بين حالتين :

تدبر هذه القوى والتصرف فيها على الوجه المتقدم ؛ يمكن أن يكون بواسطة كائنات تنسب لنفس العالم اللطيف كالكائنات المعروفة بالجن أو بواسطة أناس أحياء يوجد لديهم حالات مطابقة لذلك العالم اللطيف مما يؤهلهم للتأثير فيه . وهؤلاء الذين يتصرفون في هذه القوى بإرادتهم - سواء أكانوا من الجنس أم من الجن - يلبسون تلك القوى نوعاً من الشخصيات المصطنعة المؤقتة . وتلك الشخصية في حقيقة الأمر ليست إلا انمكاساً لشخصيتهم الذاتية وطبقاً لها . ولكنه يحدث أحياناً أيضاً أن هذه القوى عينها يمكن أن تختبئ وتلدبر من غير شعور بواسطة كائنات تجهل قوانينها ولكنها هُيئت وأعدت لذلك بما لها من خصائص شاذة في طبيعتها . ومثل تلك الكائنات ما اتفق اليوم على تسميته [بالوسطاء] وهؤلاء أيضاً يعبرون القوى التى ينقلون بها شخصية ظاهرية . ولكنهم يخسرون بإزاء ذلك سلامة حالاتهم النفسية التى يعتبرها من تلك القوى اضطرابات قد تصل إلى حد الانحلال الجزئى في الشخصية .

ولنا على هذا النوع من الاستحواز اللاشعورى . أو الإرادى الذى يقع فيه

الكائن تحت رحمة القوى الخارجية بدلاً من تسلطه عليها .

ملاحظة هامة : هى أن جاذبية هذا النوع يمكن أن تؤثر في هذه القوى ليس

فقط بواسطة أناس [وسطاء] كما تقدم ذكره ، ولكنه يحدث أيضاً بواسطة كائنات حية أخرى ، بل حتى بواسطة أشياء غير حية ، أو بواسطة أمكنة معينة تتركز فيها تلك القوى فتنتج بعض الظواهر الشاذة ، هذه الكائنات والأشياء إذا جاز لنا أن نستعمل اصطلاحاً يبره التشابه بقوانين القوى الطبيعية ، إنما نقوم مقام « الأجهزة المكلفة » ، وهذا التكييف قد يتم من تلقاء نفسه ، ومن جهة أخرى يستطيع الذين يعرفون قوانين هذه القوى اللطيفة أن يركزوها أيضاً بطرق خاصة وذلك بالاستعانة بمواد أو أشياء معينة طبيعتها توافق النتائج المرغوب في تحصيلها .

وعلى عكس ما تقدم يمكن هؤلاء أيضًا أن يحلوا تكاليف تلك القوى اللطيفة التي كونوها قصداً بأنفسهم أو بواسطة غيرهم . أو التي تكونت بذاتها من غير تدخل .

ولهذا التحليل لم يجهل الإنسان - في أى عصر من العصور - ما للأطراف المعدنية المدببة من منفعة في تحليل أو تفريق القوى المكثفة ، وفي هذا مشابهة شديدة بتفريق الظواهر الكهربائية ، وإنه ليحدث إذا ما لمس الإنسان بطرف معدني مدبب نفس النقطة التي يوجد منها ما يمكن أن يسمى « عقدة التكاليف » . فإنه يصدر عن ذلك شرار ، ولو أن هذا التكيف قام به ساحر - كما يحدث كثيراً - فإنه يجوز أن يخرج أو يقتل برد فعل الضربة مهما كان موضعه . ومثل هذه الظواهر شوهدت في كل زمان وفي كل مكان .

وعملينا التكيف والتحليل المشار إليهما لها نظائر في حالات تستخدم فيها قوى من نوع آخر كما في علم الكيمياء ، لأنها إنما ترجعان إلى قوانين كلية شاملة كانت معروفة في العلم القديم وخاصة في الشرق ، ولكنها مجهولة عند الحديدين بنائاً على ما يظهر ، وفي الفرجة التي تنحصر بين هذين الطرفين « التكيف والتحليل » يستطيع الشخص الذى يدبر هذه القوى اللطيفة أن يلبسها نوعاً من الشعور مما يجعل لها شخصية ظاهرة تخضع الذين يواجهون تلك القوى المكثفة فيظنون أنها أمامهم كانت حقيقة .

وإمكان تكيف تلك القوى اللطيفة في أشياء تختلف طابعها تمام الاختلاف ، ثم الحصول على نتائج ذات مظهر شاذ غير عادى من ذلك التكيف ، إنما يبط اللثام عن خطأ الرأى الذى يعتنقه المحدثون والذى يذهب إلى أن « الوسيط » لا بد أن يكون إنساناً . وينبغى أن تنبه هنا إلى أنه قبل الروحانية الحديثة كان استخدام الإنسان كمكتشف أمراً مقصوراً على أحط أنواع السحرة ، لا يحق تأريسط من

عاطر مهلكة من جراء ذلك الاستخدام . ونضيف إلى ما تقدم أنه بخلاف ما سبق من وسائل التكيف . توجد وسيلة أخرى مخالفة لها تماماً . لا تقوم على مبدأ تكيف القوى اللطيفة في كائنات أو أشياء خارجة عن الشخص الذى يقوم بهذا العمل . ولكنها تقوم على مبدأ تكيفها في نفسه . وذلك كما يستخدمها وفقاً لإرادته . وكما يوجد تحت تصرفه إمكان مستديم لإنتاج ظواهر معينة . واستعمال هذه الطريقة أمر مراعى في الهند على وجه الخصوص . ونحن بنا أن نشير هنا إلى أن هؤلاء الذين يتوفرون على الحصول على نتائج غير عادية بهذه الطريقة . أو غيرها مما سلف ذكره . ليسوا أهلاً لما يسبغه الناس عليهم من جدارة وتقوى . وإنما هم في الحقيقة أناس وقف نموهم الباطنى في درجة معينة - بسبب من الأسباب - فلم يستطيعوا أن يسيروا إلى أبعد منها . ففتح عن ذلك أنهم توفروا على بذل نشاطهم في أشياء من نوع أعلى .

على أن المعرفة التامة الدقيقة بتلك القوانين التى تسمح للإنسان بأن يتصرف في القوى اللطيفة إنما كانت على الدوام مقصورة على عدد يسير من الناس . وذلك لما ينتج من المضار إذا ما دأبت بين من لهم مقاصد سيئة . ويوجد في الصين كتاب منتشر جداً عن « القوى الساجنة » ولكنه لا يتناول غير تطبيق ضيق لتلك القوى على نشأة الأمراض وكيفية علاجها . وما عدا هذا ألا يكون في الحقيقة غير موضوع دراسة شغوية محضة . ومع ذلك فإن الذين يعرفون قوانين القوى الساجنة معرفة تامة . يكفون بتلك المعرفة ويذهبون تمام الزهد في تطبيقها واستخدامها عملياً . وهم يتكبرون على أنفسهم أن يثيروا أى ظاهرة من ظواهر تلك القوى بقصد إدهاش الناس أو بقصد إشباع نزعة حب الاستطلاع عندهم . وإذا نحن عليهم مع ذلك أن يحدثوا بعض الظواهر - لأسباب مريبة تماماً لا تقدم ذكره . لا بأس وفي ظروف خاصة - فإنهم يفعلون ذلك بوسائل مخالفة تماماً لا هو معروف . ويستعملون فيه

قوى من نوع آخر . ولو تشابهت النتائج الظاهرة .

وإذا وجد هناك تشابه بين القوى الحسية كالكهربية . وبين القوى اللطيفة أو النفسية . فإنه يوجد أيضاً مثل هذا التشابه بين هذه الأخيرة . وبين القوى الروحية التي يمكن - مثلاً - أن تتركز بدورها في أمكنة معينة . أو في أشياء معينة أيضاً . ويمكن أن تصدر نتائج تتشابه في الظاهر عن تلك القوى المتشابهة في طبيعتها وهذه المشابهات الظاهرية . هي مصدر الخلط والانخداع الكثيرين الذين لا يمكن أن يتعاشها الذين يتوفرون على تحقيق تلك الظواهر .

فالسحرة يمكنهم - ولو إلى حد محدود - أن يقلدوا بعض كرامات الأولياء . ومع هذا التشابه الظاهري في النتائج . فإنه ليس يوجد شيء مشترك بين مصادره المتشابهة فيما بينها تماماً .

وليس يدخل في موضوعنا هذا التكلم عن فعل هذه القوى الروحية . ولكننا مما تقدم نستطيع على أقل تقدير أن نستمد النتيجة المهمة . وهي : أن الظواهر بمفردها لا تقوم دليلاً . ولا تنهض حجة على شيء من الأشياء . وأنها لا نستطيع أن نبني صحة نظرية من النظريات أيًا كانت . إذ أن نفس الظواهر تجب أحياناً أن تفسر بصورة تختلف باختلاف الأحوال والظروف . وإنه ليندر ألا يوجد لظواهر معينة إلا تفسير واحد ممكن .

ونخلص من هذا كله إلى أن العلم الحقيقي لا يمكن أن يتكون إلا إذا بدأ من فوق . أعني من « مبادئ عالية » . نطبقها على الوقائع التي ليست في الحقيقة إلا نتائج لتلك المبادئ تقرب أو تبعد عنها . وهذا نقض ما يفعله العلم الغربي الحديث تماماً . ذلك العلم الذي يريد أن يبدأ من الوقائع ليستخرج منها تفسيراً شاملاً كما لو كان الأكثر يمكن أن يستخرج من الأقل . وكما لو كان الأوضح يتضمن الأرفع . وكما لو كانت المادية يمكن أن تكون معياراً للروح وحداً لها .

في الحضارة الرومانية لا يتصور أن إنساناً يزعم أنه صاحب فكرة معينة ابتدعها أو اخترعها . وإذا زعم ذلك شخص ، فإن هذا يكفي في إزالة الثقة بفكرته . لأنها تعد حينئذ مجرد خيال ؛ إذ أن الفكرة إذا كانت حقيقة ، فهي مشاع بين كل من هم أهل لفهمها . أما إذا كانت خطأ فإنه لا يفتخر أحد بأدعاء اختراعها . والفكرة الحقيقية لا يمكن أن تكون « جديدة » ؛ ذلك أن الحقيقة ليست نتاج العقل الإنساني . إنها موجودة مستقلة عنا ، ومهمتنا أن نعرفها ، أما إذا خرجنا عن دائرة هذه المهمة فإنه لا يمكن أن نخرح إلا الخطأ . ولكن أبحاث الحداثيون عن الحقيقة ، وهل يعلمون معنى هذه الكلمة ؟ إن الكلمات فقدت معانيها في هذا العصر الحديث ، فأصحاب مذهب « البرجائسم » المعاصرون يعرفون « الحقيقة » بأنها كل ما يصلح للإنسان إلى منفعة عملية . وهم في هذا يتعدون كل البعد عن النظام الروحاني .

إن الفلسفة الحديثة ، لأنها فردية شخصية ، قد وصل بها الأمر إلى إنكار البصيرة ، ووضع العقل فوق كل شيء . ولقد جعلت منه - وهو الملكة الإنسانية المحضة - الجزء الأسمى من القوة الداركة ؛ بل إنها ذهبت إلى أبعد من ذلك فقصرت القوة الداركة على العقل ؛ وهذا هو مذهب « العقلين » (١٠) والمؤسس الحقيقي له هو في الواقع ديكارت . وقصر القوة الداركة على العقل ليس إلا مرحلة أولى ؛ إذ أن العقل نفسه أخذ يتزلزلاً شيئاً فشيئاً عن صفته النظرية إلى أن حدد عمله بأنه على الخصوص الناحية العملية . وهذا التحديد كان ثابتاً لزيادة الاهتمام بالتطبيق العملي ، ذلك الاهتمام الذي يجعل الناحية العلمية النظرية في المرتبة

(١٠) Rationalisme مذهب فلسفي يرفض الوحي كمصدر للمعرفة ، ويزعم تفسير كل شيء

بواسطة العقل وحده .

بالارتقاء». وهذا المذهب هو الذى ينتهى إلى معارضة «المذهب العقلى» فى أنه أخذ على العقل أنه لا يمكنه أن يقوم بدوره قياماً صحيحاً فى دائرة التغير والضرورة والكثرة. إنه يعجز عن أن يجعل قواعده تخفى على التغيرات الحسية اللانهائية والتأرجحة. ومن هنا كانت الصورة الحديثة التى لبسها مذهب النشوء والارتقاء، أعنى مذهب «الحلوس» لبرجسون وهو مذهب فردى لا يتمتع مع الاتجاه الروحاني، مثله فى ذلك مثل «المذهب العقلى». وإذا كان صاحب مذهب الحلوس قد انتقد المذهب العقلى فإنه قد نزل إلى مرتبة دنيا حينما التجأ إلى ملكة أحقر من العقل هى الحدس الحسى الذى لم يحده برجسون تمام التحديد، والذى امتزج قليلاً أو كثيراً بالخيال وبالغريزة وبالعاطفة؛ وهكذا وصل بنا الأمر أننا لم نعد بصدد البحث عن «الحقيقة»، ولكن بصدد البحث عن «الواقع». بل «الواقع» المقصر على الدائرة الحسية مفهومة على أنها فى جوهرها متغيرة متأرجحة. بين هذه النظريات جردت القوة الداركة عن جميع أقسامها السامية، واقتصرت فيها على أدنى أجزائها؛ بل إن العقل نفسه لم تعد له من قيمة إلا فى الأعمال الصناعية. وبعد كل ذلك لم يعد إلا خطوة واحدة هى الإنكار المطلق لقيمة القوة الداركة، وللمعرفة ووضع «المنفعة» بدل «الحقيقة». وهذا هو مذهب «البرجماتسم»^(١٥). وهو مذهب لا يستشرف المعرفة الروحانية، ولا يتجه إلى السماء يستلهمها الرشد الحق، بل إنه لا يقف بنا عند حد المعرفة البشرية الإنسانية كالمذهب العقلى، إنه ينزل بنا إلى مرتبة أقل من المرتبة الإنسانية، مرتبة تستضيء «باللاشعور» الذى يجعله ولهم جيمس الوساطة إلى الاتصال بالألوهية. وفى هذا قلب للأوضاع الطبيعية.

(١٥) عقيدة تجعل القاعدة العملية مقياس الحقيقة، فالحقيقة فى هذا المذهب تطلق بكل بساطة على كل

ماله قاعدة عملية.

الثانية. على أن ديكارت نفسه كان فى الحقيقة معنياً بالتطبيق بالعلم البحث. وليس هذا كل شئ، فإن الفردية الشخضية بالضرورة إلى المذهب الطبيعى^(١١) لأن كل ما هو خارج متناول الفرد باعتباره فرداً. والمذهب الطبيعى وإنكار ما واحد. وإذا كانت الفلسفة الحديثة قد أنكرت البصيرة، للبحث فيما وراء الطبيعة. بيد أنه إذا كان بعض الأشخاص إقامة مذاهب «مزيفة» فيما وراء الطبيعة، فإن غيرهم قد إمكان ذلك؛ ومن هذه النظرة نشأ «النسيون»^(١٢) فى عقل ذلك «المذهب النقدي»^(١٣) لكانت، أو «الفلسفة الوضوئية»؛ وعما أن العقل نفسه نسبي، ولا يمكن أن يشرحه كذلك، فإنه من الواضح أن مذهب «النسبية» هو الذى العقل.

وبذلك يهدم المذهب العقلى نفسه؛ ذلك أن «الطبعيان فى الواقع شيئاً واحداً» ولذلك كان الطبيعى المنطوق فيلسوفاً من فلاسفة الصيرورة، ومثله الأعلى يتحقق

(١١) Naturalisme للمذهب الطبيعى، هو للمذهب الذى يزود كل شئ بالبداية الأولى.

(١٢) للمذهب النسبي Relativisme مذهب طلى يرى أن المعارف الإنسانية

(١٣) Criticisme مذهب طلى لكانت، يبحث فى الحدود التى يجب أن يتقيد دائرته التى خلق لها.

(١٤) Positivisme هو مذهب طلى أنسه أوجيست كونت، يزعم أن الإنسان إلا الحقائق التى تستمد عن طريق للملاحظة أو التجربة.

تلك هي خاتمة الفلسفة في العصر الحديث وهي خاتمة ما كان يمكن أن توجد في حضارة روحانية.

لا نريد أن نطيل في الحديث عن الفلسفة الحديثة فإنه يجب ألا نعطيلها من الأهمية أكثر مما ينبغي لها ؛ إنها من وجهة نظرنا لا تعدو أن تكون نصاً يعبر عن اتجاه البيئة في زمن معين . إنها تعبر عن اتجاه البيئة ولكنها لا تنشئها . وإنه لمن المؤكد أن الفلسفة الحديثة تنسب في أصولها إلى ديكارت ؛ ولكن تأثير ديكارت في عصره أولاً ، ثم فيما تلاه . ما كان يمكن أن يوجد لو لم تكن الآراء التي قال بها تتجارب مع اتجاهات سبقته وعاصرته . إن الروح الحديثة وجدت في الديكارتية مرآة تصورهما . فلما نظرت في المرآة تينت نفسها في وضوح أوضح . على أننا نجد في كل المبادئ أن الظواهر التي تشبه الديكارتية هي نتائج أكثر منها مبادئ مبتدعة . إنها ثمرة عمل موجود وإن كنا لا نشعر به في وضوح . وإذا كان ديكارت أوضح مثل للانحراف الحديث فإنه ليس المشلول عن ذلك وحده ؛ بل ليس أول مشلول عن ذلك .

٥- من جو الفلسفة إلى جو التصوف :

و اعرف نفسك بنفسك .. (١٦)

كثيراً ما نقال هذه الجملة - اعرف نفسك بنفسك - وكثيراً ما نجنى القصد . وبين هذا القول وذلك الغموض يعترضنا سؤالان :

أولهما : ما هو المصدر الأصل للجملة ؟

وثانيهما : ما مدلولها الحقيقي وما ترمى إليه من أغراض ؟

(١٦) جملة المروعة : ذو الحجة سنة ١٢٤٩ هـ ، مايو سنة ١٩٣٦ م .

قد نجيل لبعض القراء - عند أول وهلة - أن السؤالين مفترقان . لا رابطة ولا صلة تجمعهما . وعند تدقيق النظر والبحث والتحصيل : سيثبت هؤلاء أن السؤالين مرتبطان ببعضهما كل الارتباط .

إذا سألنا أغلب من درسوا الفلسفة اليونانية ؛ عن الإنسان الذي فاه بهذه الحكمة . لما تردد فريق منهم في الإجابة بأن القائل سقراط . في حين يقول فريق ثان أفلاطون .. ويقرر فريق ثالث بأنه فيثاغورث .

من هذا التضارب في الرأي . وذلك التباين في القول نستطيع الحكم بأن الجملة تقرأ في كتاب لأحدهم باعتباره مصدرها .

وقد يبدو حكماً هذا جائراً ، ولكنه في الحق حكم صحيح ، تثبت للقارئ صحته عندما يعلم أن اثنين من أولئك الفلاسفة - هما فيثاغورث وسقراط - لم يخلفا شيئاً مكتوباً أو منقوشاً . وأما ثالثهم أفلاطون فإن أحداً - بالغا ما بلغ من العلم بالفلسفة - لا يستطيع أن يميز على التحديد ، ما قاله أفلاطون نفسه . أو ما قاله بلسان أستاذه سقراط . الذي لم نعرف أكثر آرائه إلا بواسطة أفلاطون . وقد يكون أفلاطون استقى من مدرسة فيثاغورث بعض التعاليم التي بثها في محاوراته . كما استقى من سقراط نفسه .

من هذا نرى أن من الصعب جداً أن تحدد نسبة بعض العبارات إلى أحد الثلاثة ؛ فما ينسب لأفلاطون قد ينسب لسقراط في حين قد يكون سابقاً لوقت الاثنين معاً . فيكون صدر من المدرسة الفيثاغورية . إن لم يكن من فيثاغورث نفسه .

والحق هو أن المصدر الحقيقي لهذه الجملة لأقدم تاريخاً من أولئك الفلاسفة أنفسهم . بل لأكثر قديماً من تاريخ الفلسفة نفسها . وأكثر من هذا وذاك . إنها أسمى مجالاً من مجال الفلسفة ذاته .

هذه العبارة ، وجدت محفورة على باب هيكل « أبولون » في « دلفي » .
واتخذها سقراط كما اتخذها غيره قاعدة لتعاليمهم - وإن اختلفت التعاليم ، ونبات
المقاصد - ومن المحتمل جداً أن فيثاغورث استعملها قبل سقراط نفسه .

والذي نفهمه من هذا هو أن أولئك الفلاسفة حاولوا أن يظهروا لنا ، بل
أظهروا لنا بالفعل ، أن تعاليمهم لم تكن من تلقاء أنفسهم فحسب ، بل كانت من
مصدر أسمي ، ومنزلة أرفع ، يتناسبان مع مصدر الوحي ، ومنزلة الإلهام .

لهذا نراهم مختلفين جد الاختلاف عن الفلاسفة الحديثين ، الذين يحاولون جهد
طاقاتهم أن يقولوا شيئاً جديداً يدعون أنه من نبات أفكارهم الخاصة . وأن
ما يبدو من آراء وقف عليهم .. كأن الحقيقة ملك لشخص معين .

والآن لماذا كان يود الفلاسفة القدماء أن يربطوا تعاليمهم بهذه العبارة ؟
أو بعبارات تماثلها ؟ ولماذا يمكننا أن نقول : إن هذه العبارة أسمي منزلة من الفلسفة
نفسها ؟

للجواب عن الفقرة الأخيرة من هذا السؤال ، نقول : إنه منحصر في المعنى
الأصلي المقصود من اشتقاق كلمة الفلسفة نفسها .. التي قيل إن أول من استعملها
فيثاغورث .

فكلمة « فيلسوفيا » تعني تماماً « حب الحكمة » والميل للحصول عليها . وقد
استعملت لتدل دائماً على كل تحضير للحصول على الحكمة . وعلى الأخص لشخصها .
حيث تساعد على أن يصير « سوفوس » أي « حكيماً » وبما أن الوسيلة لا تؤخذ
على أنها غاية ، كذلك « حب الحكمة » ليس هو « الحكمة » بذاتها .

وبما أن الحكمة هي بذاتها المعرفة الحقيقية الباطنة ، فإنه يمكن القول بأن المعرفة
الفلسفية ، إن هي إلا المعرفة السطحية الخارجية ، فليس لها قيمة في نفسها ، أو من

نفسها . وما هي إلا درجة أولية . في الطريق المؤدية للمعرفة السامية الحقة التي هي
الحكمة .

معروف لمن درسوا الفلسفة . أن معظم الفلاسفة القدماء ، كان لهم في
مدارسهم ، نوعان من التعليم : خارجي ، وداخلي .

أما الأول : فهو ما كان مكتوباً ، وأما الثاني : فيصعب علينا معرفة طبيعته على
التحقيق . وذلك لقصوره على القليلين أولاً ، ولصعته السرية ثانياً . وهذه الصيغة
وتلك القلة دليلان على وجود غرض أسمي من تعلم الفلسفة الذي لا يستطيع
تأديته . على أننا نعتقد أن لهذا التعليم السري أقوى صلة مباشرة بالحكمة ذاتها ،
والذي ما كان عماده - في حال ما - العقل أو الاستدلال المنطقي : كالفلسفة التي
تعتمد عليها . وبها سميت المعرفة العقلية .

وسلم من الفلاسفة القدماء بأن المعرفة العقلية - أي الفلسفة - ليست هي
المعرفة العليا الحقة ، وبعبارة أخرى : ليست هي الحكمة ذاتها .

لكن . هل يمكن أن نعلم الحكمة كما نعلم المعرفة الخارجية بواسطة التلقين
أو الكتب ؟ هذا مستحيل كل الاستحالة . وسرى سبب ذلك والذي يمكننا أن
نقره هو أن التحضير الفلسفي ما كان ليكن مطلقاً . لأنه لا يختص إلا بقوى محدودة
هي نفسها العاقلة . في حين يستمد التحضير للحكمة من الكون الكلي للإنسان
نفسه .

وإذن فهناك تحضير آخر للحكمة أسمي منزلة من التحضير الفلسفي . لا يلجأ فيه
إلى العقل . بل إلى النفس والروح . وهذا ما نستطيع تسميته بالتحضير الباطني ،
الذي عرف أنه من الصفات التي امتاز بها تلاميذ الفيثاغورية الممتازون . والذي ظل
حتى مدرسة أفلاطون . بل حتى وصل إلى الأفلاطونية الحديثة بمدرسة

الإسكندرية . التي ظهر فيها ذلك التحضير بوضوح تام . كما ظهر جلياً في نفس الوقت عند أتباع الفيثاغورية الحديثة .

مثل هذا التحضير الباطني . تستعمل الكلمات على أنها صور رمزية لإحدى الوسائل التي تساعد على تركيز التأمل الباطني . وبهذا التأمل ينقل الإنسان إلى بعض حالات نفسية . وروحية يمكنه فيها أن يسمو فوق درجة المعرفة العقلية . التي وصل إليها سابقاً . وبما أن هذه فوق مستوى العقل فإنها - منطقياً - فوق مستوى الفلسفة . إذ يستحيل علينا أن نعطي الفلسفة غير المعنى المعروف عنها . فهي دائماً لتعيين ما يبحثه العقل فحسب .

ومن الغرابة أن الفلاسفة الحديثين كثيراً ما يقيدون الفلسفة بهذا القيد كأنها كاملة في نفسها . وغاب عن أذهانهم أن فوق فلسفتهم ما هو أسمى بكثير .

وقد عُرف هذا النوع من التعليم الباطني في الأفقار الشرقية قبل أن يعرف في اليونان . حيث كان معروفاً عند الأخيرين باسم « ميستيريا » أي [الماساير]^(١٧) وقد أدخل أولئك الفلاسفة - وخاصة فيثاغورث - تلك الميستيريات في تعاليمهم لأنها كانت بالنسبة إليهم نوعاً جديداً . ومعنى حديثاً للآراء القديمة . فقد كان يوجد أنواع كثيرة من تلك الميستيريات لها مصادر مختلفة . ولكن التي أهمها فيثاغورث وأفلاطون كان لها صلة بطقوس معبد [أبولون] .

وقد احتفظت الميستيريات دائماً بصيغة سرية . ولذلك صار اسمها مرادفاً للسر . فالعنى الأصلي لتلك الكلمة هو الصمت التام . فكل الأشياء التي تتصل بالميستيريات غير قابلة للتفسير بواسطة الكلمات . وبهذا لم يكن لها من طريق التعليم غير

(١٧) لم نعثر على ترجمة دقيقة تؤدي المقصود من كلمة (ميستيريا) وقد راجعنا الأستاذ فريدريك وحدي في هذا فصر عنها بكلمة (الماساير) وكما نرى أنها قد تكون الغيبات أو الرموز ، أو الحفاية .. فمثل أحد حضرات القراء يجد لها معنى أدق .

طريقة الصمت . وجاء الفلاسفة الحديثون فلم يعرف أكثرهم تلك الطريقة ، فهربوا خلف استعمال الكلمات التي ندعوها من طريق التعليم الخارجي .

ويمكننا أن نتأكد أن هذا التعليم الصامت كانت طريقته الأشكال والرموز ورسائل أخرى . يراد منها تهيئة الإنسان لحالات باطنية يمكنه فيها - بعد خطوات متتابعة - أن يصل أخيراً إلى المعرفة الحقيقية ، وهذا هو الغرض الأساسي العام من « الميستيريات » وما يشابهها غرضاً . أما « الميستيريات » التي تتصل بطقوس [أبولون] أو [أبولون] نفسه ، فإنه ينبغي أن نشرح للقراء بأنه كان معروفاً في عرفهم بأنه رب الشمس والنور ، والمعنى الروحي للنور وهو المبدأ المشرق الذي منه تنبعث كل المعارف من علوم وفنون .

وقد قيل إن الطقوس الدينية لمعبد « أبولون » جاءت من الأفقار الشمالية ، وقد ثبت هذا في الكتب المقدسة « كالفيديا » الهندي . و « الأفنشا » الفارسي . وقد كانت دلتى معروفة بأنها المركز العام . وقد وجد في هيكلها حجر يسمى « أومفالوس » يرمز إليه بأنه مركز العالم .

يظهر أن تاريخ فيثاغورث . بل اسم فيثاغورث نفسه له صلة وثيقة بالطقوس الدينية لأبولون . فقد كان يسمى « بيثيوس » . وقد قيل إن « بيثو » هو الاسم القديم لدلتى . وإن المرأة التي كانت تتلقى وحى الآلهة في الهيكل كانت تسمى « بيثيا » ومعنى « بيثيا جوراي » هو دلتى « بيثيا » . ودليل بيثيا هو نفسه . وقيل أيضاً إن البيثيا هي التي أعلنت أن سقراط أحكم الرجال . ومن هنا نستطيع أن نفترض أن لسقراط اتصالاً خاصاً بالمركز الروحي في دلتى كفيثاغورث أيضاً . أضف إلى ذلك أن كل العلوم كانت تنسب إلى أبولون . وبخاصة الهندسة والطب . وقد كان أبولون يمثل نفسه كأنه يمارس هذه العلوم عامة والهندسة منها بوجه خاص . وفي مدرسة فيثاغورث كانت الهندسة وسائر فروع الرياضة هي الجزء

ثبوتية . وهي التي
الحصول عليها
والتعليم الذي
لذلك قال
تجاربه وما يحيط به
وهذا التيقظ الهام
معرفة فالأخرى أن
الحصول على تلك
غير كافية . حتى أنها
عدة درجات نحو
الشائع في الهند أن
ينبغي البحث عنه في
في البداية . وذلك
أن يجده في العالم
فإنه يحتاج إلى تحقيق
موز إليه بأنه القلب .
الحصول على المعرفة
[كانت درجات في
دلتى حجر يسمى
الوقت مركز العالم .
« أبى الإنسان . ولذا

حجر

العام في التحضير للمعرفة العليا . وعند هذه المعرفة لم يكن لتلك العلوم شأن
جانباً . بل كانت تستعمل كرموز للحقيقة الروحية . وقد كانت الهندسة لدى
أفلاطون تحضيراً ضرورياً لكل فرع من فروع تعاليمه . حتى صح عند قوله الذى
حفره على مدخل مدرسته « لا يدخله إلا عالم بالهندسة » . ويظهر معنى هذه
الكلمات جلياً إذا قورنت بقول آخر لأفلاطون نفسه « الإله يصنع الهندسة دائماً ،
وهنا يجب أن نذكر أن المقصود بالإله المهندس هو أبولون .
وإذاً فيجب ألا ندهش إذا ما رأينا الفلاسفة القدماء استعملوا تلك الجملة
المحفورة على مدخل هيكل دلتى . بعد أن عرفنا صلة الاتصال بينهم وبين طقوس
أبولون ورموزه .
من كل ما تقدم يمكننا أن ندرك بسهولة ما الغرض الحقيقي لهذه الجملة .
ويمكننا أيضاً أن ندرك أخطاء الفلاسفة الحديثين فيها . وأساس خطيئهم هذا ناشئ
من أنهم أخذوا الجملة باعتبارها صادرة من أحد الفلاسفة الذى كثيراً ما ينسبون
إليه فكرة كفكرتهم : مع أن الحقيقة هي أن الفكرة القديمة كثيراً ما تختلف عن
الفكرة الحديثة كل الاختلاف . ولذا يعطى كثير منهم لهذه الجملة معنى سيكونونجياً
« علم النفس » . مع أن علم النفس هو دراسة الظواهر العقلية فحسب . أى دراسة
الوصف الخارجى - لا الذاتى - للكائن الحى . ويرى بعض الحديثين - وخصوصاً
الذين ينسبونها إلى سقراط - أنها وضعت لغرض خطئ . هو البحث عن قانون
داخلى لاستعماله فى الحياة العملية . وكل هذا التفسيرات الظاهرة - ولو أنها
أحياناً لا تكون باطلة - فإنها على الأقل لا تكفى تماماً . ولا تحقق الصفة المقدسة
التي كانت لهذه الجملة فى أول الأمر . وهي التي لها معنى أعمق كثيراً من هذه
التفسيرات الظاهرة .

فإنها ألا تفيد أن التعا
يعدّها الإنسان في نفسه
إلا بالإدراك الشخصى .
لا يوقظ ليس يتلقاه ما
أفلاطون : إن كل ما يتم
من الخارج ما هي إلا أس
يسمى « أنامينيس » أى
يكون أصبح بالنسبة للمد
المعرفة فإن كل الوسائل
أخيراً تكون عديمة القان
الحكمة فإنه لا يمكن
« الجورو » الحقيقى أى
العالم الخارجى . أما
لتجهيزه ليصير قادراً
الخارجى . وخصوصاً
حالات تتعمق دائماً
وعنده ينبغي انتقال
الحقيقية . وهذه الحما
الانتقال من العقل
« الأومفالوس » يمثل
وذلك للصلة التي
تجد أن كل ما فى

قال ابن سينا :

وتحسب أنك جرم صغير وفيك انطوى العالم الأكبر

ومما يدعو إلى التسلية حقاً هذا الاعتقاد الذى سار قديماً بأن « الأومفالوس » كان قد سقط فى السماء . وإليك لتدرك شدة اعتقاد اليونان القدماء فى هذا الحجر إذا علمت أنه يقرب من اعتقادنا فى الحجر الأسود الذى فى الكعبة المقدسة . وهذا التشابه الذى بين العالم الأكبر والعالم الأصغر [الإنسان] هو الذى لا يتعمل من أحدهما صورة للآخر . وهذا الاتصال بين العناصر التى تحتويها كلاهما يبين لنا أن الإنسان يجب أن يعرف نفسه أولاً لكي يمكنه أن يعرف كل ما حوله . لأنه يمكنه أن يجد كل شيء فى نفسه ولهذا السبب نجد أن لبعض العلوم - وخاصة تلك التى كانت جزءاً من المعرفة القديمة . والتى أصبحت غير معروفة تقريباً عند الحديثين - معينين :

ففى الشهود العينية تشير هذه العلوم إلى « العالم الأكبر » فنعتبر صحيحة من هذه الوجهة ، كما يوجد لها فى نفس الوقت معنى أكثر عمقاً ، وهو يشير إلى الإنسان وإلى الطريق الباطنى الذى بواسطته يمكنه إدراك المعرفة الحقيقية فى نفسه ، أى : إدراك كائنه الخاص ، وقد قال أرسطو فى ذلك : « الكائن هو كل من يعرف ماهيته » ولذلك حيث توجد المعرفة الحقيقية - لا ظواهرها ولا شبحها - تندمج المعرفة والكون ويصيران شيئاً واحداً .

والشيخ فسرهُ أفلاطون بأنه كان معرفة بالحس . حتى المعرفة العقلية . فإنها برغم أنها تتكون من درجة أعلى من مصدرها فإن مصدرها الأول هو الحس . والمعرفة الحقيقية هى فوق مستوى العقل . ولهذا نرى أن تحقيقها أو تحقيق ماهية الكائن نفسه يشابه أويطابق تكوين العالم كما ذكرنا سابقاً . ولذا فإن بعض العلوم

تت ظواهر هذا التكوين قد استعملت « الغيبات » القديمة على هذا المعنى تسمى . كما وجد أيضاً فى كل أنواع التعاليم التى كانت ترمى إلى نفس الغرض بين الأمم الشرقية . وفى الغرب يظهر أن مثل هذه التعاليم وجدت فى زمن القرون الوسطى . ولو أنها فقدت الآن تماماً . لدرجة أن غالبية الغربيين ليس عندهم أقل فكرة عن طبيعتها أو وجودها أو مكانها .

مما سبق ترى أن المعرفة الحقيقية ليس طريقها العقل . بل طريقها النفس والروح . ويمكن أن نضيف إليهما الكائن الكلى . لأنها ما هى إلا الإدراك الكلى فذا الكائن فى كل حالاته . وهذا هو نهاية وكمال المعرفة . والحصول على الحكمة السامية . وحقيقة كل ما يختص بالنفس وما يختص بالروح أيضاً . يظهر فقط الدرجات فى هذه الطريق إلى الجوهر الباطنى : أى النفس الحقيقية .

وهذا يمكن إدراكه فقط عندما يصل الكائن إلى مركزه الخاص : متحدة كل أجزاء فزاده ومركزه فى نقطة واحدة . عندها تظهر له كل الأشياء تحتويها جميعها تلك النقطة كما كانت فى مبدئها الأول . وهذا يمكن أن يعرف كل الأشياء كما هى فى نفسه ومن نفسه . كما يظهر الوجود الكلى الأوحى فى وحدة جوهر الفرد . ومن السهل أن نرى الفرق بين هذا . وبين علم النفس فى المعنى الحديث : فإن الأول يسمو على الثانى بمعرفة للنفس أصح وأعمق . والثانى ما هو إلا خطوة أولى فى الطريق . ويجب أن نلاحظ أن المعنى لا ينبغى أن يقصر على النفس . لأن كلمة « النفس » مستعملة فى اللغة العربية بما يطاقها فى اليونانية « بسيخي » لا يظهر معناها إلا فى الجملة الأصلية التى تبحثها . فى مثل هذه الحالة لا يمكن أن يسرى لهذه الكلمة المعنى الدارج . بل لابد أن يكون لها معنى أكثر سموً يجعلها مطابقة لكلمة « ذات » ويعملها تطابق النفس الحقيقية . ولدينا ما يثبت هذا المعنى فى

لم أن هذه المعرفة هي التي تغطي الشريعة معناها السامي العميق ، بل هي التي تبرز وجود الشريعة إنها في الحقيقة - وإن لم يشعر بذلك المؤمنون - المركز

أساسي ، مثلها في ذلك مثل مركز الدائرة بالنسبة لمحيطها .

يبد أن « الباطن » لا يعني فقط الحقيقة . وإنما يعني كذلك السبل الموصلة إليها . أعني الطرق التي تقود الإنسان من الشريعة إلى الحقيقة .

وإذا رجعنا إلى الصورة الرمزية . الدائرة ومركزها ، قلنا : إن الطريقة هي لخطب الداهب من محيط الدائرة إلى المركز . وكل نقطة على محيط الدائرة هي مبدأ لخطب وهذه الخطوط التي لا تحصى . تنتهي - كلها - إلى المركز .

إنها « الطرق » وهي طرق تختلف تبعاً لاختلاف الطبائع البشرية . ولهذا يقال : « الطرق إلى الله كثفوس بني آدم » .

ومهما اختلفت فاختدفت واحد . لأنه لا يوجد إلا مركز واحد . وبالحقيقة واحدة . على أن هذه الاختلافات الموجودة في المبدأ تزول شيئاً فشيئاً مع زوال الآية . وذلك حينما يصل السالك إلى درجات عليا تزول فيها « صفات العبد » التي ليست إلا سحناً : « الفناء » . فلا تبقى إلا الصفات الربانية وقد تحققت « الذات » بها : « البقاء » .

والطريقة والحقيقة مجتمعتان يطلق عليهما : التصوف . وهو ليس مذهباً خاصاً ، لأنه الحقيقة المطلقة . وليست الطرق مدارس مختلفة ؛ لأنها طرق ، أي

= تصريف الحق ، فالشريعة أن تعبد ، والحقيقة أن تشهد ، والشريعة قيام بما أمر ، والحقيقة شهود لا قضى وتلقى وأظهر .

سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق رحمه الله يقول في قوله : إياك تعبد لحفظ للشريعة ، وإياك نستعين بقرار بالحقيقة . وأعلم أن الشريعة حقيقة من حيث إنها وجبت بأمر . والحقيقة أيضاً شريعة من حيث إن المعارف به سبحانه أيضاً وجبت بأمر . « عن الرسالة القشيرية » .

الحديث الشريف الذي يطابق الجملة اليونانية هو « مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ فَقَدْ عَرَفَ رَبَّهُ » .

فبغنى يعرف الإنسان نفسه ، ويعرفها حقاً في جوهره الباطني . أي في مركز كائنه ؛ عندئذ يعرف ربه . فإذا عرف ربه عرف كل الأشياء التي منه تصدر وإليه ترجع . يعرف كل الأشياء في الوحدة السامية للمبدأ الإلهي الذي لا شيء . خارج عنه على الإطلاق . وهذا معنى ما قاله سيدى محيى الدين بن عربي من أن لا شيء ، يخلو من اللامحدود .

٦ - التصوف الإسلامي هو الوسيلة الصادقة للمعرفة الحقة :

ربما كانت العقيدة الإسلامية . من بين العقائد الموحدة (١٨) . هي القيدة التي يظهر فيها بوضوح التفرقة بين جزأين متكاملين هما : « الظاهر » و « الباطن » . أعني « الشريعة » . وهي الباب الذي يدخل منه الجميع . و « الحقيقة » ولا يصل إليها إلا المصطفون الأخيار وهذه التفرقة ليست تخمكية . وإنما تفرسها طبيعة الأشياء . ذلك أن استعداد الناس متفاوت ، وبعضهم معد بقطارته لمعرفة الحقيقة .

وكثيراً ما نجدهم يشيرون الشريعة والحقيقة بالتشتر واللب . أوبالدائرة ومركزها . والشريعة تتضمن فضلاً عن الناحية الاعتقادية - الناحية التشريعية والناحية الاجتماعية . وهما جزآن لا يتجزآن عن الدين الإسلامي . إنها أولاً وقبل كل شيء ، قاعدة للسلوك . أما الحقيقة (١٩) فإنها معرفة محضة . ولكن يجب أن

(١٨) ترجمنا هذا المقال عن مقالات باللغة الفرنسية لشيوخ عبد الواحد بن يحيى . وحاولنا استكناه واستنساخ بالتطبيقات الكثيرة التي اقتطعناها من كتب أئمة التوف الإسلامي .

(١٩) الشريعة أمر بالتزام العبودية . والحقيقة ، ناهضة الربوبية . فكل شريعة غير مؤيدة بالحقيقة فغير مقبولة ، بل عديمة غير مقبولة بالشريعة فغير محسوبة . فالشريعة جاءت بتكليف الخلق ، والحقيقة إياه عن -

لنعكس تكون جزءاً جوهرياً من الدين (٢١) . إذ أن الدين بدونها يكون ناقصاً ؛ لـ يكون ناقصاً من جهته السامية أعني جهة المركز الأساسي . لذلك كانت فروضاً بخصة تلك التي تذهب بالصوفية إلى أصل أجنبي : يوناني ، أو هندي فارسي ، بمعنى معارضة بالمصطلحات الصوفية نفسها . تلك المصطلحات التي ترتبط باللغة عبرية ارتباطاً وثيقاً . وإذا كان هناك من تشابه بين الصوفية وبين ما يمثّلها في نباتات الأخرى فتفسير هذا طبيعي لا يحتاج إلى فرض الاستعارة . وذلك أنه مادامت الحقيقة واحدة فإن كل العقائد السنية تتحد في جوهرها وإن اختلفت فيما لبسه من صور .

ويجب ألا نعطي عناية كبيرة - حينما نتحدث عن أصل التصوف - لتلك المناقشات التي لا تنتهي بين مؤرخي التصوف خاصة لتحديد الفترة الزمنية التي وجدت فيها لفظة صوفي .

فإن الشيء قد يوجد قبل اسمه الخاص . سواء وجد تحت اسم آخر أو وجد ولم تكن هناك الحاجة لتسميته (٢٢) . وعلى كل حال ففصل الحق في مسألة أصل

(٢١) قال الأستاذ ماسينيون في دائرة المعارف الإسلامية ، الترجمة العربية ، مادة (تصوف) : أما دراسة مصادر التصوف فإن الشقة بينا وبين استكمالها مازالت بعيدة ، وقد حار علماء الإسلاميات الأول في تحليل ذلك الخلاف الكبير في العقيدة بين مذهب الوحدة الحالي ومذهب أهل السنة الصحيح ، فذهبوا إلى أن التصوف مذهب دخل في الإسلام مأخوذاً ، إما من رهبانية الشام (وهو رأي ماركس) ، وإما من أفلاطونية اليونان الجديدة ، وإما من زرادشتية الفرس ، وإما من فيدا الهند (وهو رأي جونس) وقد بين (نيكولسون) أن إطلاق الحكم بأن التصوف دخل في الإسلام غير مقبول ، فالحق أننا نلاحظ منذ ظهور الإسلام أن الأبطال التي اقتصرت بها متصوفة المسلمين نشأت في قلب الجماعة الإسلامية نفسها في أثناء عكوف المسلمين على تلاوة القرآن والحديث وتفرّجها ، وتأثرت بما أصاب هذه الجماعة من أحداث ، وماحل بالأفراد من نوازل ، على أنه إذا كانت مادة التصوف إسلامية عربية خالصة فما لا يخلو من فائدة أن نتعرف على المحسنات الأجنبية التي أدخلت عليه وتمت في كنفه .

(٢٢) اشتهر هذا الاسم قبل اللاتين من الهجرة ، فهو اسم أحدث بعد عهد الصحابة والتابعين

(ابن خلدون)

سبل موصلة جميعها إلى الحقيقة المطلقة : « التوحيد واحد » .
ويجب أن يلاحظ أنه لا يمكن لأحد أن يطلق على نفسه أنه صوفي . اللهم إلا إذا كان ذلك منه جهلاً محضاً ؛ لأنه بذلك يبرهن على أنه حقيقة ليس بصوفي . وذلك أن هذه الصفة « سر » بين الصوفي الحقيقي وبين ربه . ويمكن أن يقول الإنسان عن نفسه إنه متصوف ، وهو عنوان يطلق على « السالك » في أي مرحلة كان . ولكن الصوفي بمعناه الحقيقي لا يطلق إلا على من بلغ الدرجة العليا . أما أصل هذه الكلمة : صوفي (٢٠) . فقد اختلف فيه اختلافاً كبيراً . ووضعت فروض متعددة . وليس بعضها بأولى من بعض . وكلها غير مقبولة . إنها في الحقيقة تسمية « رمزية » ، وإذا أردنا تفسيرها ينبغي لنا أن نرجع إلى القيمة العديدة لحروفها ، وإن لمن الرائع أن نلاحظ أن القيمة العديدة لحروف « صوفي » تماثل القيمة العديدة لحروف « الحكمة الإلهية » ، فيكون الصوفي الحقيقي هو الرجل الذي وصل إلى الحكمة الإلهية ، إنه « العارف بالله » ، إذ أن الله لا يعرف إلا به ، وتلك هي الدرجة العظمى « الكلية » فيما يتعلق بمعرفة الحقيقة .

من كل ما سبق يمكننا أن نستنتج أن الصوفية ليست شيئاً أضيف إلى الدين الإسلامي ، إنها ليست شيئاً أتى من الخارج فالصق بالإسلام ؛ وإنما هي ،

(٢٠) هذه التسمية غلبت على هذه الطائفة فيقال : رجل صوفي وللجماعة صوفية ومن يتوصل إلى ذلك يقال له متصوف وللجماعة المتصوفة . وليس يشهد لهذا الاسم من حيث العربية قياس ولا اشتقاق والأظهر فيه أنه كاللقب . فاما قول من قال : إنه من الصوف وتصوف إذا ليس الصوف . كما يقال تعمص إذا لميس القميص . فذلك وجه ، ولكن القوم لم يختصوا بلبس الصوف . ومن قال أنهم منسوبون إلى صفة مسجد رسول الله ﷺ . فالنسبة إلى الصفة لا تأتي . على نحو الصوفي . ومن قال : إنه من الصفاء فاشتقاق الصوف من الصفاء بعيد في مقتضى اللغة . وقول من قال : إنه مشتق من الصف . فكأنهم في الصف الأول بقلوبهم من حيث الحاضرة من الله تعالى فالملحق صحيح . ولكن اللغة لا تقضي هذه النسبة إلى الصف . ثم إن هذه الطائفة اشتهر من أن يحتاج في تسميتهم إلى قياس لفظ واستحقاق اشتقاق . « عن الرسالة القشيرية » .

التصوف هو ما يأتي : إن السنة ترشد في صراحة لابس فيها إلى أن الشريعة والحقيقة كليهما ينبعان مباشرة من تعليلات الرسول صلوات الله عليه . والواقع أن كل طريقة صحيحة تعتمد على « سلسلة » تصل دائماً إلى الرسول . وإذا كانت بعض الطرق ، فيما بعد . « استعارت » أو بتعبير أصح « تبنت » بعض التفاصيل في الطريق [وإن كان التشابه هنا أيضاً يمكن أن يعزى إلى التماثل في المعارف وعلى الخصوص فيما يتعلق « بعلم المقاطع والأوزان » في مختلف فروعها] فإن أهمية ذلك لا تعدو أن تكون أهمية ثانوية لا تحسم الجوهر من قرب أو من بعد . والحق أن التصوف عربي إسلامي . كما أن القرآن - الذي يستمد التصوف أصوله منه

= ويقول بعض العلماء : إن هذا الاسم معروف في اللغة الإسلامية من قبل ذلك بل يذهب بعضهم إلى أنه لفظ جاهل عرفته العرب قبل ظهور الإسلام . قال أبو نصر عبد الله بن علي السراج الطوسي المتوفى سنة ٣٧٨ هـ (٩٨٨ م) في كتاب « الجمع » في التصوف : « وأما قول القائل إنه اسم محدث أحدثه البنداديون فمغال ، لأنه في وقت الحسن البصري كان يعرف هذا الاسم وكان الحسن قد أدرك سريرة من أصحاب رسول الله ﷺ ورضي عنهم . وقد روى عنه أنه قال : (رأيت صوتياً في الطواف فأعده : شيئاً لم يأخذه وقال معي أربعة دوانيق فيكتفي ما معي) .

وروى عن سفيان الثوري رحمه الله أنه قال : لولا أبو هاشم الصوفي ما عرفت دقيق الرباء . وقد ذكر في الكتاب الذي جمع أخبار مكة عن محمد بن إسحاق بن يسار وعن غيره يذكر فيه حديثاً : « إن قبل الإسلام قد غلبت مكة في وقت من الأوقات حتى كان لا يطوف بالبيت أحد . وكان يحيى من بلد بعيد رحل صول فيطوف بالبيت وينصرف . فلان صبح ذلك يدل على أن قبل الإسلام كان يعرف هذا الاسم . وكان يسب إلى أهل الفضل والصلاح والله أعلم » .

ويعقب المرحوم الشيخ مصطفى عبد الرازقي على ذلك فيقول :
فانتمسك لفظ صوفي وتصوف لم ينشر في الإسلام إلا في القرن الثاني وما بعده . سواء أكان هذا التعبير عن الواحد « بالصوفي » حدث في أثناء المائة الثانية كما هو رأي ابن خلدون المتوفى عام ٨٠٦ هـ (١٤٠٦) في مقدمته . أم كان لفظاً جاهلياً على ما ذكره صاحب « الجمع » الذي يحاول أن يبرئ الصوفية من التخالص . استناد لم يعرفه الصحابة ولا التابعون .

« عن دائرة المعارف الإسلامية : الترجمة العربية » .

بإشارة - عربي إسلامي
لا يوجد قبل أن يفهم
هي في الواقع معناه
ولكن تفسيره صافياً
مصدر الشريعة والحل
لاختلاف ومصدرهم
الشريعة في أساسها

٧ - التصوف العام

على أنه يجب
عند الغربيين - لا
النوع الذي يطلق
تضمنها ما سبق
١ - يبدو و
على ضلال . ذ
الأوساط التي لا
ولا شك في
بتمثل في استعمال
لأن الفروق -
بالمسيحية إذن
٢ - ثم إنه
أن يكون المعر

برآن . فن الطبيعي
يبيع « الحقائق » التي
منطقيًا . وكلاميًا .
وإذا كان القرآن
ن ما . وكيف يوجد
حقيقة لا تقوم إلا على

للفكرة الشائعة حاليًا
مسيحي . أعني ذلك
فإنها سهلة الفهم وقد

بحية . وإنه لنشبه قائم
بماثل « البستيم » في

التشابه الخارجي الذي
دعوى التشابه : وذلك
فالمستبسم خاص

هدفه بعيد كل البعد عن
ذلك .

ثم إن الشريعة والحقيقة متصلتان اتصالاً يجعل منهما مظهرين لشيء واحد ، أحدهما خارجي والآخر داخلي ، أو أحدهما ظاهر والآخر باطن .

لذلك كان ما يوجد في الغرب الآن . من جماعات تدعى أنها على النهج الصوفي . وهي مع ذلك لا تركز على أية شريعة إلهية . مجرد خداع . ومن البديهي أن هذه الجماعات - ومن وجهة النظر الصوفية الصحيحة - ليست على شيء .

ولشرح الأشياء بأبسط الطرق نقول :

إن الإنسان لا يشيد القصر في الهواء . إنه لا يشيده على غير أساس . وكل فكرة لا تركز على أساس من السنة الصحيحة إنما هي بناء في الهواء . إنها بناء على غير أساس . والبناء الذي يمكن أن يبقى على الدهر لا بدله من أساس مدعم . وعلى الأساس يرتكز البناء كله . حتى الأجزاء العليا منه . والارتكاز على الأساس يستمر حتى بعد انتهاء البناء .

وعلى هذا النمط تكون النسبة بين الشريعة والتصوف . فالشريعة الصحيحة هي الأساس الذي لا بد منه لكل سالك . وكالأساس تماماً . لا يمكن طرح الشريعة بعد سلوك الطريق .

بل نقول أكثر من ذلك : إنه كلما سار التصوف في طريقه واستغرق فيه . بدت له ضرورة الشريعة واستنارت معرفته بها . وأصبح فهمه لها أكثر عمقاً وأكثر دراية بحقيقتها من هؤلاء الذين درسوها وآمنوا بها بدون أن يضرخوا بسهم في الميدان الصوفي . ذلك أنهم لا يرون من الشريعة إلا مظهرها الخارجي . ولكن الصوفي يعيش في جوها الروحي . ونجهاها . إذا أمكن هذا التعبير .

على أن هذا الذي لا يعتق شريعة صحيحة ولا يلتزمها ، لا يمكن أن يحيا إلا

حياة دنيوية بحتة . فلا يمكن أن يطلق عليه رجل دين . فضلاً عن أن يطلق عليه وصف الصوفي .

على أن الغربيين الذين يجعلون الدين بمعزل عن نشاطهم اليومي . كما هو شأن لأكثرية الساحقة منهم . لا يمكن أن يوصفوا بأنهم متدينون . وإن آمنوا بعبسي وأدوا الشعائر الكنسية .

وإذا كان لا يقبل من رجل الدين أن يعلن تدينه بدون أن يجعل للشريعة سيطرة على قياده . فإنه لا يقبل من باب أولى من رجل التصوف أن يزعم انتسابه إلى الصوفية دون أن تسيطر شعائر الدين والتزاماته على حياته .

وهناك ، لا شك ، نوعان من الحياة : حياة دينية ، وحياة دنيوية ، ومع ذلك فالفرق بينهما إنما هو من جهة ما تصطبغ به فكرة الإنسان عن الأعمال التي يؤديها .

أريد أن أقول : إن الأعمال في نفسها لا توصف بأنها دينية أو دنيوية . وإنما يتأني لها أحد الوصفين بسبب سيطرة الفكرة الدينية عند القائم بهذه الأعمال أو عدم سيطرتها . وقد يكون العمل واحداً في نوعه ويؤديه شخصان ، فيوصف عند أحدهما بأنه ديني ، وعند الآخر بأنه دنيوي . فإن كان القصد « الله » فالعمل ديني ، وإن كان القصد شيئاً آخر فالعمل دنيوي ، والحديث الشريف يوضح هذه الفكرة كل التوضيح : « إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى » ، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها ، فهجرته إلى ما هاجر إليه .

ومن البديهي أن الحديث في أوله عام بالنسبة لكل الأعمال . وإن مسألة الفجرة فيه تطبيق جزئي لقضية عامة .

وفي العصور القديمة لم يكن هناك تفرقة بين دين ودنيا . بل لم يكن هناك مجرد

على الطريقة المدرسية بل إن ما كتبه كبار مشايخ الصوفية أنفسهم لا يستخدمه إلا كحافز مقو للتأمل ، والإنسان لا يصير بمجرد قراءته متصوفاً ، على أن ما كتبه كبار الصوفية لا يفهمه إلا من كان أهلاً لفهمه . ولأجل أن يسير الإنسان في طريق التصوف لابد له من :

- ١ - استعداد فطري خاص (٢٧) لا يفتي عنه اجتهاد أو كسب .
- ٢ - الانتساب إلى « سلسلة » صحيحة . إذا أن البركة التي تحصل من الانتساب إلى السلسلة الصحيحة هي الشرط الأساسي الذي لا يصل الإنسان بدونها إلى أى درجة من درجات التصوف حتى البدائية منها .
- ٣ - ثم يأخذ التصوف . الطيب الفطرة . الذي باركه شيخه . في الجهاد

= فظهر لي أن أخص خواصهم ، مالا يمكن الوصول إليه بالتعلم ، بل بالذوق والحال ، وتبدل الصفات . وكمن من الفرق بين أن يعلم حد الصحة ، وحد الشج ، وأسيابها وشروطها ، وبين أن يكون صحيحاً وشيئاً . وبين أن يعرف حد السكر ، وأنه عبارة عن حالة تحصل من استيلاء أنجرة تصاعد من المعدة على الفكر وبين أن يكون سكراناً .

بل السكران لا يعرف حد السكر وعلمه وهو سكران . وما معه من علمه شيء .
والصالح يعرف حد السكر ، وأركانه وماعه من السكر شيء .
والطبيب في حالة المرض يعرف حد الصحة ، وأسيابها ، وأدويتها ، وهو فائدة الصحة .
كذلك فرق بين أن تعرف حقيقة الزهد وشروطها ، وأسيابها ، وبين أن يكون حالك الزهد ، وعزوف النفس عن الدنيا فعلت شيئاً أنهم أرباب الأحوال . لأن أصحاب الأقوال ، وأن ما يمكن تحصيله بطريق العلم فقد حصلته ، ولم يبق إلا مالا سبيل إليه بالسماح والتعلم ، بل باللوق والسلك . . . « المقتد من الضلال » .
(٢٧) يرى الإمام الرازي أنه لابد - لتكون الرياضة نافعة - أن تكون نفس المرید : (مستعدة لهذا الحديث ، ملائمة له ، إذ لو لم يكن كذلك ما نجحت فيه الرياضة أصلاً ، لأن تأثير الرياضة ليس إلا في إزالة المواقف ، ورفع الحجب والأستار . وزوال العائق لا يمكن في حصول المطلوب ، بل لابد معه من التآكل المستعد ، فإذا لم تكن النفس مستعدة لم تفد الرياضة سعادة أصلاً ، لكنها تفيد السلامة) .

« شرح الإشارات ص ١١٢ »

« الأكبر » التأمل الروحي » . وفي الذكر : أى استحضار الله في كل ما يأتي وما يدع . وفي تركيز الذهن في الملأ الأعلى فيصل موقفاً من درجة إلى درجة حتى يصل إلى أعلى الدرجات . وهي حالة تسمى على حدود الوجود الوقت فيصبح ربانياً . ذلك هو الصوفي الحقيقي .

١١ - مقامات الوصول :

وحينما يقطع الإنسان الطريق يصل إلى الولاية .
والقول إما أن يمكث شيئاً فقط فتكون معرفته خاصة به . أو يختاره الله لتأديته رسالة إلى الآخرين فيكون نبياً . أو يكون رسولا .

والرسول نبي ولكن رسالته تأخذ صبغة عالية . أما رسالة النبي فإنها محدودة الأهداف محدودة المكان . إن الرسول مظهر الصفة الإلهية « الرحمن » في جميع أنحاء العالمين . إنه « رحمة للعالمين » فلا تقتصر رسالته على دائرة خاصة .

ولاشك أن النبوة أسمى من الولاية . ومع ذلك فقد رأى بعضهم أن مقام الولي « القرب » من الله في حين أن النبي متجه بطبيعة رسالته إلى الخلق . ولكن ذلك خطأ محض . فإن النبوة تتضمن الولاية . فهي متضمنة لقام القرب . ثم إنها أكثر من الولاية . وعلى ذلك فإن حالة الولي « ناقصة » بالنسبة لحالة النبي . إنها ليست قاصرة بالنسبة لطبيعتها الخاصة . ولكنها قاصرة بالنسبة لدرجةها في العموم . وهذا العموم يصل إلى أعلى درجات ازدهاره في الرسالة : إذ هي عالية ، والرسول - لا غيره - هو حقيقة « الإنسان العاقل » .

• وللرسول كما للنبي اتجاهان :

- ١ - اتجاه داخلي : إنه الاتجاه نحو الحق .

- ٢- اتجاه خارجي : إنه الاتجاه نحو الخلق .
 ودرجة الرسول العالمية أسمى من درجة النبي المحدودة ، ودرجة النبي المحدودة .
 أعلى من درجة الولي الخاصة ، ومقام الجميع القرب .

الفصل الرابع

العارف بالله

الشيخ عبد الفتاح القاضي

١- كيف عرفت الشيخ عبد الفتاح القاضي

صلينا العصر في رحاب مولانا الإمام الحسين رضوان الله عليه ، وكنا على موعد في المسجد المبارك .

ثم يمينا شطر محطة مصر لناخذ القطار إلى بلد القطب المثلث .

كان ذلك في شهر أكتوبر سنة ١٩٦٠ ، وكنا نستقبل في المساء الليلة الكبرى

لمولد السيد البدوي رضي الله عنه .

وركبنا القطار في صعوبة ، وحصدنا الله على أن وجدنا في القطار مكاناً للوقوف .

وقفنا لسير مع الزمن متحدثين تارة وصامتين أخرى . وكلنا أمل في أن نخطى بليلة تسم بالإشراق وتفيض بالمدد في رحاب شيخ العرب

وسار القطار .

وكان في مواجهتنا - جالساً - رجل ريفي تبدو عليه سمات الصالحين ، يلبس جلباباً من الصوف ، وعلى رأسه عمامة ، وعلى جبهته علامة الإقبال على الصلاة .

كرت الفأل الحسن .

ي يوماً فيوماً . حتى

الشيخ . تلك النبوة

بانتهاها الأمل في أداء

تحدث معجزة .

أرض المقدسة . تخيير

عتاد : فكنت أرى هذا

أحد الأصدقاء يستفسر

الحصول عليها ثم قال :

وكلها إذا أمكن . ويجب

أحضرت له المجموعة كاملة

كتبات الفرنسية في القاهرة

كتب .

قائلاً :

وكان على يمينه سيدة ، رقيقة هي الأخرى ، لعلها أخته أو لعلها زوجته ، فقد كان يتحدث إليها في ألفة بادية ، وفي إبنسامة سهلة لانكاد تغارق شففيه ؛ لقد كان منظره وهو يتحدث مع السيدة يشعر بأنه نسي العالم من حوله ، وثلاثي بالنسبة له كل شيء . كان وجهه سمكاً ، وقسماته لا توتر فيها ، وكان كل شيء فيه يدل على أنه لا يحتمل في قلبه كراهية لأحد ، ولا حقداً مخلوق ، لقد كانت نرسم على وجهه صورة البراءة أصفى ماتكون البراءة .

وراقني منظره . منظر البراءة والساحة . وراقني أن أنظر إلى هذا الوجه السمع وهذه البراءة البادية . وتعلقت عيناي به .

ويبدو أنه وصل في حديثه مع السيدة إلى نهاية قصة أو خاتمة حديث . فأخذ يدور بوجهه في من حوله . جالسين وواقفين . ثم نظر إلى . فمد عينيه نحوى . وتركزت عيناه على وجهي . وزال من وجهه شيء قليل من سماحته . وحل محلها نوع خفيف من التوتر وبدأ عليه الاهتمام .

وأردت أن أنهي هذا الموضع فأنجعت إلى صديقي أتحدث إليهما متكلفاً الحديث . وكان أحدهما يجوار الرجل . فانهز الرجل فرصة صمت منا واتجه إلى من يجواره قائلاً له : بشر صاحبك - مشيراً إلى - بالحج هذا العام .

وأخذت الأمر على أنه قال حسن ، وعلى أنه بشرى من الجائز أن تتحقق ، وكان في هذا النبأ على كل حال تخفيف من الشعور بزحمة القطار ، وسلوى عن حرارة الجو .

ومضت الأسابيع والشهور ، وقرب موعد الحج ، ثم أعلنت الجرائد موعد قبول الطلاب .

ولم أكن قد اتخذت العدة للحج فلم أتقدم بطلب وإن كنت في شوق ملح للحج وللزيارة إذ لم أكن قد أدبت الفريضة بعد .

وحينما

وتذكرت ال

ولكن

أوشكت على

فلم أحر

التي ... يحو

فريضة الح

وبدأت

الزغاريد ،

وكانت

المنظر السا

ولم ي

وذا

في

عن أهد

إن

أن يعر

وب

لينظر ف

لتحضر

و

و

إن السيد الوزير يجب أن يراك . فهنا بنا لزيارته . ولم أكن قد التقيت به من قبل .

والتقينا بالسيد الوزير وأخذنا نتحدث عن الشيخ عبد الواحد يحيى . ثم ذهب السيد الوزير ليجيب على نداء التليفون . وأراد صاحبي ألا يمر الوقت في صمت وأن يقطعه بالحديث . فقال كعادة الحاج :

الأترغب في شيء من الحاجز ؟ منتظرًا أن أقول له سبعة مثلاً . أوشيًا من هذه الأمور التي يتزود بها الحاج في عودتهم .

فأريت نفسي مندفعًا إلى أن أقول له فورًا : وكأني مسخر بقوة لا قبل لي بردها . نعم أرغب في أمر سهل بالنسبة لك وأرجو أن تقوم به مشكورًا . ونهيا صاحبي لسماع الطلب في انتباه ظاهر .

فقلت : أرجوك أن تقف أمام الضريح الشريف وتقول :

إن عبد الحليم يقبل اليد الشريفة . ويرسل تحياته . ويبلغ أشواقه . إلى سيده رسول الله ﷺ . ويرجو منك يا أكرم المخلوق على الله أن تدعوه لزيارتك . فإذًا إذا فعلت زالت كل العقبات . وأتى يسمى ليلى النداء .

وقال صاحبي في نوع من التأمل البادى على ملامحه : أرجو أن تكون قد استجيت . ولعلها قد استجيت .

وانتهى أمير الحج من الحديث التليفوني - فقد كان السيد حسن عباس زكى هو أمير الحج في ذلك العام - وجاء فذكر له صاحبي ما تحدثنا به في غيبته . فقال أمير الحج : إنه يدعو الله أن يتحقق الرجاء . وانتهى الحديث عند ذلك .

ثم اتفقنا على أن نذهب معًا إلى منزل الشيخ عبد الواحد يحيى لزيارة أسرته ولإخذ السيد الوزير صورة أوضح عن حياته .

ولن أنسى صورة السيد الوزير وهو واقف في غرفة المكتبة بجوار المكتب الذى

كان يجلس عليه الشيخ قارغا كاتبا ، وقف مستغرقًا وكأنه يسافر بروحه في الزمن عودة إلى الماضي . يريد أن يعرف إلى الشيخ في حياته ، أوكأنه بعبارة أدق يسافر في الحاضر إلى عالم الأرواح ، يريد أن يرى في عالم الغيب صورة الشيخ الحقيقية .

إن شيئًا من آثار الشيخ رضوان الله عليه ، مازال باقيا - لاشك - في هذا المكان . وخيل إلى حينئذ أن السيد الوزير بروحه النفاذة ، وبروحانيته القوية ، وببصيرته النافذة ينطلق مسترشداً بالأثر إلى .. صاحب الأثر .

إن عبير الشيخ الزكى . مازال يملأ أرجاء المكان . ولا يزال الأريج الطيب يعطر الجو ، يشعر بذلك كل من رق شعوره . وشتت نفسه وأثار الله بصيرته ...

وافترقا .

وفى اليوم التالى - الخامس قبل سفر آخر فوج - بينما أنا جالس في كلية أصول الدين مشتركًا في أعمال الامتحان ، إذا بالنداء : احضر لاتخاذ الإجراءات للحج ... فقلت : صلوات الله وسلامه عليك يا أكرم المخلوق على الله .

وتكرر اللقاء بأمير الحج في أثناء الحج ، ثم لم ينقطع الاتصال به بعد العودة . وفى يوم من الأيام دعانى السيد الوزير لتناول الغداء في منزله .

وكان الشيخ عبد الفتاح القاضى هناك : بسمة الوقور . وهيبته المطمئنة . ووجهه المشرق نورًا .. وكان يتحدث .

ولم يكن الشيخ عبد الفتاح القاضى يتحدث حديثًا شعبيًا . ولا حديثًا مألوفًا . وإنما كان يتحدث حديث قه . إنه يفاجئ الحاضرين بالمشكلة ، بشرحها باعتبارها مشكلة ، ويوضح جوانبها من حيث الإشكال ، ثم يطلب من السامعين حلها . وما كان رحمه الله يطلب الحل إلا ليثير انتباههم بصورة أعمق . حتى إذا كان انتباههم كاملاً بدأ في ذكر الحل .

هذه المشاكل كانت تدور حول آيات من القرآن . فيرى السامع في النهاية أن القرآن مازال يكرراً .

وتدور كذلك حول أحاديث للرسول ﷺ . فيرى السامع في النهاية أيضاً أن الرسول ﷺ أوفى حقاً جوامع الكلم .

وهكذا كانت مجالس الشيخ . إنها تفسير للقرآن الكريم . أشرح للسنة الشريفة . لقد كان الناس ينسون الدنيا في مجلسه . ولم يكن مجال في مجلسه للغو الحديث . ولا للزور والباطل . سواء ألبس هذا الزي ، أم ذاك . لم يكن للشيطان إلى مجلسه من سبيل . هذا التفسير . وهذا الشرح . أهما عقليان ؟

أكان الشيخ يتحدث عقلياً ؟ أكان يتحدث علمياً ؟ أكان يتحدث إلهامياً ؟ إن العقل والعمل والإلهام ، إن البصيرة والإشراق والنص ، إن كل ذلك . كان يتكاتف ويمتزج ، ويتألف منه باقة ترضى الذوق المترف والعقل الراشد . والتدين المستنير .

لقد فوجئت بالشيخ . فوجئت به شخصية مكتملة متناسقة . وفوجئت به شخصية قوية مسيطرة . وفوجئت به شخصية ودودة متحبة . وفوجئت به شخصية عالمة ناقدة . وفوجئت به شخصية ملهمة تستمد النور من منابع النور . لقد كانت الأعين معلقة به . والآذان مشدودة إليه . والعقل يدور فيما يبيته من مجال لتفكيره . والقلب راض مغتبط .

ثم يسكت الشيخ ويتجه نحو الشيخ عبد الجليل ويقول له . في مودة بادية :
تكلم أنت الآن « يا ولد يا عبد الجليل » .

وهذا الذي يخاطبه الشيخ بقوله : « يا ولد يا عبد الجليل » من علماء الأزهر النابهين . يعمل مدرساً بوزارة التربية . فنى في الشيخ حباً . وإجلالاً . وتقديراً . وعيناه دائماً معلقتان بالشيخ ، وسمعه على الدوام مصغ إلى الشيخ .

إنه يسمع الهمس من حديثه . ويرى مالا يكاد يرى من إشاراته . ويلبى كل ما يريد الشيخ من أمر ولو لم يعلن الشيخ عن رغبته .

ومع أنه فنى في الشيخ فإن شخصيته بالنسبة للآخرين غير فانية ولا خفية . إن أتباع الشيخ يعرفون ذكاهه اللماح . وعلمه الجم . واتزانه فيما يأتي وفيما يدع . ويعرفون تصرفه الحكيم فيما يعرض لمجتمعهم الخاص من مشاكل . ويعرفون اجتهاده في العبادة ويعرفون حب الشيخ له ..

ويقوم الشيخ عبد الجليل ويتحدث مفسراً آية أو شارحاً حديثاً . وقد أمره الشيخ في تلك الجلسة أن يفسر قوله تعالى : (أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلُّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا) .

وقلت في نفسي حيناً سمعت أمر الشيخ له بتفسير هذه الآية . وماذا عسى أن يقول الشيخ عبد الجليل في هذه الآية الواضحة المعنى . السلسلة التركيب : إن مجرد قراءتها بيان لمعناها ...

وتحدث الشيخ عبد الجليل ، فأجاد ، وأفاد . وبهر . وكان من الواضح أن الشيخ يعد الشيخ عبد الجليل للخلافة . لقد كان يريه بالتعليم ، ويريه بالأوامر ، ويريه بالعبادة . ويريه بالصمت . لقد كان يبيته ليملاً مركز المرشد بعده .

ولقد كان عند الشيخ عبد الجليل الاستعداد التام للخلافة . وقد كان انتهاء الشيخ عبد الجليل من كلمته إيذاناً بانتهاء الجلسة . وافتراقنا جسمائياً وبقيت ذكرى الشيخ في القلوب حية نابضة .

وتكرر اللقاء بالشيخ في داره بشبلنجة وفي القاهرة .

من هو الشيخ عبد الفتاح القاضي ؟

سرعة الحفظ وحدة الذكاء . مما جعل معلم المكتب يقبل عليه ويخصه بمزيد من رعاية والعناية . ولشديد تعلقه به . اختاره مساعدًا له في تعليم القرآن بالمكتب بعد أن حفظه وجوده . وأتقن أحكام قراءته . في سن مبكرة . وظل في تعليم القرآن . لأولاد قريته . حتى اجتباه الله . فجذبه إليه . فاخلى في بيته متعبداً لله ذاكراً . وقد تجلت فيه رجولة مبكرة . فما إن خطا خطواته الأولى . في طريق الشباب حتى خالط الرجال . وجالس أصحاب الرأي واستمع منهم وأصغى لحكمهم . فبدأ بسير سيرهم . حتى لقد كان أحياناً يشير عليهم فيجدون عنده الرأي . فاشتهر بينهم . وعرف عندهم بالرأي السديد . والحكم العادل التريه . فصار الشيوخ والمسنون من أهل البلدة وذوو الخبرة والتجربة . يستعينون به . ويستشيرونه في مهام الأمور . ويدعون في مجالس الصلح . ويصحبونه لفض المنازعات وللحكم في القضايا والخصومات .

وكانت عادته البكور . فيستيقظ قبيل الفجر ليؤدي فرض ربه ويذكره ويسبحه . ثم يتناول فطوره . ويغدو معتمداً على الله تعالى إلى المكتب لتعليم القرآن . حتى وقت الظهيرة . فيعود إلى داره . فيتناول غداءه ويستريح قليلاً وقت القبلولة . ثم يشتغل بالإشراف على الزراعة . وترتيب شئونها ثم يعود إلى البيت لقضاء مهامه . وبعد ذلك يفرغ بقية يومه لقراءة كتب الدين وسير الصالحين . وقص مآثرهم وكراماتهم على أصحابه وأهل مجلسه . إذ كانت هذه هوايته لتتبع سننهم والسير على طريقهم .

و ذات يوم حضر إلى منزله أحد شيوخ القرية من العلماء المسنين . وبعد حديثها عن الصالحين ومناقبتهم قدم هذا العالم للشيخ مخطوطاً جمع صيغاً متعددة الفضل . مضاعفة الثواب والأجر . في الصلاة على المصطفى ﷺ وقال له : « خذ هذه وانقلها . واجعلها وردك . فإنها عظيمة النفع والبركة » .

٢ - حياته

إنه الإمام العارف بالله تعالى . الشيخ (عبد الفتاح بن سيد أحمد بن محمد القاضي) الحسني أبا الحسين أمّا . الشافعي مذهباً . المحمدي تربية . الشاذلي طريقة . الشبلنجي داراً ومزاراً .

ولد رضى الله عنه في « شبلنجة »^(١) من أبوين شريفين في آخر صفر ١٣١٧ من هجرة خاتم المرسلين ، الموافق ٨ من يوليو ١٨٩٩ ميلادية .

وبرغم الوثائق الظاهرية التي تؤكد انتسابه إلى الدوحة النبوية المباركة . كان شديد الشغف إلى ما يحقق له نسبة الشريف عن طريق كشفى لا مجال للشك فيه . فنَّ الله تعالى عليه بذلك . إذ سمع في منامه من مصدر علوى ذلكم النداء : « أنت شريف أبا وأمّا » .

فاستراح فؤاده . واطمأن خاطره . وحمد الله تعالى . على هذه المنة العظيمة . وبعد سنوات ست من ميلاده تقريباً . توفى والده إلى رحمة الله . وتركه يتيمًا في رعاية أمه الهاشمية .

ولأنسال عما قامت به الهاشمية - مع صغر سنها - من تربية صادقة له ولإخوته اليتامى . وتوافرها وعكوفها على أداء ما يلزم لهؤلاء الصغار . الذين لا عائل لهم إلا الله . وهى مستعينة - بعد الله - على تربيتهم بما ورثته من قراريط من المرحوم والدها الشيخ « حسن هاشم » وبما تركه المرحوم زوجها « الشيخ سيد أحمد » من عقار يسير .

ثم أرسلته أمه إلى المكتب . لحفظ القرآن الكريم . فاشتهر بين لداته وأترابه

(١) بالقرب من بنها .

فقال له فضيلة الشيخ : « عن نقلها » ؟
فقال : « نقلها عن الشيخ الأشموني رضى الله عنه عالم الأزهر المشهور .
وأوصاني بقراءتها لأنها ذات سر عجيب في الفتح . ومقربة من حضرة الرسول
عليه السلام » .

فعلم الشيخ أن هذه منه من الله تعالى مساقاة إليه على يد هذا العالم . وفعل
نسخها في أيام قليلة . كما كانت عاداته المسارعة والتعجيل في أمور الدين
والآخرة . وجعلها الشيخ ورده . فكانت مفتاح كل خير له . وكان يقول عنها : لم
أجد في طريق الله أسرع سبيلا إلى الفتح وأقرب طريقا إلى حضرة الرسول عليه السلام .
وأجلب لرضا المولى سبحانه وتعالى . من هذه الصلوات . إنها سبب في تذليل
صعوبات الحياة كتفريج الكرب . وإدراك الرزق . وقضاء الحوائج . وكان كلما
حزب الشيخ أمر فزع إلى الصلاة إلى قراءة هذه النسخة .
أما فزعه إلى الصلاة فاقفاده بخضرة الرسول عليه السلام ، إذ كان يفرغ إلى الصلاة
كلما حزبه أمر .

وأما فزعه إلى قراءة هذه النسخة فما جربه كثيرا أنه ما همه أمر أو أحاط به
مكروه وقرا هذه النسخة إلا وجد بعدها الفرج والتيسير . لذا كان حرص الشيخ
عليها شديدا جدا . ووصيته لأولاده بالحفاظة عليها وتلاوتها أشد . لما لمسه فيها من
النور والبركة . ورضا النبي عليه السلام . ولما يعلمه من أن الصلاة على الرسول عليه السلام .
مفتاح لمغاليق الأمور وسبيل السعادة في الدارين (٢) ، وكانت هذه الصلوات
ديدنه وشعاره . وكان يقرؤها في اليوم مرات . وإذا سئل عن ذلك يقول : إنما أقرا

(٢) ولقد جمعت هذه الصلوات مع بعض أخزاب للشيخ الشافلي رضى الله عنه وغيره وطبعت في
أخريات أيام الشيخ بإذنه على نفقة المعارف بالله تعالى السيد الدكتور وحسن عباس زكي . جزاه الله خير
الجزاء . وبلغه مناه في الدارين . ليم الفع بها .

لى مرة . وأجبر تقصير أولادى بالمرات الأخرى . ولشفقه الشديد بها سمع منه مرارا
تلاوته لها مرتبة بصوت مسموع في أثناء نومه يسمعه من حوله . وعندما كان
يستيقظ يكمل تلاوتها حيث وقف وكان هذا قبيل انتقاله بقليل . وحسبك دليلا على
عظم فضلها . وكبير نفعها وخيرها أن الرسول عليه السلام أمسكها بيده الشريفة وقال
للشيخ مناماً : « إني أحبها . إني أحبها » .

لذا لم يتركها الشيخ قط لافى سفر ولا فى حضر . ولا فى صحة . ولا فى مرض .
حتى اليوم الذى لقي الله تعالى فيه قرأها كما دته ، ولتعلق الشيخ بها وولوعه بجمعها رلى
كثيرا فى المنام ممسكا بها . تاليا لها . حاثا عليها . مبيها فضلها . حتى قال لبعض من
رآه كذلك مناماً : إنها أهم ورد فى الطريق . بل هى الطريق جله .

وهذه الصلاة هى للشيخ عبد الله بن محمد الحاروشى المغربى الفاسى منشأ
وداراً . ثم التونسي رحلة ومزاراً . وهو مدفون فى تونس وقبره مبارك . ومن
المشهور بين أهل تونس أن من زار ضريحه متمكناً مخلصاً كان هذا علامة على قبول
الله له وعلى أنه من أهل الجنة .

وننقل هنا أزهاراً موفقة من هذه الصلوات المباركة نفعا الله بمن قبلت فيه
ونفعنا بها وبصاحبها وورجوه سبحانه أن يمن بالرضوان على من عرّف بها أتباعه
ومريديه :

« اللهم إنا قد عجزنا من حيث إحاطة عقولنا ، وغاية أفهامنا ، ومُنْتَهَى إرادتنا
وسوانق هِمَمنا أن نصلى عليه من حيث هو وكيف نقدر على ذلك وقد جعلت
كلامك خلقه وأسماءك مظهره ومنشأ كونك منه وأنت ملجؤه وركه وملوك الأعلى
عصائمه ونصرتيه . فصل اللهم عليه من حيث تعلق قدرتك بمصنوعاتك وتحقق
أسمائك بإرادتك منه ابتدأت المعلومات وباليه جعلت غاية الغايات وبه أقيمت
الحجج على المخلوقات . فهو أمينك خازن علمك حامل لواء حمدك معدن سررك

مظهر عرك نقطة د
« اللهم إنا نسألك
يا مولانا عن ملته ولا
شهيد . اللهم كما
إليه لأنه شفاء للنوم

« اللهم صل على
سيدنا محمد المختار لل
محمد الموصوف بأفض
بجوامع الكلم وخص
لا تشتهك في مجالسه
كان إذا مشى نطاله ال
القمر وكلمة الحجر وأه
عليه رب العزة نصاً في
ربنا في محكم كتابه وأمر
وأزواجه وذريته وأهل
تسليماً كثيراً وشرف
« اللهم صل على
سادات برياتك ومن
ومقداره وتم أهله وأزوا
وأنبياك وزمر ملائكتك
وسمائك . اللهم إني أعوذ

ومحيطه ومركبه وبسيطه »

تاً في زمرة وأن تجعلنا من أهل سنته ولا تخالف بنا
إنك سميع الدعاء مجيب لمن دعا أو ألقى السمع وهو
بالصلاة عليه فاشن علينا بفهم الكتاب الذي أنزل
للعالمين وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين »

« اللهم صل على سيدنا محمد رحمة لكل الأمم . اللهم صل على
لته قبل خلق اللوح والقلم . اللهم صل على سيدنا
والشيم . اللهم صل على سيدنا محمد المختص
كم . اللهم صل على سيدنا محمد الذي كان
في عين ظلم . اللهم صل على سيدنا محمد الذي
تم . اللهم صل على سيدنا محمد الذي انتق له
صمم . اللهم صل على سيدنا محمد الذي أنقذ
م . اللهم صل على سيدنا محمد الذي صلى عليه
عليه وسلم . اللهم صل عليه وعلى آله وأصحابه
الذين وما جرت على المذنبين أذيال الكرم وسلم
حمد لله رب العالمين »

« وأفضل مولود وأكرم مخصوص ومحمود . سيد
على جملة مخلوقاتك صلاة تناسب مقامه العالي
« وأنصارة . اللهم صل عليه وعلى جملة رسلك
« صلاة تم بركاتها المطيعين من أهل أرضك
« جهلى وبغناك من فقرى . ويعزك من ذللى .

وبحملك وقوتك من عجزى وضعفى . وأعوذ بك أن أزدل العمر . اللهم إني
أعوذ بمعافاتك من عقوبتك وأعوذ برضاك من سخطك وأعوذ بك منك لأحصى
ثناء عليك أنت كما أثبتت على نفسك . اللهم إني أعوذ بك من منكرات الأخلاق
والأعمال والأهواء والأدواء والآراء »

« اللهم يامن بيده خزائن السموات والأرض عافنا من ميح الزمان وعوارض
الفتن فإننا ضعفاء عن حملها وإن كنا أهلاً لها فعافيتك أوسع لنا يا واسع باعليم .
اللهم أحسن عاقبتنا في الأمور كلها . وأجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة .
اللهم أصلح لى دينى الذى هو عصمة أمرى . وأصلح لى دنياى التى فيها معاشى
وأصلح لى آخرتى التى إليها معادى . واجعل الحياة زيادة لى فى كل خير . واجعل
الموت راحة لى من كل شر . اللهم اجعل خير عمري آخره . وخير عملى خواتيمه .
وخير أيامى يوم ألقاك فيه . اللهم لا تجعل عيشى كدّاً . ولا تجعل دعائى رداً .
ولا تجعل لى لعنك عبداً . ولا تجعل فى قلبى لسواك ودّاً . إني لأقول لك خيداً
ولا شريكاً ولا نيداً . اللهم ارزقنى نفساً قائمة بعطائك . موقنة بلفائك . شاكراً
لنعائك . محبة لأوليائك . مبيضة لأعدائك . اللهم وسع على رزقى فى دنياى .
ولا تخجبنى بها عن آخرى . واجعل مقامى عندك دائماً بين يديك وبك
ناظر إليك . وأرئى وجهك الكريم . ووارئى عن الرؤية وعن كل شىء دونك .
وارفع الين بينى وبينك يامن هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شىء
عليم »

« اللهم صل على سيدنا محمد كما أمرتنا أن نصلى عليه ، اللهم صل على سيدنا
محمد كما هو أهله . اللهم صل على سيدنا محمد كما تحب وترضى له » .
« اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا ومولانا سيد الأولين والآخرين ،
قائد الثر المحجلين . السيد الكامل الفاتح الحاتم الحبيب . الشفيع الرؤوف

الرحيم . الصادق الأمين . السابق للمخلق نوره . والرحمة للعالمين ظهوره . عدد من مضى من خلقك ومن بقي ومن سعد منهم ومن شقي صلاة تستغرق المدّ وتحيط بالحدّ . صلاة لا غاية لها ولا منتهى ولا أمد ولا نقصاء . صلاة دائمة بدوامك باقية ببقائك وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذريته وأصهاره وأنصاره وسلم تسليمًا مثل ذلك . واجر يا مولانا حتى لطفك في أمورنا كلّها وأمور المسلمين .

« اللهم صلّ على سيدنا محمد وعلى آله صلاة أهل السموات والأرضين عليه واجر يا مولانا لطفك الخفي في أمرى وأرني سرّ جميل صنعك فيما أومله منك يارب العالمين » .

« اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة الرحمن الرحيم . إني أعهد إليك في هذه الحياة الدنيا أنك أنت الله الذي لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك ، وأن محمدًا ﷺ عبدك ورسولك فلا تكلمني إلى نفسي طرفة عين . إنك إن تكلمني إلى نفسي تقرّني من الشر وتبعدني من الخير . فإني لا أثق إلا برحمتك . فاجعل لي عندك عهدًا تؤدبه إلى يوم القيامة إنك لا تخلف الميعاد » .

« اللهم لك الحمد كما أنت أهله ، فصلّ على سيدنا محمد كما هو أهله وافعل بي ما أنت أهله . فإنك أهل التقوى وأهل المغفرة . اللهم إني أسألك بحقك عليك الذي أثبتته . وبقسّيك بعمره الذي شرّفته به وفضلته . وبمكانه منك الذي خصصته واصطفيته . أن تجازيه عنا أفضل ما جزيت به نبيًا عن أمته وتؤتيه من الوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة فوق أميته . وتُعظم عن يمين العرش نوره بما نورث به من قلوب عبيدك . وأن تضاعف في حضيرة القدس خبره بما قاسى من الشدائد في الدعاء إلى توحيدك . وأن تجدّد عليه من شرافت صلواتك ولطائف بركاتك وعوارف تسليمك وكراماتك ما تزیده به في عرصات القيامة إكرامًا وتعليه به في عليين مستقرًا ومقامًا . اللهم وأطلق لساني بإبلاغ الصلاة عليه والتسليم . واملأ

جناني من حبه . وتوفيه جنته تعظيم . واستعمل أركانى بأوامره ونواهيه في النهار والواضح والليل البيهم . وارزقني من ذلك ما يوقيني جنات النعيم ويُسرعني رحاك وفصلك العقيم . ويقرّني إليك زلفي في ظلّ عرشك الكريم . وتعلّني دار المقامة من فضلك وتُرزقني عن نار الجحيم . وتعطيني شفاعته يوم العرض وتورّدني مع زميرته على الخوض . وتؤمنني يوم الفرع الأكبر يوم يُبدّل الأرض غير الأرض . وارفعني معه في الرفيق الأعلى واجمعني معه في الفردوس وجنّة المأوى واقسم لي أوقرّ حظّ من كآسه الأوفى . وعيشه الخفي الأصفى واجمعني من شقي غلبه بزيارة قبره وتنقّي . وأناخ ركابته بعرصات حزبك وحزبه قبل أن تُتوفى » .

الصلاة والسلام عليك يا رسول الله ما أكرمك على الله .

الصلاة والسلام عليك يا رسول الله ماخاب من توسل بك إلى الله .

الصلاة والسلام عليك يا رسول الله كل من دونك محب وأنت حبيب الله .

الصلاة والسلام عليك يا رسول الله الأملاك تستغيث بك عند الله .

الصلاة والسلام عليك يا رسول الله الأنبياء والرسل مُكّنون من مددك الذي خصّصت به من الله .

الصلاة والسلام عليك يا رسول الله الأولياء أنت الذي واليتهم في عالم الغيب .

والشهادة حتى تولاهم الله .

الصلاة والسلام عليك يا رسول الله من سلّك على محبّتك وقام بحبّتك أبدته

الله .

الصلاة والسلام عليك يا رسول الله المخلّون من أعرض عن الاقتداء بك

إني والله .

الصلاة والسلام عليك يا رسول الله من أطاعك فقد أطاع الله .

الصلاة والسلام عليك يا رسول الله من عصاك فقد عصى الله .

الصلاة والسلام عليك يا رسول الله من أتى لبابك متوسلاً بك قبله الله
الصلاة والسلام عليك يا رسول الله من حطَّ رحل ذنوبه في عتباتك غفر له

الله

الصلاة والسلام عليك يا رسول الله من دخل حرّمتك خائفاً أمته الله

الصلاة والسلام عليك يا رسول الله من لاذ بجنبك وعلّق بأذيال جاهلك أعزّه

الله

الصلاة والسلام عليك يا رسول الله من أم لك وأثلك لم يخب من فضلك
لا والله

الصلاة والسلام عليك يا رسول الله أمنا شفاعتك وجوارك عند الله

الصلاة والسلام عليك يا رسول الله توسلنا بك في القبول عسى ولعل نكون

ممن تولاّه الله

الصلاة والسلام عليك يا رسول الله بك نرجو بلوغ الأمل ولا نخاف العكر
حاشا لله

الصلاة والسلام عليك يا رسول الله مذكرك من أميتك واقفون ببابك يا أكرم
الخلق على الله

الصلاة والسلام عليك يا رسول الله قصدناك وقد فارقنا سواك يا وسيلتنا إلى الله

الصلاة والسلام عليك يا رسول الله قد جنتك بشوق المحبة ضيقاً نرجو القربى
فاجعل قرانا ما يليق بكرمك من إحسان ربك يا عزيز القدر عند الله

الصلاة والسلام عليك يا رسول الله العرب يحمون التزليل ويحيرون الدخيل وأنت
سيد العرب والعجم يا رسول الله

الصلاة والسلام عليك يا رسول الله قد نزلنا بحيك واستعجرتنا بجنبك وأقسمنا
بجنتك على الله

الصلاة والسلام عليك يا رسول الله أنت الغياث وأنت الملاذ فأغثنا بجاهك

الوجه الذي لا يرد الله

الصلاة والسلام عليك يا رسول الله

الصلاة والسلام عليك يا حبيب الله

الصلاة والسلام عليك يا نبي الله

الصلاة والسلام عليك يا رسول الله مادامت ديمومية الله صلاة وسلاماً

ترضاها وترضى بها عنا يا مولانا يا رسول الله

الصلاة والسلام عليك وعلى جميع الأنبياء والمرسلين وعلى سائر الملائكة

أجمعين اللهم وارض عن أصحاب رسول الله أجمعين وعن التابعين وتابع

التابعين ومن تبعهم بخير وإحسان إلى يوم الدين

اللهم يا على يا عظيم يا حلیم يا حكيم يا كريم يا غفور يا رحيم إنا نتوسل إليك

بجاه هذا السيد الكامل الذي من جميع خلقك اخترته واصطفيته ، وجميع المكارم

خصصته واجتبيته أن تميتنا على الإيمان والإسلام ، وأن تسعدنا به وبلقاك يا رحيم

يا رحمن يا سلام

واجعل اللهم مامنت به علينا في جميع هذه المواهب التي وهبتها لنا ثلجاً في

قلوبنا ومحواً لذنوبنا ونوراً في يقيننا وقوة في إيماننا وتركبة لأعمالنا وزخراً لآخرتنا

وارحم بها والدينا وإخواننا وأشباهنا وكل من انتمى إلينا

واقنع اللهم بها كل من طالعها واقتبس منها نوراً يزيكه ، وخيراً ينمي به

ولا تأخذنا بذنوبنا وسوء أفعالنا ، وعاملنا بما أنت أهله من الجود والكرم يا أرحم

الراحمين اللهم إنا نتوسل بك إليك ، ونسألك لانسأل غيرك بحقك وحق نبيك

أن تميتنا على دينه وملته ، وأن تحشرنا في زمرة وتحت لوائه وغايته ، وأن تنفر ذنوبنا

وأن تسر بملك عيوبنا ، وأن تطهر من صدم الغفلة قلوبنا

والاستطعت . أعوذ بك من شر ما صنعت . أبوء لك بنعمتك عليّ . وأبوء بذنبي
 فأغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت (ثلاثاً) . أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو
 المحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم وأنوب إليه .
 اللهم مغفرتك أوسع من ذنوبي . ورحمتك أرحمى عندي من عملي (ثلاثاً) .
 وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .
 وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأُمى وعلى آله وصحبه وسلم .

هذه بعض مقتطفات مما ورد في الصلاة التي كان يهيم بها حياً شيخنا رضى الله
 عنه . وكل فقرة منها تعتبر ذكراً قائماً بنفسه وقد أوردناها على هذا الاعتبار .
 أما فيما يتعلق بالصنيع المفردة فقد سئل الشيخ رضى الله عنه عن أفضل صيغة في
 الصلاة على رسول الله ﷺ . فقال : إنها :
 اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا ومولانا محمد عبدك عدد خلقك ورضاء
 نفسك ووزنة عرشك ومداد كلماتك .

فسأله أتباعه : أهى أفضل من :
 « اللهم صل على سيدنا محمد النور الذاني والسر الساري سره في جميع الأسماء
 والصفات » ؟ وكان الأتباع يعرفون حبه أيضاً للصيغة الأخيرة . فقال :
 إن العبودية في قولنا - في الصيغة الأولى - « محمد عبدك » أفضل من أى
 صيغة أخرى .

وكان رضى الله عنه يقول عن الصلاة الإبراهيمية : إنها الصلاة التامة . لأنها
 من جميع المقامات . فكما أن إبراهيم عليه السلام له مقامات كثيرة - الخلقة -
 التسليم كونه أمة . . . الخ فيصلى عليه من جميع ذلك فكذلك محمد ﷺ مع
 عدم الاتحاد في الحكم والكيفية بل المعنى .

وامح اللهم زلنا وخطايانا . وأن تتجاوز عنا وعن سيئاتنا ، وأن تهون علينا
 سكرات الموت ومابعده من فتنه القبر والحشر . وأن تطيبنا للموت ، وأن تجعل فيه
 راحتنا . وفقاً اللهم من الأحوال العظيمة التي لا يسعنا حملها ولاضعفنا إلا ما كان
 من عفوك وجودك ورحمتك فأنت الجواد الكريم الغفور الرحيم .

الصلاة والسلام الثَّامَنُ الأكملان على سيدنا ومولانا محمد الذي انعقدت له
 العزة في الأزل ، وانسحب فضلها إلى مالا يزال وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذريته .

سبحان الله عدد ما خلق في السماء . سبحان الله عدد ما خلق في الأرض ،
 سبحان الله عدد ما بين ذلك . وسبحان الله عدد ما هو خالق . والحمد لله عدد
 ما خلق في السماء . والحمد لله عدد ما خلق في الأرض . والحمد لله عدد ما بين
 ذلك . والحمد لله عدد ما هو خالق . ولإله إلا الله عدد ما خلق في السماء . ولإله
 إلا الله عدد ما خلق في الأرض . ولإله إلا الله عدد ما بين ذلك . ولإله إلا الله
 عدد ما هو خالق . والله أكبر عدد ما خلق في السماء . والله أكبر عدد ما خلق في
 الأرض . والله أكبر عدد ما بين ذلك . والله أكبر عدد ما هو خالق . ولا حول
 ولا قوة إلا بالله عدد ما خلق في السماء . ولا حول ولا قوة إلا بالله عدد ما خلق في
 الأرض . ولا حول ولا قوة إلا بالله عدد ما بين ذلك . ولا حول ولا قوة إلا بالله عدد
 ما هو خالق .

اللهم إني أستغفرك من كل ذنب تبت إليك منه ثم عدت فيه . وأستغفرك من
 كل ما وعدتك به من نفسي ثم لم أوف به . وأستغفرك من كل عمل أردت به
 وجهك فخالطه غيرك . وأستغفرك من كل نعمة أنعمت بها عليّ فاستغنت بها على
 معصيتك . وأستغفرك يا عالم الغيب والشهادة من كل ذنب أتيت في بياض النهار
 وسواد الليل في ملأ وخلاء ، وسر وعلائية يا حلیم .

اللهم أنت ربي لإله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك . وأنا على عهدك ووعدك

« كما صليت عليه في جميع المقامات صلاة تليق به . فكذا صلاة تليق به في جميع المقامات ، وكذلك آل كل وصح ونعود من جديد بعد هذه التروحة في الدعاء والصلاة على صيرة الشيخ العطرة فنقول :

وظل الشيخ في الجهاد الأكبر حتى تجاوزت سنه الثلاثين بقليل ملحّة . ودفع قوى وميل شديد إلى نسخ القرآن الكريم بيده أجزء سارع مستجيباً لهذه الرغبة كعادته . فاعتكف لهذا العمل الجليل يوماً أتم بانتهاء كتابه المصحف كله أجزاء بخط النسخ الواضح . الوقف والشكل والرموز التي بالمصحف . وزخرفته أوائل السور كل جزء من الأجزاء الثلاثين بغلاف جميل متين . وكان في هذه والطعام . يشعر بروحانية عجيبة وهمة عليه ونشاط كبير . فعلم الله . وأن له ما بعده .

وعلمه بأن لمن كتب القرآن الكريم دعوة مجابة فساءل نفسه بها ؟ ولم يجد في قلبه غير الإتهال إلى الله عقب الفراغ منه أن خالصاً لوجهه . وأن يسلك به السبيل إليه . وأن يوفقه لما يحبه و الختام . وبعد كتابته القرآن الكريم مباشرة . رأى في نومه جمه تقلب صفحات أجزاء هذا المصحف . وينظر بعضهم إلى بعد وتقدير ، ثم قررت هذه الجمعية قبوله ، وتداوله في المناسبات لتوافر الإخلاص في كتابته . وفعلنا تداول المسلمون هذا المص الدينية .

عزله :

وبعد كتابته المصحف الشريف بأيام ، وجد عنده نزوعاً إلى الاعتكاف وميلا إلى عزلة الناس ، فترك المكتب ، واعتكف في منزله بعيداً عن الخلق ، واشتغل بالعبادة والذكر ، وفتح بقراءة القرآن الكريم . والصلاة على النبي ﷺ . واستمر الشيخ في عبادته وذكره وعزله الدائمة . ثم خطر على قلبه ، ما براد لي ؟ أسلك طريق القوم بلاشيخ ؟ فأناه الرسول ﷺ في المنام وقال له : « خير الأمور أوساؤها الروح المحمدى يتولاك » . فاستقبط الشيخ مستبشراً مطمئناً وزاد ذلك في همته .

خلواته :

ثم أمر الشيخ رضي الله عنه بالخلوة في الأيام التسع الأولى من ذي الحجة ، إذ لها فضل عظيم ، ولقد نزل فيها قوله تعالى : (والفجر وليال عشر) وهذه أولى خلواته . ثم أمر بعد ذلك بخلوة أربعين يوماً . وكان في هذه الخلوات مأخوذاً ناسياً نفسه مسلمها إلى ربه ليظهرها . فكننت تسمع منه أنه لا يفكر في أمور الحياة حتى رغب عن الطعام . فصار لا يتناول منه إلا القليل . وتعجب منه حاله إذ يقول : « كنت أفطر على خمس زبنيات أوسع . وعند السحور قد أكنني بلقمتين أو ثلاث . ومع ذلك لا أحس بضعف ولا فقر » . ومن شروط الخلوة عدم الخروج إلا لحاجة الشيخ رضي الله عنه لا يخرج من خلوته إلا لصلاة الجمعة في المسجد . ويخرج على هيئة مخصوصة حتى لا تتفرق جمعته بربه . وبعد الصلاة مباشرة يعود إلى خلوته .

وقد أذن للشيخ في بعض خلواته . بزيارته لأمه في حجرتها الخاصة بها في المنزل . فكان يدخل عليها بين الحين والحين . ويقدم لها الطعام . ويطعمها بيده . وقد يكون هذا الطعام من الأطعمة غير المباحة له في الخلوة كالسمك واللحم . ويظل يطعمها حتى تشبع . ويحدثنا عن ذلك فيقول :

كنت أجد في ذلك لذة لا تعدلها لذة ، وكان لذة هذا الطعام تدخل بطني . ولذا كانت أمه لا تنفّر عن الدعاء له . وكان الشيخ يقول في ذلك :
إني أعتقد أن ما أنا فيه من خير إنما هو بركة دعاء أمي لي ورضاها عني طول حياتها . إذ أن أكبر سعادة هو رضا الأم . وبعد هذه الخلوة الأربعينية أمر بخلوة أربعينية أخرى . وبعدها بخلوة أخرى تسعينية أي ثلاثة أشهر . وحددوا له وقتها من يوم كذا إلى يوم كذا . فوجدناها أشد أيام الصيف الشديد الحرارة وأطولها . وكان في كل خلواته بصوم النهار . ويقوم الليل . ويطعمه من غير ذي روح مع خبز الشعير . وكان إدامه أحياناً في بعض هذه الخلوات الملح فقط . وفي البعض الآخر السكر فقط .

ثم اختتم الشيخ خلواته بالخلوة الصمدانية . وهي التي أمر بها في شهر رجب الفرد . وشرطها فوق شروط الخلوات السابقة . يعرفها أهل الله . وسميت بالصمدانية لمحاولة التخلّق فيها بأخلاق الله وما استطاع الإنسان إلى ذلك سبيلاً . وبعد انتهاء فترة الخلوات تلك ، وكانت نحو ثلاث سنوات أمره الرسول ﷺ مناماً بالتوجه إلى السيد العارف بالله تعالى فضيلة الشيخ : عبد الوهاب . ابن فضيلة مولانا الكبير الشيخ حسين الحصافي الشاذلي . رضى الله عنهما . ليأخذ منه الخلافة لتكون هذه الخلافة كسلاح له في المجتمعات . وحجة على من يعترض طريقه في الإرشاد والدعوة . وكان من آخر الأعمال الجليلة التي قام بها في أخريات حياته . هذا المسجد العظيم بمثذته السامقة التي تجذب الأنظار من بعيد .

فلقد اشترى أرضه وأعد مواد بنائه . وهباً له ماتيسر من مال لإقامته وإنشائه وإطماناً على رسمه وأشار بتنفيذه . ولكن المنيّة عاجلته . وهذا المسجد بعد واحدة في صحراء الحياة . فقيه يجتمع المريدون كل يوم على الذكر وعلى العلم تحفهم الملائكة . وتنزل عليهم الرحمة . ويذكّرهم الله فيمن عنده .

أما عمله الخالد حقاً فهو تربية هؤلاء الصغرة الذين تلمذوا عليه ، وعلى رأسهم خليفته الشيخ عبد الجليل قاسم وابنه الأستاذ سليمان القاضي ، نفع الله بهم وجعلهم منارة يستضيء بها المهتدون .

٣ - جهاده

أساس طريقته رضى الله عنه هو أساس الطريقة الشاذلية عادة . وهو ما يلي :
١ - استغفر الله « مائة » اللهم صلّ على سيدنا محمد وعبدك ورسولك النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً بقدر عظمة ذاك في كل وقت وجن « مائة » . لا إله إلا الله « مائة » سيدنا محمد رسول الله ﷺ « مرة » .

وإذا فات لا يقضى ولكن القضاء أول من تركه إذا فات اضطراباً . وهذا الأساس هو الورد اليومي للشيخ وللمريد على حد سواء . ومن أوراد الشيخ اليومية :

١ - التسبّعات .

٢ - سفينة النجاة لسيدى أحمد زروق .

أما الأسماء التي يجب على المريد سلوكها في بدايته فهي :

١ - « الأصول » : لا إله إلا الله ، الله ، هو ، حي ، واحد ، عزيز ، ودود .

٢ - « الفروع » : حق ، قهار ، قيوم ، وهاب ، مهين ، باسط .

يقرأ كل اسم مائة مرة على مدى الأيام حسب قدرته وقدرته. ولا ينتقل من اسم إلى آخر قبل تمام العدد، إلا إذا رأى رؤيا وعرضها على شيعه، ووجد منها الانتقال نقله، وإلا فليمن العدد.

ولكن الشيخ رضى الله عنه لم يكن يكتب بهذا، وقد جمعت أوراده فيما عدا ماسبق - في كتاب طبعه السيد / حسن عباس زكى بعنوان «كنوز الأسرار» في الصلاة والسلام على النبي المختار، وفي هذا الكتاب صلوات الشيخ عبد الله الماروشى الفاسى، وقد اقتطفنا منها زهرات فيما سبق، وفي الكتاب صلوات أخرى مباركة كثيرة، وفيه تسييح ودعاء مأثور، ووصايا للنبي ﷺ، وفيه من الأحزاب للشافلى، رضى الله عنه، حزب اللطف، وحزب الإخفاء، وحزب الشكوى، وحزب البحر، وفيه مناجاة واستغاثات وقصائد وصيغ لتفريج الكرب.

وكان الشيخ رضى الله عنه يداوم على قراءته ويحتشد في أن يقرأه يومياً. ومما كان يقرؤه يومياً في هذا الكتاب حزب اللطف، لسيدى أبى الحسن الشاذلى، نثبه هنا بتمامه لما فيه من لطف، ولما لغيرته من لطف الله، ورعايته لمن يقرؤه.

حزب اللطف :

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم . بسم الله الرحمن الرحيم .
والحمد لله رب العالمين . الرحمن الرحيم . مالك يوم الدين . إياك نعبد وإياك نستعين . اهدنا الصراط المستقيم . صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين . آمين .
اللهم اجعل أفضل الصلوات ، وأتمى البركات في كل الأوقات على سيدنا

محمد أكمل أهل الأرض والسموات وسلم عليه ياربنا أركى التحيات في جميع الحضرات .

اللهم يا من لطفه بخلقه شامل . وخيره لعبده واصل . لا تخرجنا عن دائرة الأنطاف ، وآمناً من كل ما نخاف ، وكُن لنا بلطفك الحق الظاهر باطن باظاهر .
بالطيف نسألك وقاية اللطف في القضاء . والتسليم مع السلامة عند نزوله والرضا .
اللهم إنك أنت العليم بما سبق في الأزل فحفنا بلطفك فيما نزل . بالطيف لم يزل . واجعلنا في حصن التحصن بك يا أول يا من إليه الانتجاع وعليه المعول .
اللهم يا من أتى خلقه في بحر قضائه . وحكم عليهم بحكم قهره وإبلاؤه .

اجعلنا ممن حمل في سفينة النجاة ووفى من جميع الآفات .
إلهنا من رعت رعايتك كان ملطوفاً في التقدير . محفوظاً ملحوظاً بعنايتك يا قدير

باسمك يا قريب يا مجيب الدعاء ارفعنا بعين رعايتك يا خير من رعى .
إلهي لطفك الحق اللطف من أن يرى . وأنت اللطف الذي لطفك بجميع الورى . حجبت سريان سرك في الأكوان فلا يشهده إلا أهل المعرفة والعبان . فلما شهدوا سر لطفك بكل شيء آمنوا به من سوء كل شيء فأشهدنا سر هذا اللطف الواقى مادام لطفك الدائم الباقي .

إلهنا حكم مشيتك في العبد لا تزده همه عارف ولا مرید . لكن فتحت لنا أبواب الأنطاف الخفية المانعة حصونها من كل بلية فأدخلنا بلطفك تلك الحصون يا من يقول للشيء كن فيكون .

إلهنا أنت اللطف بعبادك لاسماً بأهل محبتك وودادك . فبأهل المحبة والوداد خضعنا بلطائف اللطف باجواد .
إلهنا اللطف صفتك والأنطاف خلقتك ، وتنفيذ حكمك على خلقك حَقُّك .
ورأفة لطفك بالخلق تمنع استقصاء حَقِّك في العالمين .

إلهنا لطف بنا قبل كوننا ونحن للطف غير محتاجين أننعننا منه مع الحاجة له وأنت أرحم الراحمين . حفنا بلطفك الكافي وجودك الوافي .

إلهنا لطفك هو حفظك إذا رعيت وحفظك هو لطفك إذا وقيت ، فأدخلنا سرادقات لطفك واضرب علينا أسوار حفظك بالطيف نسألك اللطف أبداً ، بالحفيظ قنا السوء وشر البدا بالطيف « ثلاثاً » من لعبتك العاجز الخائف الضعيف .

اللهم كما لطفت في قبل سؤالي وكوّن في كني لي لا على يا أمين وعوني الله لطيف بعباده يرزق من يشاء وهو القوى العزيز .

آتسنى بلطفك بالطيف أنس الخائف في حال الخيف آتسنى بلطفك بالطيف . وقيت بلطفك الردي ، وتحجبت بلطفك عن العدا ، بالطيف بالحفيظ والله من ورائهم محيط . بل هو قرآن . مجيد في لوح محفوظ .

تَجَوَّزْتُ من كل خطب جسم يقول ربي : ولايتوده حفظهما وهو العمل العظيم . سلَّمْتُ من كل شيطان وحاسد يقول ربي : وحفظاً من كل شيطان مارد . كُفِّيتُ كلَّ هم في كل سبيل بقولي : حسبى الله ونعم الوكيل . الله لا إله إلا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما في السموات وما في الأرض من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء وسع كرسيه السموات والأرض ولا يئوده حفظها وهو العمل العظيم . لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم . الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون .

لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين

رهوف رحيم . فإن تولَّوا فقل حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم .

بسم الله الرحمن الرحيم : لا يلاف قريش إلا لفهم رحلة الشتاء والصفيف .

فليعبدا رب هذا البيت . الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف .

اكتبيت بكهيعص . واحتमित بجمعتس . قوله الحق وله الملك . سلام قولاً

من رب رحيم . أحوين ق آدم خم هاء آمين . اللهم بحق هذه الأسرار قنا الشر والأشرار . وكل ما أنت خالق من الأكدار . قل من يكلؤكم بالليل والنهار . بحق

كلاءة رحايتك اكلاًنا ولا تكلنا إلى غير إحاطتك .

رب هذا دُرُّ سؤال في بابك لاحول ولا قوة إلا بك .

اللهم صل على من أرسلته رحمة للعالمين . محمد خاتم النبيين ﷺ . ومجد وعظم وشرف وكرم . سيدى لا تخلى من الرِّحمة والأمان باحثان بامثان .

وسلام على جميع الأنبياء والرسلين والحمد لله رب العالمين .

أما الوسيلة الكبرى لتقرب الشيخ من الله سبحانه وتعالى . فهي مالا حفظناه نحن من تعلق قلبه دائماً بالله سبحانه وتعالى .

لقد كان مجلسه ذكر الله . وكانت خلواته ذكر الله .

لقد كان من أولى الأبواب الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانه .

إن ذكر الله سبحانه وتعالى كان شعاره الدائم . وطابعه . ودينه الذي لا ينفك عنه . والذكر كما يقول القشيري ركن قوى في طريق الوصول إلى الحق سبحانه

وتعالى . بل هو العمدة في طريق القوم . ولا يصل أحد إلى الله إلا بدوام الذكر .

وقد وصل شيخنا بدوام الذكر إلى الله سبحانه وتعالى .

وللشيخ رضي الله عنه مبادئ ونصائح نفيسة في أصول الطريق . وفيها يعين على

الطاعة ويقرب إلى الله . وفي آداب الذكر . وكتبها بخطه . نقلها على صورتها حرفياً .

أصول الطرق :

- يقول رضى الله عنه . مما يجب على المريد :
- ١ - أن يتقرب إلى الله تعالى بما شرعه وسنه رسول الله ﷺ .
- ٢ - أن تكون عبادته لوجه الله تعالى مخلصة في قوله وعمله . دون رياء . مكفياً بعلم الله فيه . وبإياه وحسب الظهور . فإنه يقصم الظهور .
- ٣ - أن يحفظ جوارحه عن المحرمات . وليدع الفضول في الأقوال والأفعال . والتدخل فيما لايعنيه . وأن يظهر قلبه من الرذائل والخواطر النفسية . والآ يشغل نفسه بهم الرزق وخوف الخلق . فإن الله هو الرزاق ذو القوة المتين .
- ٤ - ألا يعترض على الخلق . وألا يركن إلى دنيا أو جاه . وإنما يعتمد على الله وحده . وأن يفوض الله تعالى في جميع أموره . ويرضى عنه في السراء والضراء .
- ٥ - أن يكون عفواً صفوفاً عن زلات أخيه ناصحاً إن أمكن . وألا يهجر أخاه فوق ثلاث . وأن يبدأه بالسلام إذا التقى به .
- ٦ - أن يتحلى بالصدق في الأقوال والأفعال . وأن يتجمل بالصبر في كل أموره .
- ٧ - أن تلازمه مراقبة الله تعالى في السر والعلن .
- ٨ - أن يحسن الظن بربه والناس .
- ٩ - أن يكثر من الصدقات فإنها أقرب الطرق الموصلة إلى الله تعالى .
- ١٠ - أن يعدد التوبة كلما وقع في هفوة أو شهوة أو غفلة .
- ١١ - أن يديم الاستغفار ويكثر من الصلاة على الرسول الأعظم ﷺ .

١٢ - أن يحاسب نفسه وبتمها في كل شيء ، متوسلاً بالطاهرة .

١٣ - وعليه التسليم الكامل لشيخه ، والتفاني في خده ، ولا يعم على أمر حتى يستأذنه فأذنه سب نجاحه .

١٤ - أن يشغل أوقات فراغه بمجالسة أهل التحقيق

ومما يعين على الطاعة ويقرب إلى الله تعالى :

أن يملأ بطنه من طعام حلال ، وأن يتعد عملاً فيه شبر أوقول أو عمل واجتناب اللغو من الكلام والفرار من أهل يسهر إلا في طاعة ربه ولا ينأى إلا عن غلبة ، وعليه باستعمال وكلام أحدث تَوْضُحاً ، وكلما تَوْضُحاً ، صلى ركعتين مع المواظبة في أول وقتها مع الجماعة ، وألا يتخلف عن رباط الصوفى بركعتهم ، وأن يصوم من كل شهر عرني ثلاثة أيام ، الثالث والخامس عشر .

وتلاوة مائتير من القرآن يومياً وعليه بقيام الليل فهو

ومن آداب الذكر فيما يرى الشيخ رضى الله عنه :

ألا يتلو ورداً إلا بإذن من شيخه . أو يلقنه إياه . وأد هيئة الشاهد . متوضئاً مستقبل القبلة مأمئناً مغمضاً عينيه الذكر بالذكور . وأن يراقب صورة شيخه في جميع عباد من شيخه . وأن يلاحظ أن استمداده من شيخه هو الاست لأن الشيخ الصادق نائب عنه .

وَأَلَّا يَشْرِبَ عَقَبَ الذِّكْرَ مُبَاشِرَةً ، وَلِيَسْتَنْظِرَ قَلِيلًا فِي مَكَانِهِ بَعْدَ الذِّكْرِ صَاحِتًا مُسْتَحْضِرًا لَتَلْقَى مَا يَرِيدُ عَلَيْهِ مِنْ وَارِدِ الذِّكْرِ ، وَلِيُؤَدَّ أَوْرَادَهُ كَامِلَةً فِي أَوْقَاتِهَا وَإِلَّا حُرِّمَ الْمَدَدُ ، وَبِغَيْرِهَا لَا يَتَقَدَّمُ أَحَدُ الْمُرِيدِينَ فِي بَدْءِ ذِكْرِ وَلَا حَزْبٍ وَلَا وُرْدٍ عَلَى مَنْ قَدَّمَهُ شَيْخُهُمْ مَا دَامَ حَاضِرًا .

٤ - إلهامات عن الطريق

وطريق الشيخ يتلخص - مع المحافظة على الفروض - في أمرين :
١ - ذكر كثير .
٢ - تخلق كرم .

وكان مما يذكره رضى الله عنه لمريديه ما قاله أبو العباس الرضى رضى الله عنه :
طريقنا : المداومة على الذكر ، وترك الغيبة ، وترك سوء الظن بعباد الله ، فمن واطب على ذلك رزقه الله من حيث لا يحتسب .

ومن وارداته رضى الله عنه في شأن المريد :

١ - لزوم الجهد في الطاعات ، وارتكاب أحوال المجاهدات وذبح النفوس بسكين الخالقات ، وجسها في سجن الرياضة حتى يفتح الله عليه بالسراج في رياض المعرفة .

٢ - ومن شأنه أيضًا « المريد » أن يذكر في كل وقت حتى يصل إلى القية والحضور . والغية عمدًا دون الحق حتى يغيب عن نفسه إلى درجة ألا ينظر إلى نفسه في حال غيبة نفسه والحضور مع الحق ، فإن الغيبة عن النفس حضور مع الحق . وموقف المريد من العلوم ظاهرة وباطنة ، قد حدده الشيخ فيما يلي :

من لم يستعد بالعلوم الظاهرة تكون العلوم الحقيقية بالنسبة له . ظلمات في القلب . ومن لم يستعد بالعلوم الباطنة تكون الظاهرة بالنسبة له . ظلمات في القلب أيضًا .

إن المريد يحتاج في البداية أن يكون عارفاً علمياً . فتكون نهايته عارفاً حقيقياً . وينصح الشيخ المريد قائلاً :

راقب صورة شيخك وأنت تقرأ صورة وردك ، واستمد منه ، واعلم أن الرسول محيط بكما ، والله محيط بالكل ، فهذه أسس الجمعية التي بها يتم الفلاح . والنصيحة الحققة بالنسبة للمريد هي :

المجاهدة في إزالة رذيلة ، وإحلال فضيلة محلها كمحو البخل وإحلال الكرم محله ، أو استبدال الكبير بالتواضع .

وقد نصح الشيخ مرة مريديه - وكان ذلك يوم الجمعة ٢٤ من ذى الحجة

١٣٨١ هـ - فقال :

من عمل بهذه النصائح أبشره بدخول الجنة :

حفظ الجوارح جميعها إلا فيما يرضى الله .

ترك الغيبة أو نهش أعراض الناس .

عدم الاعتماد على حب الشيخ من غير عمل .

أن تحب لأخيك ما تحب لنفسك .

المجذوب والسالك :

والإنسان في سيرة إلى الله إما أن تكون بدايته جذبة من جذبات الحق ، وإما

أن تكون سلوكاً ، وفي المجذوب والسالك يقول الشيخ رضى الله عنه :

المجذوب : من جذبه الله إليه ، ولذلك كان سيره من أول خطوة في الطريق

بالله لا بنفسه . وهذا جاء من باب القدرة : كن فيكون . ويوضح ذلك من فاجأته

الغاية فتغيرت حاله فجأة وانقاد إلى طريق مولاه وهذا هو المجتبي مباشرة .

بالشهادتين وأقر بالوحدانية لكنه لا يرى هذه الوحدانية للآران على قلبه بما سد ناظره بصيرته .

وهناك قسمان آخران للبصيرة وهما :

١ - عين البصيرة .

٢ - حق البصيرة : « وهما داخلان في نطاق مقام الإحسان » .

(١) فعين البصيرة : نور الإحسان لأهل المشاهدة .

(ب) وحق البصيرة : نور الإحسان لأهل المكالمة .

وكل ما بعد ذلك ترقى في مقام الإحسان .

وقد أشار إلى ذلك ابن عجيبة . وانفرد محيي الدين برأى خاص به . بأن هناك مقامًا فوق مقام الإحسان . وهو ما بعد الصديقية الكبرى وقبل مرتبة النبوة . وهو

مقام الإيقان الذي فيه الخضر . وقد ذاقه ابن عربي .

والحق أنها ترقيات في مقام الإحسان . وليس بعد مقام الإحسان إلا مقام النبوة . ويشهد لذلك حديث الإسلام والإيمان والإحسان .

ويجمع الطريق الوارد التالي :

لُذَّ بجنابنا واطرح أنفالك برحابنا ، واجعل مطالبك مطالبنا ، نجملك إمامًا

لنا ، أى من أئمتنا في الأرض الموالين لنا .

يقول الشيخ : إن هذا الوارد يقصد بذلك المشايخ السالكين . وهذا الوارد

كما يقول - جمع الطريق كله مختصرًا .

أما السالك فأنواع :

(١) نوع قدر الله له الوصول . وهذا يقال له : مُجْتَبَى من وراء حجاب .

لأنه أتى من باب الحكمة .

(ب) نوع ظل سائرًا ولم يصل . وفاجأته النبوة . وذلك يكمل الله سبحانه له الوصول في قبه .

(ج) نوع لم يقدر الله له الوصول . وذلك هو النوع المستدرج والعياذ بالله .

والسالك المقدر له الوصول أفضل من المجتبي مباشرة لأن المجتبي لم يجاهد .

والمجاهد يجاهد نفسه وهواه وهذا هو مقام الجهاد الأكبر .

والمجذوب : فاته هذا المقام والدليل على ذلك قوله سبحانه :

(لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين

أنفقوا من بعد وقاتلوا ، وكُلًّا وعدَّ الله الحسنى . والله بما تعملون خبير) .

وهناك مرتبة أعلى من المرتبتين :

مرتبة « المجذوب المجاهد » . وهى مرتبة المجاهد الذى سلك بنفسه ثم أدركته

العناية فنجذب واجتئب قبل الوصول ، فقد أحرز المثلتين .

البصيرة :

وينتهى السلوك . بتوفيق الله . بالكشف عن البصيرة .

والبصيرة ناظر القلب . والبصر ناظر القلب . وهى أى - البصيرة - أقسام :

بصيرة فاسدة : للكفار إذ أنها أنكرت نور الحق .

وبصيرة مسدودة : لمرضى أصابها ، إنها محاطة بالنور ولكنها لا تقوى على

مشاركتها ولا تشهد قربه منها ولا بعده عنها ، وهى لعامة المسلمين . فالمسلم نطق

٥- إلهامات في التفسير

ونبدأ بعون الله الآن في ذكر ما نأخذ به الشيخ رضي الله عنه في تفسير آيات من القرآن الكريم.

- ١- بسم الله الرحمن الرحيم :
افتتح السور بالبسملة . لأن السور بيوت ومنازل . فباب كل بيت البسملة . ومعناه أن من دخل آمن ؛ لأنه طمأنه بالرحمة التي في البسملة التي هي الباب .
- ٢- (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ) .

وموقف الملائكة من خلق آدم عدم منهم .

والأمر بالسجود للخليفة تشريف للخليفة .

وإبليس زعيم فرقة النار . ومحمد ﷺ زعيم فرقة الجنة .

إبليس من الجن وعلا بالعبادة إلى رتبة الملائكة ، فلما أمرت الملائكة بالسجود

له وهو معهم ، شمله الأمر ، فقلبت عليه نفسه باعتبار أصله ، فلم يسجد . أما

الملائكة فلائهم أرواح محضة سجدوا .

٣- (وَادْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِثَاقَهُ الَّذِي وَاتَّقُوا بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا

وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ) .

أى اشكروا نعمته الكبرى : الرسول ﷺ . ووارثه في كل عصر . وشكره

النائب في حضرته والعمل بما يحبه . والرسول خير نعمته « إنما أنا رحمة مهداة » .

٤- (إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الْحَكِيمُ) .

الحكمة تقتضي عدم المغفرة لهم . فكيف يخالف الحكمة ؟

المراد السر في المواقف من الفضيحة .

٥- (لَا تَذْكُرْهُ الْإِنبِصَارُ وَهُوَ بِدْرِكَ الْأَبْصَارِ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ) .

العارفون يدركونه ببصائرهم . والآية نقي للإدراك بالبصر . لا البصيرة .

٦- أهل الأعراف : (وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ . وَنَادَاوْا

أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَئِنُّونَ) .

مدحوا بقوله : رجال . سواهم الله يبدى الجلال والجمال . فهم بين الغضب

والرحمة . النار والجنة . فلو مال أحدهم إلى أيها لايكون كاملاً . بل إن وضعه

كالميزان لا يميل إلى الجنة ولا إلى النار . ويسلمون على أهل الجنة ، وقلوبهم مع الله

لامع الجنة .

ويقول الشيخ مرة أخرى .

هناك من خلقه الله بيد : إما جمال محض . أو جمال محض .

وهناك من خلقه الله يدين : الجمال والجلال . فهو الخليفة . كآدم . يقول

الله تعالى : (مامنعك أن تسجد لما خلقت بيدي) .

فكل من جعله الله خليفة يكون مخلوقاً باليدين جسماً وروحاً . وله تسجد

الملائكة كآدم .

٧- (قَدْ أَفْرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا .

وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَنْهَاهُ اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ . عَلِمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا

رَبُّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ) .

ذلك المصوم فكيف يرجع إلى ملة الكفر . وذلك يناق المعصية .

هذا من باب ملاحظة العلم المطلق . فليس هناك فيه قيد ولا عصية

ولا غيرها ؛ لأن الشرع مقيد . وعلمه المطلق لا اطلاع لأحد عليه .

والرحمة التي عليه خاصة . فهي أقل فيقول : لو أن الرحمة التي معي تغلب الغضب الذي عليكم . أو آوى إلى ركن شديد معناه : أوتيجل على مولاي بالرحمة العامة فتغلب كل غضب . ولقد كان لوط في كل حال يأوى إلى مولاه ولم يبرح الحضرة الإلهية . ولا يلبق بني إلكذلك . ولذا قال الرسول ﷺ : « رحم الله أخى لوطاً كان يأوى إلى ركن شديد » .

فيشير إلى أنه كان دائماً آوياً إلى مولاه . وإنما كان يطلب غلبة الجلال الجلال .

أو الرحمة الكلية العامة الغضب . والله أعلم .

١٢ - (فاستقم كما أمرت ومن تاب معك ولا تطغوا إنه بما تعملون بصير) .

قوله ﷺ : « شيتني هود وأخوانها » . لقوله تعالى : (فاستقم كما أمرت) .

فالذي شبهه قوله : (أمرت) لأن الأمر خلاف الإرادة . الأمر قد يقصى ولكن الإرادة لا تقصى أبداً . فلو قال كما أردت لما شبه ذلك ولم يكن ذلك له .

بل لأتمه . لأنه قائم بالأمر وزيادة لأنه مراد الإرادات .

١٣ - (وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا البلدة آمناً واجنبي ونبي أن تعبد

الأصنام) . كيف ذلك لإبراهيم المصوم ؟

المراد بالأصنام الأغيار والعلاقات . وكل ما يشغل عنه . إذ أن ما يشغل العبد عنه

بأسره . ويكون الإنسان عبداً له : « تعس عبد الدرهم » .

١٤ - (والله غيب السموات والأرض وما أمر الساعة إلا كلمح البصر أو هو

أقرب . إن الله على كل شيء قدير) .

أو للتحقيق فأمر الساعة للناس كلمح البصر . وهو أقرب للأنبياء والمرسلين .

١٥ - (ما عندكم يتقد وما عند الله باق . ولنجزين الذين صبروا أجرهم

بأحسن ما كانوا يعملون) . الذي عند نفسه فان . والذي عند الله في مقام العندية

لا يتبدل علمه . ولا يغنى عرفانه .

ومنه دعاء النبي يوم بدر .

ومنه قول أبي بكر : لا آمن مكر الله ولو كانت إحدى قدمي في الجنة

ومنه قوله : (وإنا أوثأياكم لتعلمي هدى أو في ضلال مبين) .

٨ - الأفعال من الله : (يحيم ويحيونه) .

ففي الحقيقة مأحب إلا نفسه : لأنه لا يحيم إلا لفعلهم . وهو منه

نعم الأفعال كلها منه .

والفعل في حالة صدره من الله لا يكون إلا خيراً . ولكن الدعاء الذي تنزل

عليك تلك الأفعال هو الذي يشكلها ، فلذا نسب لله في الصدور إن كان خيراً ،

وللعبد في الظهور إن كان شراً ، لأن العبد هو الذي شكله .

٩ - (من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها وهم فيها

لا يبخسون . أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل

ما كانوا يعملون) .

دليل على زيادة أوزاق الظلمة وكل من كان يريد بعمله الدنيا .

وقوله تعالى : (أولئك الذين ليس لهم في الآخرة ...) الخ .

قضاء عليهم . وقصم لهم . وبيان لضيعاتهم فيها هو أنهم في الآخرة .

١٠ - (ويضغ الفلك وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه ، قال إن

نسختوا منّا فأنا نستهزئكم كما تهزؤون) .

لما كان نوح يصنع السفينة في البرية . ويقول لهم سأعمل بيتاً يسير على الماء .

فكانوا يسخرون منه . وكذلك المصلح يكون ظاهر حاله يدعو للاعتراض

والمعجب . ولكنه على حق والعبرة بالنتيجة .

١١ - قول لوط : (قال لو أن لي بكم قوة أو آوى إلى ركن شديد) .

فهو يقول : لو أن لي بكم قوة . يعني الجلال والغضب عليهم شديد .

١٦- (وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَوْمًا مِنْهُمْ أَمْرًا مُتَّفِقًا فَنُفِثْ فِيهَا عَلَيْهِمْ آلَ قُلُوبٍ نَافِثًا تَلْفِيفًا) . هناك أمر تشريعي ، وهو ما جاء على لسان الرسل ، وهناك الإرادة . والآخر لا بد من وقوعه وتحققه . والأمر قد يقع وقد لا يقع . و الأول الأمر بطاعة الله . ومثل الثاني : (أَمْرًا مُتَّفِقًا فَنُفِثْ فِيهَا) . فهو أمر تشريعي ظاهر فهو أمر الإرادة أما قوله : إن الله لا يأمر بالفحشاء فهو أمر تشريعي ظاهر وآدم عليه السلام . رأى أمر الإرادة فأكل من الشجرة وكان الأمر الظاهري بذلك . فذكره لأنه رأى أنه غير واقع . ولذا نال بعد ذلك الخلافة .

١٧- (وَخَسِفُوهُمْ أَفْقَاطًا وَمَنْ رُفُودَ . وَتَقْلِبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشَّامِ) . وكلهم باسط ذراعهم بالوصيد لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارًا ولملت رعبًا) .

وذلك لما ألهمهم الله من الهية والهيئة التي كانوا عليها من طول الشعر والأظفار وغير ذلك . ولم يتجمل الله على سيدنا محمد ﷺ ، بمثل ذلك . وكانت أمة مفتحة كالسيف الذي يريد أن يتكلم .

١٨- (لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا) . الجنة في الدنيا ، والمراد الحث على الأوراد . لأنها تسبب الأرزاق المعينة والحسية ، وفي جنة الآخرة التي سقفها عرش الرحمن . وهم يعلمون مقدار العمل بعلامات .

١٩- (قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَى وَلِيِّ فِيهَا مِائَ خَمْسِينَ) .

قول سيدنا موسى عليه السلام : (هي عصاى) : معرفتى بك ، أعتمد على

(٣) بل تجل الله عليه بالجنة والجنة مثلاً .

(أَهْشُّ بِهَا عَلَى غَنَى) : أولادى فى التربية .
(وَلِي فِيهَا مِائَ خَمْسِينَ) : من باب لى وقت مع ربي لاتسعى فيه أرض ولاسماء .

٢٠- (فَأَكَلَا مِنْهَا قَبَذَتْ لَهُمَا سَوْءَ آثَمِهِمَا وَلَطِيفًا يَخَصِّصَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ رَوْقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى) . فكيف يعصى وهو معصوم ؟
الحق أن هناك أمراً إرادياً لا يعصى أبداً وأمرًا شرعياً ، وهو قد يعصى ، وقد لا يعصى ، وعصمته تقتضى عدم عصيانه : إذ أنه اطلع على مافى علمه ورأى عدم وقوع ذلك الأمر ، فعصى الأمر الظاهرى ، وغوى أمر الإرادة ، فهو طائع حقاً ، إذ أنه يعلم أن مافعله هو الواقع حتماً .

والفرق بيننا وبين أمثال الأنبياء والمطهرين على علمه وعلى مافى اللوح أنهم قبل الإقدام على العمل يرون مافى علم الله ويشاهدونه ويأتون ما أَرَادَ الله سواء وافق الأمر الظاهرى أم خالفه . ومثلنا لا اطلاع له . فلا يدرك مافى الإرادة ، وإنما يعلم أن هذا كان فى العلم بعد وقوع المقدور . والعقاب والحساب على القدر والعلو مخالفة الأمر وهو لا يدرك ما أَرَادَ الله . أما هم فيرون مافى علمه . ويأتون الأمر الإرادى استجابة لما فى العلم لاشهوة ولا لهوى ونحوه .

٢١- (وَذَا الثُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ) .

أى خرج من قومه من غير إذن . (لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ) : لن نقدر عليه بالرحمة ونضيق . وهناك غلب الرجاء . والميزان استواء الرجاء والخوف .

٢٢- (وَمَنْ آتَيْنَاهُ مَتَاعًا جَمًّا بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ يَرِيثُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ . إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُسْمَعُونَ) .

ولم يقل بالنهار ، دليل على أننا في شفة نامة ، بالليل والنهار . لأن النوم غفلة . ومع غفلتنا التامة عنه ، وعن شهوده ومعرفته ، نرجوه ونطلب منه .

٢٣ - (إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ) . إنك بشريتك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء .

٢٤ - سألته مرة سائل في قوله تعالى :

(إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ ، وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ ، وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مِمَّا ذُكِّرَ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ، إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) .

قائلا : كيف يتفق أن النفس لا تدرى ماتكسب غداً مع ما يختص الله به أوليائه من أسرار ومغيبات المستقبل ؟

فكان جوابه في إيجاز بليغ : لقد قال سبحانه : (وماتدرى نفس) ولم يقل روح ، وإيضاح ذلك كما سمعناه منه ونرويه بالمعنى لا باللفظ :

أن النفس بما غطي عليها من ران الطباع ، وما غشاها من كثافة ذميمة الخصال لا يمكن أبداً أن تدرك شيئاً من أسرار الله . وهذه هي النفس المارة في الآية .

فإذا ما ارتقت من نفس أمارة بالسوء إلى نفس لواقمة ، ومن لواقمة إلى ملهمة ، ومن ملهمة إلى مطمئنة ، ومن مطمئنة إلى راضية ، ومن راضية إلى مرضية دخلت في حيز النفس الكاملة ، وحينئذ تكون قد تخلصت من ران الطباع وكثافة ذميمة الخصال ونحكمت سجن الجسد فيها . فيكون لها الشفافية والإطلاق ، فتتحكم هي في الجسد ولا يتحكم الجسد فيها . ويكون صاحبها روحانياً . وهذه المرتبة هي التي تسمى فيها النفس روحاً ، والروح سر من أسرار الله . ولأنها سر الله فهي دراية عامة بما كان وما يكون . فإذا ما وصل صاحبها إلى هذه المرتبة انكشف الغطاء ورأى أمامه غرائب الماضي . وخفيا الحاضر . وعجائب المستقبل . وكل روح في أصلها كذلك فإذا ما غيبت في الجسد سيطر عليها بكثافة ، وغطي ما تخويه من أسرار . فمن

جاهد وأخرجها من هذه الكثافة عاد بها إلى أصلها واستحققت أن تنادي : (يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ، ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً ، فَادْخُلِي فِي عِبَادِي وَادْخُلِي جَنَّاتٍ) .

وأوليائه الله الذين اختصهم بأسراره منهم من وصل إلى هذه المرتبة . ومنهم من تجاوزها . وبذلك تنجلي الشبهة في السؤال ولا تعارض الآية ما يختص الله به أحبائه من أسرار . فهم علماء الله بحق . الذين عناهم بقوله : (وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم) وهم بعينهم الذين تناولتهم الآية الكريمة (إنما يخشى الله من عباده العلماء) (٤) .

٢٥ - (إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ ، إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا) .

الأمانة المرفة الحقة ، وهي للفؤاد فما فوق . وهي الخلافة الحقيقية . والإنسان الحق . كان قبل حملها ظلوماً جهولاً .

٢٦ - (إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ) . فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء . وإليه ترجعون . كيف يكون شيئاً . ويقول له كن ؟

فإن كان موجوداً فلا داعي لوجوده . وإن لم يكن موجوداً فلمن يقول له كن ومن يخاطب ؟ يخاطب هذا الشيء المعلوم لله . الموجود في علمه . الحاضر لديه . المعلوم في ذاته . الذي لم يأت أوان خلقه . إذ أن العلم تعلق بالمعلومات كلها وإلا كان علماً . لأن العلم لا بد له من معلوم يتعلق به . إلا أن هذا المعلوم لله معدوم في ذاته في حاجة إلى تكوين وبروز . فيخاطب هذا المعلوم بالتكوين والخروج إلى حيز الوجود .

(٤) من مدارك الأستاذ سمان القاضي عن والده .

٢٧- (قَلَّمَ بَلْعَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَابْنَثُ إِنِّي أَرَى فِي السَّمَاءِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى . قَالَ يَابْنَثُ أَفَعَلَّ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ) .
قوله تعالى : (إِنِّي أَرَى فِي السَّمَاءِ أَنِّي أَذْبَحُكَ) .

قال إسماعيل : (يَابْنَثُ أَفَعَلَّ مَا تُؤْمَرُ) .

ولم يقل : مارأيت . فلم يكن مارأه أمراً ، ولو كان رآه أمراً لقال : إِنِّي أمرت . وكيف يذبحه ولم يؤمر بذلك ؟ إنما ذلك شدة مسارعة لتنفيذ مارأى .

رؤيا الأنبياء والصالحين على قسمين :

١- رؤيا كشف .

٢- رؤيا تحتاج إلى تأويل .

فالأول : لا بد من حصوله كما هو . والثاني : يؤول .

فرويا الخليل عليه السلام . من الثاني إلا أنه لم يوقن أنها منه « من الثاني » فسارع إلى تحقيقها . ولذا قال تعالى : (صدقت الرؤيا) ولم يقل صدقتنا . أما الرسول ﷺ . فكان عنده علامة يعرف بها رؤيا الكشف من الرؤيا التي تؤول . مثال ذلك لما رأى أنه شرب لبناً . وأعطى الفضلة لسيدنا علي . فقالوا له : ما أدلته ؟ قال : العلم .

ومثله رؤيا يوسف عليه السلام : رأيت أحد عشر كوكباً .

احتاجت إلى تأويل . الكواكب : إخوته .

أما عن عروج النبي ﷺ ليلة الإسراء والمعراج : فقد كان ﷺ يرقى جسمه الشريف ويتلطّف بما يتناسب والروحانية العلوية . فكان يرقى تدريجياً من سماء إلى سماء حتى يصير في شفاية ملائكة كل سماء . حتى وصل مع جبريل إلى سدة المنتهى . فكان غاية في الشفاية والروحانية . وهنا توقف جبريل وطلب منه سيد البشر أن يواصل سيره فقال :

٢٨- (روماننا إلا له مقام معلوم) . تقدم أنت يا محمد فهذا مقامك . وهنا رجع بسيدنا محمد ﷺ في الأنوار فوصل إلى حيث لا بين ولا بين ولا زمان ولا مكان . فقد انتهى حين ذلك المكان . وهنا لا مجال للقول وللالمعل . وكل ما يمكن أن يقال : إنه رأى مولاة بعين بصيرته ويمكن تفسير قوله صلى الله عليه وسلم :

« رأيت ربي بمعنى رأسي » . أي أنه قد انعكس نور بصيرته على بصره فزادت عيناه بنور بصيرته من ليس كمثلته شيء .

٢٩- (وقال ربكم اذعنوني أستجب لكم) . إن الذين يستكبرون عن عبادتي سينخلون جهنم داخرين) .

قال رضى الله عنه : إجابة عن سؤال كيف تعبد الله بلا علاقة ؟ مع أنه تعالى قال : (ادعوني أستجب لكم) قال ادع الله انثاءً للالطلب ولكن إظهاراً للعبودية والتذلل . ومثل ذلك سيدنا أبي الحسن مخاطباً الشيطان :

أعوذ بالله منك . ومن أنت حتى أستعبد منك ؟

ولولا ماأمروني ربي مااستعذت بالله منك .

٣٠- (ولئن خاف مقام ربه جنتان) .

المراد : جنة في الدنيا . وهي جنة المحبين العارفين . وهي معنوية : لما يستشعرونه من لذة ومتعة في عباداتهم . وأنسهم برهم . ومن هنا يدرك معنى قولهم : « نحن في لذة لو علمها الملوك . لجالدونا عليها بالسيف » وهذا هو المعنى

المراد من جنة الدنيا . وهو الأنسب والأليق .

وهل المراد بجنة الدنيا الجنة الحقيقية الحسية ؟ فالله يطعم أحبابه في الدنيا من الجنة هذه . وذكر رضوان الله عليه قصة الولي الذي استضافه ملك . فقدم إليه

فاخر الطعام . فعرف الولي عن هذه الألوان . فسأله الملك عن سبب امتناعه .

لأنه لا تحصى، فلما جاءت البشرية كانت لا تعرف شيئاً : فكان يجب موافقة البشرية للروحانية؛ فالبشرية ضالة عما في الروحانية.

وموسى عليه السلام قال : « فعلنا وأنا من الضالين » أى الضالين لطريقتكم .

٣٣ - (الهالك الكافر) . حب المال : المخلوق عن الخالق ، المعرفة عن

صاحب المعرفة . الصفات عن الذات ، والأخيرة رحمة . لأنه لولا ذلك لأحرقوا .

٢٤ - (ثم كَسَّالٌ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ) . السؤال يشير إلى رحمة الله ، لأن فيه

تعداد النعم التي أنعم الله بها على العبد في الدنيا ، وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها .

٢ - واردة

١ - من غلبته شهوته فهو حيوان ، ومن غلبت شهوته فهو إنسان . ومن غلبت ناسوته روحانيته فهو من الغافلين ، ومن غلبت روحانيته ناسوته فهو من الأولياء .

الأول : معاملات يعامل نفسه . والثاني : عبادات سائر في مقام العبودية .

٢ - اعلم أن ابن آدم طلسم لا يدري به إلا من اجتبه الله . وأطلعه على سره

الغافض فيه . فمن سر أنه مرقوم على كفه الأيمن رقم ١٨ وعلى كفه الأيسر رقم

٨١ ومجموع الرقمين ٩٩ أعنى أسماء الله الحسنى . يتجلى بها عليه على حسب

استعداده من الأزل .

أما خليفة الله في كل عصر « الغوث » فهو متجلى بها عليه . على رأى منه وهذا

سر قوله تعالى لإبليس عليه اللعنة : (مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدِي)

يعنى كان السجود لآدم شكلاً ، ولكنه في الحقيقة كان لله لا لآدم عليه السلام .

فقال : مثلى لا يأكل من هذا الطعام ، ثم أمسك بنوع منه وعصره ، فكانت

عصارته دماً ، وأمسك اللحم وعصره فكانت عصارته قيحاً وصيدياً ، فتعجب

الملك ، ثم نظر إليه العارف قائلاً : أنرضى أن آكل من هذا الطعام ؟ كله من

حرام ، ومثلى لا يأكل الحرام . فسأله الملك ماذا تأكل ؟

فأجاب طعامى سيائى . وإذا بالباب يطرق . ثم يفتح فيدخل خادماً يحمل

طعاماً على رأسه . ويقدمه للول قائلاً : سيدى الأكبر أمرنى أن أقدمه إلى سيدى

الأصغر : ثم وضعه الولى أمامه وأخذ يمسك ببعضه ويعصره فتزل العصاره لئلاً

خالصاً : ويمسك ببعض ثان ويعصره . فيجده عسلاً خالصاً : وبعض ثالث

فيجده خمرًا لا غول فيها ولا هم عنها يتزنون : وبعض رابع فيجده ماءً غير آسن .

وهى من أنهار الجنة الأربعة : ولعل الولى عمل هذا لحكمة . وهى عمل الملك .

ليحثه على البعد عن الحرام عن طريق هذا التصوير البشع : فجنة الدنيا إما المتعة

واللذة المعنوية التى تفوق كل لذة . وإما جنة المأكولات والملاذات .

وكثير من الأولياء : كان يخرج إلى الناس . ويشم منه ريح الشواء وغيره من

ألوان الأطعمة : ولم يعهد أنها عنده : أو طبخها في بيته . إذ لم يكن لديه المال

لجلب ذلك . ولذا كان الرسول يقول : « إني أبيت عند ربى يطعمنى ويسقئنى » .

والمراد طعاماً حقيقياً حسيّاً يشبع منه . أما الجنة الثانية : فهى جنة الآخرة .

٣١ - (إِنْ بَطِشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ) . قرئت هذه الآية أمام أبى يزيد البسطامى .

رضى الله عنه فقال : إن بطشى أشد :

وسئل رضوان الله عليه في معنى ذلك . فقال : حقاً ما يقوله أبو يزيد . لأن

بطش الله بمزج بالرحمة . أما بطش أبى يزيد فخالف من الرحمة .

٣٢ - (وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهْدًى) .

مع قوله : كنت نبيّاً وآدم بين الماء والطين . فكان نبيّاً للأرواح ، وعلم علوماً

وهذه الأسماء جامعة للبين : أعني الجلال . والقبض والبسط .
والأنس والهيبة . والعز والذل . والفقر والغنى . والكمال .
فمن أسعده الله وتحقق بهذه الأسماء . كان العبد الكامل . ونطق باخكمة وخرج
صندوق نفسه إلى جوهر روحانيته ودررها ولؤلؤها ويواقيتها . وكان خليفة الله في
أرضه . ومن غفل عن ذلك فهو في مشيئة الله تعالى وعاش كحيوان يرتع في
الفلاة .

وإذا أفردت الرقم الذى فى الكف الأيمن نطق باسمه « الحى » وإذا أفردت
الرقم الذى فى كفه الأيسر نطق باسمه « الأحد المحيى » .

فمن عبد الله باسمه الحى ودام عليه واستغرق فيه ليلاً ونهاراً شاهد حياة كل
شئ . وكشف بسر الملك والملوكوت . ومن عبد باسمه الأحد المحيى وأكثر منه .
ولاحد لأكثره . شاهد حياة كل شئ ومحبيه . ومن ذكر بهم جميعاً سعدت روحه
إلى الملأ الأعلى . وصعدت روحه إلى العرش . ليكتب عند الله من الكاملين
الصديقين . وكان أعجوبة زمانه عرف من عرف وأنكر من أنكر .

٣ - أكمل الكمال أن تعبد الله بالإخلاص وتغنى عن الإخلاص بالإخلاص
لله بالله .

فالأول : لمن له تطلع للمقامات فى البداية .

والثانى : لمن طريقه عبودية الربوبية ، فهو النجم الذى لا يدرك .

٤ - أهل الخصوصية مزهود فيهم أيام حياتهم . متأسف عليهم بعد مماتهم .
وهناك يعرف الناس قدرهم حين لم يجدوا عند غيرهم ما كانوا يجدونه عندهم .
ولات حين مندم .

٥ - رأى من يقول : اكتب هذا الكتاب الجامع لآيات الأعلام

فقال : ليس لعبد أن يشغل قلبه بالاختيار بفعل شئ أو تركه فى المستقبل .
وإنما عليه أن يعطى ما أبرزناه على يديه حقه . فإن كان طاعة حمدنا عليها واستغفرنا
من تقصيره فيها . وإن كان معصية استغفرنا من ارتكابه لمخالفة أمرنا . وإن كان
غفلة أو سهواً فعل ما هو اللائق بمقامه . وقد قربنا لك طريق الأدب معنا فى كل
ما تجر به عليك . سلم سلاماً باطنياً وظاهرياً نسلم وتغنم .

٦ - لا تركز إلى عمل ولا علم واركن إلى حب من يحبهم الله ورسوله . وسارع
فى هواهم تفلح دنيا وأخرى والسلام .

٧ - الله الصادق الوعد الأمين . ويتجاوز عن الوعيد لأحبابه المخلصين .

٨ - القلب للمشاهدة . واللسان للعبارة عن المشاهدة . فمن لم يشاهد فهو
شاهد زور .

٩ - آدم قرع بابنا يدخلك علينا بوابنا . وثق أنك لا تدخل علينا إلا بواسطة
بوابنا . واعلم أن بوابنا حبيبنا ، وهو لكل خلقنا .

١٠ - الأقطاب الأربعة هم : « السيد البدوى . سيدى إبراهيم الدسوقى .
سيدى الرفاعى . سيدى الجيلانى » .

أما السيد البدوى فهو حى فى قبره يجلس ويضطجع ويقابل جميع زواره هذا
حاله .

أما سيدى إبراهيم الدسوقى فهو من الأفراد . والمراد أنه ترك المقامات وزهد فيها
حتى الغوثية تولاهها وتركها زاهداً فيها .

(١) السر فى الأشياخ لافى الأذكار .

(د) كل إنسان مركب من عقل . نفس . روح . فكر . قلب . فؤاد . وماعدا ذلك فهو للأرض .

(هـ) الأولياء عرائس مخدرة . من نظر إلى محمد رسول الله آمن به . ومن نظر إلى يتيم قريش كفر به .

(و) الرؤيا جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة . لأن مدة الرسالة ٢٣ سنة والمنام نصف البقظة . ف $23 \times 2 = 46$ والله أعلم . كم من مصباح أطفأته الريح .

(ز) من لا أول له ولا آخر : هو الله سبحانه جل شأنه .

ومن له أول وليس له آخر الروح : وملائكة العذاب والنعيم .

ومن له أول وآخر : الإنسان والجن والحيوان والطيور .

(ح) من طلب الحكمة لذاتها وكله الله إليها . ومن طلبها له وكلها إليه .

١١ - قلوبهم أعجب من ذكر النائم ربه . معناه والله أعلم : أن قلوب أحبائه

أعجب شيء . إذ صاحب هذا القلب ذاكر ربه وهو نائم .

١٢ - وُجِدَ بخط فضيلة مولانا الشيخ - في كتاب متن أبي شجاع « فقه

شافعي » . ويظهر أنه كُتِبَ أيام الخلوة الأولى أو الثانية - مكتوباً : وارد اليوم :

الإخلاص هو الشكر بالعمل والعمل بالشكر . وله ظاهر وباطن : فظاهره العمل

وباطنه الشكر . والحافظ له ونفوه باطنه : أخلص لي عملك ولا تسألني وأنا أعطيك

أفضل ما أعطى السائلين ، وأما الشكر فهو تصرف كل جارحة لما خلقت له ، ثم

ينسى ذلك وإن لم ينس فما شكر : (لأن شكرتم لأزيدنكم) .

فالإخلاص يقتضي العطاء والشكر يقتضي المزيد . فالإخلاص هو الأب

الصالح ، والشكر هو الابن الفالح . والفاعل لها هو المقرب النافع . فاعرف قدر

ما وصل إليك ، واعمل به تكن من الناجحين .

١٣ - العبادات كالحلواء المعجونة بالسّم : فكما لا ترضى النفس بالقليل منها

فتسلم . كذلك لا تصبر على الكثير منها فتغتم .

١٤ - أشد العذاب سلب الروح . وأكمل النعيم سلب النفس . وألذ العلوم

معرفة الحق . وأفضل الأعمال الأدب . وبداية الإسلام التسليم . وبداية الإيمان

الرضا .

ثم الإيمان يتلون بحسب الجسد . والجسد بحسب المضغة . والمضغة بحسب

إصلاح الطعمة . إياكم والجرع في مواطن الامتحان يمتحنكم الحق بأشد من

ذلك . لا يكمل المريد حتى يحمل عن شيخه . فإن رمى أشغاله على شيخه فهو

سبي الأدب . مع أنه إذا تعود ذلك ألقت نفسه ذلك فينقص استعداده .

فإذا جاءته صدمة هدت جداره وشيخه ليس بمقيم له .

لا تأكل أبداً طعام أحد إلا إن كنت وليه في التربية . أو من أهل آية : (ليس

عليكم جناح أن تأكلوا من بيوتكم) . فإن كل لقمة نزلت في جوفك تنقص من

عبوديتك بقدرها . وتسترقك لصاحب تلك اللقمة .

من اجتمع فيه خصال أربع : الكبر . والنفاق . والغرور . والبخل . لا بد من

العلاج . فإن دواء الكبر التواضع . والنفاق دواؤه الإخلاص . والغرور دواؤه

العجز والانكسار . وأما البخل فدواؤه التسخى .

فلا يصلح أبداً إلا بهذا العلاج . ويحتاج إلى جهاد كبير وعناية ربانية . وطريقه

وعر وأعوذ بالله من غضب الله .

١٥ - وارد بصيغة سؤال :

س ١ : ما ملاك الجسم ؟

ج : ملاكه العقل ، والعقل عقلان : عقل للنفس لتدبير أموال الدنيا ،

يدق بين الحين والحين . بينه الإنسان من عقله ويوقظه من انشغاله .

٢ - وهناك معنى ثان لا يخاطب به إلا أهل الخاصة . وهو مقام المتوسطين منه .

ويتلخص في أن كل ركن إذا أداه الإنسان بنحشوع وتبدير كامل ، ينال به من الله درجة ، فختامه بلفظ الله أكبر ، بمعنى أنه سبحانه وتعالى ، أكبر من أن يقتصر عطاؤه على هذه الدرجة ، فإذا أنت أدبت ركن الوقوف مع الفاتحة والسورة بالتبدير المطلوب ، حين ذلك تنطق الله أكبر وتركع ، ومعناه أن عطاء الله أعظم . ثم تؤدي ركن الركوع بنحشوع فتنال درجة أرق ، ثم تعدل لتكبر من جديد ويكون معنى ذلك أن الله أكبر من أن يقتصر عطاؤه على ذلك المقام أو تلك الدرجة . فكلماً أدبت ركناً نلت درجة وسلمك هذا الركن إلى ركن ثان ، وهكذا تصعد من درجة راقية إلى درجة أرقى حتى تتم الصلاة ، وكلمات الله لا تنتهي ، وذلك هو العروج إلى اسمي المقامات الذي قصده الرسول عليه الصلاة والسلام بقوله : « الصلاة معراج أمي » . وهذا مقام المتوسطين .

والخلاصة أن معنى الله أكبر في هذا المقام : أن تجلي الله في صلاتك - وهي مما يورده عليك - أكبر من صلاتك التي تؤديها ، أي ما يورده عليك من تجليات أكبر مما تورده من عملك .

أما مقام المنتهين الصليقيين المقربين فهو عند تكبيرة الإحرام التي يدخل بها في الصلاة يحس كل منهم بما يأتي : عند ألف لفظة الجلالة ، يحس أنه تدبر كل ما في الصلاة من حركات وتكبير وتسييح وقراءة .. إلخ .

وإذن فقد تدبر الصلاة عند نطقه بألف لفظ الجلالة ، وتكون بقية الصلاة بعد ذلك من أولها إلى آخرها شهوداً لذى الجلال والعظمة ، يرقون في مقام الشهود عند كل تكبيرة حتى يفنى الحس فلا يكون في الشعور إلا الله .

وبالطبع كل ركن ينال فيه مقاماً من مقامات الشهود ، ويسلمه ذلك الركن إلى

وعقل للروح لتدبير أمور الآخرة ، فإذا طغى عقل النفس على عقل الروح اندجما معاً ، وصاروا عقلاً واحداً ، وكانا محلاً لهواجس النفس ، ووساوس الشيطان ، وإذا طغى عقل الروح على عقل النفس اندجما معاً ، وصاروا عقلاً واحداً ، وكانا محلاً للتشكلات الإلهية ، والمعارف الربانية ، وسعدا سعادة لا تشقاء بعدها .

س ٢ : وما ملاك العقل ؟

ج : ملاكه الدين ، والدين هو التوحيد المطلق الكامل ، والوحدة في الكثرة والكثرة في الوحدة . واعتبار الأكوام كلها رسلاً إليك . تؤدي مآلديها من الأمانة من خير وشر . ولذا وجب شكرك لها . وأما شكرك للمكون لجميع ما وصل إليك من الرسل لأنها منه برزت . وجميع ما وصل إليك منه من القدرة : (أن اشكر لى ولوالديك) .

س ٣ : وما ملاك الدين ؟

ج : ملاكه النور المحمدي ، والنور المحمدي هو أول التعينات الربانية ، والتجليات الذاتية . وأول ظهور المظاهر الذاتية في وجود العمانية .

س ٤ : وما ملاك النور المحمدي ؟

ج : ملاكه الله جل جلاله ، وهنا تنطمس العقول والأبصار ، والقلوب والبصائر . (ماقدروا الله حق قدره) .

١٦ - الله أكبر في الصلاة : لها معنيان :

١ - التنبية من الغفلة : لأن الله أكبر من كل شيء . فلا ينبغي أن تشغل أذهاننا في الصلاة بشيء من شئون الدنيا . وإلا فلا معنى لقولك الله أكبر . إذا لم يكن أكبر مما يشغلنا عنه . ومن ذلك : تتكرر التكبيرة في كل ركعة نحو ست مرات . وينطق بها المصل في كل ركعة فهي تتخلل أعمال الصلاة وكأنها ناقوس

ركن آخر ينال فيه مقاماً أسمى وهكذا حتى يخرج العبد من الصلاة ومعه من العلوم والمعارف أفكار الأفكار التي لم تدون في كتاب .

أما الاستغفار بعد الصلاة كاستغفار الرسول ﷺ . واستغفار الأولياء بطريق الميراث من أنه : « ليغان على قلبي لزأكم المقامات والأنوار » .

واستغفاره لترقيه من الأدنى إلى الأعلى ومعنى ذلك : أن ما كان فيه من مقدم أدنى غير لائق فيستغفر الله لذلك وهكذا . وكل استغفار للرسول ﷺ من هذا القبيل .

مقدمة . . وخاتمة (١)

في هذا العصر الذي أخذت فيه الأرض زخرفها وزينتها من العناصر المادية ، وقامت فيه الحضارة الأوربية على المنهج الحسى المادى ولاتكاد تعترف بغيره من المناهج ، مازال في البيئات الإسلامية ، والحمد لله ، طوائف من أصحاب الفطر السليمة الذين يرجون للبشرية مستقبلاً يضرب بأسهم وافرة في عالم الخير والحق ، عالم الدين والروح ، عالم الإخاء والإيثار .

وهذا العالم الذى تتبع أصوله من وحى السماء ، والذي يسير أفراداً ، أوجساعات - هادفاً إلى تحقيق المنهج الإلهى والمبادئ الإلهية . يمثله كنهج أضواء ماتكون الخماذج ، أئمة التصوف ، وأعلام الصوفية . إنهم يمثلونه في المنهج الذى اتبعوه ، ويمثلونه كحقائق واقعية في المبادئ والقواعد ، إن حياتهم - منهجاً وموضوعاً - تترسم التزية الإلهية ، وهدى الرسول ﷺ فيما عظم من الأمور ، وفيما هو سهل يسير . وهم يحاولون ما يمكن أن يكونوا بقدر الاستطاعة ورتة الأنبياء علماً ، وورثة الأنبياء سلوكاً ، وورثة الأنبياء أحوالاً ومقامات ، بيد أن بعض الناس لا يتبين في وضوح معنى التصوف ، ولا مدى الصلة بين الإسلام والتصوف .

(١) لقد فكرت في أن أجعلها مقدمة وفكرت في أن أجعلها خاتمة ، ثم سألت نفسي إذا كانت هذه هي المقدمة فما هي الخاتمة ، فوجدت نفسي تشير إليها فعدت إلى نفسي وسألتها ، إذا كانت هذه هي الخاتمة ، فما هي المقدمة ؟ فوجدت نفسي تشير إليها . إنها في حقيقة الأمر مقدمة وخاتمة ، وإنها من الأهمية عندى بحيث لو كان - مستاعاً أن أكتبها مرة كمقدمة ثم أعود فأكتبها مرة أخرى كخاتمة لعللت .

فلنكن مقدمة ، ولنكن خاتمة ، وأرجو الله أن ينير بها بصائر ، وأن يهدي بها قلوباً .

ويتساءل عن ذلك بمناسبة الكتابة عن الشاذلي مثلا ، أو عن أبي العباس الراسي ويقولون في صراحة :

هل هذا النوع من السلوك الذي أخذوا فيه ، والذي يسمى « التصوف » : من الإسلام أو ليس من الإسلام ؟ ولقد تسامى عن ذلك الكثيرون ، بمناسبة إخراجنا كتاب « الشاذلي » رضى الله عنه ، وكتب بعضهم في المجلات كتابة تنبئ عن عدم وضوح الرؤية في موضوع التصوف ، وتنبئ عن حصول لبس في مدى صلته بالإسلام .

وكل ذلك يحدث كلما ظهر كتاب عن شخصية صوفية ، وكلما نشر كتاب عن التصوف نفسه وسيحدث حتماً - والزمن يكرر نفسه - في مناسبات أخرى ، ومن أجل ذلك نكتب هذه المقدمة عن صلة الإسلام بالتصوف ، ونحاول ما أمكن الاستدلال فيها بالنصوص الشرعية ، وبأقوال الصوفية ، مبينين - في غير تحيز ولا عصبية - وجهة النظر السليمة ، ليتهاى من يتهدى عن بصيرة ، وليسلك من يشاء طريقهم على هدى وعلم ، وهى مقدمة أصبحت ضرورية ، ولعلها تأخرت نوعاً ما . بعد أن نشرت سلسلة أعلام العرب عدة كتب عن كبار الصوفية فنقول وبالله التوفيق :

١ - ماهو المنهج اللازم ؟

إن صلة التصوف بالإسلام - منهجاً وموضوعاً - لا يتأتى فهمها صحيحاً إلا إذا عرفنا التصوف تعريفاً ينطبق على حقيقته أكمل ما يكون الانطباق ، بيد أن تعريفه ليس من السهولة بمكان ، ذلك أن تعريفات التصوف - كما يقول مؤرخو التصوف القدماء - أربت على الألف ، وكلها تعريفات لها وزنها وقيمتها ، إذ أنها بأقلام الصوفية أنفسهم ، وإذا كانت هذه التعريفات بأقلام أرباب الشأن فإنه من

الصعوبة بمكان أن يقف الإنسان منها موقف الحكم . يفضل بعضها على بعض . ويعمل بعضها في الرتبة الأولى ، ويعمل البعض الآخر ثانوياً ، ثم ينتهى بتعريف جامع مانع : ما هو المقياس ؟ وما هو الفصيل ؟ ثم باى سلطان يتدخل الإنسان بين هؤلاء القوم ذوى المذاقات الرقيقة ، والشاعر الروحية الدقيقة ؟ ألسطان العلم ، ملاحظة واستقراء ؟ أم سلطان العقل ، بحثاً واستنتاجاً ؟ أم سلطان الروح ، إشرافاً وإلهاماً ؟ !

٢ - التصوف والعلم :

هل يلج العلم بملاحظته واستقراءه حصن التصوف ؟ إنه إذا فعل ذلك فإنه لن يلاحظ إلا الشكل الخارجى . ولا يستقرئ إلا المظهر الشكل ! ولاشئ بعد ذلك من روح التصوف وجوهره . ومعنى هذا الإخفاق التام .

وحقاً لقد أخفق - بل الآن - علم النفس . وأخفق علم الاجتماع . إخفاقاً كاملاً في الوصول إلى كنهه التصوف وحقيقته .

بل إن الدراسات النفسية الحديثة . والدراسات الاجتماعية المعاصرة أفسدت الفكرة عن التصوف إفساداً تاماً . شأنها في ذلك شأن كل ما اتصلت به من الدراسات التى تتصل بالروح . وبالوحي . وبالإلهام السماوى : وبالدين على وجه العموم .

إن الدراسات النفسية والاجتماعية الحديثة حددت نفسها بالمادة وتقيدت بالظواهر المادية المحسة الملموسة : المرئية أو المسموعة . أو المذاقة مذاقاً حسياً . أو المسمومة !

وهى تعترف اعترافاً صريحاً لاليس فيه أن مجادها إنما هو المجال المادى : وأن كل

الأرض ، فيخرج منها
الكماويات سهلة كانت
لسماء . وهو أساس العلم
بكاله المختلفة ، ومنهاجه
تتبايناً .

الصحة والخطأ في عالم
طل في مجال الغيب ، لقد
إلى الآن - كل منهج عقلي
، وتسير بنا في مسابره .
تتألف صحيحاً فيثاغورث ،
عترف بها الغزالي . وجميع

ج عن دائرة المادة . بل إن
المادة . واعترفوا بها لما رأوه
وقف أمام منازل الروح
برهنوا . وكان منطقهم من

ماخرج عن المجال المادي فإنه لايدخل تحت مرصدها ومسيرها ، وإذن
لايدخل في إطار بحثها .

والتصوف روح وإلهام وإشراق ، فلا يدخل في مجالها .
ومن هنا كان اكتفاء هذه الدراسات بالمظهر والشكل . ومن أجل ذلك كان
إخفاؤها كاملاً . وفشلها بفجأ النظر .

إن مانسميه « العلم الحديث » إنما هو العلم السائد في أوروبا وفي أمريكا ، وفي
العصر الحاضر . وقد ألزم نفسه إلزاماً تاماً ألا يخرج عن دائرة المادة ، وحدد -
مختاراً - دائرته تحديداً دقيقاً بأنها : المادة . وربط نفسه بذلك ربطاً محكمًا ، إلى
درجة أن كل من يخرج عن المادة لايسمونه عالماً ، وأن كل بحث في غير دائرة
الملاحظ . المحس لايسمونه بحثاً علمياً . ولسنا - الآن - بصدد تخطيط العلم الحديث
أو تصويبه فيما ألزم نفسه به : وإنما نريد أن نبين في وضوح أن هذا الالتزام ينفي نفيًا
بأننا أن يتصل العلم الحديث - من قرب أو بعد - بجوهر التصوف ومفهومه الحقيقي .
ومن أجل ذلك فإن كل ما قيل بلسان العلم عن التصوف لا يمس منه إلا المظهر
والشكل . ولا فائدة فيه بنائاً من حيث الروح والجوهر .

٣ - التصوف والعقل :

أتلجأ إذن إلى العقل ؟ يبحثه المنطق القياسي . وإلى استنتاجاته الناشئة عن
المقدمات والأقيسة ؟

أيقودنا العقل - آمين - في بحار التصوف اللامحدودة ، وفي رياضه التي
لا تنتهي من حيث كونها تفحات من التجليات الإلهية اللانهائية ؟ ولكن المعروف
أن العقل لا يدور إلا في فلك المادة . إنه يتسامى إلى السماء ، فيبحث بأفاره وسفنه
وصورايحه بين أرجائها الشاسعة . وساحاتها الرحبة . ويغوص في أعماق البحار فيظهر

مكوناتها وبي
أنقلها ، وير
أنه مبتد
أومعقدة . و
الكسبي : غدا
المتعددة . ولا
لا شأن
لا شأن
لا شأن
لا شأن
لقد أخذ
الروح . ومع
أخفق منهج
يراد منه أن
وإخفاق
وأفلاطون ،
واعترف
الصوفية على
وقد اعتر
الخيال نفس
من خلال
ومعارج الذ

السلامة بحيث صدقه الواقع التاريخي وليس ذلك بكادح في العقل . فله مجاله الضخم في رحاب الكون . ول أنوار الأرض . وفي أقطار السماء وعليه وبه قامت الحضارة المادية الحديثة . متسلطة غلبة .

٤ - المنهج الصوفي :

وإذا عبز المنهج العلمي المادي عن دراسة التصوف في حقيقته . وجوهره . وعبرز المنهج العقل كذلك . فإن الصوفية جميعاً . وفلاسفة الإشراق منذ فيثاغورث وأفلاطون إلى الآن يعلنون منهجاً محدداً يقرونه جميعاً . ويتقنون فيه تقنة تامة . ذلك هو المنهج القلبي . أو المنهج الروحي أو منهج البصيرة . وهو منهج معروف أقوته الأديان جميعها . واصطفته مذاهب الحكمة : القديم منها والحديث . يقول الله سبحانه : (إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مستولاً) . إنه سبحانه ذكر الفؤاد على أنه مستزِل مثله في ذلك مثل السمع في محيطه . والبصر في محيطه . والإمام الغزالي « معبراً عن رأى الصوفية وعن رأى فلاسفة الإشراق » يرى أن الدليل القاطع على أن هناك معرفة ليس مرجعها إلى الحس . ولا إلى العقل . إنما هما أمران :

أحدهما : عجائب الرؤيا الصادقة . فإنه ينكشف بها الغيب . وإذا جاز ذلك في النوم فلا يستحيل أيضاً في اليقظة فلم يفارق النوم اليقظة إلا في ركود الحواس وعدم اشتغالها بالخصات . فكم من مستيقظ غائص لا يسمع ولا يبصر لا اشتغاله بنفسه .

الثاني : أخبار رسول الله ﷺ عن الغيب وأمور في المستقبل .

وإذا جاز ذلك للنبي ﷺ جاز لغيره . إذ النبي عبارة عن شخص كوشف بحقائق الأمور . وشغل بإصلاح الخلق . فلا يستحيل عليه أن يكون في الوجود

شخص مكاشف بالحقائق ولا يشغل بإصلاح الخلق . وهذا لا يسمى « نبياً » بل يسمى : « ولياً » . اهـ .

فمن آمن بالأنبياء وصدق الرؤيا الصحيحة لزومه لاحتمال أن يقر بالبصيرة . أو بتعبير آخر يقر برب القلب يفتح على عالم الملكوت . هو باب الإلهام . والنفث في الروح والوحي .

والإمام الغزالي يتشبث بالرؤيا كبرهان . ودليل على أن هناك آلة للمعرفة غير الحسن والعقل . ويردد ذلك في كثير من كتبه .

إنه يتحدث في المنقذ^(٢) عن النبوة فيقول :

« وقد قرب الله تعالى ذلك على خلقه بأنه أعطاهم أنموذجاً من خاصية النبوة وهو النوم . إذ النائم يدرك ماسيكون من الغيب . إما صريحاً وإما في كسوة مثال يكشف عنه التعبير . وهذا لو لم يجربه الإنسان بنفسه وقبل له : إن من الناس من يسقط مغشياً عليه كالبيت . ويَزُول عنه إحساسه وسمعه وبصره فيدرك الغيب لأنكره . وأقام البرهان على استحالة . وقال القوى الحساسة سبب الإدراك فمن لا يدرك الأشياء مع وجودها وحضورها . فيألا يدركها مع ركودها أولى وأحق . وهذا نوع قياسي يكذبه الوجود والمشاهد » اهـ .

ولكن الإمام الغزالي لا يكتفي بهذين الوجهين من الاستدلال . بل يأتي بشواهد الشرع . ويذكر التجارب والحكايات .

أما الشواهد فيما يرى فهي قوله تعالى : (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا) .

وقوله ﷺ : « من عمل بما علم . ورثه الله علم ما لم يعلم »

وقوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا إن تنقوا الله يجعل لكم فرقاناً) .

(٢) انظر تحقيقنا للمنقذ من الضلال وتعليقنا عليه . نشر دار المعارف .

قيل نور يفرق به بين الحق والباطل . ونخرج به من كل الشبهات وسئل رسول الله ﷺ عن قوله تعالى :

(أفمن شرح الله صدره للإسلام . فهو على نور من ربه) .

ماهذا الشرح ؟ فقال : هو التوسعة . إن النور إذا قذف به في القلب اتسع له

الصدر وانتشرح . وقال عليه الصلاة والسلام :

« إن من أمتي محدثين . ومعلمين . ومكلمين . وإن عمر منهم » .

والحدث : هو الملمهم . وللملم هو الذي انكشف له الحق في باطن قلبه من

جهة الداخل لا من جهة المحسات الخارجية . والقرآن مصرح بأن التقوى مفتاح

الهداية والكشف .

ولم يكن علم الخضر عليه السلام علماً حسيّاً أو عقليّاً . وإنما هو العلم . العلم

الرباني . وإليه الإشارة بقوله تعالى : (وعلمناه من لدنا علماً) .

٥ - المنهج الصوفي منهج إسلامي :

المنهج إذن : منهج إسلامي صحيح سليم لا غبار عليه ... ثم هو منهج فلسفي برغم معارضة الفلاسفة العقليين بقوله الكثير من كبار الفلاسفة الغربيين والشرقيين . ومن القدماء والمحدثين .

ثم هو منهج جرب فنجح . جربه الإمام الغزالي فنجح . وجربه غيره فنجح وعنه يقول الإمام الغزالي : « وانكشف لي في أثناء هذه المخلوقات أمور لا يمكن إحصاؤها واستقصاؤها . والقدر الذي أذكره ليتفجع به : أتى علمت يقيناً أن الصوفية هم السالكون لطريق الله خاصة . وأن سيرتهم أحسن السير . وطريقهم أصوب الطرق . وأخلاقهم أزكى الأخلاق . بل لو جمع عقل العقلاء . وحكمة الحكماء . وعلم الواقفين على أسرار الشرع من العلماء لغيروا شيئاً من سيرتهم

وأخلاقهم . ويدخلوه بما هو خير منه . لم يجدوا إليه سبيلاً . فإن جميع حركاتهم وسكناتهم في ظاهريهم وباطنيهم مقبسة من نور مشكاة النبوة . وليس وراء نور النبوة على وجه الأرض نور يستضاء به . وبالجملية فهاذا يقول القائلون في طريقة طهارتها - وهي أول شروطها - تطهير القلب بالكلية عما سوى الله تعالى . ومقتضاها - الجارى منها مجرى التحريم من الصلاة - استغراق القلب بالكلية بذكر الله ، وآخرها الفناء بالكلية في الله .

وهذا آخرها بالإضافة إلى ما يكاد يدخل تحت الاختيار والكسب من أوائها .

وهي على التحقيق أول الطريقة . وما قبل ذلك كالدلهيز للسالك إليه .

ومن أول الطريقة تبدئ المكاشفات والشاهدات ، حتى أنهم في يظلمهم يشاهدون الملائكة وأرواح الأنبياء . ويسمعون منهم أصواتاً . ويقبسون منهم فوائد . ثم يترقى في الحال من مشاهدة الصور والأمثال إلى درجات يضيق عنها نطاق النطق . اهـ .

وعن هذا المنهج يقول الأستاذ رينيه جيرو : الحكيم الفرنسي - في محاضرة ألقاها في جامعة باريس - يقول متهمكاً بهؤلاء الذين - يشكون في هذا المنهج . ساخراً من موقفهم الذي يصور الكسل الزرى - « يتساءل قوم : أمن الممكن أن نتخطى الطبيعة فنصل إلى ما وراءها ؟ إننا لانتزدد في أن نجيبهم في وضوح واضح : ليس ذلك ممكناً فحسب . ولكن ذلك واقع وموجود . سيقولون : تلك قضية تفقر إلى برهان ؟ ولكن أى برهان يمكن أن يقدمه الإنسان على وقوع هذا الأمر ووجوده ؟ إنه لمن الغريب حقاً أن يطلب البرهان على إمكان نوع من المعرفة . بدلا من أن يحاول الإنسان أن يصل إليها بتجربته الشخصية ، سالكاً إليها ماتتطلبه . إن الشخص الذي وصل إلى هذه المعرفة لا يعنيه في قليل أو كثير ما يثور حولها

من جدل ونقاش . وإنه لمن الواضح أن إحلال « نظرية المعرفة » محل « المعرفة » نفسها إعلان صريح على عجز الفلسفة الحديثة « ١ هـ .

٦- لا يكسب التصوف عن طريق القراءة :

والمنهج إذن : إنما هو تركية النفس ، أو إجلاء البصيرة . كيف يتأتى ذلك ؟

هل يتأتى ذلك عن طريق القراءة والدرس ؟ هل السبيل إلى معرفة الغيب مباشرة هو البحث والدرس والاستقصاء . ويتفاوت الناس في الإشراف بتفاوتهم في شمول الدراسة ، وعموم التحصيل ؟ كلا قطعاً .

يقول الإمام الغزالي معبراً عن الرأي الصحيح المبني على التجربة نفسها : « ابتدأت بتحصيل علمهم من مطالعة كتبهم : مثل « قوت القلوب » لأبي طالب المكي ، رحمه الله ، وكتب الحارث المحاسبي ، والمتفرقات المأثورة عن الجنيد ، والشبلي ، وأبي يزيد البسطامي قدس الله أرواحهم وغير ذلك من كلام مشايخهم حتى اطلعت على كنه مقاصدهم العلية ، وحصلت ما يمكن أن يحصل من طريقهم بالتعلم والسماع ، فظهر لي أن أخص خواصهم ، ما لا يمكن الوصول إليه بالتعلم ، بل بالدوق ، والحال ، وتبدل الصفات .

وكم من الفرق بين أن يعلم حد الصحة ، وحد الشبع وأسبابها وشروطها ، وبين أن يكون صحيحاً ، وشبعان . وبين أن يعرف حد السكر ، وأنه عبارة عن حالة تحصل من استيلاء أبخرة تتصعد من المعدة على معادن الفكر . وبين أن يكون سكران . بل السكران لا يعرف حد السكر . وعلمه وهو سكران وما معه من علمه شيء . والطبيب في حالة المرض يعرف حد الصحة وأسبابها وأدويتها وهو فاقد الصحة » .

كذلك فرق بين أن تعرف حقيقة الزهد وشروطها وأسبابها وبين أن يكون حالك الزهد ، وعزوف النفس عن الدنيا . فعلمت يقيناً : أنهم أرباب أحوال ، لا أصحاب أقوال . وأن ما يمكن تحصيله بطرق العلم فقد حصلته ، ولم يبق إلا ما لا سبيل إليه بالسماع والتعلم . بل بالدوق والسلوك .

وابن سينا حينما أراد أن يحدد طريق البصيرة حتى يصير سر الإنسان - على حد تعبيره - مرآة مجلوة . لم يحدده بقراءة وبحث . وإنما حدده بإرادة ورياضة . وأبو الحسن النوري يرى في صراحة أن التصوف ليس علماً ، ويعلل ذلك بأنه لو كان علماً لحصل بالتعلم . ولكن الأمر ليس كذلك وليس طريقه تركية النفس . إذن العلم كسبي .

٧- التصوف والأخلاق :

أهو الأخلاق الطيبة ؟

إن الكثير من الكتاب الحديثين - متابعين في ذلك الكثير من الصوفية - قد حددوا التصوف نفسه - لا تركية النفس وحسب - بأنه الخلق الطيب . يقول أبو بكر الكتاني [المتوفى سنة ٣٢٢ هـ] « التصوف خلق ، فمن زاد عليك في الخلق فقد زاد عليك في الصفاء » (٣) .

ويقول أبو محمد الجريري [المتوفى سنة ٣١١ هـ] - وقد سئل عن التصوف - « الدخول في كل خلق سني ، والخروج من كل خلق دني » (٤) . أما أبو الحسن النوري فإنه ينفي عن التصوف أن يكون رسماً منهجياً تخطيطياً . أو أن يكون علماً كسبياً ، ويجزم بأنه خلق . ويعلل النفس والإثبات فيقول :

(٣) الرسالة الفشيرية ص ١٤٩ .

(٤) الرسالة الفشيرية ص ١٤٨ .

وليس التصوف رسماً ولا علماً، ولكنه خلق. لأنه لو كان رسماً لحصل بالجاهدة، ولو كان علماً لحصل بالتعليم. ولكنه تخلق بأخلاق الله. ولن تستطيع أن تقبل على الأخلاق الإلهية بعلم أو رسم.

على أن أبا الحسن النورى نفسه يحدد الأخلاق التى يرى أنها التصوف فيقول فى موضع آخر معرّفًا التصوف :

« التصوف : الحرية . والكرم . وترك التكلف ، والسخاء » .

على أن هؤلاء الذين ذكروا هذه التعاريف الأخلاقية للتصوف . ذكروا هم أنفسهم تعاريف أخرى وذلك - على الأقل - يدل دلالة لا لبس فيها على أنهم : لم يروا كفاية الجانب الأخلاقى فى تحديد التصوف ، وتعريفه ..

والواقع أننا لو نظرنا إلى كثير من الأشخاص الذين اشتهروا بالسمو فى الجانب الأخلاقى الكريم . واتصفوا بأروع الصفات الأخلاقية . واتخذوا الفضيلة مذهباً وشعاراً ، فإننا نجدهم أشخاصاً مثاليين ، فى المحيط الأخلاقى وفى المجتمع .

ولكن ليس معنى ذلك أنهم لا محالة من الصوفية . ولو نظرنا فى البيئة لوجدنا داعية إلى الفضيلة ومتذهباً بها . ومحاولاً نشرها بشئى الوسائل . وبمختلف الطرق . سواء أكان ذلك بالدعوة الإقناعية أم بالمنطق الجليل ، أم بالأسوة الكريمة ذلك هو سقراط . ومع ذلك فإن سقراط هذا لم يكن صوفياً بالمعنى الدقيق لكلمة « صوفى » .

وإذا انتقلنا إلى البيئة الإسلامية فإننا نجد الحسن البصرى - رضى الله عنه - من أروع وأجمل الشخصيات الأخلاقية العالية . لقد كان مثلاً صادقاً للشعور الأخلاقى فى طهره وصفاته . وكان ينشر الفضيلة بوعظه المؤثر . ومنطقه القوى . وسلوكه المثالى . ومع ذلك فلم يكن الحسن البصرى صوفياً بالمعنى الدقيق لكلمة « صوفى » . على أنه من الطبيعى أن تكون الأخلاق الكريمة أساساً من أسس التصوف . وأن

تكون الأخلاق فى أسمى صورة من صورها ثمرة التصوف . ومن الطبيعى أيضاً أن تكون الأخلاق الكريمة شعار الصوفى فيها والثمرة . فهى إذن ملازمة للتصوف ، وللصوفى ملازمة تامة ، ولا يتخلل عنها . ويعبر ابن سينا عن بعض ما يتخلل به الصوفى من أخـ ذلك . فيقول : « المعارف شجاع : وكيف لا وهو بمنزل عن ثقة وجواد : وكيف لا وهو بمنزل عن محبة الباطل ؟ ! وصفّاح : وكيف من أن تخرجها زلة بشر ؟ ونساء للأحقاد . وكيف لا وذكره مشغول ولكن ليس معنى ذلك أنها هى التصوف .

٨ - التصوف والزهد :

هل الطريق هو الزهد ؟

إن كثيراً من الناس لا يكادون يفرقون بين التصوف والزهد . وكثير الزهد هو الطريق المؤدى إلى التصوف ، أو هو هو الطريق المؤدى إلى الواقع أننا حينما نفكر فى الزهد نرى منه ألواناً عديدة :

إن منه هذا اللون المنطقى الفلسفى ، الذى يرى صاحبه أن أسمى إنما هو الهدوء والسكينة ، وراحة البال ، وطمأنينة النفس ، ولا يتأ وراء الدنيا . والكفاح فى سبيل الثراء والانغماس من ورائه فى

إن الناس يتكالبون على الدنيا تكالباً شديداً . واللقاء الإنسان بن معركة التنارع على الدنيا - لا يتبع غالباً إلا انشغال البال ، و والقلق . وسبيل السكينة والراحة إنما هو البعد مصدر النزاع وهؤلاء الذين يفكرون هذا التفكير . فيؤدّبهم إلى الزهد بمنطقياً . فلسفياً . يقول ابن سينا : « المعرض عن متاع الدنيا و

إن للعبادة أثرًا لا ينكره أحد في تصفية النفس وتركبة الروح ، ولكنها إذا كانت تهدف من وراء ذلك إلى دخول الجنة ونيل الأجر والثواب . بقيت عبادة مشكورة مأجورًا صاحبها ، مثابًا عند الله سبحانه . ولا يتجاوز للقيام بها - على هذا الوضع وبهذه الصورة - وصف العابد إلى وصف الصوفي .

ووصف العابد من غير شك منزلة عظيمة . ولكن العبادة على هذا النمط كأنها « معاملة ما »^(٥١) . والعابد على هذا الوضع « كأنه يعمل في الدنيا لأجرة يأخذها في الآخرة » : هي الأجر والثواب^(٥٢) .

أما الصوفي . فإنه « يريد الحق الأول . لا شيء . غيره . ولا يؤثر شيئًا على عرفانه وتعبد له فقط . ولأنه مستحق للعبادة . ولأنها نسبة شريفة إليه . لا رغبة أو رغبة » . وتعتبر السيدة رابعة العدوية عن هذا المعنى فتقول : « يا محبي : إذا كنت أعبدك رغبة من النار . فاحرقني بنار جهنم . وإذا كنت أعبدك رغبة في الجنة فاحرقنيها . وأما إذا كنت أعبدك من أجل محبتك . فلا تحرقني بالفي من جهلك الأزل » .

وتقول رضوان الله عليها : « ما عبدته خوفًا من ناره ، وحبًا لجنه . فأكون كالأجير السوء . بل عبدته حبًا وشوقًا إليه » .

والواقع أن الله سبحانه وتعالى إذا عبد رغبة في الجنة ، أو عبد رغبة من النار . فإنه سبحانه لا يكون المطلوب الأول : ولا يكون الغاية التي يسعى إليها العابد . وإنما يكون سبحانه كأنه واسطة بين العابد وما رغبه . وهو : الجنة . أو رغبة وهو : النار . وعبادة العباد التي على هذا الوضع : إذن : لا تنتهي بهم إلى أن « يصبح السر امرأة مجلوة يخادى بها شطر الحق » .

(٥١ . ٥٢) الإشارات : لا يزال .

« وهذا الزاهد إما أن يكون هدفه سكية في الدنيا . لا يتطلع إلى غير »^(٥٣) وهو ماسبق أن تحدثنا عنه . وأما أن يتخطى الدنيا . فلا تحط له على »^(٥٤) أو يكون أمرها في نظره ثانويًا . ويتجاوزها إلى الآخرة . يزهد من أجلها . عن متاع الدنيا وطيباتها من أجل نعم الآخرة فيكون الزهد عنده - على »^(٥٥) غير ابن سينا - « معاملة ما » . كأن يشتري بمتاع الدنيا متاع الآخرة » . وغاية »^(٥٦) الزاهد من الامتناع عن طيبات هذا العالم أن يمنعه الله في الدار الآخرة طيبات »^(٥٧) . أميع . إن مثله . فيما يرى ابن سينا : كمثل التاجر الذي يشتري بمتاع الدنيا »^(٥٨) الآخرة . وهؤلاء الزهاد لهم أجرهم وثوابهم عند الله في الآخرة ، ولم »^(٥٩) في الدنيا . ولكن هذه الطريقة من الزهد المنظور فيه إلى الجزاء والكافأة »^(٦٠) فيما يرى الصوفية - لا يقصد الله فيها مباشرة بالعمل ليكون الله سبحانه »^(٦١) هو المطلوب . وإنما يقصد في قليل أو كثير بطريقة شعورية ، أو لاشعورية إلى »^(٦٢) الآخرة وملأذها .

والزهد الفلسفي ، وزهد الراغبين في الأجر . لا يؤدي إلى أن يصبح السر امرأة »^(٦٣) وامن شك في أن طريق الكشف عن البصيرة ينطوي على الزهد ويتضمنه . »^(٦٤) زهد . هو تسمى عن أن يكون لغير الله شأن يشغل نفسه به . فكل ماسواه »^(٦٥) ماره لا يساوي جناح بعوضة ، إنه « تنزه ما » . إن الطريق ينطوي على الخلق »^(٦٦) كريم . وعلى الزهد الخاص ، ولكنه يتجاوزهما إلى شيء آخر .

٥ - لتصوف والعبادة :

من هذا الشيء . الآخر هو العبادة : ١٩ :

من الطريق هو المواظبة على فعل العبادات : فرائض ونوافل ؟ هل هو الإكثار - من طل : قيامًا بالليل وصومًا بالنهار ونحو ذلك ؟

١٠ - وأن إلى ربك المنتهى :

والصوفي : عابد ، وهو زاهد ، وهو على خلق كريم . ولكنه يتجاوز ذلك كله إلى شيء آخر ، هو هذه « الإرادة والرياضة » الإرادة المصممة . الإرادة التي لاتلين . الإرادة التي تزيل - لقوتها وتصميمها - كل مايقف أمامها من عقبات في سبيل الوصول إلى الله سبحانه .

والرياضة التي تتخذ الله هدفها ، والتي تتمثل - في وضوح - في معاني الهجرة إلى الله . والذهاب إليه سبحانه - والقرار إليه جل وعلا .

« الإرادة والرياضة » لتحقيق المعنى الجليل للآية القرآنية الكريمة :
(وأن إلى ربك المنتهى) .

وتعاون الإرادة والرياضة في الوصول - بتوفيق الله - إلى هذا المنتهى الذي لايد من الوصول إليه : لتستقر الإرادة وتسكن .

إن الله سبحانه وتعالى يأمرنا - على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم - بالقرار إليه : (فقولوا إلى الله - إني لكم نذير مبين) .

والإنسان يفر إلى الله من الكفر إلى الإيمان ، ويفر إلى الله من الطاعات إلى القربات ، ويفر من الكون إلى المكنون : ومن النعمة إلى النعيم . ومن المخلق إلى الخالق . ومن نفسه إلى ربه .

إن القرار إلى الله لانهائية له . لأن الترقى لانهائية له . وكما أن القرار إلى الله مستمر دائم . فإن الهجرة إليه سبحانه مستمرة دائمة . يقول سيدنا إبراهيم صلوات الله عليه :

(إني مهاجر إلى ربي إنه هو العزيز الحكيم) .

إنه صلوات الله عليه مهاجر إلى ربه بكل عمل عمله . إنه مهاجر إليه بحركاته

وسكاته وأنفاسه . مهاجر إليه بنومه وصحوه . مهاجر إليه بكل نفس من أنفاسه . والمهجرة إلى الله والقرار إليه بمعنى واحد . وهو بمعنى مستغرق شامل يشرحه - في عمومته وشموله - قول المصطفى صلوات الله عليه وسلامه بمثلا أمر الله سبحانه وتوجيهه في قوله تعالى : (قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين . لاشريك له . وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين) .

وصلاة الإنسان إذن نسكه . ومحياه ومماته : إنما تكون - في الوضع الإسلامي السلم - لله سبحانه وحده . حيث لاشريك له : من جب مدح . أو ثناء . أو زلفى . أو جنة . أو بُعد عن النار : (واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه . ولاتعد عينك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا . ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا . واتبع هواه : وكان أمره فُرطاً) .

والرياضة : ذكر دائم ، أى تذكر له سبحانه في كل لحظة ونفس . وهى اتجاه بكل الأعمال إلى الله : وهى هجرة لا تنقطع إليه سبحانه . . . وقد تعتذر في البداية وتشتق في أول الطريق : فكان لابد من تهيئة الجو المناسب للمران والتعبد فترة من الزمن . وهذه التهيئة تتمثل في الخلوة والعزلة فترة تطول أو تقصر بحسب طبيعة الإنسان . فقد لا تعدو أن تكون أسبوعاً . أو ثلاثة أسابيع . أو أربعين يوماً . كأنها إجازة روحية . مثلها في ذلك - بالنسبة للروح - مثل الإجازة الجسمية التي يستمر الإنسان فيها في الصيف مايقرب من ثلاثة أشهر .

على أنه بينما تتكرر الإجازة الجسمية كل عام أكثر من شهر لا تتكرر الإجازة الروحية . اللهم إلا في الاعتكاف في شهر رمضان : عشرة أيام من كل عام اتباعاً لسنة المصطفى صلوات الله وسلامه عليه بالنسبة لكل مسلم .

« الإرادة والرياضة » ومع ذلك فإن الأمر - كما يرى الصوفية - يبرده الأخير إلى : فضل الله وإحسانه . . .

١١- منهج التصوف فيما يرى الغزالي وابن خلدون :

وهذه المعاني يلخصها الإمام الغزالي فيقول :
 « إن الطريق إلى ذلك إنما هو تقديم المجاهدة . ومحو الصفات المذمومة . وقطع العلائق كلها . والإقبال بكنهه الهمة على الله تعالى . ومهما حصل ذلك كان الله هو المتولى لقلب عبده . التكفل له بتوجيهه بأنوار العلم .

وإذا تولى الله أمر القلب فاضت عليه الرحمة . وأشرق النور في القلب وأشرح الصدر . وانكشف له سر المكنوت . وانقشع عن وجه القلب حجاب الغرّة بلطف الرحمة . وتلاّأت فيه حقائق الأمور الإلهية . فليس على العبد إلا الاستعداد بالتصفية المجردة . وإحضار الهمة مع الإرادة الصادقة والتعطش التام . والترصد بدوام الانتظار لما يفتحه الله تعالى من الرحمة .

فالأنبياء والأولياء انكشف لهم الأمر . وقاض على صدورهم النور لا بالتعلم والدراسة والكتابة للكتب . بل بالزهد في الدنيا والتبرى من علائقها . وتفرغ القلب من شواغلها . والإقبال بكنهه الهمة على الله تعالى « فمن كان لله كان الله له » وهو يفعل هذا . يصير متعرضاً لنفحات رحمة الله . وليس له اختيار في استجلاب هذه النفحات . وليس له إلا الانتظار لما يفتح الله من الرحمة . كما فتحها على الأنبياء والأولياء بهذه الطريقة . وإذا صدقت إرادته . وصفت همة . وحسنت مواظبته . تلمع لوامع الحق في قلبه . ويرتفع الحجاب بلطف خفي من الله تعالى . فيكشف له الغيب . ويحصل على اليقين .

ويلخصها ويحملها ابن خلدون فيقول :

« ثم إن هذه المجاهدة . والخلوة . والذكر . يتبعها - غالباً - كشف حجاب

الحس والاطلاع على عوالم من أمر الله . ليس لصاحب الحس بإدراك شيء منها . والروح من تلك العوالم .

وسبب هذا الكشف : أن الروح إذا رجعت عن هذا الحس الظاهر إلى الباطن : ضعفت أحوال الحس . وقوى الروح وغلب سلطانه وتجدد نشوه . وأعان على ذلك الذكر . فإنه كالغذاء لتسمية الروح . ولا يزال في نمو وتزبد إلى أن يصير شهيداً بعد أن كان عالماً . ويكشف حجاب الحس ويتم وجود النفس الذي لها من ذاتها . وهو عين الإدراك . فيتعرض حينئذ للمواهب الربانية . والعلوم الدنية . والفتح الإلهي : وتقرب ذاته في تحقيق حقيقتها من الأفق الأعلى . أفق الملائكة . وهذا الكشف كثيراً ما يعرض لأهل المجاهدة . فيدركون من حقائق الوجود ما لا يدرك سواهم . وكذلك يدركون كثيراً من الواقعات قبل وقوعها . ويتصرفون بهمهم . وقوى نفوسهم في الموجودات السفلية . فتصير طوع وإرادتهم : فالعظمة منهم لا يعتبرون هذا الكشف . ولا هذا التصرف : ولا يجربون عن حقيقة شيء . لم يؤمروا بالتكلم فيه . بل يعملون ما وقع لهم من ذلك محنة : ويعوذون منه . إذا وقع لهم . ولقد كان الصحابة رضي الله عنهم على مثل هذه المجاهدة . وكان حظهم من هذه الكرامات أوفر المخلوظ : ولكنهم لم يقع لهم بها عناية . وفي قصائد أبي بكر . وعمر . وعثمان . وعلى - رضي الله عنهم - كثير منها . ويتمهم في ذلك أهل الطريقة . ممن اشتملت رسالة القشيري على ذكرهم ومن تبع طريقهم من بعدهم .

وهكذا نرى أن المنهج منهج إسلامي . وأن وسيلة المنهج أو طريقة تحقيق المنهج . أو بتعبير أصح - خطوات المنهج - إنما هي خطوات إسلامية .

١٢ - ثمرة المنهج :

إلام يؤدي هذا المنهج ؟

إذا اتبعنا هذا المنهج . ووفق الله . فهاهي النتيجة ؟ وماهو الهدف الذي يسمى

الصوفي للوصول إليه ؟

إننا في سبيل الوصول إلى رأى سليم . نبدأ أولاً بتقسيم الإسلام للبشر من ناحية درجتهم عند الله . والأساس في ذلك إنما هو قوله تعالى :

(إن أكرمكم عند الله أتقاكم) .

وطريق التقوى في تربيته وتساميه . لا يكاد يقف عند حد . وإكرام الله للإنسان إذن مستمر كلما زادت التقوى حتى يصل هذا الإكرام إلى درجات لا يكاد يتصورها أحد . ويعبر عنها ويشرحها الحديث القدسي الذي رواه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه . عن رسول الله ﷺ . عن رب العزة جلّ وعلا : « من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب . ومتقرب إلى عبدي بشئ أحب إلى مما افترضته عليه . وما يزال عبدي يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه . فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به . وبصره الذي يبصر به . ويده التي يبطش بها . ورجله التي يمشي بها . وإن سألني أعطيته . ولئن استعاذني لأعيذنه » .

وأولياء الله هؤلاء قسمهم الإسلام - بحسب قربهم من الله - إلى طوائف بعضها أقرب من بعض . وكلها قريبة منه سبحانه . تنعم في رضاه . وفي رضوانه . فقال سبحانه : (ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين . وحسن أولئك رفيقاً . ذلك الفضل من الله . وكفى بالله عليماً) .

هناك إذن : أنبياء ، وصديقون ، وشهداء ، وصالحون ، هناك السابقون ،

وهناك أهل الجين . هناك القويون ، وهناك الأبرار . والناس منهم ظالم لنفسه ، ومنهم مقتصد ، ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله . وتفاوتهم في التقوى مرتب على تفاوتهم في التوحيد .

وقفة التوحيد : أن يشهد الإنسان أن لا إله إلا الله . وهؤلاء الذين يشهدون أن لا إله إلا الله هم أولو العلم . يقول سبحانه : (شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم . قائماً بالقسط . لا إله إلا هو العزيز الحكيم) .

هذه الشهادة في قنيتها ليست مجرد كلمة تقال ، ولا مجرد لفظ ينطق به إنسان من بين شفتيه ، فيبرك ما يرى لفظ آخر . إن لكلمة الشهادة معنى محددًا ، هو هذا المعنى الواقعي الذي يحدث حينما يكون هناك شاهد ومشهود . لا بد في الشهادة من شاهد ، ولا بد من مشهود . ولا بد من أن يشاهد الشاهد المشهود . وإلا فهي شهادة .. تجاوزاً .

ولقد شهد الله على الحقيقة ، وتشهد الملائكة على الحقيقة ، ويشهد أولو العلم على الحقيقة : أنه لا إله إلا الله .

ولقد اختص أولو العلم من بين البشر بهذه الشهادة ، فحققوا بها قمة التوحيد . وكانوا بسبب ذلك في الذروة من الإكرام الإلهي .

فشهدوا مع الله سبحانه ، ومع الملائكة بأنه تعالى : لا إله إلا هو . وشهادة التوحيد هي الغاية في الدين . وهي دعوة الأنبياء جميعاً .

وهذه الغاية نفسها هي التي يلتزمها المتصوفة بكل وسيلة ، وهي التي يسمون إليها جاهدين . إنها أملهم محسن ، وأملهم مصحح . وهي - لاغيرها - التي تنأى بخبرهم عن المضاجع ، بل تجعل جنوهم نفسها تتجافى عن المضاجع ، يدعون ربهم خوفاً وطمعاً . خوفاً من الحرمان ، وطمعاً في القرب .

وغاية الصوفي إذن هي الغاية الإسلامية . وجوهر أهدافه هو جوهر أهداف

الإسلام ، إنها الشهادة ، إنها شهادة أن لا إله إلا الله .
إن الطريق إنما هو تركية النفس . والغاية الشهادة ، أشهد أن لا إله إلا
والشهادة على حقيقتها . وهذا هو التصوف طريقاً ، وغاية .

١٣ - تعريف التصوف :

ولقد عبروا عن ذلك في صراحة لا لبس فيها ، وفي وضوح لا غموض
وببدأ بذكر أقوالهم في تعريف التصوف منظوراً إليه باعتباره منهجاً .

وهذه التعريفات إما أن تصور المنهج شاملاً ، وإما أن تصور جزءاً

١ - الصوفي : من صفا قلبه ^(٧) (تركية النفس) .

٢ - التصوف : تمام الأدب ^(٨) (المنهج في جانبه الأخلاقي) .

٣ - الصوفي : من صفى ربه قلبه ، فامتلاً قلبه نوراً ، ومن حل في عين

بذكر الله ^(٩) .

٤ - التصوف : أن يخلصك الله بالصفاء ، فمن اصطفى من كل ماسوى الله

الصوفي ^(١٠) .

٥ - والجنيد بالنسبة لتعريف التصوف أكثر من تعريف ، كل منها يوضح

من الجوانب ، منهجا كان أو غاية .

وقد بلغت تعريفاته أكثر من عشرة تعريفات . والتعريف الآتي بصور

كثيرة ، ولكنه مع ذلك لا يأتى كل الجوانب . يقول :

(٧) بشر الحافي : (التوفيق سنة ٢٢٧ هـ) .

(٨) أبو حفص الحنبل : (التوفيق حوال ٢٦٥ هـ)

(٩) أبو سعيد الخراز : (التوفيق قبل ٢٩٧ هـ) .

(١٠) الجنيد البغدادي : (التوفيق سنة ٢٩٧ هـ)

والتصوف تصفية القلوب حتى لا يعاودها ضعفها الذاتي ، ومفارقة أخلاق
الطبيعة ، وإخاد صفات البشرية ، ومجانبة نزوات النفس ، ومنازلة الصفات
الروحية ، والتعلق بعلوم الحقيقة ، وعمل كل ما هو خير إلى الأبد ، والنصح
الحالص لجميع الأمة ، والإخلاص في مراعاة الحقيقة ، واتباع النبي ﷺ في
الشريعة .

وهناك بعض تعريفات تتصل بالغاية فقد مثل الشيلي : ما بهد هذا الشأن ،
وما التناؤه ؟ فقال : ببلوه معرفته والتناؤه توحيده . أى نهايته أشهد أن لا إله إلا
الله . يد أن هذه التعريفات كلها تعتبر قاصرة ، وقيمتها الكبرى في أنها تصور جانباً
من الجوانب ، أو زاوية من الزوايا ، وهي حينما تصور المنهج وحسب ، فإنها
لا تصور التصوف كاملاً . وحينما تصور الغاية وحسب ، فإنها لا تصور التصوف
على ما يراه القلاء والمحدثون . وهؤلاء القلاء والمحدثون - سواء أكانوا من
الصوفية . أم من مؤرخي التصوف - يتجهون إلى أن التصوف منهج وغاية . إنه
طريقة وحقيقة إنه سلوك ونتيجة .

والصوفية يشيرون الوحدة التي تجمع بين المنهج والغاية بالدائرة ومركزها . ويقول
الشيخ عبد الواحد يحيى : « إن الطريقة هي الخط ، الذاهب من الدائرة إلى المركز .
وكل نقطة على الدائرة هي مبدأ الخط وهذه الخطوط التي لا تحصى - كلها - إلى
المركز إنها طرق ، وهي طرق تختلف تبعاً لاختلاف الطباع البشرية ولهذا يقال :
والطرق إلى الله كنفوس بني آدم » .

ومهما اختلفت فالهدف واحد ، لأنه لا يوجد إلا مركز واحد . وإلا حقيقة
واحدة . على أن هذه الاختلافات الموجودة في المبدأ ، تزول شيئاً فشيئاً مع زوال
الآتية ، وذلك حينما يصل السالك إلى درجات عليا . تزول فيها : « صفات
العبد » التي ليست إلا سجنًا : « الفناء » فلا تبق إلا الصفات الربانية « البقاء » .

والطريقة ، والحقيقة مجتمعتان يطلق عليهما : « التصوف » وهو ليس مذهباً خاصاً لأنه الحقيقة المطلقة . وليست الطرق مدارس مختلفة ، لأنها طرق ، أى سبيل موصلة جميعها إلى الحقيقة المطلقة « التوحيد واحد » .

١٤ - تعريف التصوف فيما نرى :

وفى خاتمة ماسبق نقول : إن التعريف الذى نراه ، والذى يجمع جوانب التصوف ، إنما هو تعريف الكتاتنى الذى يقول : التصوف : صفاء ومشاهدة . ونقول فى يقين ناتج من كل ماسبق وهو يقين يسد الطريق فى وجه كل من يحاول أن يثير أوهاماً ضد التصوف والصوفية : إن المنهج الصوفى ، إنما هو تحقيق واقعى لقوله تعالى : (قد أفلح من ركاها) .

فتزكية النفس هى صفاؤها وتصفيتها إنها الوصول بها إلى الصفاء والمنهج محاولة للقرب - ما استطاع الإنسان ذلك سبيلاً - من قوله تعالى : (قل إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين ، لا شريك له ، وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين) .

أما الغاية فلأنها : الوصول إلى المشاهدة التى يقول الله تعالى فى بيان من حققوها

وتحققوا بها : (شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم)

إن الغاية هى الوصول إلى : أشهد أن لا إله إلا الله .

فهرس

صفحة	مقدمة
١٥	الفصل الأول : العارف بالله أبو الحسن الشافى
١٥	١ - حياته
٤٢	٢ - شخصيته
٧٣	٣ - العمل بالكتاب والسنة
٧٦	٤ - الاستدلال على وجود الله
٨٤	٥ - أجواء فى القرآن الكريم
٩٦	٦ - الطريق الصوفى
١١٥	٧ - معارج ومراء
١٢١	٨ - الذكر والدعاء والأخزاب والأوراد
١٦٣	٩ - خاتمة واعتزافات
١٧٥	الفصل الثانى : العارف بالله أبى العباس المرسى
١٧٥	١ - حياته
١٨٧	٢ - المرى
١٩٨	٣ - العالم
٢٠٦	٤ - المكافح
٢١١	٥ - الصوفى

صفحة

٢٢٠	٦- المفسر
٢٤٨	٧- وحدة الوجود عند أبي العباس والصفوية على وجه العموم
٢٥٩	٨- شخصيات - إلهامات - عادات
٢٦٩	٩- الأحزاب والأوراد
٢٧٨	١٠- مسجده وضرجه
٢٨١	الفصل الثالث : العارف بالله الشيخ عبد الواحد يحيى
٢٨١	١- كيف عرفت عبد الواحد يحيى
٢٨٥	٢- جيد وجينو
٢٨٨	٣- حياة جينو
٣٠٥	٤- دفاعه عن الإسلام
٣١٤	٥- في المعرفة
٣٦٣	الفصل الرابع : العارف بالله الشيخ عبد الفتاح القاضي
٣٦٣	١- كيف عرفت الشيخ عبد الفتاح القاضي
٣٧٠	٢- حياته
٣٨٥	٣- جهاده
٣٩٢	٤- إلهامات عن الطريق
٣٩٦	٥- إلهامات في التفسير
٤٠٧	٦- واردات

صفحة

٤١٥	مقدمة وخاتمة
٤١٦	١- ما هو المنهج الملائم؟
٤١٧	٢- التصوف والعلم
٤١٨	٣- التصوف والعقل
٤٢٠	٤- المنهج الصوفي
٤٢٢	٥- المنهج الصوفي منهج إسلامي
٤٢٤	٦- لا يكتسب التصوف عن طريق القراءة
٤٢٥	٧- التصوف والأخلاق
٤٢٧	٨- التصوف والزهد
٤٢٨	٩- التصوف والعبادة
٤٣٠	١٠- وأن إلى ربك المنتهى
٤٣٢	١١- منهج التصوف فيما يرى الغزالي وابن خلدون
٤٣٤	١٢- ثمرة المنهج
٤٣٦	١٣- تعريف التصوف
٤٣٨	١٤- تعريف التصوف فيما نرى

AL-MOSTAFAA.COM